

السيد محمد علي علي خان

# أبو طالب

## وبنوه

تقديم:

العلامة السيد نصر الله المستنيط

العلامة الشيخ باقر شريف القرشي

دار  
الحجة البيضاء

دار  
البيروت



أَبُو طَالِبٍ  
وَبَنُوهُ



السيد محمد علي آل السيد علي خان

# أَبُو طَالِبٍ وَبَنُوهُ

تقديم

الحجتين السيد نصر الله المستنبط  
والشيخ باقر شريف القرشي

الجزء الأول



الطبعة الأولى

طبعة الارباب في النجف الاشرف

١٠٠٠ / ٧ / ١٩٦٩

# تقديم

تفضل به سماحة آية الله السيد نصر الله الموسوي المستنبط دام ظله  
نشره شاكرين .

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين واللعن على  
اعدائهم اجمعين وبعد فلا يزال في التاريخ الاسلامي فجوات كثيرة تحتاج  
الى كثير من الجهد من له علم وعناية بالموضوع فان التاريخ الاسلامي في  
اطواره المختلفة قد خضع لعوامل ومؤثرات خطيرة جعلته يسير في ركب  
الحكومات التي كانت تتوالى على الحكم فأفقدته صفة الموضوعية والحياد في  
الولاء والعداء والجرح والتعديل ومن هنا قد اهمل ذكر كثير من الرجال  
اللامعين على امتداد العصور الاسلامية ولم ينصف كثيرا من الرجال الذين  
بذلوا حياتهم ونفوسهم في خدمة الرسالة ومن هؤلاء شيخ الاباطح سيدنا  
ابو طالب عليه السلام فقد تنكر له التاريخ الاسلامي ولم ينصفه رغم انه  
وقف حياته في سبيل الاسلام وجمد كل امكاناته ومكانته في قريش لاسناد  
النبي العظيم صلى الله عليه وآله ولم يتنكر له ذلك جهلا بل لأمر ما قد اكتبته  
الصدور لا يخفى على ذوي البصائر والفكر، وقد تفرغ فضيأة العلامة الحجة  
السيد محمد علي السيد علي خان دامت بركاته لدراسة حياة ابي طالب وبنيه  
ومواقفه من رسول الله (ص) حينما كان (ص) مستضعفا بين قومه وعشيرته  
في مكة وقد كان للمؤلف دامت بركاته التوفيق فيما قرأت من كتابه القيم في  
عرض الجوانب المشرقة من حياة ابي طالب ومناقشة الاحاديث التي اختلفتها  
الايدي المدسوسة للخط من كرامته ومحاسبة التشكيكات التي اوردوها في اسلامه  
وسوف يجد القارئ في هذا الكتاب القيم عرضاً ادبياً رائعاً ومنهجاً متماسكاً  
جديداً ولا غرو فقد كان فضيأة المؤلف ممن درس وتخرج من جامعة  
النجف الاشرف واعد من فضلائها المرموقين والله اسأل ان يجعل هذا الأثر  
العظيم طليعة لآثار يتحف بها المكتبة الاسلامية والله الموفق .

نصر الله الموسوي المستنبط



بين يدي الكتاب

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على خير النبيين وسيد المرسلين والبشر اجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كانت فكرة التأليف في حياة ابي طالب وبنه عليهم السلام تراوذي وتشدني اليها منذ عهد بعيد .

وما إن سنحت الفرصة وحالفني التوفيق حتى بادرت الى الفكر أستوحيه والى التاريخ الذي تضمن احداث هذه الفترة من عمر الزمن لأحكم له او عليه فكان هذا المؤلف الذي يضم أجزاءً ثلاثة .

يختص الجزء الاول منها بحياة ابي طالب عليه السلام ، والثاني في أحوال عقيل وجعفر واحفاد ابي طالب من اولاده الثلاثة ، اما الثالث فيتضمن حياة أمير المؤمنين علي عايه السلام فحسب .

وكلي أمل في ان يمدني الله سبحانه بالرعاية والتأييد ، وينال هذا المؤلف الذي اهديه لساحة قدس علي أمير المؤمنين عليه السلام : من الله تعالى شأنه ومنهم عليهم السلام : الرضا والقبول .

المؤلف



## المؤمن الأول

كان الناس - ومنهم الأمة العربية - تتبعها الاسر القرشية من قبل أن يطل الاسلام على العالم الفسح ، ومن قبل ان تشرق انواره على البسيطة المترامية الأطراف ، ومن قبل أن يمن الله القدير على المجموعة الانسانية ببعثة الرسول المنقذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

كان الناس من قبل على نزعات متباينة واهواء شتى ، كما كانوا في مجتمع تسوده الوحشية وتهيمن على أخيبته الخرافات والأساطير ، وتعشش في اذهان افراده الأباطيل وكل ما ينافي الانسانية والخلق الرصين : من وأد البنات وهن احياء ، وقتل الأولاد خشية الإملاق ، وانتشار الخمر ، وتعاطي الفجور ، وغزو القوي للضعيف . . كما كانوا متفككين متفرقين يخافون ان يتخطفهم الشيطان من حولهم وهم لا يشعرون ، يعبدون أحجاراً عملوها بأيديهم : يهللون لها ويكبرون ، يسجدون لها ويركعون ، ويسبحون بحمدها آناء الليل اطراف النهار ، كما يقربون لها القرابين ، ويسألونها بلحاح الحاجات في الشدائد والملمات . .

وعلى سبيل المثال نذكر جملة من تلك الأوثان والأصنام المعبودة في تلك الأدوار المظلمة والعهود السوداء :

- مناة ، أساف ، نائلة : معبودات قبيلة غسان والأوس والخزرج .
- ود : معبود بني هذيل .
- نسر : معبود قبيلة حمير .



- سواع : معبود بني كلب ، محله حومة الجنادل .  
 يغوث : معبود قبيلة ثقيف ، موقعه الطائف .  
 العزى : معبود كنانة وبعض بني سليم وبعض من قريش .  
 هبل : معبود اكثرية قريش ، موقعه الكعبة المشرفة .

وفي ذلك العصر الذي كان للاصنام والأوثان سوقها الرائج ومكانتها العظمى ومنزلتها الرفيعة ، كان ايضاً أناس يعبدون الله عز وجل ويوحدونه وينفون عنه كل شريك ونظير : منهم قس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن عمر بن نفيل ، وبنو هاشم بصورة عامة ، وفي طليعة بني هاشم الزعيم عبد المطلب وابنه ابو طالب عبد مناف . . فكأننا ينحون منحى هذا البيت .  
 ألاكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقد عد أهل السير أن جد الرسول العظيم عبد المطلب من المتألمين ، كما ذكروا أن دوره كان دور إيمان بالله ودور اعزاز بخدمة بيت الله ، وبها تميز وتطاول على الغير وتفوق على الناس - كل الناس - كما انفرد بالخلق الفاضل الجميل وتحلى بكافة المفاخر والمآثر .

وقد ذكر المؤرخون في ترجمته رضوان الله عليه : انه كان مشتهراً بعبادة الله والتجائه اليه ، لذا كان الناس يقصدونه في الأمور الصعاب وفي الشدائد والأهوال ، وكلما دعتهم الحاجة فما يجدونه الا ملياً حاضراً لكل المتطلبات بكل رحابة ، يقصدونه للاستسقاء عند حبس الأرض بركاتهما والسماء درها ، فيخرج مستصحراً فلا يأتي على آخر دعائه إلا ويستجيب الله دعائه ، فيرحم الناس بالمطر ويغيثهم من القحط والشدة . . وبدعوته ودعائه خلص الله الكعبة ومن بفنائها من الناس من شرور ابرهة الحبشي واتباعه الذين أرادوا نقض الكعبة ونسفها من الأساس ، فكان عبد المطلب في اكثر اوقاته آخذاً بعضادتي باب الكعبة وهو يردد :

يارب ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك  
لا يغلبن صليهم ومحالمهم عدوا محالك

\* \* \*

يارب لا ارجو لهم سواكا يارب فامنع عنهم حماكا

وهكذا ظل جد النبي متوسلا الى الله سبحانه ومتضرعاً اليه راجياً منه تعالى أن يقي البيت الحرام ويدفع عن الناس مكائد الأحباش ومناوءتهم العدوانية ، الى ان ثأر الله عز وجل لبيته وخلقه فأرسل على الأحباش الأوباش الطير الأبايل ، فدمرتهم تدميراً ومزقتهم شرمزق ، وذهبوا الى لعنة الله وناره « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ألم يجعل كيدهم في تضليل • وارسل عليهم طيراً أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول » .

يحدثنا المسعودي في مروج الذهب ٣٩٠/١ في ترجمة الزعيم الهاشمي شية الحمد عبد المطلب فيقول : وكان عبد المطلب مقراً بالتوحيد ، مثبتاً للوعيد ، تاركاً للتقليد - الى أن يقول : وكان اول من اقام الرفادة والسقاية وهو اول من جعل باب الكعبة ذهباً خالصاً مطعماً بالأحجار الكريمة على حسابه الشخصي ، كما كان يفتخر بذلك ، وهذا قوله :

اعطي بلاشح ولا مشاحح سقياً على رغم العدو الكاشح  
بعد كنوز الحلي والصفائح حلياً لبيت الله ذي المسارح

ويقول المسعودي في نفس الصفحة والجزء : ولما جاء ابرهة بالأحباش لهدم الكعبة وقلعها من الجذور وعسكر في القرب من مكة المكرمة واخرج الفيلة ليرهب الناس ويبعث الوجل والاضطراب في النفوس ، ثم صار جيشه الى نهب مواشي قريش وإبلها ، وكان من جملة ما انتهوه لإبلا للزعيم عبد المطلب ، الأمر الذي أدى الى الرغبة بزيارة ابرهة في معسكره ونجيمه

ليستفقد اموال الناس وحيواناتهم وضمناً لإبائه الخاصة ، ولما وصل إليه ربح به وعظمه واحترمه واکرمه وقال له : ألك حاجة فأقضيها ؟ وكان يحسب انه جاء لغاية تخليص الكعبة من الهدم والنقض ، فما استشعر إلا ان إبائه نهبت مع ما نهبه الجيش من مواشي الناس ، وعندها قال له القائد : حسبك ترجو مني ما هو اسمي واجل عندكم من الابل والأموال ، حسبك انك تأمل العفو عن كعبتكم ومعبدكم المعظم . فقال عبد المطلب : ايها القائد أما انا فرب الابل ، وأما البيت فله رب يحميه ويمنعه من اي اعتداء واساءة ثم نهض للخروج ، فأمر ابرهة برد الابل وجميع ما اخذه الجيش من قریش كرامة لرئيس مكة ، وبعد ان عاد عبد المطلب الى مكة نادى بأهلها واعلمهم بمنويات القائد الحبشي من الإبادة والتدمير ثم القضاء على البيت الحرام مهما كانت الموانع والحواجز ، الأمر الذي يحتم عليهم الفرار بأرواحهم وذرائعهم من الموت المرتقب في عشية وضحاها واللحوق ببطون الأودية ورؤوس الجبال ، أما انا فأبقى مرابطاً في البيت حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً . فخرج القوم من الوطن مرغمين خائفين تاركين وراءهم رؤسهم المحبوب وزعيمهم الكريم ، وظلوا يرقبون الأخبار ويتطلعون عن كئيب الى ما سيصنعه الله بالأحباش المحرمين . أما عبد المطلب فكان على عادته يأخذ كل يوم بعصادتي باب الكعبة ويدعو الله عز وجل ويستدر رحمته وعطفه ولطفه بالناس وانتقامه من الظالمين الذين يريدون الوقعة والسوء ببيته المعظم الى ان انتقم الله لبيته وخلقه وارجع كيد الأحباش الى نخورهم وصدورهم فرح عبد المطلب فرحاً كثيراً وكتب الى قریش يعلمهم بتعجيل الله على الكفر ونزول عذابه عليهم واهلاكهم عن آخرهم ، فعادوا مستبشرين الى وطنهم واماكنهم ، كما عادت اليهم حياتهم الطبيعية ، وبالمناسبة انشأ عبد المطلب :

حصيب حجارة تلقي علينا  
كأن له على الحبشان دينا

حدث الله لاذ عاينت طبراً  
وكل القوم يسأل عن نفيل  
وله أيضاً :

ثم ما بي عن نداكم من صمم  
من يرده بأثام يصطم  
جارج أمسك منه بالكظم  
ان ذا الأشرم عز بالحرم  
لم يزل ذاك على عهد إبراهيم  
ثم عاداً قبلها ذات الأرم  
صلة القربي وايفاء الذمم  
يدفع الله بها عنا النقم

ايها الداعي لقد أسمعني  
ان للبيت لرباً مانعاً  
فانثني عنه وفي اوداجه  
قلت والأشرم يرمي حيلة  
فجزاك الله فيما قد مضى  
نحن دمرنا ثموداً عنوة  
نعبد الله وفينا سنة  
لم تزل لله فينا حجة

وقال المسعودي في مروج الذهب ٣١٣/١ : وكان عبد المطلب يوصي  
ولده ابا طالب بصلة الرحم واطعام الطعام وتصور البعث والمعاد ، وجعل  
اليه سداقة البيت الحرام وسقاية الحاج ورفادتهم .

وأكثر من الوصايا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله :  
او صيت من كنيته بطالب      بابن الذي قد غاب غير آيب

وقوله :

او صيك يا عبد مناف بعدي      بواحد بعد أبيه فرد

\* \* \*

وقد أطم جد الرسول الكريم أن ينتب عن زمزم ، وقد عثر عليها  
مؤخراً فنظفها ونقاها من الأدران ، وجعلها صالحة للاستعمال .

وزمزم هذه هي العين التي أنبعها الله تعالى للنبي إسماعيل عليه السلام  
حين كان رضيماً ، وحين جاء به أبوه إبراهيم مع أمه هاجر واسكنها بفناء

الكعبة ، فأدار عليها الحجارة وانصرف عنها بعد ان استودعها الله الرؤف الرحيم بقوله كما حكاه القرآن الكريم : « ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

فبقيت هاجر وطفلها في حماية الله وكفنه ، في حين لاشيء هناك ، لاماء ولا كلاء سوى البر الأقفز والفضاء الوحش ، ويجف اللبن من هاجر ويعطش إسماعيل ويشرف على الموت من العطش ، فترتبك الأم للحادث وراحت تركض الى حيث لا تدري ثم تعود فتنتظر طفلها يفحص بيديه ورجليه ، وهكذا الى ان عادت في المرة الأخيرة فوجدت رحمة الله وصنعه فوجدت عين ماء صافية باردة تنبع من تحت قدمي الرضيع ، ففرحت واستبشرت وهي تقول منذهلة : زم الماء ، زم الماء . فسميت زمزم .

وهي التي احيها واعادها عبد المطلب ، وعلى اثر هذا الاصلاح والاحياء ثارت نائرة قريش ، وتعالى وتعاضم حسدها وحقدتها للزعيم الهاشمي على ما آتاه الله من فضله ، واخيراً تازعوه العين زاعمين انها تعود للقرشيين بصورة عامة باعتبار أنها موروثه من الجد الأعلى لإسماعيل فهم فيها شركاء ، فلا وجه اذاً لاختصاص السيد الزعيم عبد المطلب بها وانطوائه على خيراتها .

وتوسعت الخصومة واشتدت ، واخيراً اجبروا عبد المطلب على المحاكمة عند الكاهنة ، فوافق مضطراً حفظاً على بني هاشم وحرصاً على سيادة الأمن والسلام ، فساروا جميعاً لحضور المحاكمة . وبيناهم في اثناء الطريق كان الوقت شديد الحر ، فعطش القوم وأضربهم ، فكانوا من الموت كقاب قوسين او أدنى ، فواسعهم إلا ان يلوذوا بالملاذ العظيم والكهف الحصين جد الرسول ، فاستجاروا به من العطش ، فما كان منه رضوان الله عليه

إلا ان يسأل الله عز وجل ان يستقي القوم ويمنّ عليهم بالحياة المهددة ، فلم يستم دعاءه الا وانبع الله الماء من تحت حافر فرس عبد المطلب ، ففرح القوم وشربوا الماء وعادت اليهم حياتهم الاعتيادية ، وحين شاهدوا هذه الكرامة لجد النبي قتر رأبهم بالاجماع ان يتنازلوا له عن زمزم ويعدلوا عن فكرتهم ، واخيراً صارحوه بمانوا وكروا راجعين الى الوطن .

اقول :- وما اجراء مثل هذه الكرامات والفضائل من الله تعالى على يدي الزعيم عبد المطلب رضوان الله عليه إلا من جهة وطيد اتصاله ووثيق علاقته بالله عز وجل ، ومتمين اعتماده عليه، سبحانه ، والا لكان من اول المستحيلات ان يجري الله الخير والكرامة على يدي من لاعلاقة له به ، او على يدي جاحديه والمشركين به .

\* \* \*

ومن كرامة الله واحسانه على عبد المطلب ان صار أميناً مخلصاً على النبي ، وكافلاً حنوناً عليه صلى الله عليه وآله ، وذلك على اثر موت ابيه وامه ، فكفله اجمل كفالة وافضلها ، وقام بتربيته وادارة شؤونه خير قيام فكان المقدم عنده والمقرب لديه والمتفوق حتى على اولاده ، يوليه الكثير من عنايته والوفير من رعايته وحنانه، يتحرى خدمته بنفسه ويتصدى للوزامه بشخصه ، يحرص الحرص كله ان يدني منه كل مفرح ويبعد عن ساحته كل مؤذ ومكدر ، وربما توسم من يحياه النير وجبينه الوضاء شارات العظمة والسمو وعلامات الحمد والسؤدد وآيات النبوة والكرامة ، فيضيف ذلك الى مالديه من معلومات قديمة واخبار متوارثة : من ان النبي الذي يظهر في آخر الزمان هو من صلبه يكاد يعتقد في محمد .

ومن هنا وهناك أراد المزيد من التأكد والاطمئنان ، قصد به صلى الله عليه وآله الى الكهنة وقدامى العلماء . ولا يعرضه على واحد منهم إلا ويجد



منه التأييد لفكرته ، والتسليم لنبوءته ، والإيضاء بالاحتياط والحفاظ عليه من مكائيد الدهر وحوادث الزمن ، فيرجعه والفرح والغبطة ملء جوانحه وجوانبه ، وكيف لا يكون كذلك والنبوة والرسالة لحفيده المحب محمد ؟ !

وكم كان رضوان الله عليه يتمنى ان يفسح الله له في اجله ويمدني عمره لا لشيء سوى ان يدرك الزمن الذي تتحقق فيه بعثة محمد ورسالته ، ثم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . ولكن الأجل لا يستأخر ولا يستقدم ، فتصدر ارادة السماء بانتقاله الى الفردوس الأعلى ، حيث المؤمنون والأولياء وحسن اولئك رفيقاً . وعليه لا بد من الرضوخ للقدر والتسليم ، والرضا بأمر الله ، فيعهد بوصاياه ومهامه الى ولده المؤمن وثقته المفضل ابي طالب ولده الأكبر ، فيستعد ابوطالب لكل متطلبات الوالد الراحل ، وانشأ على الفور :

لا توصني بلازم وواجب      إني سمعت اعجب العجائب  
من كل حبر عالم وكاتب      حديثه رويته عن راهب

ثم ينتقل جد الرسول الى الدار الآخرة وجوار الرب الكريم ، فيلتزم ابوطالب بكل الوصايا والمعهود ، ولا سيما فيما يخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

## ابو طالب يتمتع بكل صفات الخير

كان رضوان الله عليه ينعم بشخصية فذة وزعامة عامة ، كما كان يتصف بكرم الخصال وعظيم المفاخر وجميل الفعال والمآثر .  
وكان عالماً كبيراً ، له دراية في فقه الأوائل والحديث ، وهو شاعر بليغ ، له ديوان مطبوع يحتوي على الشعر الرائق والنظم البديع ، وما حفظته الكتب من شعره اكثر مما احتواه الديوان المطبوع .

وكان فيلسوفاً مهماً ، تلمذ على يديه كثير من متكلمي العرب وفلاسفتهم ، وربما تجرنا المناسبة الى التعرض لهم انشاء الله تعالى .  
وكان اديباً محققاً ، ذكر المؤرخون له كثيراً من الخطب والمقالات الفصيحة .

وكان مجاهداً في سبيل الله ، يعمل الخير من أجل الخير ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويسعى دائماً الى قمع جذور الضلال وقلع اسس الفساد ، بعد أن كان قد حرم على نفسه واسرته شرب الخمر وتعاطي الفجور ولعب القمار ، والتزم بمحاربة الرذائل بكل ألوانها واشكالها التي منها عبادة الأوثان والأصنام السائدة حينذاك ، وهو الذي قرر أن تكون دية المقتول إما ألف دينار وإما ان تكون مائة رأس من الابل ، يهدف من وراء هذا التثقيف في الدية الى ان تنخفض نسبة القتل المتكررة في ذلك العصر ، وقد اقرها الاسلام ولم يزل معمولاً بها حتى اليوم والى يوم يعثون

اما بنو هاشم بصورة عامة فهم يكبرون أبا طالب ويقدرونه ويمتروونه ويعظمونه ، كما لا يقطعون بأمر دونه ، فهم يأتمرون بأمره وينزجرون بزواجره ، ولم يشذ منهم أحد ابدأ ، حتى ابي لهب فانه لا يستطيع إلا أن يمتثل امره وان كان مخالفاً له في العقيدة مبانياً له في المبدأ والدين .

يحدثنا النسائي في خصائصه عن عفيف الكندي انه قال : قصدت مكة المكرمة لاشغال عرضت لي ، وكان بعضها يتعلق بالعباس بن عبدالمطلب ، وكان عطاراً يبيع العطر في محل مقابل للبيت الحرام ، ولما وصلته استطال بي الجلوس حتى صار الظهر او قارب ، إذ أنظر شاباً بهي المنظر جميل الطلعة يمشي على استحياء ، له هيبة ووقار ، نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء ، فأتبعته بصري ، فاذا هو يقف عند باب المسجد الأعظم فيرمق السماء بطرفه ، ثم دخل البيت فوجه وجهه الى جهة من جهات البيت ، ثم اقبل غلام يشبهه في الهيئة والهيئة فاقتدى به ، ثم جاءت امرأة فوقفت خلفها ، وصار الجميع يركعون ويسجدون مع الغلام المتقدم ، الأمر الذي استفزني وجلب انتباهي ، فلم امتلك اعصابي دون أن استفهمت العباس عن هؤلاء وعما يعملون . فقات : يا عباس انه لمنظر رائع وحدث عظيم .

العباس : انه حقاً لأمر خطير وجليل ، أتدري من الشاب المتقدم ؟  
عفيف : لا اعرفه ولا اعرف عذ شياً ولم اراه قبل اليوم .

العباس : هو محمد بن عبد الله ابن أخي ، والغلام هو علي بن ابي طالب اخي ، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة محمد ، وقد اخبرني محمد أن ربه رب السماء هو الذي قد أمره بهذا الدين .

عفيف : أوجد من هو علي هذا الدين غيرهم ؟

العباس : لا والله ما على وجه الأرض غير هؤلاء الثلاثة .

عفيف : ماتقولون انتم يا بني هاشم ؟

العباس : ننتظر رأي الشيخ ابي طالب ، فانه بعد لم يعرف رأيه ،  
فنحن في ترقب ، ومتى ما استظهرنا رأيه تابعناه ، وما كان لأبي منا ان  
يتخلف أبداً .

\* \* \*

اقول : العباس هو ابن عبد المطب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو  
اخ لأبي طالب رضوان الله عليهما ، وللعباس وزنه واهميته ومكانته المثل  
في الأوساط المكية والهاشمية ، كما وانه شخصية لامعة في دنيا التجارة والثروة ،  
كما وان له جميع مؤهلات الزعامة والرياسة لولا ابو طالب . ومع هذا كله  
لا يقطع بأمر ولا ينفرد برأي من دون استشارة اخيه الزعيم ابي طالب  
رضي الله عنه .

وهكذا نجد شخصية عم الرسول العظيم (ص) محاطة بهالة من الإعظام  
والإكبار والاحترام والتقدير ، فعن دسته تصدر الأوامر ، ومن ناضيه تنبعث  
الزواجر والنواهي وكافة التعاليم والارشادات .

ومن هنا نجد أن بني هاشم على العموم حين تحققوا إلتفات ابي طالب  
نحو رسول الله وتظاهرة بمؤازرته ومعاضدته اجمعوا على الذب عن النبي ،  
وحايته من الأيدي الغاشمة الكافرة ، الا أبالهب فانه ساير قريشاً وانظم  
الى قوافلهم .

## ابو طالب يكفل النبي ويؤازره

يقوم زعيم الهاشميين بكل وصايا أبيه الراحل على افضل ما قام به ولد بار لأبيه العظيم ، فيوقف نفسه لخدمة الكعبة وحماية المسجد الأعظم وادارته ، ووفادة الحاج وضيافتهم وسقايتهم ، الى غير ذلك من تعظيم وتبجيل . ثم قام بخدمة النبي الكريم (ص) ، فالتزمه التزاماً قلّ نظيره ، وأحاطه احاطة قلما تتحقق لأحد من الناس . . فنجده يقدمه على نفسه ووالده ، حتى اصبح لا يأنس الا به ، ولا يرتاح الا اليه ، ولا تحلوا له مجالسة غيره . فهو صحيبه في سفره وحضره ، وسميره في حله وترحاله ، يفرح اذا فرح ، ويحزن اذا حزن ، يرضى لرضاه ويغضب لغضبه . وهكذا تمر الأعوام على رسول الله وهو في كنف عمه وتحت ظله الوارف آمناً وادعاً مرتاحاً ، ينعم بالكرامة والهدوء .

وربما اذا خلا بنفسه تعترضه الذكريات ، وتمر على صفحات ذهنه الشريف بعض الفكر ، فيلوح له ما قد فقدته من حنان الأبوين وشفقتها وعطف الوالدين ورأفتها ، فيستشعر مخلفات اليتيم ورواسبه المؤلمة ، فيتعكر عليه صفوه ويكثر عليه قلقه ، ثم تنطوي عنده هذه الصفحة ، وسرعان ما تنقلب عنده الحال ، فتعرض نعم الله عليه وما هيأه له من حضور عمه الزعيم لخدمته ومداراته ، وحضور زوجة عمه فاطمة بنت أسد ايضاً كذلك فتهون عليه صلى الله عليه وآله مصيبته بأبويه الكريمين ، فيعاود التسليم

لقضاء الله وقدره ، وينصرف الى حمد الله تعالى والازدياد من شكره على نعمائه وآلائه .

\* \* \*

وكلما يزداد النبي نمواً وارتقاءً في السن يزداد ويتعالى ولاؤه وحبسه في نفس عمه واعماقه .

وكان رضوان الله عليه كأبيه يقرأ من ملامح النبي وأساير وجهه الكريم علامات النبوة ودلائل البعثة ، بالإضافة الى ما ورثه من سلفه الصالح من المعلومات . وصار هو أيضاً يدور بابن اخيه على العراف والكهنة ليتبين مدى توهمه وتكهنه ، ومدى أثر صحة ما وصل اليه بطريق الوراثة من انقال واحاديث ، واخيراً يحصل على تأييدهم اجمعين ويستفيد منهم واقعية الأمر وانه كائن لمحمد لا محالة ، وكلهم يوصونه بالاحتفاظ بمحمد وحمايته والسهر على حياته ، ويحذرونه من اليهود الآثمين .

وظل ابوظالب يرقب ذلك اليوم الأغر ، اليوم المبارك الذي يبعث الله فيه محمداً رسولاً للناس ورحمة للعالمين ، ثم الحجد والعزة والكرامة والعظمة للعرب بصورة عامة ولبنى هاشم بصورة خاصة .

وما ان يشيع نبأ تكهن ابي طالب والعراف في مكة وضواحيها حتى غمرت الناس الالهفة وعمتهم الفرحة ، ورجوا ببركة هذا الحدث ان يتخلصوا من هوة الجاهلية ، واوضار الوثنية المقيتة ، وتحكم اهل النفوذ والقوة .

واعطى الناس لقب الصادق الأمين لرسول الله ، فكان محمد الصادق الأمين وهكذا قدر للرسول صلى الله عليه وآله ان يكون مهوى الأفتدة ، ومهبط الإكبار والتمجيد ، ومحل المدح والثناء من قبل كافة المتألهين والموحدين ، بل من قبل عامة الناس ، إلا ما كان من الجبابة والطواغيت والمشركين واليهود القذرين الذين اقض مضجعهم وحز في نفوسهم تنبؤ محمد وتحقق بعثته



يحدثنا المتقي الحنفي في كنز العمال ٣٠٥/١ فيقول : جاء رجل من بني عامر فجالس بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصار يسأله متأدباً . فارتاح اليه النبي وآتسه حديثه ، ولما انتهى العامري من مسأله اخذ النبي يقص عليه قضية ولادته المباركة وما جرى له اثناء الولادة ، فاستأنس الرجل وقال : بأبي انت وامي يارسول الله ما ألد حديثك ، واجل كلامك ، تفضل حدثني جعلت فداك .

فقال صلى الله عليه وسلم : اعلم يا اخا بني عامر لما بني ابي بأمي وحلت بي رأيت فيما يرى النائم ان نوراً شع من بطنها وانتشر في الفضاء ، فجعلت تتبعه بصرها ، فرأته وقد ملأ الأرض والسماء ، فقصت رؤياها هذه على حكيم من حكماء العرب ، فقال لها : يا آمنة ستلدين غلاماً يعلو ذكره بين السماء والأرض . . وكان أهل حي بني سعد بن هوازن ينتابون نساء أهل مكة لحضانه اولادهم واطفالهم ليعيشوا على خيرهم واجرة لإرضاعهم ، وصادف ان ولدتني أُمِّي في ايام حضورهم بمكة ، وكان قد مات أبي وتبعته اُمِّي ، فكانت يتيماً قد كفاني عمي ابوطالب ، ولما سمعت النساء بقصتي تباعدن عني ورفضن حضاني وارضاعي نظراً لفقرتي ويتمى ، وصرن يرددن : ضرع صغير ويتيم فقير ، فاعسانا ان ننفع به من خير .

وكانت من بين النساء امرأة يقال لها ام كبشة بنت الحارث ، فقالت لجماعتها : اني لا ارجع لبلدي خائبة أبداً ، فقصدتني فحمانتي وألقتني على صدرها ، فدر لبنها فحضنتني وحضرت لارضاعي وتربيتي ، ولما بلغ عمي اباطالب الخبر فرح بذلك فرحاً ماله من مزيد ، فأقطع الحاضنة إبلا وثياباً ثم صار يواصلها ويسعفها مادمت عندها .

اقول : الحكيم الذي نوهت عنه آمنة بنت وهب والذي قصت عليه رؤياها هو جد الرسول صلى الله عليه وآله الزعيم عبد المطلب رضوان الله

عليه ، فانه كان على يقين من امر حفيده ، وانه سيصبح اعظم انسان واجل شخصية يخضع له العالم كل العالم ، وتنحني له لإجلالا واعظاماً كافة الرؤساء والعظماء ، كما سيعلو دينه على كافة الأديان وان كره الكافرون .

وأما المرأة التي حضنت النبي صلى الله عليه وآله والتي فازت بتلك الكرامة التي لاتضاهيها كرامة ، والتي حازت على اسعاف زعيم بني هاشم ابي طالب هي حليلة بنت أبي ذؤيب ، حليلة التي ألقى الله في روعها حب محمد رسول الله وولاءه ومودته ، فانصاعت صادقة مخلصه الى خدمته وتيسير كل ما يحقق راحته وهدوءه واطمئنانه . . فهنيئلك يا حليلة ، ونج نج لك يا مرضعة محمد العظيم ، فقد فزت والله فوزاً عظيماً ، ونلت من الشرف وعلو المقام ما يغبطك عليه جميع نساء العالمين ، وبشراك يا حليلة حيث صح عنه صلى الله عليه وآله انه قال : هبط علي جبرئيل يبلغني عن الله عز وجل انه يقول لي : يا محمد إني مشفعك يوم القيامة في ستة نفر :

بطن حملك : آمنة بنت وهب .

وصلب حملك : عبد الله بن عبد المطلب .

وحجر كفلك : عمك ابو طالب .

وبيت آواك : جدك عبد المطلب .

وثدي ارضعك : حليلة السعدية .

واخ لك : كان في الجاهلية .

فهنيئلك وألف هنيئنا يا حاضنة النبي ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وهكذا يقدر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون مقدراً مهاباً محترم الجانب عند حليلة واسرة حليلة ، الكل يعزونه ويكبرونه ويسهرون على راحته وارتياحه ويحرصون على دفع الأذى والمكارة عنه : أولاً لما لمسه من توفر الخيرات وتضاعف البركات عليهم بوجوده بين ظهرانيهم ،

وثانياً من حيث اغداق ابي طالب الأموال والمعونة عليهم مدة الرضاع .

\* \* \*

وبعد ان استكمل صلى الله عليه وآله مدة الرضاع نقله عمه ابو طالب الى داره ، فنما وترعرع في ظل تلك الأحضان الحنوننة والحجور المحبة الحريصة على سلامته وصيانتة .

ويبدو لأبي طالب ان يسافر في متجر الى الشام في الرحاة التي اعتاد عليها المكيون ، إلا انه رضي الله عنه صار في ضيق من ناحية النبي ، لأنه لا يستطيع فراقه ، كما لا يأمن عليه من تركه بمكة ، واصطحابه معه لا يخلو من مصاعب واتعاب ، واخيراً قرر استصحابه لأنه اخف الضررين واهون الأمرين ، باعتبار أنه هو الحارس عايه بعد الله تعالى ، فأردفه أمامه وسار مع القافلة ، حتى اذا أراد الجمع الاستراحة والاستجمام ، فأوقفوا حركة القافلة ، وانزلوا الأحمال والأثقال انحاز الناس كل الى جماعته واصحابه ، وانحاز ابو طالب برسول الله الى ظل دير كان هناك ، ففرش له واجاسه ، ثم صار الى تهيئة ما لديهم من الطعام ، اذ يظل راهب الدير من بعض النوافذ فيقع بصره على النبي صلى الله عليه وآله ويعقب تلك النظرة بتأمل في ملامحه وأوصافه ومحاسنه وطلعته ، وما كان منه الا أن ترك الدير واقبل مبادراً مسرعاً حتى جثا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي أدى بأبي طالب ان يعرض عما هو فيه الى التوجه بكله نحو النبي وترقب حركات الراهب وسكناته .

ولنترك الحديث لابن هشام ، فهو يوضح لنا القصة ، وهو الذي يوقفنا على الواقع والحقيقة ، وقد جاء في سيرته ٩٠/١ ، قال :

إن القافلة حين وصلت الى ارض بصرى قريباً من الشام نزلت بالقرب من دير راهب ، فأطل الراهب على الركب ، وما ان وقع بصره على

رسول الله حتى خف الراهب الى ابي طالب يسأله :

ما يكون هذا الغلام منك يا ابا طالب ؟

ابو طالب : هو ابني وولدي .

الراهب : لا يا ابا طالب ما هو بابنك ولا ولدك .

ابو طالب : ولماذا وكيف علمت انه لم يكن كذلك ؟

الراهب : انه لا ينبغي ان يكون له واللحي .

ابو طالب : ولماذا وما الغاية من ذلك ؟

الراهب : لأنه على مواصفات تقتضي ان يكون هو نبي هذا الزمن ،

وعليه فأجدي علاماته ان يموت ابوه .

ابو طالب : ما الذي تقصده من النبي ؟

الراهب : النبي هو الانسان الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ به

أهل الأرض .

ابو طالب : أهل كل نبي يجب ان يموت ابوه ؟

الراهب : نعم حتى لا يكون لأي انسان أمر وسيطرة عليه حتى

ولو كان ابوه .

ابو طالب : صدقت ايها الراهب ، ان لنا على تنبوء محمد دلائل

ورثناها خافئاً عن ساف ، وهو قدمات ابوه وهو حمل في بطن امه .

الراهب : اذاً ما يكون منك يا شيخ الأبطح ؟

ابو طالب : هو محمد بن عبد الله اخي .

الراهب : صدقت يا ابا طالب ، واني انصحك ان ترجع بابن اخيك

من مكانك هذا وإن ادى ذلك الى ذهاب اموالك وخسارتك في تجارتك ،

فاني لا آمن عليه من دسائس الشرك ومكائد اليهود ، فانهم ان عرفوا منه

الذي عرفته فلا يولون عنه حتى يلحقوا الأذى به ، بل يفتالونه بكل نشاط

وقوة ، ومن دون ما اختشاء أو حذر .

وبالتالي يصمم ابوطالب على العودة بابن اخيه مؤثراً الحفاظ عليه والاحتياط على حياته التي هي ائمن واغلى من كل نفيس على اي منفعة مادية ، واي فائدة يتصور انها تنتج عن تلك السفارة والتجارة . واخيراً اوى عنان راحلته وكر راجعاً الى الوطن .

وقد ذكر ذلك ايضاً الحلبي في سيرته ١/١٤٠ ، وذكره ايضا ابن سعد في طبقاته ، بل تعرض له كافة اهل السير في ترجمة النبي صلى الله عليه وآله وذكروا ايضاً ان اباطالب حين وصل بالنبي الى مكة لازمه ملازمة منقطعة النظر، حتى صار ينيمه معه في فراشه ، كل ذلك حرصاً على حياته واحتياطاً على سلامته من شرور المعتدين .

وهكذا يظل عم رسول الله مراقباً له متفقداً احواله ، لا يبارحه ليل نهار ، يقتفي اثره ويتبعه اتباع الظل ، حتى اذا بلغ اشده وقوى ساعده وامتلك القوى الدفاعية قاص ابوطالب تلکم الملازمة ليعتمد على نفسه بعد الله عز وجل ، ومع هذا ما استطاع ابوطالب إلا ان يرقبه عن كئيب ويرصده من حيث لا يستشعر مدة غير قابلة الى ان اطمئن رضي الله عنه عليه .

## ابو طالب وتجارة النبي

وترجع لأبي طالب ، ان يعرض السفر على رسول الله بتجارة يهيشها له ، فيسافر بها الى الشام مع القافلة ، ليطلع اولاً على عالم أوسع من العالم الذي يعيشه ، وليقف بنفسه على عادات العرب ومآثرهم ، ثم التجارة التي يؤمل ان تعود عليه بالخير الوفير والنعم الجمّة . . . فكان منه صلى الله عليه وآله ان وافق على الفكرة ورحب بالسفر ، فصار ابو طالب الى إنجاز الأمر وتوفير أسبابه ولوازمه .

قصد خديجة بنت خويلد ، إذ هي اول امرأة ملية مثرية ، والناس كلهم يتجرون بأموالها وثروتها ، فعرض عليها فكرته وغايته ، فلم يجد منها الا الترحيب الحار والتقدير والإكبار . ثم صبت الأموال بين يديه ، وتركت الخيار له فيأخذ ما يشاء من غير حساب كرامة للزعيم الهاشمي وتقديراً لمحمد العظيم . فتناول قدرأ معيناً وشكرها على شعورها الطيب نحوه ونحو ابن اخيه ، ثم خرج من عندها مودعاً بمثل ما استقبلته به من الحفاوة والتكريم ، بعد ان طلبت اليه ان يعلمها بساعة السفر لتجهز خادمها ميسرة ليكون بخدمة النبي مصطحباً اياه ، ليتولى ادارة شوؤنه ذهاباً واياباً .

عند ما تهيأت القافلة واستعدت للسفر اوصى ابو طالب بمحمد الأصدقاء والأحباب ، وارسل الى خديجة بعض غلامانه يشعرونها بتهيؤ القافلة ، فكان ميسرة على اهبة الاستعداد ، فالتحق بالنبي فور اعلامه ، فسار به ومشى الى جنبه ، وحين علمت بنت خويلد بحركة الركب ، إذ تتحفز متسلقة



السلم لتشرف من اعلى السطح على محمد لتلتي عليه نظرة الحنان واللفظ التي شعرت بها ساعة مجيء ابي طالب ذاكرأ لمحمد ، وبمجرد ان وقع بصرها عليه رأت الغمام يضلله من حرارة الشمس وبقية لفتح الهجير ، فيأخذ الحادث العجيب منها مأخذه ، فتتحقق ان لمحمد شأنأ خطيراً ومكانة سامية في السماء فكان موضع اللطف الالهي والعناية الربانية .

وتستمر متوجهة نحوه حتى غاب عن بصرها ، فترجع الى مقرها لتزاول أعمال البيت ، إلا أنها تجرد في قرارة نفسها أنها تحب محمداً وتوده وتكبره وتمعظه ، لا شيء غير أنه صني الله ومهبط فضله وكرامته .

ولم تمض الليالي والأيام حتى بشرت بوصول القافلة ومحمد الى ضواحي البلد ، فتعاود السطح لتنعيم بنظرة الى محياه الكريم ، ولتستطاع قضية الغمامة ، فتبينت عين المنظر ، وتحققت نفس الحالة الأولى . فحمدت الله تعالى على سلامته ، وشكرته على وصوله موفور العزة والمنعة ، وطلبت اليه عز وجل أن يلهم محمداً رغبة الزواج منها ، لتتوفق لخدمته ويتسنى لها القيام بشؤونه واذا ماتم لها ذلك كانت هي السعادة العظمى والحياة الحرة الكريمة .

وتأتيها البشائر بريح المتجر مائة بالمائة ، وهي لا تزيد على اكثر من ان سلامة محمد هي اثنان من كل نقيس وغال ، واجل من جميع متع الحياة . ولم تزل مصممة على هذا حتى اذا زارها ابو طالب ليرجع اليها ماأخذها منها والريح الذي نخض عنه المتجر ، فما وجد منها إلا الإلحاح باهداء الأصل والفرع لمحمد العظيم ، ورجاء تكرار العودة فيما اذا صادف لمحمد مثل هذه السفرة مع فخر واعتزاز ، فلم يسع ابا طالب الا القبول والشكر والدعاء ، وتهيباً للقيام فرأى وقرأ من نفس خديجة شيئاً تحاول اظهاره وايقافه عليه ، لولا ما هناك من مانع الحياء ، فيجعلها تتلأكأ في الحديث ، الأمر الذي أدى بأبي طالب ان يستفهمها الحال ويستطلعها عما يحتاجها من

فكرة : . وبالتالي رأيت أن تصارحه بما يدور في خلدتها المتمثل برغبة الزواج من محمد صلى الله عليه وآله ان كانت هناك رغبة مماثلة ، وكل الغاية هي خدمة محمد وتوفير أسباب الراحة والهدوء لقداسته ، فما كان من عم الرسول الكريم إلا ان وعدّها خيراً .

وكرر راجعاً الى البيت يفكر في الموضوع يؤيده مرة ويفنده تارة اخرى ، فيجد ان المرجحات والمحاذير تتعارض وتتصادم لديه ، اذ تنهزم المحاذير أمامه الا واحداً منها يتأصل ويستحکم ، وهو كل ما يكون تفوق خديجة بالسنة على محمد ، وهو من اختصاص محمد فقط وله وحده الاختيار ، فليعرض الأمر عليه اذاً ليبت فيه ويحكم بما يشاء .

وبعد ايقافه على القصة اخذت منه مقداراً من التأمل والتفكير ، واخيراً يرفع رأسه قائلاً : يا عم لا ارى لكبر السن مزيداً من الأهمية ان كان الموضوع رائعاً من الجهات الأخرى . فاستشعر ابو طالب الموافقة ، واعتزم اتمام القضية ، وبعث الى خديجة من يبشرها .

## ابو طالب يزوج النبي

أتجه ابو طالب نحو تهينة أسباب الزواج ومعدات الفرحة ، واول عمل قام به رضوان الله عليه هو أن قصد أهل خديجة واسرتها العربية الكريمة ، فوجد الإعظام والاكبار والتقدير والتوقير ، وما ان استقر به المجلس حتى فاوض الأهل والأقارب فيما يخص خديجة ومحمد رسول الله ، اذ يهب الجميع معتزين فخورين بالشرف العظيم الذي سيحصلون عليه بمصاهرة بني هاشم ، ولا سيما بمحمد الصادق الأمين . . . . . وعندها خطب ابو طالب خطبة العقد ، فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ، الحمد لله الذي جعلنا خيار الناس ، الحمد لله الذي جعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن اخي محمداً من لا يوازن به أحد من قريش إلا رجح عليه برأ وفضلاً ، عقلاً ورأياً ، وانه وان كان في المال مقلاً فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله رغبة في خديجة ، كما لها مثل ذلك ، وما احببتم من صداق فعلي اداؤه ، ولحمد والله بعد نبأ شائع وخطب جليل » .

ثم قدمت التشريفات وتفرق القوم ، ورجع ابو طالب فصار إلى اعداد المهر ومعدات الوليمة ، حتى اذا ماتم له كل شيء صنع ليلة الزفاف وليمة فخمة ضخمة لم يسبق لها في تاريخ الولايم العربية مثيل ابداً ، وكانت ليلة مباركة عمت الفرحة فيها الجميع ، ولا سيما بني هاشم ، ولا سيما ابا طالب .

يحدثنا الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤١ في بيان تعداد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اول زوجات النبي اللواتي دخل بهن خديجة بنت خويلد ، وكان تزوجه بها بارشاد من عمه ابي طالب ، وكان صداقها اثني عشر أوقية ونصف الأوقية من الذهب الخالص ، دفعه ابو طالب من خالص أمواله .

اقول : لقد عرفتنا الوقائع وأوقفنا الأحداث على ان رسول الله صلى الله عليه وآله عاش مع السيدة الكريمة ام المؤمنين خديجة عيشة هادئة رضية ، كما وجد منها المرأة المحبة الوفية والخلصة الأمانة ، لقد شاركنه في السراء والضراء ، وآثرت راحته على راحتها ، آثرته بثروتها التي جلت عن الإحصاء والتعداد ، آثرته بكل ما تملك حتى صارا ينمان على جلد شاة ، فهو كل الموجود وكلما يدور عليه سور بيتها الكريم . . كل ذلك ولم يخطر ببالها يوماً ما ان تسأل الرسول عن شيء ابدأ ، لعلمها بأنه صلى الله عليه وآله صرف تلك الثروات في سبيل الله ومصالح الاسلام ، وكان من جملة موارد الصرف اعاشة بني هاشم سني الحصار والاعتقال . ويقدر لها ان تلد بعد اليأس للنبي العظيم الطيب والطاهر والزهراء ، ولم تلد احدى زوجات النبي إلاها ، وكان نسله صلى الله عليه وآله وسلم منها ، لذا قال : ان ذرية كل نبي من صلبه إلا أنا فذريتي من ابنتي فاطمة وابن عمي علي بن ابي طالب .

وبالفرحة ابي طالب حين يتبين ارتياح ابن اخيه العائلي وصفاء جوه المنزلي ، ولا سيما حين يطالع على احوال خديجة معه من السهر على المصلحة والتصدي بصدق واخلاص عميقين لجلب بواعث الدعة والاطمئنان والترفيه والاستقرار ، ما ان كان لها الى ذلك سبيل . فينكفيء الى حمد الله وشكرانه على نعمائه وآلائه .

## ابو طالب وبدء الدعوة الاسلامية

تشاء ارادة الله الحكيم الاشاءة التي لاراد لها ولا يمكن ان يقف في طريقها أي ارادة أو اشاءة . . نعم تشاء ارادة الله العظيم ان يجهر رسول الله بنبوته ، ويعلم عن بعثته ورسالته ، ولا سيما بعد ترديد السماء « وانذر عشيرتک الأقربين » . قلم ير صلى الله عليه وآله وسلم بدأ من ان يفتح عمه الزعيم اباطالب في الأمر ، ويطلع على جلية الحال ، اذ هو رضوان الله عليه فقط موضع ثقته ومحط أسراره ، كما هو اكبر عامل للنهوض به نحو الغاية ، واجل دعامة يمكن أن يرتكز عليها ويعتمد على ما يراه من آراء موفقة وخطط سديدة .

ففتح صلى الله عليه وآله وسلم ، فتأمل قليلا ثم رفع اليه طرفه وقال :  
بأبي أنت وامى يابن أخي ، مر تطع ، واحكم انفذ انشاء الله .

فقال : اريد فعلا احضار أربعين نفراً وانت منهم يا عم من الأهل والأسرة .

فأجابه الى ذلك وهو يردد « سعيأ على الرأس لا سعيأ على القدم »  
الآن احضرم يابن أخي .

فنهض رضوان الله عليه وعاد ومعه القوم ، فقال رسول الله لعلي :  
احضر الطعام ، فأحضره فأكلوا وشربوا ، والطعام على حاله وكأنه لم تمسه ايديهم ولم يتناولوا منه لا قليلا ولا كثيراً .

وما ان استشعروا هذه الكرامة حتى صار بعضهم ينظر الى بعض

نظر المغشي عليه من الموت ، وهبوا جميعاً للخروج ، وبعضهم يقول للآخرين :  
هيا هيا لنخرج لقد سحرنا محمد . فانفضوا ولم يستفد منهم رسول الله  
شيئاً ، ولم يفهموا منه معنى .

ولما صار اليوم الثاني أمر النبي علياً ان يجمع له القوم ثانية ، فبادر  
عليه السلام الى احضارهم ، فأحضرهم . وبعد أن اخذ كل واحد منهم  
مجلسه إبتدروهم رسول الله قائلاً : يا قوم ارأيتم ان اخبرتم ان العدو ممسك  
او مصابحكم اكنتم تصدقوني على ذلك ؟

قالوا : نعم نصدقك وانت فينا الصادق الأمين .

قال : يا قوم إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة ، اني قد جئتم بأمر  
إن اطعموني عليه دانت لكم العرب والعجم ، تشهدون أن لا اله الا الله  
واني رسول الله اليكم ، أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على ان يكون اخي  
ووزيرى وخليفتى من بعدي ؟

وما ان سمع القوم ذلك حتى احجموا واطرقوا برؤوسهم إلى الارض  
كأنهم يساقون الى الموت .

والى هنا نعطي المجال للتاريخ ليحدثنا عن لسان امير المؤمنين علي بن  
ابي طالب ، لأنه شاهد عيان ، فيقول عليه السلام : ردد رسول الله دعوته  
ثلاث مرات والقوم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير ، فقمتم أنا وكنت  
آنذاك اصغرهم سنأ واضعفهم جسماً ، فقلت : انا يا رسول الله اؤازرك على  
دعواك وانا صرك على اداء رسالتك . وعند ذلك اخذ برقيتي وقال :

يا قوم هذا علي اخي ووزيرى وخليفتى من بعدي فاسمعوا له واطيعوا .

أما ابوطالب فانه حين رأى لإحجام القوم ووجومهم قام فتكلم فقال

فيما قال :

أي محمد ما احب الينا معاونتك ، واقبلنا لنصيحتك ، واشد تصديقنا

لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وانا واحد منهم ، فلا ازال امنعك واحوطك ، فامض لما امرت به .

فقام ابو لهب فقال : يا قوم هذه هي السوءة ، هذه هي السوءة ، يا قوم خذوا على يديه من قبل ان يأخذ غيركم .

فقام ابوطالب فقال : صه يا ابالهب ، والله لنمنعنه ما بقينا .  
ثم التفت الى النبي وقال : قم ياسيدي ، قم يا محمد ، تكلم بما احببت ، وبلغ رسالة ربك فأنت الصادق الأمين .

سمع القوم هذا فقاموا مغضبين ، تلوهم الكآبة ، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . . كل ذلك من حيث انحياز ابي طالب الى جهة محمد وحزبه ، والمصارحة باتباعه وتصديقه . واقل نتائج ذاك الاتباع والانحياز ، هدر القيم والاطاحة بالكيان ، وبالنهاية القضاء على الآلهة والمعبودات .  
ولكن ثمة بصيص من أمل حسبوا أنهم ينفثون منه الى تعكير الجو بين ابي طالب ومحمد من جهة وإلقاح الفتنة بين علي وأبيه من جهة اخرى ، واذا ماتم لهم ذلك جلسوا على التل للفرجة ، وبالتالي يتمكنون من شل حركة محمد وخنقها في مهدها ، ويقضون على محمد وبه ينتهي كل شيء .  
أقبلوا على ابي طالب يذرفون دموع التماسيح ، وتسلمحوا بالخساع الماكر ، وأظهروا تألمهم لقضية تأمر محمد لعلي مع وجود ابيه البطل والعظيم المفضل : أما رأيت يا شيخ الابطح كيف امرك محمد ان تسمع لابنك وتطيعه ، أما ان ذلك هو ان لا يمكننا معه الصبر والسكوت ؟

ولكن ابا طالب العظيم لم يكن ليخفي عليه حقد القوم وبغيهم ، كما لا يتصور في حقه أنه يمكن ان تنظلي عليه محاولات الشرك واحيايلهم الهادفة الى خلق الجو المعاكس بينه وبين ابن اخيه او بينه وبين ولده علي ، لذا لم يعر طنطنة الذباب ولا نقيق الضفادع ولا النفثات المحمومة ولا قليلا من

الأهمية ، مادام محمد صادقاً في دعواه حكيماً لأمره كما لا يخدش في كرامته وزعامته كونه مأموراً لولده الصغير منقاداً إليه ، مادام ذلك صادراً عن إرادة إلهية وتدبير سماوي كريم .

ولم يحدثنا التاريخ كما لم تنقل لنا كتب السر أن عم النبي الزعيم ابا طالب تأثر للحادث ، او تألم للتأثير آنف الذكر ، أو تعرض للعتاب لا اقل . فكل ذلك لم يكن ، بل الآثار والشعائر تؤيد رضاه بفعل الرسول صلى الله عليه وآله ، واقرار له ولنا من ناصح الأدلة كما سنذكر انشاء الله على امر أبي طالب ولده علياً باتباع النبي ومؤازرته لا يحصى ، فن ذلك قوله : الزم محمداً مهما استطعت ، فانه لا يدلك إلا على خير ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

وتواتر عنه قوله :

ان الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يدك  
ومها يكن من أمر : إن إنحياز أبي طالب إلى معسكر النبي صلى الله عليه وآله ، أحدث البلبلة والضجة في صفوف الشرك ، كما أحدث الاستياء العام في جموع الكفر .

ومن هنا وهناك صموا على التكتل والاتحاد ومحالفة اليهود ليكونوا بدأ واحدة على أبي طالب كي يقهروه على التنازل ويضطروه الى التخلي عن رسول الله ، او يموتوا جميعاً قرابين للأصنام والأوثان .

وبطبيعة الحال ان هذه التكتلات والتجمعات لا تكاد تخفى على ابي طالب كما لا تعزب عن تفكيره نتائجها السيئة ورواسبها الدنيئة اذا لم تتخذ السبل لتكتل مماثل او اقوى يهرب العدو فيوقفه عند حده ، ولا اقل من تكثير عدد الأعوان والأنصار والحلفاء ، فيبدو لأبي طالب أن يكون اول عمل يقوم به هو الاجتماع بالهاشميين بصورة عامة واحاطتهم بمنويات القوم وما يببتونه



للمجتمع الهاشمي من الدمار والافناء ، ولاسيما محمد محبوب الجميع ، وما كان من الهاشميين الا ان يلبوا نداء زعيمهم ورئيسهم مها كانت التضحيات والخسائر والمخلفات ، وهم طوع اشارته وتوجيهاته .

وصار هو بنفسه - اعني ابا طالب - الى تحري حركات القوم وترصد ما يدور في النوادي والمجالس من مؤامرات وتصميمات عدائية وخطط جهنمية حتى اذا وقف على خيوطها تتبعها واكتشفها ففضحها ووقف امامها وقفة الأسد المشبل ، فيصرخ عالياً : اني بالمرصاد لكل من تسولت له نفسه ايداء محمد ، او يدنو منه بمساءة مادمت حياً وسني بيمني ، ثم ليعلم ان ابن اخي محمداً لا يريد أن يفرض مبادئه بالقوة والسيف ، بل هو كالتاجر الدوار بتجارته ، ما ان وجد لها راعباً باعها والاحمد الله على كل حال .

وانطوى على نفسه الى ان يحدث الله له بعد ذلك أمراً ، وبأقي الله سبحانه وتعالى الذعر والخوف في قلوب المشركين من سطوة أبي طالب والأسرة الهاشمية ، الأسرة التي ألهبها أبو طالب قوة وحاساً وبأساً وشجاعة وترك كل فرد من أفرادها يتوقد ثورة واقداماً . كما خلق منهم قوماً مستميتين لا يرون الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً ، وما ان شاهد الشرك ذلك حتى خافوا نشوب حرب مدمرة تطيح بالأرواح والآلهة ، ثم لا ينفعهم اذ يندمون .

وأخيراً وبعد اجتماعات ومداومات قرروا أن لا يعموا بصورة علنية على مقاومة ابي طالب ومحمد وايدائهما ، فالتكتم هو الأولى في الأوقات الحالية ، وانتهاز الفرصة بانفراد محمد واتخاذ طرق الحرب الباردة انفع في صد الاخطار .

وعاينه تم التصميم وعقدت النية ، ويلاقي هذا التدبير من الجماعة كل ترحيب وتقدير ، فالتذرع بسحر محمد وشعوذته وجنونه وكهانته هو اكبر

ذريعة لتحطيم مبادئ محمد وشريعة محمد، وبنفس الوقت نصر للمعبودات وعزة للآلهة . . .

وربما تلاقي هذه الهمسات الحاقدة، والنفثات المحمومة بعض الرواج ، ونوعاً من القبول والتصحيح ، إلا انها تنهار أمام دعوة الحق وثورة العدل ، ولم تفلح بالاستمرار والدوام ما دام هناك قدرة وقوة تعملان في الخفاء ، فتنفذان الى المناوي المحاطة بسوز من الكتمان المنيع ، فتكشفان كل ما هو مبيت ومصور ، فتوحيه للزعيم الهاشمي فتماه استسناداً ونخوة ، وتحفزه للأخذ بعصده مجد مطلاً به على رؤوس الشيوخ والأبطال في اعظم نواديهم المزدهمة ، فينقض عليهم انقضاض الصقر بلاذع الخطاب وقريع المقال :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة      وابشر بذاك قرمنك عيوننا  
ودعوتني وعلمت انك صادق      ولقد صدقت وكنت ثم امينا  
ولقد علمت بأن دين محمد      من خير أديان البرية دينا  
والله لن يصلوا إليك بجمعهم      حتى اوسد في التراب دفينا

فيترك القوم حيارى تتقاذفهم الأهواج فتعود بهم الى الخضيض، وتسير بهم في الطريق الشائك المتعب والسبل الملتوية ، وسيسمعهم أبو طالب ماهو أشد عليهم من وقع السيوف، واشق عليهم من لب النار وضرب الحديد، ما دام ساتراً وراء محمد يسنده. ويؤازره ، فيلزمهم والحال هذه ان ينكفثوا الى الآلهة مستجيرين ولائذين ، يثيرون فيها روح الثأر لعروشها المهدة بالنقض والنسف ، فيرجعون وكأنها قد ألهمتهم الصمود ، وحببت اليهم مآكرة أبي طالب ومخادعته بكل وسيلة وحيلة .

فيعمر النادى ويجمعون ويكثر الحديث ، واخيراً يرون أن يقدموا على أبي طالب بعمارة بن الوليد . . . عمارة الذي هو أنبل شخصية عربية عندهم واجمل شاب في قريش يجمع كثيراً من صفات الكمال وخصال الخير ، فيستبدلونه

بمحمد شاب مكان شاب ، ومتى ما كان لهم ذلك كان الفتح في جانبهم  
والرشد في صالحهم ، وتفننوا في قتل محمد وتلذذوا بالتمثيل به .  
وما ان عرضوا الفكرة على الزعيم الهاشمي حتى انتفض انتفاضة الأسد ،  
وغضب غضبة الليث ، وقال : والله ما انصفتُموني ايها الحمقاء ، تبا لكم  
أيتها الجماعة ، وسحقاً وتعساً لعقولكم أيها الجبناء الأغبياء ، أتريدون مني ايها  
الصابغون الودجوني ان اعطيكم ولدي وروحي لتقتلوه وتنكلوا به وتعطوني  
ابنكم أربيه لكم ، فالكم كيف تحكون ؟! اترجون مني ان استبدل محمداً  
بعمارة بن الوليد ، فوالذي نفسي بيده لو أعطيتُموني العالم كله لما استبدلته  
بظفر من رجل محمد ، فإليكم عني ولا تكلموني والاعلوت رؤوسكم بالسيف...  
فنهضوا من المجلس مهانين محقرين يودون ان تنخسف بهم الأرض  
او يأتيتهم الموت من مكان سحيق ، باءوا الى اهليهم بالخزي والعار وفشل المحاولة .

\* \* \*

اية فكرة احط قدراً واطأ درجة من هذه الفكرة ، واي رأى اسخف  
واقدر من هذا الرأي ؟؟ ! .

فكرة ورأي يصدران من أناس يزعمون الثقافة ، ويدعون التفوق في  
المجالين العلمي والأدبي ، ويتمشdqون بالشمم والسؤدد والرياسة العامة على  
العرب - كل العرب - ويفضلونهم نبلا وعقلا سياسة وحزماً . . . وأخيراً  
تسفر آراؤهم عن مثل تلك النظرات الحاقدة والنظريات المحبولة التي يترفع  
عن مثلها صغار الأطفال وضعاف النفوس .

وكيف ياترى يرضى الأطفال والضعاف لأنفسهم أن يقدموا على مثل  
أبي طالب الذي يفتردي مجدداً بأولاده ونفسه بعمارة بن الوليد ، أو أن حب اولئك  
للآلهة أو حبههم للزعامة الجاهلية هو الذي أعماهم وأصمهم ، والحب في الغالب  
يعمي ويصم ، وهو وحده يريهم جمال الأفعال وحسن الآراء ، فيذبعثون

نحوما يتخيلونه من حيث يشعرون ولا يشعرون ، غير مكترئين بوخيم العواقب  
ولا بالنتائج غير المحمودة .

وعلى يد من رجوا ان تنجح مؤامرتهم ويفتح خداعهم ومحاولتهم؟!  
على يدي ابي طالب الذي يرى ان الحفاظ على حياة محمد اقدس واجب  
أقيمت مسؤوليته على عاتقه ، واجل مشروع يفرض عقله عليه حمايته وصيانته؟!  
إذاً لتصغر النفس والأولاد والنفائس ، فهي اقل الفداء لمحمد ما دام محمد  
رسولا لله ومبعوثاً من قبله عز وجل . . .

وجرياً على سيرة النبلاء وطريقة العتلاء فيما اذا لم تلاق أفكارهم القبول  
والترحيب فانه يتحتم عليهم عدم ارتياد النظائر والأشباه ، وعدم التفكير بالأمثال  
والمقاربات ، حرصاً على البقية من الكرامة والمكانة . ولكن أني لهؤلاء أن  
يركنوا إلى كرامة ويعتنوا بسيرة مستحسنة .

لذا نجدهم وقد عاودوا الكرة وقاربوا الفكرة وكونوا وفداً ليقابل  
الزعيم المهيب يشكوزة النبي ويريدون منه ان يحدد صلاحيته ويعرقل سير  
قافلته وحركة عجاته ، فيتقدم ابو جهل رئيس الوفد وعتبة وشيبة ابنا ربيعة  
وابو سفيان صحخر بن حرب بن أمية ، وابو البحتري بن هاشم ، والعاص  
ابن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج .

واقحم ابو جهل نفسه بالكلام ، فقال : يا زعيم مكة ان ابن اخيك  
محمداً قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا الذي نحن عليه ، فإما أن تكفه عنا  
وعن شعائرتنا ومعبوداتنا ، وإما ان تخلي بيننا وبينه .

فا كان من عم النبي العظيم إلا ان قال : سأجتمع بمحمد فأعرض  
عليه ما تطلبون ، والأمر له والحكم يخصه ، فانظروا إني معكم من المنتظرين .  
فنظر القوم الى بعضهم نظرة اليأس والقنوط ، ونفضوا من حوله وقد  
اضافوا فشلاً جديداً الى قائمة المحاولات السابقة الفاشلة .

ويجتمع ابو طالب بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليستشعر عزمه وتصميمه ، وليتضح موقفه هو شخصياً إن رفض محمد مقررات قريش وطلباتهم ، وعندها يجهد صلى الله عليه وآله بالبكاء وبألم للحادث ويقول لعمه : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك .

فيحدث هذا الانكسار والاستمرار والتصميم الحار في نفس أبي طالب صدمة قوية وانھیاراً عميقاً ووخزاً مثل حد الشفار ، الأمر الذي لا بد أن يكون معه عرض جميع القوى والطاقات ، واستعراض كل ما لديه من إمكانات وقابليات واسعة النطاق ليهداً محمد وليفرح بنفس الوقت ، وليكون على اطمئنان من ان ابا طالب لا يمكن ان يتركه وشأنه ابداً ، ولا يمكن ان يتخلى عنه ولا لحظة واحدة أبداً ، ويستحيل ان يسلمه عند الوثبة ابداً . . . ولا ولن يقول له « إذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » .

ولا بد ايضاً من تشجيع محمد وبث روح الحماس فيه والاستبسال والمضي قدماً نحو الغاية والهدف الذي كانت بعثته من أجله ، غير هيب لما يعترض طريقه من عقبات ومصاعب ، وهو الناصر والمؤازر له بعد الله تعالى وكفى ... فينشط رسول الله صلى الله عليه وآله وتقوى عزيمته ، فيسترسل في تبشيره ويواصل دعوته وتبليغه معتمداً على الله العظيم اولاً وعلى مساندة عمه الزعيم ثانياً.

\* \* \*

أما القرشيون والأبناغ وال خلفاء الحساقدون فإنهم كادوا يتميزون من الغيظ ، وكادت قلوبهم أن تنقطع حرات وآهات كلما شاهدوا محمداً جاداً في أمره داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد تحدى بواسطة عمه كل الآلهة المقدسات وكل الزعامات والحريات . ومن الممكن بالتالي القضاء النهائي ، وتلك هي الخسارة التي لا تعوض ، وذلك هو الخسران المبين .

فليس لهم اذاً إلا معاودة الآلهة والاستجارة بحضرتها من الشبح المخيف الذي يلاحقهم حتى في فترات الاستراحة واوقات النوم ، الشبح الذي صار بانحيازه الى محمد سبياً - بل من اكبر الأسباب - في تحطيم الكيان الجاهلي وسمق الساطان الوثني ، اللذين عاشتهما الناس قروناً وقروناً .

ويرجعون وهم يحملون بين طياتهم فكرة ضرب الحصار على ابي طالب في شعبه ، ونية اعتقاله في محلته ، وبذلك تحدد صلاحية ابي طالب وتنقاص دعوة محمد ويرقب فيما بعد ماذا تكون النتائج وما سيسفر عنه الاعتقال وفرض الإقامة الجبرية ، فقدر لهم في هذه المرة ان يفلحوا وينجحوا ، فيتم فرض الحصار ويتحقق حكم الإعتقال .

## ابو طالب والشعب

وما ان بلغت قضية الحصار إلى اذهان الهاشميين الأفذاذ حتى نفروا  
أجمعين الى الشعب ، مستأثرين حياة الاعتقال الرهيبة ومرارة الحصار الشائنة  
مع الزعيم ابي طالب على الحياة المرفهة والعيشة الرضية خارج نطاق الشعب ،  
الأمر الذي لم يجد من نفس الزعيم نوعاً من الاستحسان ولا قليلاً من الرضا  
بغية تحمل الأعباء بنفسه ليس إلا ، إذ هو كل الغاية وهو وحده المقصود  
أولاً وبالذات ، إلا ان الأبطال الهاشميين ابت وابت بإلحاح إلا المقام معه  
وربط المصير بالمصير مهما كانت النتائج ، ثم الحياة بجياته والممات بماته .

ويبدو للزمر المعادية بعد إخضاع اليهود والمجرمين على الانظواء تحت  
اللواء وتحت شعار العدو المشترك ان يكتبوا صحيفة توقع من الرؤساء واهل  
النفوذ، بعد ان تملأ مواد وبنوداً كل سداها ولحمتها التضييق على ابي طالب  
والتشديد في أمر الحصار ، وان لا يفك إلا بتسليم محمد أو يموت ابو طالب  
ومن معه ، كما يجب ان تعلق الصحيفة في جوف الكعبة ، فذلك أبعد لها عن  
التحريف وعبث الأيدي المناوئة .

أما مواد الصحيفة فهي كما يلي :

- ١ - يفرض الحصار على ابي طالب في شعب ابي طالب .
- ٢ - يمنع منعاً باتاً إيصال المواد الغذائية اليهم بكل صورها وألوانها .
- ٣ - يمنع الدخول اليهم والخروج منهم نهائياً .
- ٤ - يحظر التزويج من آل ابي طالب ابداً .

- ٥ - يحظر الزوج من آل أبي طالب ابداً .
- ٦ - يمنع ايصال الماء أوكل مايع الى آل ابي طالب منعاً باتاً .
- ٧ - يحظر التعامل كلية مع آل ابي طالب .
- ٨ - يمنع بتاتاً لايصال الفرش والغطاء والكساء الى آل ابي طالب .
- ٩ - لا يفك الحصار عن ابي طالب الا ان يسلم محمداً أو يموتوا كلهم جوعاً وعطشاً .

- ١٠ - تعلق الصحيفة في جوف الكعبة .
- ١١ - يعاقب كل من يحاول الإخلال بأي واحد من الشروط .
- ١٢ - يجب أن يخصص جماعة يرابطون في منافذ الشعب ليمنعوا كل من يحاول التسال من بني هاشم او اليهم .

١٣ - على قريش تنفيذ كل ما جاء في الصحيفة حرفياً .

التواقيع : ابو جهل المخزومي ، ابو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، العاص بن وائل ، ابو البحري بن هاشم ، شيبه بن ربيعة ، عتبة بن ربيعة ، ابو لهب بن عبد المطلب ، منبه بن الحجاج ، عمرو بن العاص ، سعد بن ابي وقاص ، نبيه بن الحجاج ، عبد الله بن ربيعة ، الحرث بن هاشم المخزومي ، صفوان بن أمية ، سهيل بن عمرو ، حويطب بن عبد العزى ، الوليد بن عقبة . وهكذا تطوى الصحيفة وتعلق في جوف الكعبة ، وظلوا يرقبون الثمرة والنتيجة المرضية بندم ابي طالب وتسليم محمد ، وهناك تعود الحياة والنصر ، كما تفوز الآلهة بالظفر والحفاظ على الكيان والمعنويات .

\* \* \*

أما ابو طالب والهاشميون فقد وطنوا انفسهم على تحمل اعباء الإعتقال وأنقال الحصار مهما كانت شاقة ومؤلمة ، حتى ولو أدت الى الموت جوعاً وعطشاً . ولا بد في كل ذلك من التسليم لأمر الله وقضائه ما دام يهدف إلى



الحفاظ على حياة رسول الله والاحتياط على وجوده الكريم .  
 ويطول الإعتقال فيخطر على بال عم النبي الكريم سأم الهاشميين وضجرهم  
 فيندفع تلقائياً الى تخفيف الوضع عليهم وتذكيرهم برعاية الله وعنايته .  
 ويلزمهم التصبر الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً ، كما يلزمهم بأن لا يشعروا  
 رسول الله الاستياء والسأم ، فينضاف الى ما يحسه ويستشعره من ألم الحصار  
 وعذابه الخائق ما يعكر عليه صفوه ويزيد في قلقه وانعدام استقراره .  
 ويستمر الحصار ثلاث سنين عجاف ، لاقى فيها ابو طالب الأمرين :  
 لاقى فيها الذل والهوان ، لاقى فيها من المصاعب والمصائب ما تطأطئ لهوله  
 الشوامخ وتنحني لفضاعته الجباه . . .

لاقى كل ذلك بصبر وثبات ، لم يكن ليستعين إلا بالله ولا يأمل الفرج  
 الا منه عز وجل ، ومنه وحده يستمد العون والرشاد والتسديد والفلاح .  
 وبمن دعائه رضي الله عنه قبض الله لإنعاش الهاشميين في تلك الأزمات  
 الحرجة حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخ خديجة بنت خويلد ، فصار يوصل  
 مقداراً من المواد الغذائية الى ابي طالب تحت الخفاء ، وبنوع من التأثير  
 الخارجي او الارشاء في بعض الأحيان ، ولأموال خديجة كل الأثر في انتشال  
 الهاشميين من الموت المحتم والحرب الباردة .

\* \* \*

ولم يكتف الشرك والكفر بما صدر منهم في حق الزعيم الهاشمي  
 أبي طالب ، بل راحوا يحاولون اغتيال رسول الله ، بل حاولوه فعلاً في اكثر  
 من مرة ، لولا أن يلقي الله تعالى في روع ابي طالب ان يغير مجلس الرسول  
 ومكان منامه بين حين وآخر حذر الاختطاف والاغتيال .

وكم من مرة اقام ولده علياً من منامه فأنامه مكان رسول الله صلى  
 الله عليه وآله وانام النبي مكانه ، يستهدف من وراء العملية هذه إخفاء

مقام النبي ومكانه حتى لا يستين فيستهدفه العدو .

أما علي بن ابي طالب فإنه فرح بما كان يعمله الوالد الحكيم معه من تعريضه للسيوف والخطر ، ما دام كل المبتغى هو الحفاظ على سلامة محمد الحبيب . قال ابن ابي الحديد : وربما داعب علي أباه على اثر ذلك بما حصله : مالي اجدك يا ابناه تعرضني للموت المرة تلو الأخرى ، وكأني هين عليك؟؟ فما كان من عم الرسول إلا أن يجيبه بالحقيقة ويصارحه بالواقع الذي يحمله بين جوانحه ، فأنشأه :

بني اصبر فان الصبر أحجى      كل حي مصيره لشعوب  
قد بذلناك والبلاء شديد      لفداء الحبيب وابن الحبيب

حقاً انها الحقيقة المكشوفة والواقع الذي لا يحتمل المحاملة والمارة ، انها الحقيقة والواقع وكفى ، انها الحقيقة والواقع اللذان يتني عليهما كيان وجود الزعيم الهاشمي ، الحقيقة والواقع اللذان هما كل الداعي الى الزهد بحياة علي التي هي نسخة طبق الأصل لولا النبوة من حياة محمد العظيم . . . والحقيقة والواقع هما كانا كل السبب في تحفز علي عليه السلام الى إشعار ابيه الكريم بما يختلج في نفسه من التصميم على وقاية محمد بآخر قطرة من الدم وآخر لحظة من الحياة ، ولم يكن ذلك بالشيء الذي يستجده علي ، بل هو أمر عاهد عليه الله عز وجل من أول يوم قد ادعى رسول الله فيه النبوة واطهر فيه البعثة ، ثم انشأ :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد      ووالله ما قلت الذي قلت جازعا  
ولكنني أحببت أن ترى نصرتي      وتعلم اني لم ازل لك طائعا  
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد      نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا

نقول : إن هذا من عم النبي وكافله لأعظم تضحية عرفتها الدنيا ،

واخطر مفاداة ظهرت على مسرح الحياة ، واجل تفتان سجله التاريخ في عالم التفاني ، لذا لم يعرف أحد من لدن آدم وحتى اليوم رجلاً يملك كما يملك ابو طالب من المكانة والسيادة وولاية الكعبة وسقاية الحاج ووفادة الزائرين - الى آخر ما هنالك من صفات الخير وكرائم الخصال ، وهو ابن هاشم الذي أقام الدنيا وأقعدتها جوداً وكرماً نفسية وشخصية .

ويزهد بكل ذلك وينصاع الى محمد الصغير ، مجد اليتيم الذي قد تربى في حجره وترعرع في بيته وتحت رعايته وحمايته ، ثم لم يكفه كل ذلك دون ان يفديه بنفسه ثم بولده ونفائسه !! .

لا ، لا يمكن ان يتصور هذا بالنسبة الى من يماثل ابا طالب ابداً . الا اللهم ان يكون ذلك بارادة الله تعالى ، كما هو الحال بالنسبة الى ابي طالب ، والا فالعاطفة والرحم مهما أثر فيها لا يبلغان الى ذلك الحد الذي بلغه ابو طالب رضوان الله عليه .

ولو كان لها كل الأثر والفعالية لكانا يعملان عملهما بالنسبة الى علي ، فلا يدعان مجالاً لتقديم الغير عليه . او جعله فداءً وقرباناً لمحمد ابن عم علي عليه السلام .

إذاً والحالة هذه لا محالة من أن تكون صلة القريبى وأواصر الرحم بعض الدواعي ، أما الجزء الأخير المحقق لوجود العاة هو نبوة محمد ورسالته ، وهما خاتمة المطاف ، وهما اللذان ينبعث عنهما ابو طالب مؤيداً لرسول الله وناصراً له . . . وأخيراً يفديه بنفسه وولده ، وهو يرى التقصير ويستشعر الحاجة الى الازدياد من التشمير .

وليس لقائل أن يقول : اذا كان علي يمثل رسول الله الا في النبوة فليس من الانصاف بعلي ان يزهد بحياته لحفظ حياة محمد ، اذ على الفرض لا بد وأن يتحقق محذور الترجيح من دون مرجح عنده ، وهو ممنوع عقلاً وبنافياً

شأن ابي طالب ان يصدر منه ذلك .

لأننا نقول : ان عم النبي الكريم لم يخرج على طريقة العقلاء ، ولم يشهر السلاح في وجه القواعد أبداً ، بل هو على ضوئها يسير وفي فلكها يمشي وعلى رحاها يدور ، وما تقديم محمد على ولده إلا سعياً وراء المثل العقلانية وجرياً على إثر القواعد ، لأهمية محمد لأنه نبي هذه الأمة ، والنبي يجب تفاديه بالنفس والأولاد . بل بالأمة كلها ان اقتضى المقام ذلك .

وقولهم المأثور « يجب تقديم الأهم على المهم » هو اساس عمل ابي طالب رضوان الله عليه ، وهو الذي كان ينظر من زاويته وواجهته الى التقديم والتأخير فإنه رضي الله عنه لاحظ حياة محمد فوجدها هي الحجر الأس لحياة الأمم والشعوب والأجيال المتعاقبة ، وهي غيرها في ابي طالب وابنه علي ... لذا احتفظ بتلك وفدى هاتين مادام الجمع غير ممكن والحفاظ على الجميع غير مقدور . فجزاك الله يا عم رسول الله خير جزاء المحسنين ، وسلام الله عليك ورحمته وبركاته .

وتتكثر النوائب والمصائب على ابي طالب ، ويحاط من جميع جهاته بالآلام والأحزان وأسوار من الهجوم والقلق ، لاستطالة مدة الحصار وجحيم الاعتقال ، اذ يفاجئه الرسول صلى الله عليه وآله ببشارة الله عز وجل ، تبدو منها أمارات الخلاص وشارات النجاة والسلامة ، تتمثل البشارة بالوحي الإلهي الناص على انه عزوجل قد أرسل الأرضة على الصحيفة المشؤمة فلحستها عن آخرها إلا ما كان من « باسمك اللهم » ، وحينئذ ينشط ابوطالب ويثب وثبة الأسد ، فيستفهم ثانية ليتأكد النبأ : الله عليك يا بن الأخ أربك اطلعك على ذلك ؟ فيجيبه : نعم يا عم ربي اطلعني على ذلك .

فيتجه حين ذاك الى ملابسه وسيفه ثم يخرج مستأسداً مغضباً وتبعه نفر من اهله وذويه .

## ابو طالب يفك الحصار

قويت إرادة عم النبي ، واشتد عزمه وحزمه ، وفك الحصار ، وخرج وقد حف به بعض أشباله .

وكلما مر بملاً من المشركين والمنافقين المجرمين هالم منظره واستبساله ، حتى اذا دخل البيت الحرام فلم يسع الناس إلا ان قاموا لإجلالا وإعظاماً لهيبته ، ظلوا كذلك حتى انتهى من طوافه واخذ مكانه الخاص به من جنب الحجر .

جلس القوم ، واخذ كل مكانه وهم من الاستغراب على اشدّه ، مستكبرين هذا التحدي السافر الفضيع ، ولكن من الذي يجرؤ على الاستفهام والتعرف على الدوافع ؟ فليس لهم اذاً إلا لإلتزام جانب السكوت والصمت ، حتى كادت ان تنفطر المرائر وتمزق القلوب ، الأمر الذي استلزم ان يقحم ابو جهل نفسه في الكلام ، فقال والدهشة والرعدة أسقطنا إهابه :

لعلك ايها الرئيس قد آن لك أن ترجع عما انت عليه من التعصب لمحمد وملازمته ، وجئتنا لتفاوضنا في هذا الشأن ؟ ! .

فقال رضي الله عنه : لا ولاكرامة لك ، لا ولن أتخلى عن محمد أبداً ما دمت حياً . نعم كل ما في الأمر أن ابن اخي أخبر عن ربه أنه عز وجل قد ساط الأرضة على صحيفتكم الظالمة . فأكلت كل ما فيها من كتابة الا ماكان من « باسمك اللهم » ، فان كان الأمر كما يقول فلا والله لا نسلمكم اياه ولا نتركه حتى نموت عن آخرونا دونه ، وان كان الأمر على خلاف ذلك نرى أمرنا ورأينا في تسليمه إليكم .

فتأخذ القضية بمجامع القلوب ، وتأخذ الوفير من تعاليق القوم وحواشيهم وأخيراً يطالبون من عم النبي أن يسمح لهم بالإنزواء الى بعض جهات الجامع للمشاورة والتداول في الحديث .

ثم انحازوا ، وبعد أخذ ورد وتحييد وتفنيذ قد استقر رأيهم على إنزال الصحيفة والإطلاع على مدى صحة دعوى ابي طالب عن ابن اخيه ، وعلى الأكثر انهم كانوا غير مؤمنين بصحة الدعوى .

وكيف كان أنزلت الصحيفة العاتية ونشرت امام المجتمع ، فاذا هي كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تماماً ...  
الله اكبر ، والعزة لله ورسوله ، الله اكبر .

ولكن صلافة الشرك ووقاحته أبت الا المكابرة والتظاهر بالبطولة والهيمنة على الأعصاب ، فالتجأوا الى الأقاويل المكرورة من سحر محمد وشعوذته ، وان السحر وحده هو الذي عمل في الصحيفة ما عمل .

قام ابو طالب عن المجتمع مستجيراً ببيت الله من أباطيل الكفر وعناد الشرك ، أملا منه تعالى النجاة والسلامة . وكرر راجعاً الى الشعب يحدث الرسول بما جرى ، ويعلمه باصرار القوم على كفرهم وعتوهم .

فاكان منه صلى الله عليه وآله ، إلا أن يردد « إنا لله وإنا اليه راجعون ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . يا عم لا تكن في ضيق مما يمكرون ، سيجعل الله بعد العسر يسراً . يا عم وما ضاقت الا انفرجت » .

\* \* \*

أما قريش فقد أصروا على ما في الصحيفة الغاشمة ، فأعادوه حرفياً اليها كما علقوها في مكانها من جوف الكعبة .

ولم يمر على الوضع غير أيام قلائل حتى قبض الله عزوجل لأبي طالب جماعة من قريش مثل زهير بن أمية الخزومي ومطعم بن عدي وابي البحري وزمعة

ابن الأسود بتحريض من هشام بن عمرو بن الحارث - لما لهذا الرجل من صداقة وعلاقة مع ابي طالب - على أن يجذوا جميعاً ويجهدوا في فقم زرد الاعتقال وذلك الحصار عن الهاشميين مها كلفهم الأمر ومهما كانت المخلفات والنتائج . وبعد عدة من الاجتماعات السرية أسفرت عن التعاهد والتعاقد والتصميم على الاجتماع صباح اليوم الباكر في الجامع بعد أن أتوا منفردين متفرقين ، واول عمل يقومون فيه هو تمزيق الصحيفة المشؤومة واعدامها . فاجتمعوا على الكيفية المقررة ، فترثوا حتى اذا اكتض الجامع بالناس نهض زهير بن أمية خطيباً ، فشخصت إليه الأبصار وتناولت اليه الأعناق ، فقال فيما قال :

« أيسرك يا معاشر قريش ويا زعماء العرب انكم في راحة واطمئنان ورفاه وأمان تسرحون وتمرحون ، وهذا أبو طالب زعيم مكة وسيد قريش في ضنك من العيش ونكد الحياة ومرارة الاعتقال ، تمر عليه ثلاثة أعوام لم يتنسم فيها ريح الحرية ولم يستنشق طيب المقام ؟ فلا والله لا أقعد حتى تمزق الصحيفة وتعدم » .

ثم واصل جماعته القيام بنفس اللغة والكلام ، فقام في وجوههم شيخ الحجرمين ابو جهل فقال : يستحيل إعدام الصحيفة ، ويستمر الحصار على ابي طالب وأسرتة حتى يموتوا اجمعين او يسلمونا محمداً . فابتدره زمعة بن الاسود فقال : اما يكفيك يا ابا جهل لؤمك وخبثك عن مثل هذه التدخلات الطائشة ، فوالله ما رضينا بصحيفتكم الكريهة أولاً وأخيراً .

ثم قفز مطعم بن عدي الى الصحيفة فجرها وأهوى عليها تمزيقاً وتخريقاً فأسقط في يد القوم ولم يسع ابو جهل إلا ان يقول قولته المعروفة : أمر دبّر بليل ، او أمر قضي بليل ... وسكت خوف إتساع الفتنة واتصال الحركة .

وما ان وصل الخبر الى بني هاشم حتى هبوا أجمعين منتصرين للقوم ،  
لأن الحادثة قد انتهت بسلام ورد الله كيد الكافرين الى نحورهم واعدلهم  
عذاباً أليماً .

ثم صار بنو هاشم الى مزاوله أعمالهم ، كما مارس رسول الله صلى الله عليه  
 وآله نشاطه وتبشيره ، فقويت حركته واتسعت ، كما تكثرت أنصاره وأعدوانه .  
وهذا ابن سعد في طبقاته ٩٣/١ يحدثنا عن ملخص قضية الشعب فيقول :

إن قريشاً لما تكاثبت على بني هاشم - حين أبي طالب أن يدفع اليهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم - فتكاثبوا على أن لا يزوجهم ولا يتزوجوا  
منهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء ولا يكلموهم ، الى كثير من هذه  
القيود والبنود الثقيلة ، فكنوا في الشعب محصورين ثلاث سنين ، إلا ما كان  
من أمر أبي هب فانه لم يدخل معهم ، ودخل الشعب مع ابي طالب جميع  
بني هاشم بن عبد مناف ، فلما مضت عليهم ثلاث سنين اطلع الله نبيه على  
أمر صحيفتهم ، فذكر ذلك لعمه ابي طالب ، فقال ابو طالب : أصحيح ما تقول  
يا بن أخي ؟ فقال رسول الله : نعم يا عم . فذكر ذلك ابو طالب لاختوته  
فقالوا له : وما ظنك به ؟ فقال : والله ما كذب ابن أخي قط . فقالوا :  
وما ترى ؟ قال : أرى ان تلبسوا أحسن ما تجدون من الثياب ثم تخرجون  
معي الى قريش فنذكر لهم ذلك من قبل ان يصل اليهم الخبر .

ثم قاموا فدخلوا المسجد فصمدوا الى الحجر ، وكان لا يجلس اليه  
من الزعماء والرؤساء احد ، فترفعت اليهم الأنظار يتربون ما سيقوله ابو طالب  
فقال ابو طالب : انا جئناكم بأمر فأجيبوا بالذي يعرف لكم . فعند ذلك قالت  
قريش : مرحباً بكم وأهلاً ، فعندنا ما يسرك يا ابا طالب .

قال ابو طالب : ان ابن أخي محمداً قد أخبرني ولم يكذبني قط ،  
ان الله سلط على صحيفتكم الأرضة فلهست كل ما فيها من جور وظلم وقطيعة



رحم ، وبقى فيها كل ما ذكر به الله عز وجل ، فان كان ابن أخي صادقاً زعم  
عن سوء رأيكم ، وان كان كاذباً دفعته اليكم قتلتموه أو استحييتموه ان شتم .  
فقلت قريش : انصفتنا يا ابا طالب ، فأرسلوا الى الصحيفة ، ولما  
أتى بها قال اقرأوها ، فلما فتحت اذا هي كما قال رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم فقد اكات الأرضة كل ما فيها الا ما كان من ذكر الله ، فأسقط  
في يد القوم كما نكسوا على رؤوسهم .

ثم دخل ابو طالب الى الكعبة فتعلق بها ، فدعا الله عز وجل وسأله  
النصر والتأييد ، ثم خرجوا من الكعبة ورجعوا الى الشعب ، فأنشأ :

وما ذنب من يدعو الى الله وحده      ودين قويم أهامه غير خيب  
وقد جربوا فيما مضى غب أمرهم      وما عالم أمراً كمن لم يجرب  
فلا تحسبونا مسامين محمداً      لذي غربة منا ومن متقرب  
ستمعه منا يد هاشمية      فركبها في الناس من خير مركب  
فلا والذي تحدى اليه قلائص      لإدراك نسك من منى ومحصب  
نفارقه حتى نصرع دونه      وما بال تكذيب النبي المقرب  
فكفوا إليكم من فضول حلومكم      ولا تذهبوا في رأيكم كل مذهب  
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن      لنحاف كذباً بالعتيق المحجب  
فيا قومنا لا تظلمونا فاننا      متى ما نحف ظلم العشيبة نغضب  
وقد كان في أمر الصحيفة عبرة      متى يخبر غائب القوم يعجب  
عن الله منها كفرهم وعقوقهم      وما نقموا من ناطق الحق معرب  
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا      ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب  
فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا      على ساخط من قومنا ومعتب  
ومن قصيدة له ايضاً بالمناسبة :

فيخبرهم ان الصحيفة مزقت وأن الذي لم يرضه الله فاسد

الى أن يقول :

فمن ينش من حضار مكة عزة  
نشأنا بها والناس فيها قلائل  
ونظعم حتى يترك الناس فضاهم  
ألا ان خير الناس أمأ ووالدأ  
نبي إلهي والكريم بأصله  
حزيم على جلى الأمور كأنه  
طويل نجاد خارج نصف ساقه  
كثير رماد سيد وابن سيد  
ويبني لاحياء العشيرة صالحاً  
وله ايضاً :

ارقت وقد تصوبت النجوم  
لظلم عشيرة غدروا وعقروا  
وقالوا خطة جوراً وظلماً  
لنخرج هاشماً فتصير منها  
فهلا قومنا لا تاحقونا  
فيندم بعضكم ويذل بعض  
ودون محمد منا ندي  
طوال الدهر حتى تقاتونا  
ويصرع حوله منا رجال  
ويعلم معشر ظلموا وعقوا  
وله ايضاً :

سيعلم أهل الضغن أي وأبهم  
يفوز ويعلو في ليال قلائل

وأبهم مني ومنهم بسيفه  
 ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم  
 فأصبح منّا احمد في ارومة  
 وجدت بنفسى دونه وحمية،  
 كأني به فوق الجياد يقودها  
 ولا شك أن الله رافع أمره  
 يلاقي اذا ما حان وقت التنازل  
 ويحمد في الآفاق في قول قائل  
 تقصر عنها سورة التناول  
 ودافعت عنه بالذرى والكواهل  
 الى معشر زاغوا الى كل باطل  
 ومعابه في الدنيا ويوم التجادل

\* \* \*

اقول : وليس ذكر قضية الشعب مقصورة على خصوص الطبقات ، بل ذكرها كل المؤرخين واهل السير ، إلا اني لم أجد من اختصرها كما في الطبقات . قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٣ : ولأبي طالب في اثناء الشعب هذه الأبيات :

ترجون مناخطة دون نياها  
 ترجون أن نسخوا بقتل محمد  
 كذبتم وبيت الله حتى يفلقوا  
 وتقطع أرحام وتنسى خلية  
 على ما مضى من مقتكم وعقوقكم  
 وظلم نبي جاء يدعو الى الهدى  
 فلا تحسبوننا مسلميه فثله  
 وقال ايضاً :

توالى عاينا موليانا كلاهما  
 بلى لهما أمر ولكن تراجدا  
 أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا  
 كما اغمضا في القوم في اخويهما  
 اذا سثلا يوماً قالوا لغيرنا الأمر  
 كما ارتجمت من رأس ذي القلع الصخر  
 وهما نبذانا مثل ما تنبذ الخمر  
 فقد أصبحت ايديها منها صفر

قديماً ابوهم كان عبداً لجدنا بني أمة شهلاء جاش بها البحر  
لقد سفهوا أحلامهم في محمد فكانوا كجعر بنس ما ضفطت جعر

الى كثير من هذا اللون من الشعر الذي يفيض حماساً ويطفح مؤازرة  
للدين وتصلباً للإسلام وبياناً لمآثر النبي ومفاخره وتصديقاً لنبوته وسفارته ،  
كما يعج باندفاعاته رضوان الله عليه نحوه مستميتاً في سبيل ذلك كله ، لا يرى  
الموت في سبيل الله وسبيل رسوله الاسعادة ورضواناً وحياة وجناناً ، الأمر  
الذي سهل للنبي صلى الله عليه وآله خوض المعركة من جديد والسير بعجالة  
الشريعة بلا اختشاء ولا مراقبة ، غير هيب لأراجيف الكفرة واخاويرف الطغاة  
من المشركين واليهود المحرمين ما دام عمه البطل من ورائه ينصره ويحميه من  
الأيدي العاتية الاثيمة .

واتفق ذات يوم أن كان رسول الله يصلي مختلياً لنفسه في بعض شعاب  
مكة ، اذ يظفر به كذلك ابو جهل ، فينتهزها فرصة فيبحث عن حجر  
ثقيل ليضرب به النبي ثأراً لنفسه وانتصاراً لآلته ومقدساته ، فيعثر على  
ما يبتغي وينتظر سجوده صلى الله عليه وآله وقد جمع قواه ، فهم أن يرميه  
فاذا بالحجر يلتصق بيده لصوق المسار باللوحة السهلة ، فانشغل بيده والحجر  
وعالج نزع فلم ينتزع ، ففر هارباً لئلا يستبين أمره لأبي طالب فيقيم الدنيا  
عليه ويقعدها اهانة وفضيحة ، اذ لا لاً وتقرباً . ومن جهة اخرى ليستر  
على نفسه الخزية ويحكم عنها العار الذي لا ينمحي ابدأ ما دام للتاريخ وجود  
وأثر ، فأعطى سيقانه للريح ولم يصدده صاد الاحيطان داره المشؤومة . وظن  
أن آية الله عز وجل ووقعته به ستنتكم عن الناس ولا سيما عن ابي طالب  
الليث الخفيف ، بعد ان كانت غير معلومة لأحد إلاه ، ولم يصبح عليه الصبح  
الا والحادثة اظهر من الشمس واين من الأمس ، تلوكها افواه الأطفال فضلا  
عن الرجال والنساء ، والكل يردد أبيات الزعيم الهاشمي ابي طالب بالمناسبة :

أفيقوا بني عننا وانتهوا  
 وإلا فاني اذا خائف  
 كما ذاق من كان من قبلكم  
 وأعجب من ذاك في امركم  
 فأثبته الله في كفه  
 عن الغي بعض ذا المنطق  
 بوائق في دوركم تلتقي  
 ثمود وعاد ومن ذا بقي  
 عجائب في الحجر المصق  
 على رغبة الخائن الأحق

فيألم وينددمع النبي العظيم بكافة قريش وابي جهل بصورة خاصة على  
 إثر هذه القضية المنكرة والأعمال الاجرامية الدينية، الأعمال التي تنقرز منها  
 المشاعر، وتشمئز منها نفوس الأحرار، وترفع عنها حتى الوحوش والضواري،  
 بل حتى اراذل الناس .

كما ويحذرهم مغبة اعمالهم تلك ومخلفاتها من وخيم العواقب والسيء من  
 الرواسب ، فيما اذا اقتضت ارادة الله تعالى أن ينتقم لنبيه ويثأر لدينه ، كما  
 كان ينتقم لأنبيائه القدامى من الأمم السابقة والشعوب الماضية ، فحسف  
 ببعضهم وبدورهم الأرض ومسح الآخرين قرده وآخرين خنازير ، جزاء  
 بما كانوا يعملون

وهل قضية إصااق الحجر بكف ابي جهل الا بادرة من بوادر الإنتقام  
 ومقدمة من مقدمات العقاب والمواخذة ، وما ذلك من الظالمين يبعيد .

\* \* \*

اني لهؤلاء يازعيم الهاشميين ان ينصاعوا إلى وعظك وارشادك الخيرين  
 وتذكيرك الحق واصلاحك العادل . . . أني لهؤلاء أن تنفع معهم النصائح  
 والتذكير بأيام الله وانتقامه ، وقد أعماههم الشرك وأصمهم فهم في طغيانهم يعمهون .  
 فالطينة السوداء من خبثها هيهات تبيض سجايها

ما فتثوا يتربصون بالنبي الدوائر وينتهزون به المواتي من الفرص ووحدته،  
 وعندما لا يسعهم المجال يوحون الى الأطفال فيقفوا له سماطين ، حتى اذا مر

عليهم في طريقه الى الصلاة رموه بالأحجار حتى يدموا ساقيه ويؤلوا رجليه . واستمروا على ذلك مدة من الزمن وهو صلى الله عليه وآله لا يخبر عمه الكريم حرصاً على عدم إيلاجه ومساءته ، حتى استبان ذلك على بن ابي طالب ذات يوم فصار يتبع رسول الله ليقف على المسببين والفعلة ، فاذا الأطفال على عادتهم مستعدين ، فتقدم احدهم فضرب النبي ، فانقض عليه أمير المؤمنين فأخذه من اذنه ولم يزل بها حتى فصمها ورمى بها أمام الأطفال ، فارتجفوا وارتعدت فرائصهم وانهزموا هزيمة نكراء ، وما عادوا بعدها لمثل عملهم السابق ، وربما يرون رسول الله وعلياً مقبلين انهزموا ، ونبه بعضهم بعضاً مردداً : جاءكم قاطع الاذن ، جاءكم قاطع الاذن . ولم يكتفوا بالهزيمة بل يدخاؤون البيوت ويغلقون الأبواب .

ولما رأى الكبار أن المحاولة كأخواتها قد فشلت وتفشلت بدلهم - بعد أن اخبرهم الخبير بأن مجدأ يصلي منفرداً في بعض شعاب مكة - فصاروا الى ناحية مبتغين اساعته وايداعه ، فوجدوه يصلي لربه ، وكان بالقرب منهم مقدار من الفرث والدم ، فالقاؤه عليه صلى الله عليه وآله اعظم توهين وايداع ، فانظروه الى السجود فألقوه على ظهره وولوا هاربين ، وبعد ان لاحظ ذلك كر راجعاً الى المنزل متأثراً مألوماً ، فاستظهر عمه منه ذلك واستفهمه الحال ، وبعد إلحاح اطلعه على عمل القوم معه فاستاء هو الآخر ايما استياء ، ثم انتفض رضوان الله عليه انتفاضة الأسد المحصور ، فأخذ بيد النبي وهو مغضب وتبعه بعض اشباله ، حتى اذا حاذى القوم وشاهدوا حالته المستأسدة وغضبه تعوذوا بالآلهة من سطوته وغضبه ، كما ارادوا أن يعطوا سيقانهم للريح ويركنوا الى الفرار والانهازم ، لولا ان لاحظ منهم ذلك فيصيح بهم ان يلزموا أماكنهم وان لا يتحركوا بأي حركة والاعرضوا أنفسهم للخطر والموت ، فلا يسعهم والحال هذه الا الرضوخ والسكون على مضض ، اذلة خاسئين

يتوسلون بالآلهة يسألونها النجاة والسلام .

أما ابو طالب فوقف على رؤوسهم مخاطباً النبي العظيم : يا بن أخي من الذي قرب منك من هؤلاء بسوء اودنا اليك بمكروه ، ولو قلت لي كلهم آذاني لما تركتهم إلا وانتقم منهم لك أجمعين ومن دون ما استثناه . ولكن الرحمة الالهية والالطف الملكوتي المتمثلين برسول الله صلى الله عليه وآله لم يدعانه أن يشكو إلا من ابن الزبعرى ، اذ هو أشد القوم ايداءً واكثرهم تحمساً للجرام والمناكير ، فاستقدمه عم الرسول اليه ، فجاء يتعثر بأذياله هاماً وخوفاً ، فلطمه ابو طالب لطبات اطاحت بأسنانه وادمت فيه ووجه ، ثم أمره ان ينصرف مخزباً يتخبط بالشئ والعار الى شحمة اذنيه . ثم أمر فتيان بني هاشم ان يحضروا له القرث والدم فوراً ، فأحضروه له كذلك ، فأمرهم ان ينجسوا بها لحي القوم ويلطخوا بها جباههم ووجوههم ولم يتركوا منهم احداً ، وبعد الفراغ التفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : أيرضيك هذا يا محمد ؟ فاذاً بالجواب : نعم يا عم جزاك الله خير جزاء المحسنين . فقال ابو طالب : ان كان هذا قد كفاك فلا يكفيني أنا . ثم انشأ على رؤوس القوم ما هو أقتل عليهم من القرث والدم ، واعظم عليهم من لهب النار :

انست النبي محمد	قرم اغر مسود
لمسودين اكارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة اصلها	عمرو الحطيم الأوحد
هشم الربيكة في الجفان	وعيش مكة انكد
فجرت بذلك سنة	فيها الخبيزة تثرذ
ولنا السقاية للحجيج	بها يماث المسجد
والمالزمان وما حوت	عرفاتها والمسجد

واذا الشجاع العربي	أنى تضام ولم امت
فيها نجيع أسود	وبطاح مكة لا يرى
أسد العرين توقدوا	وبنو ابيك كأنهم
بالقول لا تنزید	ولقد عهدتك صادقاً
وأنت طفل امرد	مازلت تنطق بالصواب

واخذ بعضد النبي وجاء به الى المنزل ، مرتفع الرأس ، موفور الكرامة ، ظافراً بالثأر ، منتصراً على الظالمين .

أما القوم فلم يرفعوا رؤوسهم حتى غاب عنهم ابوطالب ، فعند ذلك تنسموا ريح الحياة واستنشقوا نسيمات الحرية فحمدوا والآلهة والمعبودات على السلامة والنجاة . وما كان هذا الموقف الخطير - الموقف العظيم الرهيب - ليتحقق لولا أبو طالب ، فهو وحده الذي يمكنه ذلك ، وهو وحده الذي يتسع له أن يطرح بكيان العطاء والزعماء ويهدد عروش الأصنام والطغيان ويستهن بكل ما هنالك من شخصيات منافسين مثل ابي جهل وابي سفيان وشيبة وعتبة وابي البحتري ومن شاكلهم . فهو وحده الذي يستطيع الأخذ بظلامه رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلن صارخاً باتباعه دين الله ينصره ويؤازره ، ثم التعريف بما عليه رسول الله من الشرف والمنعة والعظمة والسؤدد ، وما كان عليه آباؤه الميامين من المحب والشمم واسداء المعروف الى اهل مكة في المحن والشدائد وعند البلاء والقحط :

فهاشم جد النبي العظيم هو الذي هشم الثريد لقومه ، واهل مكة مستنون عجاج ، قد أضر بهم الاملاق واضعفهم الجوع واشتدت عليهم المسكنة وباعوا بالويل والثبور والحاجة الملحة ، لولا اسعاف عمرو العلي الزعيم هاشم بن عبد مناف ... أفلا يكون هذا محتملاً على القوم ان يعرفوا هاشماً في حفيده ووليد محمد بن عبد الله ؟ ولا أقل من كف الأذى عنه ، ان لم يكن يتحتم عليهم اعزازه وتقديره ونصره .



## ابو طالب يدعو الحمزة الى الاسلام

ذكر ابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب في شرح النهج ٣/٣٠٩ دعوة ابي طالب هذه مصاغة بقلب من الشعر الذي نددت به شفثاه رضي الله عنه :

فصبر أبا يعلى على دين أحمد      وكن يا اخي للدين وفقت صابرا  
وحط من أتى بالحق من عندره      بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا  
فقد سرني أن قلت انك مؤمن      فكمن لرسول الله في الله ناصرا  
وناد قريشاً بالذي قد اتيته      جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

الحمزة عم رسول الله كما هو اخ لأبي طالب ، وهو ابن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وهو من ابطال الهاشميين وفرسان آل عبد المطلب ، يتمتع بعلي المكانة ورفيع المنزلة وجليل المقام في الأوساط المكية ، مهاب الطلعة جميل المنظر وقور كريم . . .

ومع كل ذلك كان يخضع لزعامة اخيه الكبير ابي طالب ، وقد اجابه حين طلب اليه ان ينصاع الى دين محمد وشريعته الغراء ، فصدقه وآمن بنبوته ورسالته ، وصار الى الدفاع عنه وحمايته وكف الأذى عنه وتزييف الدعايات المغرضة التي ينمقها المشركون ، ويثيرها ويروجها اليهود الآثمون ، كما صار يدعو الى دين الله ويرشد الى شريعة رسول الله ، لا تأخذه في سبيل ذلك لومة لائم ولا قوة ذوي التوة ولا إرهاب المرهبين .

وما ان يبلغه نبأ يفيد الاساءة الى رسول الله او ابداءه فلم يهدأ حتى يستعلم الفاعل ، فلا يولي عنه حتى يأخذ ظلامة رسول الله ويثأر له : فيستبين

ذات مرة أن اباجهل قد تعرض للنبي واساء اليه ، فيترصده ويبحث عنه حتى اذا عثر عليه في الندوة بين لمة من الرؤساء والشيوخ ، فلم يبرح عنه دون ان اقامه فلطمه على وجهه وجبهته لطامات اخزته أمام الجماهير وفي الأوساط المكبية ، فتحملها ولم يرفع اليه رأسه ابدأ حذر الصواعق والسيف . وعلى هذا استمرت سيرة عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واسد الله ورسوله حتى قتل في واقعة أحد ومعركتها الرهيبة ومثلوا به افضع واشنع تمثيل ، الأمر الذي أودى بالنبي صلى الله عليه وآله حين وقف عليه أن يقول : ما وقفت موقفاً اغيض علي من هذا الموقف ، والله لان مكنتي الله من قريش لأمثلن بسبعين من قريش .

إلا انه صلى الله عليه وآله قد انصرف عن هذه الفكرة ، بعد أن هبط عليه جبرئيل عن الله عزوجل بقوله تعالى « وان تعفوا اقرب للتقوى » ، فعندها قال : اشهد يا جبرئيل اني قد عفوت .

وهكذا قدر لعلم النبي ان تكون خاتمة الشهادة في سبيل الله قتيلابين يدي رسول الله مضحياً نفسه لدين الله ، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

وما كان للحمزة من الجهاد والتزام النبي وخدمته واخيراً الشهادة دونه الابركة نصيحة اخيه ابي طالب وارشاده .

وقد فرح ابو طالب ايما فرح وسر سروراً ماله من نظير ، حيث اثرت موعظته ونصيحته بأخيه البطل ، وهو يشاهده وقد انظم الى قافلة النبي صلى الله عليه وآله وسائر الركب الاسلامي المجيد ، بل صار من دعائه وناشريه مقتنياً اثر رسول الله مؤزرراً له في كل حركة وقضية .

\* \* \*

يبدو لأبي طالب مرة اخرى ان يشجع ولديه علياً وجعفرأ على نصره

النبي ومعاظده والذب عنه ، فيصور ذلك بأبياته التي ذكرها ابن ابي الحديد  
في ترجمة ابي طالب كما جاء في شرح النهج ٣/٣١٠ :

إن علياً وجعفرأ ثقتي      عند لمّ الزمان والنوب  
لاتخذ لا وانصرا ابن عمكما      أخي لأمي من بينهم وأبي  
والله لا اخذل النبي ولا      يخذله من بني ذو حسب

فكان له من الولدين البارين ما يبهره ويسره ويمليه حيوية وطمأنينة  
وثقة تامة بحضورهما لكل المتطلبات واللوازم مهما كانت النتائج وان ادت  
الى باهض الفداء وغالي الثمن .

وقد نبه رضي الله عنه ولديه الكريمين - ولاسيما ببيتيه الثاني والثالث -  
على ما هناك من بواعث مهمة واسباب ضخمة ، كل واحد منها اذا ما قيس  
مفرداً كان من اقوى الدوافع المحتمة والحاكمة بوجود نصره النبي والحمامة  
عنه دائماً وابدأ : اولاً هو ابن شقيق ابي طالب ، ولم يكن له من اخوته  
كذلك : ثانياً انه نبي هذا الزمن ، والنبي لا بد من ان يلاقي في ابان دعوته  
الصعاب والأهوال . ثالثاً ان النبي يجب في سبيل الحفاظ عليه والإبقاء على  
حياته بذل الغالي والنفيس ، بل حتى الدماء والأرواح .

وذكر ابن ابي الحديد في ترجمة أبي طالب هذه الأبيات ايضاً :

فلا تسفوها أحلامكم في محمد      ولا تتبعوا أمر الغواة الأثام  
تمنيتم ان تقتلوه وانما      أحاديثكم هذي كأحلام نائم  
زعمتم بأنسا مسلمون محمداً      ولما نقساذف دونه ونراجم  
من القوم مفضل اتى على العدى      تمكن في الفرعين من آل هاشم  
امين حبيب في العباد تسومه      بخاتم رب قاهر في الخواتم

وكانت الأسباب الداعية الى انشائها مؤامرة دبرت بليل وحيكت خيوطها  
في ظلامه الدامس ، كل سداها ولحمتهما هو قتل ابي طالب باغتيال رسول الله

وقته لدى خروجه لصلاة الفجر ، ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالآلهة الفاشلين . ولكن اشاءة الله العظيم وعينه الساهرة على رسوله حركت ابا طالب وبعثته بحماس وقوة ان يخرج متطوعاً خفايا الشرك وخبائهم ، فأوصله الاستطلاع الى خارج مكة ، اذ يسمع نبرات وهمسات ، فأنصت ملياً فيعرف القوم تماماً ويقف على نيتهم الدينية من ابتغاء اغتيال الرسول لدى صلاة الفجر وعند خروجه للجامع ، فينكفيء راجعاً الى المنزل ، فينام عند رأس النبي صلى الله عليه وآله واقياً له وحارساً حتى مطلع الفجر ، فنهض النبي على عادته ليتهيأ للصلاة والخروج للمسجد ، اذ يمنعه عمه البر الحنون عن الخروج محبداً له أن تكون صلاته في البيت ، ولما كان صلى الله عليه وآله واثقاً من عمه اذاً لا بد وان يكون منعه لمصاحبة وغاية مقبولة ومعقولة ، فصار الى صلاته داخل المنزل .

أما المشركون الحاقدون ومن لف لفهم من اليهود القذرين الذين كان لهم الضلع الأكبر في ترويج المؤامرة وتديرها - قاتلهم الله انى يؤفكون - فهم حضروا قريباً من الجامع عند طلوع الفجر ، وانزوا الى زاوية مظلمة ، وظلوا يرقبون وبنظرون فلم يمر عاينهم محمد ، وأوشك النور ان يفضحهم ويفشي أسرارهم ، فتعين عليهم التفرق ورجوع كل منهم الى بيته لئلا يطلع على مؤامرتهم احد فيخبر ابا طالب فينتقض عليهم بمقوله الصارم البتار ، فراعهم الا والأبيات تطالعهم فاضحة وكاشفة .

واوحوا الى شياطينهم ان يحفظوا الأبيات ليقفوا على مفادها ومعطياتها ولعلمهم يستظهرون من مضامينها الجاسوس والخبير الذي حرك ابا طالب واثار شعوره وعواطفه ، فلم يجدوا منفذاً لذلك الا ابا طالب نفسه ، ومن الذي يقدر على مساعته والدنومنه بمكروه ؟ ! .

أقول : وقد ذكر ابن أبي الحديد بالمناسبة محاوره جليلة ومساجلة علمية نبيلة تدور رحاها بين استاذ وتلميذ ، فكان الأستاذ هو ابو جعفر النقيب الاسكافي شيخ المعتزلة ورئيس علمائهم ، أما التلميذ فهو عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي ، وقد ذكرها حرفياً في شرحه على النهج ٣/٣٩ ، ولكننا نلخصها ونوجزها مع المحافظة على جميع محتوياتها وبنودها .

والحاصل : ان ابن ابي الحديد قد اظهر لأستاذه النقيب كبير العجب وكثيره من تنازل ابي طالب وخضوعه للنبي صلى الله عليه وآله في حال انه شيخ كبير يتمتع بغير الصفات وعظيم المآثر وجليل المفاخر والمكارم ، بالاضافة الى انه رئيس مكة وسادن الكعبة وساقى الحجاج ، مع العلم ان محمداً يتيمة ومكفولة والحاني عايه ومربيه . ولم يكتف بكل ذلك بل صار لمدحه شعر ونثره ، كما يمتدح الأدنى الأعلى ، وكما يمتدح العبد سيده ومولاه .

أما ملخص الجواب فحاصله : اعلم يا عبد الحميد ان قضية تصاغر الشيخ ابي طالب وقصة تنازله للنبي مع ما ذكرت من مكانته ومنزلته ، ومع كونه معهد الفضائل ومجموعة مفاخر وكلمات وإضبارة ادب ومعارف ، ومع كونه صاحب اليد البيضاء على رسول الله وهو كفيله وحاميه من شرور دولة الكفر والشرك والأوثان ، وقد رأيتاه وقد تنازل لمحمد وتصاغر له لابصفة محمد الشخصية فحسب بل بصفته نبي مرسل وسفير عن الله عز وجل مبعوث من قبله تعالى ، وهو العليم بما للنبي من جلي المكانة وفضلى القداسة وكبير الأثر في نفوس المؤمنين ، وهذا المعنى وحده كل المحرك وكل السبب لتصاغر الشيخ ابي طالب وتواضعه لمحمد ، والنبوة وحدها هي جديرة بالإكبار والإعظام وهي فقط التي تستلزم ان تنحني لها وأمامها كافة الزعامات والكرامات ، وتخضع حولها جميع الكفاءات ، كما تذوب عندها الشخصيات والمؤهلات .

أو ماترى الى قوله الذي هو نص على تصديقه بالنبوة وتصريحه بالبعثة والرسالة:

لقد اكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد  
أما ترى يا عبد الحميد الى العباس بن عبد المطلب وهو الشخصية  
الكريمة التي انتقلت اليه سدانة الكعبة بعد أخيه ابي طالب وقد تنازل وتصاغر  
لابن اخيه علي بن ابي طالب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد  
جاء وهو يقول : مديك ابا يعك حتى يقال عم رسول الله بايع ابن عم  
رسول الله ، مع العلم ان العباس هو العم والأعلى سنأ .

أو ماترى الى ابي سفيان وهو بمنزلة العم لعلي عليه السلام وقد جاءه  
ليبايعه بعد وفاة النبي الا انه امتنع عن قبول ذلك ، فاذاً القضية قضية نبوة  
وأمامة ، وهما اكبر من أن تقف في طريقهما الزعامة والرياسة العامة .

ثم قال ابن ابي الحديد : استأذي العظيم أترى لو كان من المقدر  
للحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما ان يعيشا الى  
ما بعد وفاة رسول الله أهل كانا يبايعان علياً بالخلافة ويقران له بالامامة  
وولاية العهد للرسول ؟ .

قال الاسكافي : نعم يبايعانه بكل اطمئنان وترحيب ، والمعتقد انها  
يمصرعان الى ذلك سرعة تمشي النار في بيس العرفج او الحطب اليابس .

قال ابن ابي الحديد : لاني ارقب ذلك من جعفر بن أبي طالب ، ولم اكن  
ارقبه من الحمزة ، لما هو فيه من فتوة البأس وشدة الشكيمة ووفرة اسباب  
العظمة والشجاعة ، بالأضافة الى انه العم والأعلى سنأ ، وما اراه إلا انه  
يدعيها لنفسه .

قال الاسكافي: الأمر في اخلاق الحمزة كما ذكرت ، إلا أنه رضي الله عنه  
صاحب دين متين وتصديق خالص للرسول العظيم ، وهما يمنعانه من طاب  
الخلافة والتصدي لمقام رسول الله الكريم ، ولو قدر للحمزة أن يعيش الزمن

الذي عاشه علي مع الرسول صلى الله عليه وآله. لرأى من أحوال النبي مع علي ما يكسر نخوته وبطأ طيء هامته ويقدم عالياً فيبايعه ويرشحه للإمامة والخلافة . ثم ابن نفس الحمزة السبعي من خلق علي اللطيف الروحاني ، وابن نفس الحمزة الخلو من العلوم من نفس علي القدسية التي أدركت بفطرتها لبالقوة التعاليمية ما لاتدرکه الفلاسفة واکابر المفكرين ، ولوان الحمزة كان موجوداً حتى يرى من علي ما قدرآه غيره لكان أتبع اليه من ظله واطوع اليه من ابني ذر والمقداد ... واجدك تكرر كبر السن وعلوه ، وقد عرفت - بما لا مزيد عليه - انه والكثير من المحاسن والمكارم تذوب امام العظمة الالهية ، والمقام الرباني الكريم ، أمام النبوة والخلافة .

ولم يكن يستغرب كما لن يستكثر علي عم النبي الحمزة ان يتنازل لابن اخيه علي بن ابني طالب فيبايعه وما زالت الأعمام تخدم ابناء الأخوة وتتصاغر لهم وتتبعهم في كافة الأمور :

ألست ترى الى داود بن علي العباسي وعبد الله بن صالح بن علي وعيسى بن علي واسماعيل بن علي وعبد الصمد بن علي خدموا ابن اخيهم السفاح عبد الله بن علي وبايعوه ، وكانوا أمراء جنده وقواد جيشه ، كما كانوا انصاره واعوانه في جميع الحالات .

أما ترى الى الحمزة والعباس ابني عبد المطلب وقد أطاعا ابن اخيها محمداً واتبعاه وصدقاه دعوته ورضيا بزعامته ..

ألست تعلم ان ابا طالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم المطاع ، وكان محمد رسول الله يتيمة ومكفولة ، وكان جارياً مجرى اولاده عنده ، ثم خضع له واطاعه وصدقته في دعواه، كما اعترف بزعامته ودان لأمره ، حتى مدحه بشعره كما ذكرت ... انظر الى قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه      شمال التيامي عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل  
وان سرأ قد اختص الله به محمداً صلى الله عليه وآله حتى اقام اباطالب  
وحاله معه حالة المادح له لسر عظيم وخاصة شريفة ، وان في هذا المعتبر  
عبرة ان يكون هذا الانسان الفقير الذي لا أعوان له ولا انصار ، الانسان  
الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلاً عن ان يقهر غيره وتعمل دعوته  
واقواله في النفوس ما لم تعمله الخمرة في الأبدان المعتدلة المزاج حتى يطبعه  
اعمامه ويعظمه مربيه وكافله ومن هو الى آخر العمر القيم عليه بنفقتة وكسوته ،  
وهذا في باب المعجزات عند المنصف اعظم من انشقاق القمر وإخبار القوم  
بما يأكاونه ويدخرونه في البيوت .

\* \* \*

لقد والله انصف النقيب في هذا التصوير الواقعي والتحليل الحقيقي لعم  
النبي الكريم ، وهو ان اعطى شيئاً او دل على شيء فانما يدل على تفهم  
الرجل للتاريخ ووقائعه ، ومدى وقوفه على الأحداث الزمنية ، ومدى دراستها  
الواقعية . لا لشيء غير التاريخ وتفهم الأجيال بصورته الصحيحة .

وقد استبان من خلال ذلك بما لأبي طالب العظيم من جهاد جبار  
وخدمات فضلى ومفاداة منقطعة النظير ونضال وكفاح زهاء ثلاثين سنة ،  
بعد التصديق بالنبوة والانصياع الى الرسالة والبعثة .

كما قد اصاب السيد النقيب فيما قرأه واستوحاه عن نفسية عم الرسول  
الحزمة بن عبد المطاب رضوان الله عليه ، وفيما استشعره من إيمانه الصادق  
ودينه الواقعي ، فرآه بعين بصيرته وهو يسرع الى مبايعته علماً سرعة تفشي  
النار في الحطب اليابس كمن يراه عياناً ومن شاهده حساً ووجداناً . وليس  
ذلك على المؤمنين بكثير ولا عزيز ، بل المؤمن ينظر بنور الله ، ينظر الى  
المستقبل المرتقب كما ينظر الى الحاضر .



وينقدح في نفسي إضافة شيء الى قراءة النقيب وتكهنه ، والشيء الذي  
يختلج في الذهن : ان الحمزة البطل لم يكن ليكتفي من نفسه انه يسرع الى  
بيعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فحسب ، فيضرب على يده  
او يصفق على يده فقط وينتهي كل شيء ، بل المعتقد فيه رضي الله عنه  
أن يجند نفسه وجميع قواه وطاقاته وامكانياته لأحماد كل حركة تحاول شل  
الأمر او لإبعاد الخلافة عنه عليه السلام ، فأراه يقف بالمرصاد لتحطيم كل  
دسيسة او مؤامرة تبتغي معارضة علي في زعامته وخلافته ، بالرغم من معاطس  
قوم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، وما يخادعون إلا انفسهم ولكن لا يشعرون .  
وعلي نفسه بما كان يستشف من عمه الحمزة واخيه جعفر نفس القراءة  
لذا استنجدهما واستصرخهما في بعض الظروف الحرجة ، وحين تنمرت عليه  
الفهود واستأسدت عليه القروود ، فكان يردد : واحزناه ولا حمزة لي اليوم ،  
واجعفره ولا جعفر لي اليوم ...

## ابو طالب يستسقي للناس

يحدثنا ابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب في شرح النهج ج ٣ :  
أن ابا طالب رضوان الله عليه كان يقصده الناس كلما أمسكت السماء قطرها  
وحبست الأرض بركاتها ، فهو ملاذهم وبه أملهم ورجاؤهم ، واليه فقط  
مفزعهم ... كل ذلك لما يعلمونه من حاله رضوان الله عليه وما هو عليه من  
توحيد الله وثقته به واعتماده عليه عز وجل ، كما لا يحتملون أن الله تبارك  
وتعالى يرد له دعوة او يؤخره عن رجاء ، لذا قصده بعض الأعراب المجاورين  
لمكة المكرمة شاكين اليه ما يلاقونه من جذب الأرض ومنع السماء الدر ،  
فوعده بالخير ولبي النداء .

ثم خرج مستصحباً معه النبي وهو بعد لم يبلغ الحلم ، فاستند الى حائط  
الكعبة وجعل بين يديه النبي صلى الله عليه وآله ثم دعا الله سبحانه بدعوات  
وتوسل اليه بمحمد أن يمطر الناس ويغيثهم مما فيه من البلاء والشدة . ولما يتم  
دعاؤه حتى هطل المطر وأرسلت السماء عزاليها فلات القفار والوديان ، حتى  
مل الناس الكثرة وخافوا الغرق ، فعادوا يهرعون يسألونه إيقاف المطر المهدد  
بالخطر ، فسأل الله ذلك ، فوقف وأمسك وعاد الصحو على أحسن اوقاته .  
وعلى الأثر نظم ابو طالب لاميته الشهيرة والتي تحتوي مائة بيت او  
تزيد قليلا والتي قد ذكرها جل المؤرخين ، ولكن الغالب لم يذكروها بكاملها  
ومطلع القصيدة هو :

اعوذ برب البيت من كل طاعن      علينا او يلوح بباطل

الى ان يقول في اثائها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
ولعلنا نأتي على آخر القصيدة ان توفقنا ان شاء الله .  
قال ابن ابي الحديد : ولأبي طالب أيضاً :

ألا أبلغا عني على ذات بينها لؤياً وخصماً من لؤي بني كعب  
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كوسى خط في أول الكتب  
وأن عليه في العباد محبة ولا حيف فيمن خصه الله في الكتب  
وان الذي لفقم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغبة السقب  
أفيقوا أفيقوا قبل ان تحفر الزبي ويصبح من لم يحن ذنباً كذي ذنب  
فلا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أو اصرنا بعد المودة والقرب  
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمر على من ذاقه حلب الحرب  
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً لعاء من عض الزمان ولا كرب  
ولما تبين منا ومنكم سواف وأيد أبيرت بالمهنده الشهب  
بمعترك ضنك ترى كرى القنا والضباع العرج تعكف كالشرب  
كأن مجال الخيل في حجراته وغنمة الأبطال معركة الحرب  
أليس ابونا هاشم شد أزره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

انشأ عم النبي العظيم هذه الأبيات تعريضاً بطائفة من لؤي وهم بنو كعب ، والكعبيون هؤلاء من الأسر العربية المرموقة ، لها مكانتها واهميتها في اوساط مكة . وقد بلغ ابا طالب عنهم أنهم ينالون من النبي صلى الله عليه وآله ، كما يخذشون بقداسته وبعثته ثم يعرجون على انتقاص ابي طالب بما لا يناسبه ، ولكن كل السبب في التنديد والتعرض هو الثأر لرسول الله فقط ، وإلا لا يهمهم همسهم بأنه مسحور من جهة محمد أو مفتون به عاطفياً ، فكل ما في المقام أنه يحاول ويبعد عن الأذهان تلك الهمسات المحمومة والنفثات

المسمومة واعلان ما تنطوي عليه سريرته وتكنه جوانحه وجوارحه من اعتقاده نبوة محمد ورسالته ، الأمر الذي يحتم عليه ان يذوب ويفنى في سبيل تحقيقهما ونشرهما... كما ان انبعاثه نحوه لم يكن بالأمر الاتجالي او الفجائي ، بل هو أمر مدروس وخطة معاومة يذبعثان عن تباشير العلماء الأقدمين والكتب السماوية ، اذاً فاتخرس الألسن الحاقدة ولتكم الأفواه الكافرة الى الأبد .

وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣٠٩ : ولأبي طالب ايضاً هذه الأبيات بالمناسبة :

ألا أبلغا عني لؤياً رسالة	بحق وما تغني رسالة مرسل
بني عمنا الأذنين فيما يخصهم	واخواننا من عبد شمس ونوفل
أظاهرتهم قوماً علينا سفاهة	وأمرأ غويأ من غواة وجهل
يقولون لوأنا قتلتنا محمداً	لقرت نواصي هاشم بالتذلل
كذبتهم ورب الهدى تدمى نحوره	بمكة والبيت العتيق المقبل
تنالونه او تصطاورا دون نيله	صوارم تفري كل عضو ومفصل
فهلا ولما تنتج الحرب بكرها	بخيل تمام او بأخر معجل
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً	على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتأوى اليه هاشم إن هاشماً	عرانين كعب آخر بعد اول
فإن كنتم ترجون قتل محمد	فروموا بما جمعتم نقل يذبل
فإننا سنحمله بكل طمرة	وذي ميعة نهد المراكل هيكل
وكل رديني ظماء كعوبه	وعضب كأيماض الغمامة مفصل

أقول : كل من يعمن النظر وينعمه في شعر ابي طالب هذا يجده مفعماً بتعظيم النبي صلى الله عليه وآله ، ثم الارشاد الى دينه الحق والحضور للدفاع والذود عنه . وهذا لا يكاد يتأني الا للمؤمن الواقعي ، والمسلم الذي يكون الإسلام والايمان جاريتين مجرى دمه في عروقه واورده .

وحتماً ان يكون ابو طالب كذلك كما هو كذلك فعلا ، واقواله وافعاله  
قد دلت على ذلك ، والمرأ بأصغريه قلبه ولسانه .

قال ابن ابي الحديد بعد ذكره للأبيات المتقدمة: كان صديقنا علي بن يحيى  
البطريق رحمه الله يقول : لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل ابي طالب  
- وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها - يمدح ابن اخيه محمداً وهو شاب  
صغير قد رباه في حجره وهو يتيمه ومكفوله وجارى مجرى اولاده ، فيقول فيه:  
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عنقاء عيطل  
الى كثير من الأمثال والنظائر ، فان هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح  
به التابع والذناي من الناس .

واذا تصورت هذا تصورت انه شعر ابي طالب ذاك الشيخ الوقور  
المبجل العظيم في محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو شاب مستعجب به معتصم  
بظاه من قريش وطغاة العرب ومجرمي اليهود ، قد رباه في حجره وعلى  
عاتقه طفلاً وبين يديه شاباً ، يأكل من زاده ويأوى الى داره ... علمت خاصية  
النبوة ومكنون سرها وان أمره كان عظيماً وأن الله تعالى قد أوقع في القلوب  
محبه وفي الأنفس منزلته .

وقرأت في أمالي الشيخ ابي جعفر محمد بن حبيب : ان ابا طالب رضي  
الله عنه كان اذا رأى رسول الله احياناً يبكي ، وكان يقول : اذا مارأيت  
محمداً تذكرت أخي عبد الله ، ولذا كان يغير مضجعه فلا يدعه بمكان واحد  
لثلا يعرف مضجعه ، فكان يقيمه ليلا من منامه ، ويضع ابنه علياً مكانه .  
وذكر ابن ابي الحديد ٤٦٠/٣ بطريقه الى الزبير بن بكار أنه قال :  
أما ابو طالب فهو كافل رسول الله وحاميه من قريش وناصره والشفوق عليه  
والرفيق به ، كما هو وصي أبيه عبد المطلب ، وكان سيد بني هاشم في زمانه ،  
ولم يكن أحد في الجاهلية قد ساد الا بالمال إلا ابو طالب ، كما وهو اول

من سن القسامة في دم عمرو بن عاقمة ، ثم اثبتتها السنة النبوية في الاسلام ،  
وله ايضاً سقاية الحجيج وسدانه الكعبة ، وكان شاعراً مجيداً .

وذكر ابن ابي الحديد ايضاً : ان ابا طالب قد افتقد النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم ذات يوم ، وكان شديد الحرص والحذر عليه من شرور المعتدين  
من العرب واليهود المجرمين ، فخرج يصحبه ولده جعفر يطلبان النبي ويفحصان  
عنه ، وبعد جهد وعناء وجداه وعلياً يصليان في بعض شعاب مكة ، فلما  
رأهما التفت الى جعفر وقال : يا بني تقدم صل جناح ابن عمك ، فقام جعفر  
عن يسار النبي ، فلما كمل الجناحان تقدم رسول الله عليهما وصار إماماً  
لها ، فكانت جماعة ، وهي اول صلاة جماعة تكونت في الاسلام . وحين  
رأى ابو طالب تقدم النبي وتأخر الأخوين بكى رضوان الله عليه ، وقال  
بخطاب ولديه :

لا تتخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وابي  
ثم قال ابن ابي الحديد : وقد اسلم جعفر من ذلك اليوم . كما ذكر  
ايضاً ٣٠٦/٣ بطريقه الى محمد بن اسحاق انه قال : لما علمت قريش أن  
ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله كما ابى تسليمه اليهم ورأوا إجماعه على  
مفارقتهم وإصراره على عداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة الخزومي  
- وكان اجمل فتي في قريش - فقالوا له : يا ابا طالب هذا عمارة خذه  
لك فاتخذه ولدأ وسلمنا محمداً هذا الذي خالف ديننا ودين آباائنا الأولين  
وفرقتنا كما احدث البلبلة والضوضاء في صفوفنا ، فانما هو شاب مكان  
شاب وغلالم مكان غلام .

فقال ابو طالب : والله ما انصفتموني ايها القوم ، تعطوني ابنكم اغذيه  
لكم واعطيكم ابني تقتلونه ، هذا ما لا يكون ابداً .  
فقال له مطعم بن عدي بن نوفل - وكانت له صداقة مع ابي طالب

مصافياً له - : يا ابا طالب ما اراك تريد ان تقبل شيئاً من قومك ، ولعمري  
لقد جهدوا في التخلص مما تكرهه ، وارك لا تنصفهم .

قال ابو طالب : والله يا مطعم ما انصفوني كما لم تنصفي انت ، واجدكم  
وقد اجعتم على خذلاني ، وارك وقد ظاهرت القوم علي ، فاصنع ما بدى  
لك ، فالله حسبي وهو ارحم الراحمين .

فعند ذلك تنابد القوم وصارت الأحقاد تلعب دوراً هاماً ، ونادى  
بعضهم بعضاً ، وتآمروا فيما بينهم على من في القبائل من المسلمين ، فوثبت  
كل قبيلة على من فيها من أعوان محمد وانصاره يعذبونهم ويفتنونهم عن  
دينهم ، ومنع الله عز وجل رسوله بعمه الزعيم ابي طالب ، الأمر الذي  
ادى بأبي طالب ان يكتب اباه و يرأسه نثراً وشعراً استمالة له واستشارة  
لعواطفه نحو أو اصر النسب وشائج الرحم اللذين هما اقوى الروابط التي  
تربط بينه وبين ابن اخيه محمد ، ومن جمة تلك المساجلات والمراسلات القطعة  
الشعرية التي يقول في مطلعها :

حديث عن ابي لهب أنانا      وكانفه على ذاكم رجال

والقطعة التي يقول في مطلعها :

تستعرض الأقوام توسعهم      عذراً وما ان قات من عذر

ثم قال ابن اسحاق : ولم يستجب ابو لهب الى نداء ابي طالب واستعطافه ،  
ولم يعرف عنه اي عمل من شأنه أن يؤدي الى تقدير ابي طالب او توقيره ،  
إلا ما يروى من ان أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه  
ليعذبوه ويفتنوه عن اسلامه ودينه هرب منهم فاستجار بأبي طالب ، وكانت  
أم ابي طالب مخزومية ، كما وهي ام والدرسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فأجاره ابو طالب وحماه وكف الأيدي العاتية عنه ، ففشى اليه رجال من  
بني مخزوم فقالوا : يا ابا طالب هبك منعت عنا ابن اخيك فمالك ولصاحبنا

تمنعه عنا؟ قال ابو طالب : لانه قد استجار بي وهو ابن اختي ، وانا ان لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن اخي .

ثم ارتفعت الاصوات على أبي طالب كما وقد ارتفع صوته ايضاً ، فتهيج ابولهب وتوترت أعصابه ، ولم يستطع صبراً دون ان قام على قدميه مغضباً محمداً فقال : يا معشر قريش لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ولا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بني قومه لتنتهن اولتقومن معه حتى يباغ ما يريد . فعندئذ خافت قريش وحذرت من ان يتبع عمله قوله ، لما يعلمون من حاله من أنه اذا قال فعل ، فصاروا الى ارضائه بكل حيلة ووسيلة ، كما خدعوه بتنازلهم واستدراهم عطفه ولفظه ، وقالوا كلهم بلسان واحد : بل نصرف عن اي عمل من شأنه ان يسيء اليك يا ابا عتبة . وكأنه قد رضي وهدأ ، وبقي على مسيرته للقوم وموالاته لهم ومظاهرة لهم على اخيه وابن اخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن اسحاق : وحين علم ابو طالب بموقف ابي لهب هذا طمع في استجلابه ، وأمل منه ان يرجع الى صوابه فينحاز الى جهة النبي وقافلته الخيرة ، فوجه اليه رسالة اكثر فيها الارشاد والنصح ، وختمها بأبياته هذه :

وان امرءاً قد كان مثلك عمه      لني معزل من ان يسام المظالما  
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة      تسب بها ما ان هبطت المواسما  
أقول له بل اين منه نصيحتي      أبا عتبة ثبت سوادك قائما  
وول سبيل العجز غيرك منهم      فانك لم تخلق على العجز دائما  
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى      اخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما  
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً      ولما تروا يوماً من الشعب قائما  
وله ايضاً بالمناسبة :

عجبت لحلم يابن شيبه عازب      واحلام اقوام لديك سخاف



يقولون شايح من اراد محمداً بسوء وقم في أمره بخلاف  
أضاميم إما حاسد ذو خيانة وإما غريب عنك غير مضاف  
فلا تركبن الدهر مني ذمامة وانت امرؤ من خير عبدمناف  
فلا تركنه ما حيت لمعشر وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف  
يذود العدى عن ذروة هاشمية ايلانهم في الناس خير لإلاف  
وإن له قريبي لديك قريبة وايس بذني حالف ولا بمضاف  
ولكنه من هاشم في صميمها الى البحر فوق البحور طواف  
فراجم جميع الناس عنه وكن له وزيراً على الاعداء غير مجاف  
وان غضبت منه قريش فقل لها بني عمنا ما قومكم بضعاف  
وما بالكم تغشون مناظلامة وما بال أحقاد هناك خواف  
فما قومنا بالقوم يمشون ظلمنا وما نحن فيما ساءهم بخفاف  
ولكننا أهل الحفايظ والنهي وعز ببطحاء المشاعر واف

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣١٥ : إن ابا طالب يبلغه عن  
ابي جهل شيخ المجرمين أنه قد أسمع النبي كلمات نابية وبذيئة ، مما أدى الى  
تألم رسول الله وتأثره ، الأمر الذي انشأ على أثره هذين البيتين يخاطب بهما  
النبي صلى الله عليه وآله أمام الجماهير من قريش :

لا يمنعك من حق تقوم به أيد تصول ولا سلق بأصوات  
فإن كفك كفي ان اصبت بها ودون نفسك نفسي في الملمات  
فحاول رضي الله عنه من ورائها ارشاد النبي صلى الله عليه وآله الى  
اتخاذ الطرق التأديبية في حق المجرمين مهما كانوا من العظمة والمهابة ، فان  
اليد المؤدبة هي مما تقصر الرجال عن ان تدناها او تطاولها ، وان كل يد تمتد  
اليك فلا محالة من ان تلاقى القطع بالنهاية ، فما عليك إلا ان لا تعني بمثل  
كلمات ابي جهل الجوفاء ، فتععدك عن حقلك الذي جعله الله تعالى لك ،

والذي قد ألقيت مسؤوليته على عاتقك ، فامض لما امرت به واصدع بأمرك ،  
والله من ورائك يسندك وبعضدك ، وهو خير مؤيد ومعين .

ومرة أخرى يستمع الى بعض المشركين وقد همس الى شياطينه بالقبح  
بمقام النبوة وقداسة الرسالة ، اذ يأخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله ويقف  
به على رؤوس القوم وهو ينشد :

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد  
وشق له من اسمه ليجاه فذو العرش محمود وهذا محمد  
وقال ابن ابي الحديد بعد ذكره للبيتين السابقين : وله ايضاً في المناسبة :  
يا شاهد الله علي فاشهد اني على دين النبي أحمد  
من ضل في الدين فاني مهتدي

\* \* \*

وقال المسعودي في مرج الذهب ١/٣٧٠ : إن قريباً قد تنازعت فيما  
بينها على قصة وضع الحجر بعد ترميمات جرت على الكعبة ، واشتد النزاع  
والخصام بين القبائل ، حتى كانت الحرب من الناس قاب قوسين أو أدنى ،  
لولا أن يهرع العقلاء والمصلحون الى ابي طالب يسألونه التدخل السريع  
في القضية فتفادياً للحرب الطاحنة ، الحرب التي اذا نشبت ربما تنسع حركتها  
وتمتد الى مالا يحمد عقباه .

ففكر ملياً ثم رفع اليهم راسه وقال : الرأي الصحيح والحل المحمدي  
هو أن تحكموا في أمركم اول طالع عليكم من باب شيبة ، واخيراً صوبوا  
الرأي واستحسنوا الخطة وأنجھوا يرقبون الطالع من باب شيبة ، فاذا هم  
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد طلع عليهم من الباب التي عاها  
ابو طالب ، وكان وجهه فلقة قر طالع او هو البدر ليلة كماله وتماه .  
فاجتمعوا عليه وأجمعوا على تحكيمهم إياه في قضيتهم المتأزمة ، فلم يكن

من النبي إلا ان فرش رداءه وتناول الحجر بيده الكريمة فوضعه في وسط الرداء ، ثم انتخب من الجمع العمدة والزعماء المتناحرة اربعة أنفار أعطى لكل واحد منهم طرفاً من الرداء ليحملوه الى مكانه الأصيل ، ولما وصلوا به تناوله صلى الله عليه وآله وسلم ووضعه في محله ومكانه القديم . واستحسن الجميع هذا الحل الرضي ، كما فرحوا بانتهاء الموضوع بسلام ، ورضى جميع الأطراف المتخاصمة .

قال المسعودي : فبينما الناس في فرح وهدوء اذ يسمعون هاتفاً يهتف ويقول : واعجباً لقوم يدعون لأنفسهم الشرف والمنعة والزعامة والسيادة من شيوخ وكهول قد عمدوا إلى اصغرهم سناً وأقلهم مالا فحكوه فيما شجر بينهم وجعلوه رئيساً عليهم ، أما اللات والعزى ليفوقهم سباً ، وليقسم بينهم خصوصاً ، وليكون له بعد اليوم شأن عظيم .

ثم قال المسعودي : وقد تنوزع في الهاتف من هو ؟

فن الناس من رأى أنه ابليس ظهر ذلك اليوم على صورة رجل من قريش كان قد مات ، وان اللات والعزى هما اللذان احببياه لئيبه الناس على الخطر الداهم الذي سيجره عليهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم . ومن الناس من يرى ان المتكلم هو حكيم من حكماء العرب ، قد استنتج من تحكيم القوم للنبي ومن علميته تلك تفوقه ، وسموه ، وأنه سيكون على شأن عظيم .

قال المسعودي : وعلى أثر سماع ابي طالب مقالة الهاتف انشأ :

ان لنا أوله وآخره      في الحكم العدل الذي لا ننكره  
وقد جهدنا جهدنا ليغمره      وقد عهدنا عهدنا لنحضره

فإن يكن حقاً ففينا أكثره

## ابو طالب يدعو ملك الحبشة الى الاسلام

يحدثنا ابن هشام في سيرته ٣٥٧/١ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢٢٤/٣ ان ابا طالب رضي الله عنه قد كرر كتبه لامبراطور الحبشة يدعوه الى الاسلام وكان قد ختم بعض رسائله بمقطوعتين ، من الأولى :

أتعلم ملك الحبش أن محمداً نبي كموسى والمسيح بن مريم  
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به فكل بأمر الله يهدي ويعصم  
وانكم تتلونونه في كتابكم بصدق حديث لاحديث الترجم  
فلا تجعلوا لله نداً واساموا فإن طريق الحق ليس بمظلم  
ومن الثانية :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر وعمرو وأعداء النبي الأقراب  
تعلم أبيت اللعن انك ماجد كريم فلا يشقى إليك المحانب  
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب  
قال ابن ابي الحديد والطبري وابن سعد في الطبقات: لما كثرت اعتداء المشركين واليهود على المسلمين هرب من الاضطهاد المرير كثير من المسلمين، وفروا بأرواحهم ودينهم الى خارج الحجاز وبعض الى خارج مكة ، وكان من اولئك النازحين جعفر بن ابي طالب وخمسة وثلاثون نفرأ من أصحابه قصدوا الحبشة فلاذوا بحماها حفاظاً على نفوسهم ودينهم .

• • •

اقول : مما لا ينكر أن هناك من المسلمين من لاذ بالفرار والنزوح الى البلدان النائية ليسلموا على أرواحهم ودينهم من اذى وتعذيب قريش ، إلا

أن الهرب كذلك غير مقصود ، ولا يمكن أن يكون من المعقول بالنسبة الى ابن ابي طالب الطيار ، لأن قضيته تأبى وتأبى ان تنطبع بطابع الفرار والهزيمة ، بل هي سياسة تبشيرية قلباً وقالباً وروحاً وواقعاً .

وكيف لا تكون كذلك وهناك اكثر من مصدر ووثيقة يبرهنان على ان ابن ابي طالب هو الشخصية اللامعة في سماء مكة ، كما هو البطل المهيب في دنيا العرب وقريش ، كما هو ثاني رجل في الاسلام وثاني مصطل على الكرة الارضية بعد أخيه علي بن ابي طالب . . . اذا فكيف ياترى يمتلئ به استياؤه وتألمه فيحدوان به الى الفرار وان يعاف الرسول صلى الله عليه وآله ويغادر الوطن بغية النجاة والسلامة .

هذا مضافا الى انه ابن ابي طالب الرئيس العام ، وقد تحاشا الشرك ابن اخيه فكيف يكون بالامكان - والحالة هذه - أن يدنو من ابنه وولده كبده . يؤيد ذلك تفكير قريش بخظر الرحلة وتصميمها على ارسال بعثة مناوئة لتقف في وجه الطيار وجماعته وتصد دعوته وتبشيره ، فكانت إرساليتهم تتألف من الزعماء والسياسيين : مثل عمرو بن العاص ، وعبد الله بن ربيعة الخزومي ، وعمارة بن الوليد ، وغير هؤلاء من رجال الفكر وابطال الدهاء . كما وقد زدوا البعثة بوفير المال وجليل الهدايا ، ليستميلوا بواسطتها اهل النفوذ والوجهاء ، حتى يتمكنوا من غايتهم ويحصلوا على الشيء الذي كانت بعثتهم من أجله .

وفعلا طبقوا كل ذلك ، فوزعوا الأموال المسيلة للعباب ، ونشروا الهدايا من هنا وهناك ، فكسبوا من هذا الطريق قلوب جماعة من أهل الحل والعقد ، وقلوب جماعة ممن يرتبطون بالبلاط الملكي ارتباطاً وثيقاً ، وظنوا أنهم سيحصلون على ما يريدون ، فنفثوا إلى الملك واستطاعوا تشويش ذهنه على ابن ابي طالب وجماعته ، زاعمين له ميينين أنهم قوم مشعوذون قد تنكروا لدينهم ودين

آبائهم الأولين ، وابتدعوا ديناً جديداً لا يعرفونه ولا الملك يعرفه ، وهذا هو الذي جاب عليهم نقمة القوم وسخط عشائريهم ، فاضطروا الى الهجرة والاستجارة بحمى الملك ، متخذين من ذلك وسيلة وذريعة الى بث سمومهم ونشر دعوتهم في البلد الآمن المطمئن ، فيعكرون صفوه ويحدثون البلبلة والغوغاء في ربوعه المحيطة ، واذا ما اتخذت التدابير لقمع حركتهم وتحديد صلاحياتهم أو إبعادهم عن البلاد وبخلاف ذلك ربما يقع ما يكره ، وبالتالي الانقلاب على الحكم القائم والديانة المتأصلة .

فتأخذ المؤامرة مجالاً غير قليل من تفكير الملك وقلقه ، فيستملهم ريثماً يتأمل في الأمر ويفحصه من جميع أطرافه ثم يرى رأيه . فلم يسع القوم حين ذلك إلا الموافقة والسكوت على مضض الى ان يقفوا على النتيجة .

ومن حسن الصدف ان تصل احدى رسائل ابي طالب الى الملك في اليوم نفسه ، وما ان يقرأها ويتفهم معناها حتى يستولي عليه الهدوء والطمأنينة ، ويذهب عنه الهم والحذر .

وكان الكتاب يتضمن جملة من محاسن الاسلام وأحكام الدين المحمدي ، وانه الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ، كما هو لم يكن بالدين المرتجل الذي خلقتة الظروف الآتية ، بل هو أمر مرتقب قد بشرت به الكتب السماوية والعلماء الأقدمون ، كما استطاع ان يركز نفسه ويرسيها على قواعد متينة ودلائل وثيقة وآيات بينات يعجز البشر من الإتيان بما يماثلها ويضاهيها . واول شيء يستهدفه هو توحيد الله عز وجل ونفي الشركاء عنه تعالى ، ثم الأمر بمكارم الأخلاق والتحلى بصفات الخير والمحبة للناس ، والتوادم والتآلف فيما بينهم ، وتفقد الضعفاء ، والحث على صلة الرحم - الى غير ذلك من المكارم والمآثر .

ثم لفت نظره في نهاية الرسالة الى ولده جعفر ، وانه فضل حماه

والإنطواء تحت لوائه دون غيره ، وما ذلك إلا لما كان يعامه من جميل الفعال  
وكرم النفسية والخصال ، والا فأرض الله واسعة فضاها .

وتدخل المحتويات في نفس الملك ، فيمتلئ حدة وغضباً على ابن العاص  
واصحابه ، ويرسل خلف الطيار ، فيوسع له ويعتني به فيقدره ويكرمه ، وبالتالي  
أسلم على يدي القائد الاسلامي العظيم جعفر بن ابي طالب ، وآب ابن العاص  
وصحبه فاشلين في مهمتهم خاسرين في رحلتهم .

ولعلنا نأتي على تفصيل الرحلتين والبعثتين في ترجمة أولاد ابي طالب ،  
والمهم الآن هو بيان ان الطيار لم تكن سفرته كما يقولون من أنها  
انهزامية بحة نشأت عن الضغط الكافر والاضطهاد المشرك ، وقد عرفت  
انها إن دلت على شيء فإنما تدل على أنها سياسية وتبشيرية ، وقد تمكنت  
من التأثير على الامبراطور الحبشي ، ثم توسعت الى المجموعة الحبشية ، فكانت  
الحبشة منظمة الى البلاد الاسلامية بالنهاية . . . كل ذلك ببركة عم النبي  
وابنه الطيار ، كما تدلنا مراسلات الزعيم الهاشمي على انه رضي الله عنه لم  
يكن توحيداً لله وإيمانه به تقليدياً وتبعياً فقط ، بل انما كان فطرياً وغريزياً  
من جهة ، ووراثياً تلقاه عن سلفه الصالح وآبائه الميامين من جهة أخرى .

والحق أن آباء رسول الله الأكرمين كانوا مؤمنين بالله ولا يشركون  
به طرفة عين ابداً ، كانوا يدينون بدين ابراهيم الخليل جدهم الأعلى ، وما  
لاشك فيه ان ملة ابراهيم ودينه هما نسخة طبق الأصل للدين الاسلامي  
الحنيف « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان  
من المشركين » « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين  
آمنوا والله ولي المؤمنين » [ آل عمران ] .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم  
المسلمين » [ الحج ] .

وهناك آيات اخرى تؤيد أيضاً ان ديانة ابراهيم وملته قريبة من الديانة الاسلامية ان لم تكن هي ، ودين ابراهيم هو الذي كان يرجع اليه آباء النبي كلما تنقض ديانة او تنسخ ، فهو دين معلوم لديهم محفوظ عندهم يحكمون عملهم عليه ويسيروا على ضوئه ، كي لا يكون حال الأسر الأخرى من العكوف على عبادة الأوثان وارتكاب المحارم والآثام ، لذا حرم ابوطالب على أسرته وآله الملاذ غير المشروعة كالخمور والقمار والفجور ، وكل عمل من شأنه ان يؤدي الى ما لا يرتضيه العقلاء النبلاء ، إلا ما كان من أمر ابي لهب المرفوض ، فإنه قد شذ عن هذه الأسرة الكريمة بكل معاني الشذوذ ، لهذا فقد لفظه بنو هاشم لفظ النواة ، واسقطوه من قائمتهم ، قاتله الله ولعنه وأعدّ له عذاباً أليماً .



## ابو طالب يطلب من النبي المعجزة

يحدثنا ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢٠٦/٣ عن العباس بن عبد المطلب انه قال : خرجت مع ابن اخي محمد واخي ابي طالب الى خارج مكة لغاية الترفيه عن محمد وقصد تسليته ، فجلسنا على تل كان هناك ، فاسترسلنا في الحديث فمخضنا فيه من هنا وهناك ، اذ يطلب ابو طالب من محمد أن يدعو اليه شجرة كانت تبعد عنا قليلا ، فحرك محمد شفتيه فإذا بالشجرة وقد انقلعت من جذورها أقبات حتى وقفت أمامه قائلة « السلام عليك يا رسول الله وحجته على خلقه » . فقال ابو طالب : مرها يا ابن اخي أن تعود الى مكانها وترجع الى محالها . فتكلم محمد بكلمات لم نفهمها ، فاذا الشجرة وقد استدارت واتجهت الى مكانها فثبتت فيه ، ثم قضينا الوقت الذي كنا قد قررنا أن نقضيه وعدنا الى دورنا .

أقول : إن هذا الطالب من الزعيم الهاشمي إنما كان في اوائل البعثة وبدء أزمته الرسالة ، وان دل على شيء فإنما يدل على أن عم الرسول أراد أن يكون تصديقه بالنبوة والبعثة مرتكزاً على الدليل ومبتنياً على براهين واسس واقعية لا تقبل الجدل والنقاش ، مثل تقدم الشجرة وسلامها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، كل ذلك مزيداً للأطمنان والتأكد والوثوق ، نظير ما وقع على تفسير للنبي الخليل حين سأل الله عز وجل أن يريه كيف يحيى الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

هذا أولاً ، وأما ثانياً فإنه قد اجتمع عليهم عدة من العرب المجاورين ، فأراد أبو طالب ان يريهم كرامات الرسول صلى الله عليه وآله ومعاجزه لعلهم يهتدون الى دين الله وسراطه المستقيم ، وإلا فهو مؤمن بالله وبما جاء

به محمد من عند الله : لايزيده تكرر الفضائل وخوارق العادة سوى الفرح  
بما اعطى الله رسوله من عظيم المقام وجليل المنزلة ، وها هو يقول :  
إن ابن آمنه النبي محمداً عندي بمثل منازل الأولاد  
ويقول ايضاً :

ظهرت دلائل نوره فتزلزلت منها البسيطة وازدهت أيام  
وهوت عروش الكفر عند ظهوره وبسيفه سيشيد الاسلام  
وأنتاهم أمر عظيم فادح وتساقتت من حوله الأصنام  
صلى عليه الله خلاق الورى ما أعقب الصبح المضيء ظلام

ومما لا شك فيه أن البيت الأول هو إقرار صريح واعتراف واضح  
بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم أبان أنه بمنزلة أولاده عنده من حيث  
الشفقة والحنان واللطف ، بل زاد عليهم وتقدمهم أشواطاً بعيدة ، فيفقد  
ذات يوم فلم يحضر الدار على مستمر عادته ، فيضطرب للحادث ويستولي  
عليه القلق والتشويش ويرتبك للتأخر غير المعتاد : لعامه بتلبد الغيوم على  
رسول الله وتجهم الوضع عليه والتربص به ، الأمر الذي أدى بإكثار  
الرسول لبياتوه بخبره ، فانتشروا في نواحي مكة ثم عادوا ولم يحصلوا على  
أثر لا قليل ولا كثير : فيزداد تألماً وامتعضاً ، ويأمر فتيان بني هاشم بالتسلح  
الخفي وان يخرجوا إلى النادي الكافر ، فيقف كل واحد منهم على رأس  
كل رئيس وزعيم من العرب وقريش حتى يعود اليهم ، فإن جاءهم بمحمد  
فذاك وإلا عمدوا إلى الزعماء والرؤساء فقتلوهم عن آخرهم .

فخرج وخرجوا ، ويقدر له أن يضيف إلى أعماله الخالدة وكراماته  
المتتالية كرامة العثور على رسول الله وفضيلة لقيه ووجدانه : فيأخذ بيده  
ويأتي به إلى الندوة ، فيقف به على الجماهير ويشرف به على المجتمع ،  
فأعلمهم بما بيته لهم إن هو لم يجد محمداً صحيحاً سوياً . ثم اوماً إلى فتياه

أن يخرجوا ما أخفوه تحت الثياب من السيوف ليرهبوا بها عدو الله وعدو رسوله ، فأخرجوها فاذا هي صحائف يقطر منها الموت ، الأمر الذي أهال القوم وارعد فرائصهم ، وبالتالي حدوا الآلة على سلامة محمد ، كما حدوها على سلامتهم ونجاتهم ، ثم انشأ ابو طالب وهو أخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله :

وكل سرائر منها غرور	الأبلغ قريشاً حيث حلت
وما تتلو السفافرة الشهور	فإني والضوايح عادات
ولو جرت مظالمها الجرور	فلمست بقاطع رحمي وولدي
وورد الصدر مني والضمير	أنا لبني أخي راع حفيظ
بقتل محمد والقتل ذور	أيا أمر جمعهم ابناء فهر
ولأمت رشاداً إذ تشير	فلا وأبيك ما ظفرت قريش
وأبيض ماؤه غدق كثير	لبني أخي ونوط القلب مني
واحمد قد تضمنه القبور	ويشرب بعده الولدان رباً
كأن جبينك القمر المنير	ابان الأنف انف بني قصي
وبعد ان فرغ رجع بالنبي مرفوع الرأس موفور الكرامة فرحاً بما آتاه	الله تعالى من فضله .

» « «

وهكذا يقدر لعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحيى حياة طيبة ، حياة ملؤها البطولة ، ملؤها الجهاد في سبيل الله ، ملؤها المفاداة والذب عن رسول الله ، وقد خدم بيت الله قرابة الستين عاماً ، كما قام بشؤون زواره وحجاجه طول عمره الكريم .

وتشاء له ارادة الله التقدير أن يرحل عن هذه الدنيا الفانية ، الدنيا المليئة بالأتعاب والمشاق والنصب والعناء ، ليحل مكانها دار الخلود والراحة ، دار

الفردوس والكرامة ، دار الأنبياء والأولياء والصالحين والأتقياء وحسن أولئك رفيقاً ، ليجزى بما كسب وقدم من خير عميم ، وأعمال صالحة يستمر أثرها الى قيام يوم الدين .

كيف وقد اخذ الله عز وجل على نفسه المقدسة ان لا يضيع عمل عامل من ذكر وأنتى ، كما لا يضيع أجر من احسن عملاً ، وانه تعالى لا يضيع اجر المحسنين ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

اذاً فلتهدأ نفسك ولتقر عينك يا عم رسول الله وناصر دين الله ، بما سيربك الله العظيم من نعم مقيم ورحمة ابدية ، لا زوال لها ولا فناء . ويشيع نبأ مرضه رضوان الله عليه ، فيجتمع عليه للعبادة الأهل والأسرة والمعاريف والأصدقاء ، يصاحبونه ويماسونه وكلهم وجاؤون متصدعون لوعكة زعيمهم وسيدهم العظيم ، ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فانه أشد الناس توجعاً وأكثرهم تألماً واستياء .

ويستشعر هو رضوان الله عليه بدنو أجله واقتراب وفاته ، فيستعد الى لقاء الله ويتأهب للدار الآخرة ، فيبعث خلف بني هاشم فيحضر كلهم أجمعون ملبين دعوة زعيمهم المضارق ، فيدير عينيه في وجوههم ، ثم اخذ يعظهم ويذكرهم بأيام الله وينصحهم بطاعة الله وملازمة أحكامه وسننه ، واقتفاء اثر رسول الله واتباع شريعته ومبادئه ، فيتعاطف الأئمة ويتعالى البكاء والحنين . ثم ارشدهم الى الاعتناء بالبيت الحرام ، وتقديس الكعبة الموقرة ... الى كثير من النصائح والإرشادات .

## ابو طالب ينشئ وصيته

ولما سكن نشيج القوم وهدأت زفراتهم وحرراتهم أخذ عم النبي العظيم يسلي الهاشميين ويهون عليهم ، وانه ليس لوحده فقط أوجد الموت وخلق الفناء ، بل هو حتم في رقاب العباد لا يمكن ان ينجو منه أحد ابداً :  
كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة الحدباء محمول  
واذا حلت الى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول  
يامعشر بني هاشم ، يا معاشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وانتم قلب العرب ، فيكم السيد المطاع . وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع . واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلکم بنواکم على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حزب ، وعلى حربكم ألب .

وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية : فإن فيها مرضاة الرب ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطنة . صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن صلة الرحم منسأة للأجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيها هلك القرون قبلكم ، وأجيبوا الداعي ، واعطوا السائل ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيها محبة في الخاص ، ومكرمة في العام . واني أوصيكم بمحمد ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان ووعاه القلب .

وأيم الله كأني انظر الى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس ، وقد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فخاص بهم

غمار الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناناً ودورها ضرباً ،  
وإذا بأعظمتهم عليه احوجهم إليه ، وأبعدهم عنه احظاهم عنده ، قد محضته  
العرب ودادها واعظته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ، دونكم ابن اخيكم  
كونوا له ولاة ولجزبه حماة .

فوالله لا يسلك أحد سبيل محمد لإلرشد ، ولا يأخذ بهديه الاسعد ،  
ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودفعت عنه  
الدواهي ، غير اني أشهد بشهادته وأعظم مقالته .

اقول : وأيم الله إنها وصية جلية ومذكرة عظيمة ، ولعمر الحق إنها  
وصية حازت منتهى السمو وانصفت بمنتهى الجلالة والعظمة ، تزخر بغرر  
النصائح ودرر الكلم وبلغ المقال وجميل الوعظ والارشاد ، قد مجدها كثير  
من المؤرخين وقدستها كتب التاريخ والسير ، وكان من اولئك مفتي الشوافع  
في عصره السيد زيني دحلان في مؤلفه ، « أسنى المطالب » والحموي في كتابه  
« ثمرات الأوراق » والسهيلي في « الروض » والسيد علي خان في « درجاته  
الرفيعة » والمجلسي في « البحار » والسيد البرزنجي الشافعي وابن ابي الحديد  
في « شرح النهج » ٢/٢١٣ .

واني لأقسم بالله - وانه لقسم لو تعلمون عظيم - أن وصية حامي  
النبي وعمه الكريم هذه هي وصية ضخمة ، هي بوصايا الأنبياء أشبهه ،  
وبنصائح الأئمة والأولياء انب ، والى تعاليم العلماء والعباقره أقرب . فهي  
وصية تم عن مجموعة معارف ، وتعطي اضامة من دروس قيمة وتعاليم  
رفيعة وراقية ، كما يستشف منها العلم الجم ، والأدب الوفير ، والبلاغة  
المنقطعة النظير - الى غير ذلك مما يضع عم الرسول الكريم بمواضع العباقره  
والمفكرين والعلماء اللامعين .

فأول ما استهدفه من معنى ظهر على لسان النبي الكريم أخيراً ، وهو

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله اصطفى إسماعيل من ولد إبراهيم ، ثم اصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .  
أما قوله رضوان الله عليه « فيكم المقدم الشجاع الواسع الباع » يريد بذلك اسرة رسول الله الكريمة وسلسلته المحيطة ، فهي وحدها التي قد انفردت بطيب المآثر وكريم المآثر وجليل صفات الخير - الى غير ذلك من عناوين الكمال وجميل الخلال والخصال والشجاعة الفذة .

وما لا يختلف فيه إثنان ولا يرتاب فيه أحد ان آباء النبي العظام كانوا على درجة عليا من الجود والسخاء والرفقة والحنان والعطف على الضعفاء واللطيف بالمعوزين والفقراء . اغاثوا المهوف وسعوا جاهدين الى قضاء حوائج الناس والترفيه عليهم ، مضافاً الى تميزهم بعبادة الله وروحانية خدمة بيته الحرام والقيام ببلوازم الزوار والحجاج من وفادة وسقاية - الى غير ذلك من المفاهيم مما جعلهم في الأنظار في اعلى مقامات السيادة والزعامة . ثم يلفت نظر الهاشميين الى المكوف على خدمة الكعبة ثم تعظيمها وتكريمها خدمة لله عز وجل وقربة اليه تعالى . هذا بالإضافة الى ما تحلفه الخدمة والسدانة من شرف كبير ، وعلى المكافة في النفوس المؤمنة والقلوب المحبة لله سبحانه ، وذلك أمر لا ينبغي التفريط به بأي حال من الأحوال .  
وأما قوله رضي الله عنه : « صلوا أرحامكم ولا تقطعوها » فهو

إرشاد . قيم متين ونصح جليل ثمين ، كما هو معنى إنساني كزيم يستشف منه الشعور بأمال الأقراب والأرحام . وآلامهم ، ثم الترفيه عليهم جهد الامكان وحسب المستطاع ، لما لهم من حقوق فضلى وواجبات مثلى ، يحتمها العقل السليم وتفرضها الانسانية الحقة . أضف الى ذلك النتائج التي تنتج من جراء الصلة المشار اليها من آثار مستحسنة ومفاهيم محببة : منها الزيادة في الرزق

والاطالة في الأعمار، ثم المودة في نفوس الأقرباء والأرحام . والله در القائل:  
أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم . فطالما استعبد الانسان احسان  
وقد جاءت هذه النظرة من عم النبي الزعيم أبي طالب موافقة لآداب  
القرآن وسنن الاسلام . . . وقد ورد في القرآن الكريم كما في سورة النساء  
« واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » .

فقد جعل الله تعالى لزوم الاتقاء من سخط الأرحام واجتناب عقوبتهم  
مقارناً لمخالفات عقوقه وعصيانه عز وجل : وما ذلك إلا لأهميتهم عنده  
وكرامتهم عليه .

وورد أيضاً في سورة محمد صلى الله عليه وآله « فهل عسيتم إن توليتم  
أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك لعنهم الله فأصمهم وأعمى  
أبصارهم » .

فنظر لله تعالى الى اللين يقطعون أرحامهم : ولا يصلونها نظرتة الى  
الذين يعيشون في الأرض الفساد . ويسعون فيها بالجرائم والمنكرات ، فقلاس  
الجميع بمقياس واحد . ووزنهم بميزان واحد .  
وورد أيضاً في سورة الأنفال « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض  
في كتاب الله » .

وأما ما ورد في السنة النبوية - من فضيلة صلة الرحم والحث عليها -  
فهناك للشيء الكثير . روى آل البيت عن جدهم النبي صلى الله عليه وآله:  
صلوا أرحامكم ولا تقطعوها .  
صلوا أرحامكم ولو بالسلام .

الرحم مشتقة من الرحمة : . والرحمة من صفات الله عز وجل .  
الرحم معنى معاق بين السماء والأرض ينادي « اللهم صل من وصلني  
واقطع من قطعني » .



إن صلاة الرحم تطيل العمر كما تزيد المال والثراء .  
صل رحمك ولو بشربة ماء ، وإن افضل ما يوصل به الرحم كف  
الأذى عنه .

من مشى الى ذي قرابة بنفسه او بماله او بجاهه رعاية لصلاة الرحم  
اعطاه الله عز وجل اجر الشهداء في سبيل الله ، كما اعطاه بكل خطوة  
يخطوها من الحسنات ما لا يعلم به إلا الله ، ويعطيه ايضاً ثواب عبادة مائة  
سنة تطوعاً .

صلاة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار .  
وقال الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى « الذين يصلون  
ما أمر الله به أن يوصل » الذي أمر الله به أن يوصل هو رحم رسول الله  
صلى الله عليه وآله وذوو قريبه ثم رحم الانسان .  
وأما قوله رضوان الله عليه « واتركوا البغي والعقوق » فانه درس نافع  
وفكرة اجتماعية ضخمة ، لأن البغي والاعتداء من دون حق واضرار الناس  
من دون ما سبب أو مبرر هو الظلم بعينه ، والظلم إن دام دمر .

وكذلك الاستهانة بحقوق الأبوين أو بحقوق الاخوة المؤمنين ، فهو  
ظلم صريح ، وتحطيم للكرامة التي قدرها الله تعالى للابوين أو للانسان  
بعضه مع بعض ، وقد تعرض القرآن المجيد للظلم والظالمين وذمهما فقال تعالى :

- « فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين » سورة الأعراف .
  - « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون » سورة ابراهيم .
  - « ويوم يعرض الظالم على يديه » سورة الكهف .
  - « لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين » سورة مريم .
  - « وماؤاهم النار وبئس مثوى الظالمين » سورة آل عمران .
- وليست هذه الآيات الكريمة فقط هي كل الوارد في هذا الموضوع ،

بل هناك كثير مما تركناه رعاية للاختصار ، ولما في هذا القدر من الكفاية .  
 أما ما ورد من السنة فنذكر على سبيل المثال ما نقله الشيخ ورام في  
 مجموعته ، بطريقه الى مولى المؤمنين وإمام المتقين علي بن ابي طالب عليه السلام  
 عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل انه  
 قال : اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرأ غيري .  
 وعنه عليه السلام : اياك وظلم من لم يجد عليك ناصرأ إلا الله .  
 وعنه عليه السلام عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : الويل  
 لظالم أهل بيتي ، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار .  
 وعنه عليه السلام : لا يكبرن عليك بغى من ظاماك ، فإنه يسعى في  
 مضرة نفسه ونفعك .

وعنه أيضاً : ألا وان الظلم ثلاثة أنواع : ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه  
 الله ، وظلم ربما يغفره الله . أما الظلم الذي لا يغفر فهو الشرك بالله « إن الله  
 لا يغفر أن يشرك به » ، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم الناس بعضهم لبعض ،  
 وأما الظلم الذي يمكن ان يغفر فهو ظلم الانسان نفسه بزجها في آتون محارم  
 الله وذل معصيته ، فهذا النوع من الظلم يمكن اعفاؤه والتسامح فيه فيما اذا  
 عقب بالتوبة وقرن بالندم على ما صدر والاقلاع عن المماثل في المستقبل .  
 وعنه عليه السلام : بالظلم هلكت القرون والأمم السالفة .  
 قوله رضي الله عنه « أجيبوا الداعي واعطوا السائل » أما اجابة الدعوة  
 أو الداعي فتلك من صفات المؤمنين وسمت المتدينين ، مضافاً الى انها  
 تورث التآخي والتصافي بين الناس ، كما توجب التآلف والتوادد بين المسلمين .  
 وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله : لودعاني داع على كراع  
 لأجبتة .

كل ذلك حث وترغيب على إجابة الداعي مهما كان : حتى ولو كان

مثل كبراع الرجل الفقير البسيط . وحتى لو كانت الدعوة بسيطة لا تتعدى كبراع الشاة . وحتى لو كانت تستلزم التعب من جهة بُعد المكان ، مثل كبراع الذي هو اسم مكان يبعد مقداراً ما عن البلد .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله انه قال : اذا دعيتم فأجيبوا .  
أما قصة اعطاء السائل فإنها اوضحت من مآثر الاسلام ومختصاته ،  
وقد ندب اليها القرآن الكريم في اكثر من آية « واما السائل فلا تنهر » ،  
« واطعموا البائس الفقير » .

وفي الحديث : لإرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .  
لو صدق السائل لهلك المسؤول .

من أراد أن ينمو ماله ويطول عمره فليكثر من الصدقة .  
وما عسى أن يقول القائلون في وصية عم الرسول العظيم هذه ، فكل قول وثناء وكل تقرير وضخم هو دون مستواها ودون شأنيتها ومكانتها ، فأكرم بها من وصية تصقل العقول وتصهر النفوس بيوقة الخلق الاسلامي النبيل ، كما تطبع الانسانية بطابع الحضارة والمثل العليا التي تضع الانسان بمصاف العباقرة اللامعين والنبلاء الأكارم .

قوله رضي الله عنه : « وعليكم بصدق الحديث » ولا يكاد يخفى مال للصدق من أثر فعال يورث ترابط المجتمع ، ويؤدي الى التفاهم والتقارب بين افراده وجماعته ، كما يظهرهما بمظهر الكمال والجلال ... ويحققها بالمتقنين العطاء والروحانيين من الملائكة المقربين .

وقد ورد في القرآن العزيز تمجيد الصدق والصادقين في كثير من الآيات الكريمة « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » . فهذه الآية المباركة - وان كانت واردة في فضل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كما

ذكر ذلك السبط ابن الجوزي في تذكرته وابن ابي الحديد والقندوزي في  
بنايحه إلا أنها. تخرج عن كونها مدحاً للصادقين وثناء على الصدق .  
ومن الآيات « والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم الفائزون » .  
أما نظرة القرآن الى الكذب فهي نظرة ساخط ماقت « سيعلمون غداً  
من الكذاب الأشر » ، « ويل للمكذبين » .

ويكفي في ذم الكذب وقبحه كونه كذباً . وهو من الرذائل والصفات  
المقننة ، وبالتالي إنه يورث الإنهيار الخلقي والتفسخ والتحلل في افراد المجتمع  
ثم الويل والدمار .

قوله رضي الله عنه « وعليكم بأداء الأمانة » هو توجيه فطري وشعور  
بأهمية الأمانة ولزوم الحفاظ عليها ثم أدائها وتسليمها الى أهلها كاملة غير  
منقوصة . ويكفي في خلاف ذلك ثبوت الخيانة في حق الأمين او المؤمن ،  
والخيانة جرم خطير وعمل حقير يورثان في بني الانسان التباغض والتناحر  
ثم التقابل المسلخ والحرب الطاحنة ، ومن هنا كان القرآن المجيد يصر في اكثر  
من آية على لزوم اداء الأمانة « فليؤدي الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ،  
« والذينهم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس مني من غش امتي  
او خادعهم او خانهم .

قوله رضي الله عنه : « واني أوصيكم بمحمد فانه الأمين في قريش  
والصديق في العرب » ، فإنه تأكيد بالإيحاء برسول الله ، ولزوم اتباعه  
ونصرته ، ولزوم احاطته والحفاظة عليه . وسد كل النوافذ والثغور التي يمكن  
أن يتسرب منها العدو فيتمسك الى عرقلة حركته او يعترض سير قافلته .  
هذا أولاً ، وأما ثانياً فإنه تصديق للبعثة ، واعتراف بالرسالة والنبوة ،  
وارشاد الى ذلك ، لذا اتبعه بقوله « ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان ووعاه

القباب « يعني الاسلام .

ثم أقسم رضي الله عنه فقال : « والله لا يسلك أحد سبيل مجد الاسعد ، ولا يأخذ أحد بهديه لإلرشد » ومن الجلي الواضح أن سبيل محمد وهدى محمد هو الدعوة الى الله ثم الى دين الله الحق ، وبها يتحقق للانسان الهدى والرشاد والسعادة والفلاح .

ثم اخذ يقرأ عليهم عن مستقبل النبي القريب او البعيد ، وما سيكون عليه من التوسع وانتشار الصيت والانتصار على الدول الكافرة والمشركة ، ولا بد من ان تنهافت عليه الناس بعد ذلك خاشعة تأتمر بأمره وتنتهي بناواهيه ، أفلا يكون هذا من اجل الدوافع والأسباب المقتضية الى مساندته والالتفاف حوله والأخذ بقوله ، لتكون لهم السيادة والقيادة والامرة والوزارة .

افلا يكون ذلك موجباً لعدم فسح المجال للآخرين الأبعد أن يحيطوا بمحمد ، فيكونوا بهذه الوساطة هم الدعاة والولاة ، في حال ان الآل والأسرة هم أحق بالاحاطة والنصرة ليحصلوا على الأولوية في الوصاية والولاية .

ثم تمنى رضي الله عنه ان يفسح الله في أجله ويمد له في عمره ، لالحب البقاء والخلود في الدنيا ، بل ليكف عن رسول الله الهزاهز ، ويدفع عن حضرته الدواهي ، حتى تعلقو كلمة الله ويشاهد انتشار ألوية الدين عالية خفاقة ، وحتى يرى الرؤساء والعطاء غادية وجائية ، وهي تعتذر الى ابن اخيه مستشعرة تقصيرها في حقه آمانة منه العفو والصفح عما صدر منها من الأذى والاساءة اليه صلى الله عليه وآله ، وهناك فليكن الموت وليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

\* \* \*

رضي الله عنك وارضاك يوم لا ينفع فيه المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم من درن الجاهلية وأوضاع الوثنية ، مؤمن بالله لم تأخذه فيه

تأخذه فيه لومة لائم ، ولا في موالاته لرسول الله ومؤازرته إياه رعد  
الفوضيين وبارق المرجفين .

تمنيت أن تعيش الزمن الذي يتم فيه الأمر للرسول الأعظم صلى الله  
عليه وآله وسلم ، لتستكثر من صالح الأعمال ، وتتوصل الى خير الزاد ليوم  
المعاد ، وتقي الرسول من مكائد الكفر ودسائس الشرك ، اولتموت في  
سبيل الله ورسوله شهيداً سعيداً ، وهنالك الفوز المبين والفرديوس الأعلى  
مقر الأنبياء والمؤمنين ، وحيث رحمة رب العالمين .

وما ادري يا عم رسول الله كيف استشعرت التقصير ، فرجوت ان  
يفسح في أجلك لتحوز على خدمات لله ورسوله اكثر وجهاد أوفر ، وهل  
تركت شيئاً تكون فيه الخدمة او تتحقق منه المفاداة إلا وقد صنعتها ؟

ألم تحتمل الذل والهوان من حيث توحيدك لله ومن حيث ملازمتك  
لرسول الله ، تلك الملازمة التي اطاحت بقلاع الكفر وهدمت صروح  
الأصنام والشرك ، ثم تخضع لرسول الله ذاك الخضوع الذي لم يحدث التاريخ  
منذ عرف له مثيلاً ونظيراً ، وانت عمه ومربيه وكافله ، وانت زعيم مكة  
وولي الله على بيته الحرام ؟

ألم تحتمل مرارة الحصار المشين وتبعات الاعتقال المؤلمة طوال  
ثلاث سنين ؟

ألم تحمد تحرشات الكفر ، وتفضح مؤامرات الشرك ، وتأتي على  
عدوانهم وما يبيتونه من اضاليل وابطال ، فتنسفه وتنقضه من الأساس ؟  
ألم تنذر نفسك وتوقفها على مدح رسول الله ونشر فضائله ومكارمه  
وماثره ، فلكت الكتب بنثرك وشعرك ؟

أما كيفيك كل هذا العمل الخير ، العمل الذي يكون بعضه موجباً  
لأن تشملك رحمة الله وتستدرجك جنته ورضوانه ، واخيراً ختمت وصيتك

بكلمتك الرائعة « غير أفي اشهد بشهادته واعظم مقالته » .

نعم والله يا عم رسول الله ، لقد شهدت بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعظمت مقالته من أول يوم أظهر فيه صلى الله عليه وآله الشهادة لله عز وجل بالوحدانية وله بالرسالة ، ولكنك أيها العظيم أحببت أن تحتّم بما ابتدأت به ، لتكون آخر دعواك : أن الحمد لله رب العالمين . ولا يضر الأسود نبح الكلاب ، كما لا يضر نقيق الضفادع وطنطنة الذباب في عظمة العطاء ومقامات الأبطال ، وسوف ترد ويردون على الله ، كما سيرعرض الظالمون على الله ورسوله : فتسود وجوههم حياءً من رسول الله بما زوروا ولفقوا ، ولا ينفعهم إذ يندمون ، كما لا ينفعهم إذ يعتذرون يوم يعرض الظالم على يديه ويقول الكافر بالآلث الجاحد لفضلك : يا ليتني كنت تراباً ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

\* \* \*

وتحدث ابن ابي الحديد فقال : وان لشيخ الأبطح وصية اخرى شعرية قد اختص بها نقرأ من ابطال بني هاشم الأفذاذ ، وهم اربعة العباس ابن عبد المطلب والحزمة بن عبد المطلب وعلي وجعفر ولداه :

أوصي بنصر نبي الخير أربعة	ابني علياً وعم الخير عباسا
وحزمة الأسد الخشي صولته	وجعفرأ فذودوا دونه الناسا
كونوا فداء لكم أمني وماولدت	في نصر أحمد دون الناس أتراسا

لله درك ، والله انت يا كافل المصطفى وحاميه ، ما اعظمتك واكرم نفسك ونفسيتهك ، وما اشد تصلبك لدين الله وحرصك على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما أزهلك في دمك وروحك تبذلها بكل سخاء وطمأنينة لا في سبيل الله ورسوله فحسب ، بل لكل مساند لها ومعاضد ، فأنت وفي مثل هذه الظروف الحرجة وهاتيك الساعة الصعبة الرهيبة لم تفتأ توصي

وتلهج بذكر الله عز وجل ، وتشهد الهمم والعزائم نحو الحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .

فسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً .

\* \* \*

قال التفتوني في ضياء العالمين والواحيدي في اسباب النزول وابن شهر اشوب في المناقب وابن ابي الحديد في شرح النهج : إن لأبي طالب عم النبي العظيم وصبة نائلة خص بها ولده طالب الذي هو اكبر أولاده ، يحثه فيها على التدين بدين رسول الله واتباعه في أقواله وأفعاله ، والذود عنه والذب عن دينه بكل القوى والامكانيات ، وفي ذلك الخير العميم والنجاة في الدارين ، ثم أنشأ الوصية بقالب شعري فقال :

أبني طالب إن شيخك ناصح      فيما يقول مسدد لك واثق  
فاضرب بسيفك من أراد مساءة      أبداً وازك للمنية ذائق  
هذا رجائي فيك بعد منيتي      إني عليك بكل رشد واثق  
فاعضد قواه يا بني وكن له      إني بيجدك لا محالة لاحق  
آهاً اردد حسرة لفراقه      اذ لم اجده وهو عال باسق  
اترى أراه واللسواء أمامه      وعلي بني للسواء معانق

ويحدثنا صاحب اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي نقلاً عن مقاتل من حديث طويل : إن ابا طالب رضي الله عنه قد جمع اليه بني هاشم في أواخر ايامه وعند استفحال المرض فيه ويأسه من الحياة ، كما ارسل على الزعماء والأحلاف من قريش والعرب ، وعند اجتماعهم من حوله قد استوى جالساً وخطب فيهم خطبة عظيمة أكثر فيها من الإيحاء برسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن جملة ذلك ان قال : يا قوم ان ابن اخي محمداً - كما يقول - نبي مرسل ، أخبرنا بذلك آباؤنا



وعلمائنا من قبل ، فهو نبي صادق وامين ناطق .

وفيه ايضاً ٤٠٧/١ بطريقه الى أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن عبد الله بن محمد عن سامة اللؤلؤي عن صادق آل محمد عليه وعليهم السلام أنه قال بمناسبة اسلام ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه : وكان الامام الصادق قد سئل عن كيفية اسلام ابي ذر ، فقال : كان ابو ذر يرعى الغنم ، فاذا هو يرى ذئباً وقد جاء من جهة يمين الغنم ، فذاده بعصاه ، فصار الذئب الى شمال الغنم فهش عليه بالعصى وقال : ما رأيت ذئباً اخبث منك ولا اشر ، فتكلم الذئب بقدره الله قائلاً : هناك من هو اكثر شراً مني واخبث ، وهم أهل مكة ، بعث الله فيهم نبياً من انفسهم فكذبوه وشتموه ونسبوا له كل شيء . ثم ادار بظهره وولى .

فيأخذ حديث الذئب هذا من قلب أبي ذر مأخذاً عظيماً ، كما يأخذ الوفير من تفكيره واهتمامه ، الأمر الذي حداه أن يعهد بغممه الى بعض احبابه ويقصد مكة ليقف على جليلة الحال وواقع خبر الذئب ، فيصادف دخوله مكة عند الظهر ، وكان الوقت حاراً ، وقد اعياه التعب وامض به العطش ، فاتفق أن مر على زمزم فأدلى دلوه فإذا به يخرج محلوأً لبناً سائغاً ، فشرب وتفاعل .

ثم قصد جانباً من جوانب الكعبة ، فاذا هو بجاقعة من قریش ، فجلس قريباً منهم واذا به يسمع شتم محمد وسبه وانتقاصه ورميه بالسحر والجنون وما اشبه ، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم شيخ كبير عليه آثار الجلالة والمهابة والعظمة ، وما أن نظروه حتى تواصلوا بالكف عن ذكر محمد بسوء فقلبوا الحديث الى شكل آخر . ولما وصل اليهم قام المجتمع لإجلالاً له وإكباراً لمقامه ، فجلس معهم حتى كان آخر النهار قام الشيخ وانصرف الى شأنه . فسألت بعضهم عنه ؟ فقيل لي : هو شيخ الأبطح ابو طالب ،

فلحقته وصرت أماشيته ، فالتفت إلى وقال : ألك حاجة فنقضها ؟ قلت : حاجتي النبي المبعوث فيكم . قال : وما تريد منه ؟ قلت : أؤمن به واصلته واطيعه . فدلني على علي ابنه فقال : هو يد لك عليه . فسألت عن علي ابن أبي طالب فوصلت إليه ، قال لي : وما حاجتك ؟ قلت : حاجتي النبي المبعوث فيكم . قال : وما تريد منه ؟ قلت : أؤمن به واطيعه . فقام معي إلى رسول الله ، فسأمت عليه وآمنت به وصدقته ولازمت خدمته .

أقول : إن ذكر هذه القضية من قبل الامام جعفر بن محمد عليه السلام ماهي الا لاثبات أن ابا طالب كان يرشد إلى رسول الله ويشيد بنبوته وبعثته ، ولا يكثر عليه أن يكون اول داعية إلى الله ورسوله واول محام عن رسول الله ودين رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبواسطته رضوان الله عليه كثر أعوانه وانصاره .

## ابو طالب يصير الى الفردوس الأعلى

وهكذا تنتهي حياة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وتنطوي صفحتها المشرقة ، كما انطفت شمعتهما الوضاعة ، لكنها تركت للأجيال وفيراً من التعاليم الخيرة والدروس القيمة والنصائح الغر ، ما اذا سار الناس على ايجاعاتها ومحتوياتها لكانوا من أرقى الأمم حياة وحضارة ومدنية وثقافة ، ولكانوا أشد الناس تمسكاً بالدين . واكثرهم تصلباً للمبدأ والعقيدة ، وحباً لله ورسوله ، واستماتة في سبيلها .

وما إن يشيع نبأ وفاته رضي الله عنه فتزدحم مكة بالناس من كل مكان ، كما خيم الوجوم والإنكسار على الجميع : فاترى إلاباك وبأكية ونائحاً ونائحة ، حتى أصبحت مكة ضجة واحدة ، فالأسى والحزن يلوحان على الوجوه .

ويبادر امير المؤمنين علي الى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره بوفاة عمه ، ثم يستوحي الارشاد والتعليم فيما يخص التجهيز والتشييع ، وما أن فهم صلى الله عليه وآله الفاجعة حتى أجهش بالبكاء وانتحب انتحاباً عالياً ، حتى تحادرت دموعه على كرىمته المباركة ، ثم رفع رأسه الى علي وقال : امض يا علي جهزه وقم في أمره واعلمي اذا ماتم ذلك .

فرجع علي وأخذ بتجهيز أبيه ، فغسله وكفنه ووضعه في سريره ووجه الى النبي من يعلمه بحمل الجثمان الكريم ، فحضر رسول الله صلى الله عليه وآله فانظم الى التشييع مألوماً متوجعاً ، ورفع الجثمان على الرؤوس تتلاقفه

الأيدي تبركاً بجمان عم النبي العظيم ، حتى اذا جيء به الى مشواه الأخير ومرفده النهائي ، أراد النبي ان ينزله بنفسه الى حفرةه إلا ان امير المؤمنين علياً تبرع عنه صلى الله عليه وآله فتكفل ازاله وايداعه في مقبره . وفي بعض الروايات أن النبي هو الذي نزل مع عمه الى القبر ، وربما نأني الى بيان ذلك فيما بعد انشاء الله تعالى .

وكيف كان انزل عم الرسول في حفرةه ، وأهالوا عليه التراب ، وصار الى جوار ربه ورحمته .

وبعد اجراء مراسم الدفن قام رسول الله على القبر الزكي مؤبناً عمه وكافله ، فكان مما قاله صلى الله عليه وآله :

وصلتكم رحم يا عم ، جزيت خبيراً يا عم ، فاقمد ربيت وكفأت صغيراً ، وآزرت ونصرت كبيراً . أما والله يا عم لأستغفرن لك واشفعن فيك شفاعه يعجب منها الثقلان .

• • •

لعمرى إنه تأبين عظيم وخطير ، يصدر من عظيم العطاء وسيد الأنبياء والحكماء ، يصدر من رسول رب الأرض والسماء ، فهو تأبين لم يعرف التاريخ له مثيلاً ، ولم يسجل له نظيراً على مسرح الدنيا وفي دنيا التاريخ . الله اكبر ، ياله من تأبين يتكفل فيه النبي الكريم لعمه العظيم ان يشفع له شفاعه يعجب منها الثقلان وعالما الجن والإنس . . . يالها من شفاعه تتمناها الأنبياء ، وتذوب شوقاً إليها الائمة والأولياء .

فهنيئاً لك ملايين المرات يا عم رسول الله هذه الشفاعه ، الشفاعه التي ستجد آثارها أمامك يوم لا تنفع فيه شفاعه الشافعين ، يوم ينادي فيه الانسان : ربي نفسي ، ربي نفسي لا ولدي ولا أقاربي . . حتى نبي الله الخليل ينادي : ربي نفسي لا ولدي أسماعيل .

فهنيئاً لك يا عم رسول الله ذلك الضمان الضخم ، ومن أولى منه  
صلى الله عليه وآله بشكران النعمة وعرفان الجميل ، وهو الذي علم الناس  
وأرشدهم الى مقابلة الإحسان بالإحسان والنعمة بالشكران .

ويحدثنا الحجة الأميني في غديره ٣٩٩/٧ عن ابي الفرج الاصفهاني  
عن الصحابي الكريم حذيفة اليماني من حديث طويل قد استعرض قضية وفاة  
عم النبي الزعيم ابي طالب رضوان الله عليه وقصة تشييعه وتوجع الرسول  
وحزنه عليه - الى ان يقول :

وقام العباس وابو بكر بن ابي قحافة ، فأبناهما وشهدا على إيمانه وتدينه  
كما اخذ فقده من النبي مأخذاً عظيماً ، وصادف في السنة التي مات فيها  
أبو طالب ان ماتت أم المؤمنين خديجة ، وبفقدتها تجدد الحزن على رسول الله  
صلى الله عليه وآله ، وصار مجمعاً لمصيبتين كبيرتين كل منهما يهدد القوى  
ويورث الاستياء الأليم ، لذا سمى رسول الله ذلك العام بعام الحزن ، كما  
نشطت في تلك الأيام الأعداء والخصوم ، وتحركت عليه علناً وجهراً  
شراذم اليهود ، وصار الجميع يتفننون في ايدائه ويتفكهون بأنواع الاساءة  
الى حضرته ، اذ خلاهم الجووواتهم الفرصة ، فغاب عنهم المحامي والناصر  
والكفيل والمؤازر ، فغاب عنهم الليث المصور والأسد الخفيف ، فغيب  
الثرى عم النبي وعضده وبقي محمد لا معين له ولا ذاب عنه سوى نفر من  
بني هاشم ، وهم يقلون العدو عدداً وعدة ، الأمر الذي ادى برسول الله  
صلى الله عليه وآله ان يكرر دعاءه ، على الظلمة والظالمين ، ويسأل الله  
تعالى الخلاص والنجاة من الأيدي الكافرة ، وكان من جمة ادعيته :

اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس .  
اللهم يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وانت ربي الى من تكلمي  
يا الهي ، الى بعيد يتجهمني ، او الى عدو يمتلك أمري ، إن لم يكن بالهي

بك غضب علي فلا ابالي ان يحل علي سخطك ، ولك العتبي حتى ترضى ،  
فلا حول ولا قوة الا بك ياغيث المستغيثين .

\* \* \*

يستشف من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله مدى تجهم الوضع  
عليه واشتداد البلاء عليه وتنكر الكفر والشرك له ولشريعته ، وقد مرت  
عليه ازمات حرجة وظروف مجهدة ألزمته ان يدعو على القوم ، والا كان  
يقال له أن يدعو عليهم ، فيقول : لا ، بل يدعو لهم فيقول : اللهم اهد  
قومي لانهم لا يعلمون .

واخيراً تداركته رحمة الله وعنايته ، فأوحى اليه عز وجل ان اخرج  
من مكة ، فمالك بها من ناصر بعد أبي طالب .

ويخرج الرسول من الوطن ومسقط الرأس المحبب مكرهاً مضطراً خائفاً  
يتربق ، وبعد لأي وعناء ومصاعب وأحوال وصل الى المدينة المنورة ،  
فاستراح صلى الله عليه وآله نوعاً ما من الجهد والبلاء ، وانقذه الله تعالى  
من مخالب الكفر وأيدي المحرمين .

ثم التحق به امير المؤمنين علي بن ابي طالب يصحب العائلة النبوية ،  
فبنى له ولعلی دارين الى جانب من جوانب المسجد .

وفي المدينة كثر عدد المسلمين وتوفر الأعوان والأنصار ، ثم صار  
المسلمون يؤمنونها من الخارج يتعاقبون على الخدمة ليل نهار ، يقدونه بالآباء  
والانفس والامهات وعظائم الأموال ، إلا انه صلى الله عليه وآله كما  
نشطت دعوته وعلت كلمته وظهر أمره وانتشرت رايته وتعالى كرامته  
تذكر عمه وتذكر موافقه وخدماته للدين والاسلام ، فيبكي لهفة عليه ثم بصير  
الى الاستغفار له والترحم عليه .

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢١٣/٣ : قصد جماعة من مجاوري

المدينة النبي صلى الله عليه وآله يشكوه توقف المطر وحبس الأرض بركاها  
عنهم ، ففقدوا من جراء ذلك كل ضروريات الحياة ومقومات المعيشة ؛  
ثم قام واحد فأنشأ بمحضر من رسول الله مستعرضاً ما نالهم من القحط  
والجدب ومخلفاتها المؤلمة بأبيات من الشعر :

اتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت ام الصبي عن الطفل  
وألقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفاً لا يمر ولا يجلي  
ولا شيء مما يأكل الدهر عندنا سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل  
وليس لنا إلا اليك فرارنا وابن فرار الناس إلا الى الرسل  
فانصدع رسول الله للحالة ، وتألم للوضع ؛ ثم قام الى المنبر فارتقاها  
فحمد الله واثى عليه ثم قال : اللهم اسقنا غيثاً مغنياً سيحاً طبقاً غير  
رايث ، تذب به الزرع وتملاً به الضرع وتحي به الارض .

فلم يستم دعاؤه صلى الله عليه وآله حتى أبرقت السماء وادطمت  
ورعدت ، ثم ارسلت عزاليها كأفواه القرب ، واستمر المطر حتى خاف  
الناس الغرق ، فجاءوا يهرعون الى رسول الله ينادون : الغرق الغرق  
يارسول الله ، فرمق النبي السماء بطرفه وقال : اللهم حوالينا ولا عاينا .  
فانجباب السحاب وتفتح الغيم وتوقف المطر وعاد الصحو كما كان ، فتبسم  
رسول الله فرحاً بكرامة الله ونعمته عليه ، ثم قال : رحم الله عمي ابا طالب  
أو لله در عمي ابي طالب لو كان حياً لقرت عينه ، من الذي ينشدنا من  
شعره ؟ فابتدره امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال : لعلك يارسول الله  
اردت قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للارامل  
فقال : نعم يا علي ، ما أردت الاذاك ، إستمر يا علي ، فاستمر الى  
آخر القصيدة والنبي يواصل الترحم والاستغفار لعمه الكريم .

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة وابن أبي الحديد في شرح النهج : دار حديث أبي طالب في منزل النبي صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب ، وكانت الجاسة عائدية تضم العباس عم النبي وولد أبي طالب عقيلاً وجعفرأً وعلياً وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، اذ يلتفت العباس الى رسول الله فقال : يا بن أخي ما ترجو لعماك أبي طالب في الآخرة ؟ قال صلى الله عليه وآله : ارجو له رحمة ربي ، وارجو له كل خير .

وقالا ايضاً : إن النبي قال لعلي ذات يوم وبمناسبة جرى فيها ذكر عم النبي الراحل : يا علي. ليس أحد أحق بمقامي منك لقدمك في الاسلام وقربك مني ومصاهرتك لي ، فعندك سيدة نساء العالمين ، وقبل ذلك ماكان من حياة ابيك أبي طالب وبلائه في مناصرتي ، فأنا حريص أن اراعي ذلك في ولده .

ونجده صلى الله عليه وآله مرة أخرى يتحدث الى عقيل بن أبي طالب فيقول له : يا أبا يزيد اني احبك حين ، حباً لقرايتي منك ، وحباً لما كنت أعلمه من حب عمي أبي طالب لك ، والمرء يحفظ في ولده . وما ذلك منه صلى الله عليه وآله الا تقديرأً لعمه المحسن الكريم ، ومكافأة لناصره العظيم .

ومن الواضح الجلي الذي لا يقبل الشك والريب أنه صلى الله عليه وآله لا يود أحداً إلا أن يوده الله ، ولا يحب الا من يحبه الله ، كما لا يبغض الا من يبغضه وسخط عليه .

ومن هنا وهناك يحصل اليقين والجزم بأن ابا طالب العظيم هو ممن احبه الله فأحبه رسول الله وقدره وترحم عليه واستغفر له .

قال ابن أبي الحديد : إن ابا عبيدة بن عبد المطلب لما اصيب بمحادثة بدر في رجله وجاء به المسلمون يحمونهم ومخ ساقه يسيل ، حتى وضعوه



أمام رسول الله على العريش ، فقال له : يا رسول الله صلى الله عليك  
لو كان عمك ابو طالب حياً لعلم أنه صدق في قوله :  
كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونه وناضل  
ونصره حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل  
فلما سمع صلى الله عليه وآله هذين البيتين بكى حتى سالت دموعه على  
لحيته الكريمة ، ثم صار الى الترحم عليه والاستغفار له . وبعد أن وضعت  
الحرب اوزارها وانتهت المعركة صار النبي يتفقد القتلى ، وكان بخدمته  
ابو بكر ، اذ ينقذح في ذهنه بيت من قصيدة ابي طالب اللامية ، فأنشده  
للنبي فقال :

كذبتم وبيت الله إن جد جدنا لنتبسن أسيافنا بالأماثل  
فوالله يا رسول الله لقد صدق ابو طالب في قوله « لنتبسن اسيافنا  
بالأماثل » . فقال رسول الله : إنا لله وإنا اليه راجعون ، رحم الله عمي  
أبا طالب ، لو كان حياً لما صرنا الى ما نحن فيه .  
نقال ابن ابي الحديد بطريقه الى ابن اسحق أنه قال : فلم يزل  
ابو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله وحمایته حتى مات في  
السنة الحادية عشرة من مبعث النبي ، فطمعت في النبي عند ذلك قريش  
ونالت منه ، فخرج من مكة خائفاً يطلب أحياء العرب .

## ابو طالب والدليل على ايمانه

التحدث عن الموضوع ذو شجون ، أقل خلفاته وأدنى لوازمه ورواسبه جروح في قلوب المؤمنين وقروح في جفون الأوفياء من المسلمين ، جروح وقروح لا تندمل مادام هناك اناس لا يتحرجون عن منكر فعلوه ، ومادام هناك عملاء عبدوا الدينار وسجدوا للدرهم وخضعوا لمن في يده شيء منها حتى أعماهم ذلك وأصمهم فعمدوا الى قاب الحقائق وتشويه الوقايح ، كما قلبوا للأحداث ظهر المحن وأجهزوا على كل ما من شأنه أن يصان ويوقر ويحترم ويعظم ، فتنكروا لكرامات العطاء واستهانوا بجرمات المجاهدين الأولين .

كما استباحوا من أجل الوصول إلى ملاذهم وشهواتهم وآربهم اقتحام مراكز الأبطال من رجال رسول الله ومؤازريه ونصرائه ، كاقترامهم مركز عم النبي وكافله ، ونسبوا له ما لا يناسب مقامه الكبير من المئات على غير الاسلام والايمان ، في حال أن الله ورسوله والأطائب من المسلمين يعلمون أنه رضي الله عنه براء من تلك النسبة .

فيا للوقاحة والصلافة ، ويا للمادة المسيلة للعاب . كيف لعبت دوراً هاماً ، فغيرت مجرى التاريخ ، وعمدت الى ارتكاب ما لا يحل ارتكابه شرعاً وأديباً في حق عم النبي المحامي وناصر الاسلام ، قد انتحوا الرواية ونسبوها الى رسول الله مرة والى علي مرة ثانية والى العباس بن عبد المطلب ثالثة والى عبد الله بن عباس رابعة ، في حال أن هؤلاء كلهم اعرف الناس

واعلمهم بما كان عليه ابو طالب من تدين راسخ وقدم ثابت في الاسلام ،  
ومالاقى في سبيله من المصائب والحن وهكذا حتى توفاه الله واختار له  
دار أوليائه وصفوته ، فيستحيل اذاً عليهم - ولا سيما بالنسبة الى رسول الله -  
ان يمجده عمه ويستغفر له ثم يذمه ويقول فيه مالا يليق بشأنه وشانه ، واليه

صلى الله عايه وآله نسب القول المأثور « من مدح وذم فقد كذب مرتين ».

نعوذ بالله من همزات الشياطين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ليت هذا البعض من المؤرخين قد اكتفى بالمرور على الموضوع متر  
الكرام ومن دون تعليق وتكبير والتزموا جانب الحياد لالها ولا عليها لكان  
ذلك خيراً لهم واصح في رعاية رسول الله وحفظه في عمه الكفيل ، ولكنهم  
ساروا على سيرة الماضين من الموتورين والحاقدين ، وبنوا على جملة من  
اسس وضع حجرها الأول جمع من الإنتهازين الذين يركضون وراء الدرهم ،  
والذين يتزلفون الى اهل النفوذ والسلطة ، ولو بيع الضمائر والدين ، والذين  
قد اخزاهم عم النبي وفضحهم بنثره وشعره وتأديبه .

أغيره لطم ابا جهل الطاغوت عدة مرات فأطاح بأسنانه ، ومن الذي  
ضرب ابن الزبيرى وادماه وكسر ثناياه ، ومن الذي لطح جباه القوم  
ووجوههم بالقرث والدم ، ومن الذي أهان المعبودات والآلهة ودعا الى الله  
وحده ، ومن الذي كان يترصد نفثات العسود وحركاته التأمرية فينقض  
عايها انقضاض الكوكب فلا يرجع حتى يفرقها ويبدها ، ومن الذي قدحى  
رسول الله وسانده حتى قال الناس « لا إله الا الله محمد رسول الله » :

فبشرف الحق والحقيقة أقسم أن بعض هذا من الزعيم الهاشمي هو  
اكبر محفز للقوم وانباء القوم ليثأروا للكرامة المهذورة والمقدسات المهانة ،  
ولكن لما لم يتسن لهم ذلك في حياته رضي الله عنه عمدوا إليه بعد وفاته ،  
حيث خللهم الجو وأمنوا العقوبة ، فلفقوا وزوروا ماشاءت لهم نفوسهم

واهو اؤهم وميوهم .

وما ادري اكانوا يشعرون بأن عملهم ذلك هو ليس الا الطعن بقداسة النبوة وصميم الرسالة ، الأمر الذي حتم علينا ان نخوض المعركة ونكشف النقاب عن الحقيقة المضامة ، والواقع المهتمم انتصاراً للحقيقة ومعاضدة للواقع ، وهما كل الغاية . والله من وراء القصد .

ولست ادري ولا المؤرخون انفسهم يدرون كيف استساغوا لعم النبي هذه النسبة ، وكيف بنوا عليها وعلقوا عليها ، والحال أن الكثير منهم هم الذين حدثونا وأثبتوا المثآت من الاعترافات والأقارير التي نددت بها شفتمنا عم الرسول صلى الله عليه وآله ، والتي قد انبثقت عن فمه رضي الله عنه :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط في اول الكتب

يا معشر قريش ، يا معشر بني هاشم أطبعوا مجداً وصدقوه تفلمحوا . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتفى بأدنى اشارة يستظهر منها الاسلام ويستشف منها قبول الدين ، وعلى ذلك مشت سيرة أولياء الأمور بعد الرسول ، فأبوسفيان في عرف اولئك هو المؤمن الحقيقي والمسلم الواقعي ، في حال أن ابن ابي الحديد وأمثاله هم الذين عرفونا حقيقة اسلام ابي سفيان وايمانه ، وهم الذين اوقفونا على ترده وتلكته في الشهادتين حين اخافه العباس من بأس الاسلام وشدة وطأته عام الفتح ، وجاء به وقد أردفه خلفه ، وبعد اخذ الرخصة لاجتماعه بالنبي حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارات الكره وعدم الاختيار بادبان على ملامحه ، وما إن نظر اليه النبي حتى أطرق براسه وكأنه لا يريد أن ينظره ، فطلب العباس منه أن يرفع اليه رأسه ويعرض عليه الاسلام ، فكرامة لعمه رفع اليه طرفه وقال : أما آن لك ان تسلم يا ابا سفيان ، فترعوي عن غيك وتثوب الى رشكك ، فتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ! فكان من

محققات اسلامه وتدينه لو كان هناك إله غير الله لكان اغنانا يوم بدر ،  
وأما الشهادة لك بالرسالة ففي النفس منها شيء .

قال ابن أبي الحديد : لما رأى العباس من أبي سفيان ذلك وكره  
بخاصرته وقال : قلها يا ويلك تسلم على نفسك وعرضك . فقالتا متلجلجاً  
متلثماً ، فقبلها منه رسول الله على علاتها ، وهكذا كان اسلام أبي سفيان .  
وقال ابن أبي الحديد : ثم إن العباس صحب اباسفيان يوم دخول  
النبي الى مكة ، فأوقفه في المضيق الذي تمر منه جنود الله وجيوش الاسلام  
وكتائب النبي الخيرة ليطلعه على العظمة الالهية والكرامة الملكوتية ومقام مجد  
العظيم ، فصارت تمر عليه الرايات وهو يستفهم العباس متعجباً مندهشاً ،  
فيقول : يا عباس لمن هذه الكتيبة ولمن هذه ؟ والعباس يقول : هذه كتيبة  
فلان ، وتلك كتيبة فلان . الى ان دنت منه كتيبة الرسول صلى الله عليه وآله  
تعالوا هيبة الله وتشع عليها انوار النبوة ، فقال ابوسفيان : لمن هذه  
يا ابا الفضل ؟ قال : هي كتيبة رسول الله ، فاذا به بكل صلافة ووقاحة  
يقول : لقد اصبح ملك ابن اخيك عقيماً يا عباس . . . الأمر الذي أهاج  
مشاعر العباس واغضبه فتأثر وحدة : إنها النبوة يا ويلك لا ام لك ،  
فاضطر الى القول مجاملا : نعم يا ابا الفضل انها النبوة ، انها النبوة .

ويحدثنا ابن أبي الحديد في بعض المناسبات عن تدين أبي سفيان  
وإسلامه حين مر على قبر الحمزة بن عبد المطاب ، فلم يمتلك أعصابه دون  
ان ركل القبر برجله وهو يقول : ايه ابا عمارة - او اجاس ابا عمارة - وانظر  
الى الملك الذي كنا نقتل عليه بالأمس لقد أصبح اليوم وهو كالكرة تتلاعب  
به ايدي صبياننا .

ولم يكفه ذلك حتى اعقب مقالته هذه بقوله هذا : فوالذي يحلف  
به ابوسفيان لا من جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب ، وإنما هو الملك .

كل هذا والكثير من امثاله يستعرضه المؤرخون ولم يحرك منهم ساكناً  
ابداً ولم يثرفيهم لا قليل ولا كثير من التردد في ايمانه ، كما لم يشكك منهم  
أحد في إسلامه ، كما لم يشككوا ولم يترددوا في إسلام معاوية في حال  
انهم هم الذين رووا أن معاوية قد تنكر للإسلام واستهان بمجرات المسلمين  
وكرامة الدين ، وانه كان يمتعض وينفعل عند سماعه ذكر النبي صلى الله  
عليه وآله في الأذان ، فرووا مقالته : ايه ابن ابي كبشة مارضيت لنفسك  
حتى قرنت إسمك مع اسم الله .

وروا أيضاً أنه خطب المسلمين عام الصلح في النخيلة ، فقال فيما  
قال : أيها الناس ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا  
واعلم انكم تفعلون ذلك ، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد اعطيت ذلك  
وانتم له كارهون .

كما رووا أنه قد ألحق زياداً بأبيه ابي سفيان ، والحال أنه مخالفة  
صريحة للنصوص الاسلامية الدالة على ما لا يقبل الشك من أن الولد للفراس  
وللعاهر الحجر .

وروا أيضاً أنه سب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وعمم السب  
الى كل قطر قد امتد اليه سلطانه وحكمه ، وهو يعلم يقيناً أن النبي صلى الله  
عليه وآله قال لعلي اكثر من مرة : « يا علي من سبك فقد سبني ، ومن  
سبني فقد سب الله ، ومن سب الله فقد كفر » .

وانه حارب علياً مع علمه بأنه امام زمانه وحجة الله في عصره ،  
وهو يعلم أن النبي قال له : « يا علي حربك حربي وسلمك سامي » . كما يعلم  
أن الخارج على امام زمانه كافر ومن اهل النار .

وروا أنه قتل المسلمين الأبرار مثل حجر بن عدي ، وكانت خاتمة  
اعماله الخيرة تولية ابنه يزيد امور المسلمين وزعامة الدين ، وتخليكه رقاب

الأمة بغير رضى منها . . .

كل ذلك وهو مؤمن مسلم ، يتحاشى من خلدشه ومن الاشارة الى مخازيه . أما يزيد بن معاوية الذي رووا عنه انه الخمير السكير اللاعب بالفهود والقروود ، والذي هدم الكعبة واباح المدينة للجند ثلاثة ايام ، وقتل الحسين ابن علي ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذي كان يردد :

لعبت هاشم بالملك فلا      خبر جاء ولا وحي نزل  
فهو من المسلمين الأتقياء ، لم يدن احد من التشكيك في ايمانه واسلامه ، بل لعله عندهم من امراء المؤمنين والخلفاء الراشدين . . . أما ابو طالب عم النبي العظيم وحاميه الذي قدملاً الدنيا جهاداً في سبيل الله وذباً عن رسول الله - الى غير ذلك من طرق النصرة والتأييد والتفاني والتسديد ، فهو قدمات كافرأ في عرف هؤلاء . فإننا لله وانا اليه راجعون .

أما ما ربما قيل او يقال : ما هي الأسباب وما الدوافع التي دعت البعض من المؤرخين الى أن يغضوا النظر أو يهملوا ما لعم النبي الكريم من المقامات الكثر وجلى الخدمات لله ورسوله ، ثم يرمونه بما يشينه من الموت على غير الايمان والدين ، في حال أنهم وغيرهم من المؤرخين قد احتفظوا بما لا يحصى من محققات تدينه وإيمانه ودلائل تصديقه بالنبوة وإقراره بالبعثة والرسالة ، فلماذا سكتوا عن هذا وعلقوا وبنوا على تلك !؟؟ .

أقول : هناك دواع ودوافع أدت الى ذلك ، يمكن أن نستنتج من مجموع الأحداث وما جريات الظروف وملابسات الأحوال ، مما يمكن حصرها في أمور ثلاثة :

أولاً - إن عم النبي العظيم قد وتر الأقربين والأباعد في الله ، وحطم الآلهة والزعماء في سبيل الحفاظ على رسول الله والانتصار لشريعته ، وبعضه كاف للنهوض والتحفز للثأر منه . وحيث لا يمكنهم ذلك في حياته صاروا إليه بعد

وفاته ، فالغيرة بن شعبة وأمثاله - ممن اطاح ابو طالب بمعنويتهم وكرامتهم كما لطح وجوههم وجباههم بالدم والفرث - هو المدبر الوحيد لهذه الفكرة كما هو مديرها ومروجها . ولعل التاريخ نفسه ربما يشير الى عداء المغيرة لبني هاشم ، ولا سيما لزعيم بني هاشم ابي طالب .

ولما كان لايسعه التظاهر في حياته حذر زعامته وسطوته عمد الى تسميم أفكار البسطاء من الناس وتشويش أفكارهم على أبي طالب من بعد مماته ، من انه رضي الله عنه ماانساق الى محمد عقائدياً ودينياً ، بل انما كان هو نتيجة للعاطفة أو من حيث التأثير الساحر . فوافقت هذه النفثات تجاوباً عند تلك الشرذمة من الناس : فعلقوا ووسعوا ، وأخيراً يموت أبو طالب على غير الإسلام .

وأما ثانياً - الحسد ، والحسد لايكاد يخفى ماله من الفعالية وما يبثني عليه من أسس تعود بالحاسد الى رجاء حيازة كل مالمحسود من كرامات وفضائل ان امكنه ذلك ، وإلا غير المجرى وقلب الحقائق وتكلم بما شاءت له احقاده وضغائنه ، والله در القائل :

ان يحسدوك على علاك فيأما متسافل الدرجات يحسد من علا  
ومما لاشك فيه أن أبا طالب هو ألمع شخصية واجل انسان في دنيا مكة وسماء العطاء والزعماء ، بالاضافة الى مايتمتع به من مؤهلات علمية وأدبية وثقافية وخلق انساني رفيع ، ثم سدانة الكعبة والقيام بشؤون الحجاج ، وما الى ذلك من الفضائل والمفاخر .

هذا ماكان عليه قبل الإسلام وقبل أن تشع أنوار النبوة على الكرة الأرضية ، أما بعد الإسلام فهو السباق لكل خير ، كما هو أول من لبى الدعوة الى الله ومحاربة كل ماهنالك من معبودات ومقدسات ، ثم التزام جانب رسول الله صلى الله عليه وآله بكل الملامزة من مفاهيم ومعان ،



آمن به وصدق بكل ماجاء به من ربه ، ثم حماه وفداه بنفسه ثم بولده وآله  
ثم بجميع مايملك . . وأي فضل وأي شرف أجل وأجمل من الجهاد في  
سبيل الله ثم الحفاظ على حياة رسول الله . وعلى الفضيلتين قد حصل عم النبي  
الكريم .

وعليه - والحالة هذه - فهو رضوان الله عليه أقرب الموارد الى أن يحسد  
على ما آتاه الله من السمو ورفيع المقام والدرجة ، فحسدوه أخيراً ونسبوا اليه  
مالاً يناسب مقامه العظيم .

وأما ثالثاً - فان أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد سلك جادة أبيه ،  
كما نهج منهجه وسار على ضوء سيرته ، فلازم رسول الله ملازمة منقطعة  
النظير ، فأزره وناصره ومشى في فلكه ، بل تعدى ما كان عليه ابوه : فحاض  
غمار الحرب ، وغاص في اوساط المعارك ، فبارز الأبطال ، ونازل الفرسان  
لايرهب السيوف ولا يهاب الألوف . وقد اشتهر عنه قوله البطولي العظيم  
« أما والله لو تظاهرت العجم والعرب على قتالي لما وليتهم ظهري وازا ابن  
ابي طالب » .

فهو قائد الرسول في كل حروبه ، وحامل لوائه في جميع غزواته ،  
كما قتل الطواغيت من خصوم النبي ومناوئيه مثل طلحة بن ابي طلحة ،  
وابطال بني عبد الدار ، والوليد بن عقبة خال معاوية ، وحنظلة بن  
ابي سفيان ، وعتبة وشيبة في وقعة بدر ، كما قتل عمرو بن عبدود في وقعة الخندق  
ومرحباً يوم خيبر - وهكذا حتى ظهر امر الله وعامت كلمته ، وحتى  
ساد الحق والعدل ، وولت دول الفساد وحكومات الظلم والجور ، وعادت  
حياة المسلمين هادئة هانئة ، وقد ساد عليها الاستقرار والاطمئنان .

وعند ذلك صارت التقاريف الالهية والمدائح النبوية تتوارد عليه :  
فمرة ينزل على رسول الله - كما في قصة الغدير - قوله تعالى « ياأيها الرسول

بلغ ما انزل اليك من ربك» من تخليف علي وجعاه أميراً للمسلمين من بعده ،  
وثانية يهتف جبرئيل بين السماء والأرض « لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى  
إلا علي » .

أما تقارير النبي واقواله في حق، فقد ملأت الخافقين ، وما من كتاب  
أو مؤلف انتحى منحى التراجم والتاريخ أو الأخبار والأحاديث إلا وكان  
لذكر الكبير منها المجال الواسع ، بل هناك مؤلفات خاصة ترجع الى مناقب  
علي وفضائله ، الأمر السذي أقص مضاجع الموتورين والحاقدين ، وأهاج  
حفاظ الخصوم والمنائين ، مما حداهم الى التنقيب من كوة أو ثغرة ينفذون  
منها الى انتقاص علي والإفراء عليه ، فلم يفلحوا وما وجدوا فعزوه الى  
الدعابة ، حتى قال قائلهم لابن عباس في حديث جرى فيه ذكره « أما  
والله لو ولي الناس علي بن ابي طالب لحملهم على المحجة البيضاء لولا دعابة  
فيه » . كما قالوا إن ابا طالب قد مات على غير الإيمان والإسلام ، محاولين  
من كلا النسبتين التقليل من أهمية علي وابيه في النفوس ومن معنيتيهما في  
التاريخ الإسلامي المجيد ، وعندئذ يفرح المبطلون .

\* \* \*

أقول : أما حديث الدعابة فهو امر متحل وحديث مفتعل لم يكن  
له في التاريخ الصحيح عين ولا أثر ، كما انه لم يعرف من مزاج  
امير المؤمنين علي بن ابي طالب التصدي للمزاج او التقرب من الفكهيات أو  
قصد الأندية التي تعتمد من أجلها في تلك الأدوار ، ولعل كل من خاض  
في صفاته ومزاياه وغاص في مآثره وقضاياه يعرف ذلك بوضوح ويقف  
على الحقيقة بأجلى مظاهرها ، كما يتحقق ما كان عليه في العهد النبوي الكريم وبعده :  
أما هو في عهد النبي صلى الله عليه وآله فيكفيه ملازمته له واحاطته  
إياه منذ نعومة اظفاره وطفولته ، لا يفارقه إلا في ظروف استثنائية ، ولا

ينفصل عنه إلا عند الضرورة ، حتى شب وراهق وخاض المعارك ودخل  
لهوات الحرب وتعين لبعوث النبي ومهامه . فأين الفرصة ياترى لأن يكون  
ذا دعابة وفكاهة ؟ .

وأما بعد النبي صلى الله عليه وآله فيكفيه مصابه برسول الله العظيم ،  
ثم فقد له لبضعة وريحانته الزهراء ؛ ثم بما جيء به من اجماع القوم على  
تأخيرته عن المقام الذي جعله الله ورسوله له ، واجتماعهم على قطيعته ومحاربتة  
ثم انشغاله بحروب الناكثين والقاسطين والمارقين الجمل وصفين والنهروان .  
ففى كانت تلازمه الدعابة ، أو اذ امرؤ تلعبه ؟ .

انا لأدري ولعل القائل نفسه لا يدري ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله  
العلي العظيم .

نعم هناك شيء واحد نص عليه التاريخ ؛ وهو الوحيد في بابه وكان  
بطله ومصدره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فروي انه اهدي الى  
النبي طبق فيه رطب أول نضوجه . فدعا علياً لمشاركته فيه ، فصاراً يأكلان  
سوية . إلا انه صار الرسول يضع نواه أمام علي ؛ وبعد الفراغ التفت  
رسول الله الى علي وقال : ما أكثر النوى أمامك يا علي ، الذي يظهر انك  
محب للتمر وراغب فيه ؟ فأجاب عليه السلام : بأبي انت وامى يا رسول  
الله المحب للتمر الأكل فيه من يأكله ونواه . فاستملح النبي الجواب  
واستأظفه وتبسم .

فتعطينا هذه البادرة ان النكتة أو اللطيفة ربما تصدر عن الأنبياء  
والعطاء ، كما صدرت فعلاً عن سيد النبيين وخاتم المرسلين محمد صلى الله  
عليه وآله مع ابن عمه علي بن ابي طالب . اذ لم يكن عروض النكتة  
الأدبية واللطيفة المستماحة ضائرة في عظمة العظيم ولا قادحاً في كرامة الانبياء ،  
فكيف ياترى تكون خصلة يعاب بها على الإمام فيما لو طرأت منه ، ام

كيف وقد ثبت صحيحاً عن النبي انه قال : المؤمن لا يكون عبوساً سيء الخلق ، أو المؤمن هس بش - الى غير ذلك من الأحاديث المؤدية الى لزوم كون المؤمن منشرحاً مرحاً يتحدث بنعم الله وفضله عليه .

أما قضية نسبة الممات على الكفر الى ابي طالب ، فربما قد لاقت بعض الرواج ولا سيما في عهد معاوية ، كما نمت وترعرعت في ايامه حيث قد وقف على كل من تاريخي ابيه وأبي طالب ، فرأى الثاني حافلاً بالجهاد والمفاخر وعظيم المكارم والمآثر ، ونظر الى الأول فرآه مليشاً بالمساويء والرذائل ، فأدعى قابه واقرح اجفانه ، فعمل ما في وسعه أن يعمل لإشاعة ممات ابي طالب على الكفر ، بعد أن أخضع للغرض نفسه مثل ابي هريرة من المذبذبين والوصوليين ، فأغدق عليهم الأموال المسياة للعباب ، كما مناهم الإمرة والولاية ، غرق ابو هريرة الى شحمة اذنيه في خدمة البلاط الأموي والتزلف الى معاوية ، وصار يحتاج الأحاديث ويفتعل الأقاويل على الرسول الأمين ، وقد بلغت من الكثرة بحيث قد فاقت حتى على محفوظات أزواج الرسول واقاربه الذين لا يفارقونه ليل نهار : مثل علي بن ابي طالب وعبد الله بن العباس . وكان أكثرها يهدف الى ذم علي وابيه وعمه العباس ابن عبد المطلب .

فن ذلك ما رواه عن عائشة انها قالت : كان عندي رسول الله إذ أقبل علينا العباس بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب ، فقال رسول الله : ألا من أراد ان ينظر الى رجلين من اهل النار فلينظر الى هذين المقبلين . ومما نسبه الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له : يا ابا هريرة اذا وقع احد جناحي الذبابة في اناء فاغطس الجناح الثاني واشربه ففي الجناح الأول داء وفي الثاني دواء .

أقول : من المستحيل صدور الحديث الأول من النبي في حق عمه

العظيم وابن عمه علي بن ابي طالب ، وهو العليم بما لهما من الأسبقية في الدين والقدم الراسخ في الإسلام . واذا كان العباس وعلي من اهل النار فهل الجنة لأبي هريرة ومعاوية وبطانتها الأئمة ؟  
ثم انا نحاشي عائشة أن تنسب ذلك الى رسول الله ، وهي التي اجابت على سؤال توجه اليها : مارأيتك في علي بن ابي طالب ؟ قالت : علي خير البشر ، ومن شك في ذلك فقد كفر . فكيف ياترى تروي عن النبي أنه من أهل النار ؟ !

وأما الحديث الثاني فهو كالأول من حيث استحالة صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هو لا يعقل أن يصدر عن أي عاقل فضلاً عن ان يصدر عن حكيم الحكماء وسيد الأنبياء الذي هو مستودع علم الله وخزانة أسراره ، اترى ان العقل البشري قد ادرك اضرار الذباب ومخلفاته القاتلة ومفاسده الفتاكة كما استشعر منه نقله للأمراض والجراثيم بفسه ودمه ، حتى خصص الحكماء والعقلاء المبالغ الطائفة لمكافحة وإبادته ، ومسلأوا الكتب بالنصائح والارشاد الى اعدامه ونسفه من حيز الوجود ، وخفي ذلك على رسول رب العالمين فقال لأبي هريرة مقال ؟؟ كلا والى كلاً ، الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم مع غض النظر عن نسبة الحديث وعن معطيته ، هو مجاف للذوق ومناف للطبائع الانسانية التي جاء الدين ملائماً لها وموافقاً في كافة المجالات والاعتبارات . وهل من المستذوق والمستحسن أن يعتمد الانسان الى ان يشرب الماء الذي يكون مجمعاً للذباب والحشرات والأفئدة والجراثيم ؟ اللهم الا ان يكون ابو هريرة قد استحسن ذلك ، كما استذوقه ووجد من نفسه المناعة الكافية ضد رواسب الذباب ومخلفاته ، فاخترت الرواية لتعم وتنتشر ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . فلتراجع الأضواء على السنة النبوية للشيخ محمود ابو رية .

وعليه فلا يستغرب من ابي هريرة ان ينسب الى ابي طالب الملمات على  
غير الإسلام .  
ويكني في تكذيب النسبة أيضاً مارواه ابن ابي الحديد والسبط ابن  
الجوزي في التذكرة من اعتكاف الرسول في بيته أياماً بعد وفاة ابي طالب  
يترحم على عمه ويستغفر له .

## ابو طالب في نظر النبي وعلي

أما رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبره الوالد الشفيق ، والعم الحنون المرئي ، والكفيل الذي كان موضع ثقته وأسراره ومحل آرائه واستشارته ، كما كان يعظمه ويحترمه ، وقدر له جهاده وجهوده ، وشكر له أعماله ومواقفه ، فاستغفر له وأكثر من الترحم عليه .

يحدثنا الشيخ يوسف بن قرغلي الحنفي صاحب تذكرة الخواص عن جده ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المولود في سنة خمسائة واحد وثمانين من الهجرة والمتوفى سنة ستمائة واربعة وخمسين يحدث عن عبد الباقي عن محمد الأنصاري عن ابي الحسن الجوهري عن ابي عمرو ومحمد بن العباس ابن حياته عن ابي الحسن أحمد بن معروف عن الحسن بن الفهم عن محمد ابن سعيد عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي عن معمر بن راشد عن محمد ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابيه عن علي بن ابي طالب أنه قال : لما توفي ابو طالب جئت الى النبي صلى الله عليه وآله ، فأخبرته بوفاته فبكى بكاءً شديداً حتى اخضلت كريمة المباركة ، ثم رفع اليه رأسه وقال : اذهب يا علي فغسله وكفنه ثم اعلمني غفره الله ورحمه . فقال العباس ابن عبد المطلب : انك لترجو له . فقال : نعم يا عم ، أي والله اني لأرجو له كل خير . وجعل رسول الله يستغفر له أياماً لا يخرج من البيت . ويحدثنا أحمد بن حنبل في مسنده ٩٩/١ عن حبة العرنبي أنه قال : رأيت علياً وقد ضحك من على المنبر ولم اره قد صدر منه قبل ذلك مثل

هذا . ثم قال : اني تذكرت قول ابي طالب وقد ظهر علينا وانا ورسول الله  
نصلي ببطن نخل كان خارج مكة . فقال يخاطب النبي : ما تصنعان يا بن  
اخي . فقلت : نصلي لربنا يا ابتاه . ثم دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله  
الى الاسلام ، فقال ما بالذي تقولانه او ما بالذي تصنعانه من بأس .  
أقول : ان قول ابي طالب هذا يدك يفهمه ومنطوقه على تصويب  
دعوة النبي وتصديقه ، ثم قبول نصحه وارشاده ، وإلا لأكثر من الرد وخلق  
المبررات للاعتذار .

وذكر صاحب التذكرة ايضاً بطريقه الى الواقدي عن ابن عباس  
أنه قال : عارض رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة عمه ابي طالب ،  
والألم والتوجع يلوحان على وجهه الكريم ، وهو يردد « وصلتك رحم ياعم ،  
وجزاك الله خيراً ياعم » حتى اذا أودع حضرته وقف عاينها رسول الله  
وقال : رحمك الله ياعم ، فقد آويت وكفلت صغيراً وعاضدت ووازر  
كبيراً ، فرحمك الله وجزاك الله جزاء المحسنين ، فوالله لأشفعن فيك شفاعة  
يعجب منها الثقلان .

ومن النعم الالهية على عم الرسول العظيم أن كان مورداً لعنايته تعالى ،  
كما صار مورداً للتعالم الاسلامية من قبل أن تنتشر ، وقد ثبت عن الرسول  
الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : اذا مات ابن آدم انقطع عمله  
الامن ثلاث : صدقة جارية ينتفع بها الناس ، او كتاب علم ينفع بما فيه  
من علم ، أو ولد صالح يذكر أباه بخير او يذكر بواسطته بخير .

وقد حصل ابو طالب على كل الأمور الثلاثة ، فقد ترك دار ضيافته  
وقفاً على الوفود والحجاج والمتنفعين من الضعفاء المسلمين ، كما خلف زمزم  
البئر التي تلقاها عن آبائه الميامين ، فأوقفها كصدقة جارية لإرواء الناس  
وسد حاجاتهم .



ولولم تكن كذلك لاستغلها اولاده في المصالح الزراعية والنفعية ،  
ولكانت تدر عليهم الخير الوفير والنعم الجمّة ، ولكنهم عرفوا عن أبيهم  
وقفيتهما للمصالح العامة ، فانصرفوا عن فوائدها وأعرضوا عنها ، ولم تزل  
باقية حتى يومنا هذا ، وقد يحمل الحجاج من مائتها للتبرك به والاستشفاء  
به ، كما ترك للأجيال الصاعدة ثروة أدبية وعلمية كبيرتين .

وهذا ديوانه وما سجلته له كتب الحديث من الخطب والنصائح الغر  
لأدل دليل على انه رضي الله عنه قد ترك كتاباً ينتفع به ، فديوانه مليء  
بالدعوة الى الله والإرشاد الى شريعة رسول الله ، ثم بيان محاسن الاسلام ،  
ثم بيان تمسكه بالدين وتضحيته في سبيله ، ثم توصيفه للرسول الأعظم ذلك  
التوصيف الرائع الراقي ، ثم حثه قريشاً وبنو هاشم على اقتفاء اثر الرسول  
وتصديقه في الدعوة - الى غير ذلك من التوجيه الديني والإيحاء العقائدي .

كما خلف اولاداً قلما ينبج الزمن لهم مثيلاً ونظيراً : مثل علي  
أمير المؤمنين وسيد الأولين والآخرين بعد النبي الأمين ، وجعفر الطيار القائد  
الاسلامي العظيم ثاني المصلين في الاسلام ، وعقيل بن ابي طالب السيد الجليل  
محبوب النبي وصفيه ، قاهر النفاق ومحطم الجابرة الطغاة .

ومما لاشك فيه أن مثل هؤلاء الأولاد كلهم خير للأب كما يذكرونه  
بخير ، ويذكر الأب بواسطتهم بخير ، ولاسيما امير المؤمنين عليه السلام ،  
فإنه كان اكثر اخوته برأ وخيراً لأبيه ، فانه طوال حياته لم يترك الترحم  
عليه والاستغفار له ، فكان يستنيب عنه وعن عبد الله والد رسول الله  
وأمنة والدته اشخاصاً يحجون عنهم ، واوصى ولده الحسن أن يقوم بذلك  
بعد وفاته ، كما كان عليه السلام يستشعر أن أباه العظيم هو الذي هداه الى  
الاسلام وعبد له الطريق لصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن  
محاربه للأوثان والاصنام زهاء الخمسين عاماً قوي على تكسيها وتحطيمها

عند امر النبي بذلك حين وافته الفرصة . فعلي يعتبر أن كل ما حصل عليه من مفاخر ومناقب فهو إنما كان ببركة أبيه ومن جهة فسح المجال أمامه للملازمة النبي والركون اليه .

هذا بالإضافة الى كرامة الأبوة وقداستها وفضلها ومكانتها ، لذا كان حزنه عليه عميقاً ووجده لا يكاد يوصف ، وقد رثاه بمرثيات كثيرة نذكر قطعة من بعضها على سبيل المثال :

ابا طالب عصمة المستجير      وغيث المحول ونور الظلم  
لقد هز ففدك أهل الحفاظ      فصلى عليك ولي النعم  
ولتسالك ربك رضوانه      فقد كنت للمصطفى خير عم

فيصور أباه بهذا التصوير الجميل ، التصوير البعيد عن المبالغة والغلو ، وحاشا مقامه الرفيع أن يقرب من طرق المبالغة او يدنو من سبيل الغلو ، وهو العايم بمقام أبيه الكبير في الأوساط المكية والعربية .

فأبو طالب في الحقيقة ونفس الأمر ربيع القلوب وغيث المحول وعصمة المستجير وكهف اللاجئين ، كما هو النور الذي يشرق على الأجواء الصاخبة والظلمات الخالكة ، فيبديد الظلام ويدك حصون الفقر بإشعاع نواله الخصل وبحر جوده الفضفاض .

ثم تعرض عليه السلام الى ما خلفه فقد أبيه العظيم من الألم والاستياء المضين في نفوس أهل النهى والحفاظ ، وخاصة في نفس زعيم أهل النهى والحفاظ الرسول الأمين ، ومن بعده المسلمون الذين صهرهم الاسلام وأنار نفوسهم وعقولهم الدين ، والذين عرفوا لأبي طالب كافل النبي وحاميه مقامه وجهاده وخدماته .

ثم صار عليه السلام الى رجاء الله تعالى أن يلطف بأبيه ، ويسعفه بعفوه ومرضاته وعطفه وغفرانه .

قال الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٣ تبعاً لابن هشام والحلي في سيرتها : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبر بوفاة عمه أبي طالب بكى واسترجع وعارض جنازته وهو يقول : وصلتك رحم ياعم ، وجزاك الله خيراً ياعم . وجعل رسول الله يستغفر له أياً ما لا يخرج من بيته .

وقال أيضاً « تنبيه » الكفر أربعة أنواع : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر نفاق ، وكفر عناد . أما كفر الإنكار فهو أن لا يعرف الله بالقلب ولا يعترف به باللسان ، وأما كفر الجحود فهو أن يعترف بالله بالقلب ولا يعترف به بلسانه ككفر إبليس : وأما كفر النفاق فهو أن يعترف بالله بأسانه دون قلبه ، وأما كفر العناد فهو أن يعترف بالله بقلبه ولسانه ولكن لا يظهر ذلك كما لا يكون منقاداً ومطيعاً بحسب الظاهر ككفر أبي طالب .

ثم ذكر الشبلنجي أبيات أبي طالب هذه :

ولقد علمت بأن دين محمد	من خير أديان البرية ديناً
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
لولا الملامة أو جزاري سبة	لوجدتني سمحاً بذاك مييناً

ثم قال الشبلنجي بعد عرضه الأبيات : واعلم أن جميع أنواع الكفر الأربعة سواء لا يغفر الله لأصحابها ، نعوذ بالله منها إذا ماتوا عليها .

أقول : ذهب اللغويون إلى أن تحت لفظة الكفر معان ومصاديق متكثرة : منها - الكفر ضد الإيمان بالله ، وهو نكرانه وجحوده .

ومنها - الكفر بالنعمة ، وهو عدم شكرانها ، والاستهانة بواجباتها .

ومنها - الكفر بمعنى الظلمة ، فيقال لليل « كافر » لكون ظلمته

تخفي الأشياء وتسترها .

ومنها - الكفر بمعنى التغطية : فيقال لكل شيء غطى شيئاً « فقد كفره » .

ومنها - الكفر بمعنى ستر البذر في الأرض ، فيقال للزارع « كافر »

لستره للبذر في جوف الأرض .

ومن هنا يظهر الغموض والتشويش في تقسيم الشبلنجي وعدم انسجامه مع مانص عليه أهل اللغة ، فاللغويون جعلوا الكفر بمعنى الجحود قسماً من الكفر ضد الإيمان لاقسماً له ، فالإنكار لوجود الله تعالى مرادف لجحوده . وعليه فكفر ابي طالب رضي الله عنه لم يكن كذلك باعتراف الشبلنجي نفسه . أما كونه من قبيل الكفر بالنعمة - بالاضافة الى انه لايريده قطعاً - فالحس والوجدان يشهدان لعن النبي العظيم انه لم يكفر بنعم الله عليه ، بل لعله على العكس ما وجد الا شاكرأ مقدراً لفضل الله وآلائه ، ولو أنه كان على خلاف ذلك لما واصلته النعمة ولازمته رحمة الله وكرامته حتى النفس الأخير من حياته . والمعروف أن كفران النعمة وعدم شكرانها يستلزم زوالها وفنائها .

نعم يمكن أن يكون كفر عم الرسول المزعوم محمولاً على المعاني المتبقية ، مثل كفر الليل وكفر الزارع وكفر مغطى الشيء ، إلا أن ذلك لايعطي المعنى الذي يحوم حوله الشبلنجي وأشيساخه ، فالذي لا يستر البذر والسذي لم يغط الشيء وان كان مصراً على الترك لا يكون مستحقاً دخول النار ، كما لا يكون من الكفار المستوجبين غضب الجبار وأليم عذاب الله ، حتى اذا توقفت ضرورات الحياة العامة على البذر والزرع وقلنا إن ذلك من فصيلة الواجبات النظامية الكفائية ، فالواحد لا يجب عليه تعييناً أن يقوم به ، بحيث اذا لم يتم يعد كافراً .

على أن عدم القيام بالواجب حتى العيني منه مالم يكن إنكاراً لضروري من ضرورات الإسلام لا يكون موجباً للكفر والجحود ، فغاية ما يمكن أن يثبت في حقه الفسق ، بالإضافة الى ان عدم التظاهر بالواجب وعدم وقوف الناس على اتيانه لا ينهض دليلاً على العصيان وعدم القيام به ، فلا

يكون هناك شيء غير مرضي أبداً حتى الفسق ، والحال كذلك تماماً بالنسبة الى ابي طالب .

ثم ان الأحكام الإسلامية لم تفرض ولم تشرع في عهده ، بل انها إنما فرضت ووجبت بعد الهجرة وبعد وفاة ابي طالب . نعم كل ما كان واجباً في حياته هو توحيد الله ثم الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالبعثة والرسالة ، وهناك ألف دليل ودليل على إيمانه بالله ونبي الشركاء عنه وتصديقه للنبي ومساندته ، وقد ثبت عنه رضي الله عنه قوله :

مليك الناس ليس له شريك      هو الجبار والمبدي المعيد  
ومن فوق السماء له بحق      ومن تحت السماء له عبيد  
وقوله :

لا تيأسن اذا ماضت من فرج      يأتي به الله في الروحان والدلج  
فما تجرع كاس الصبر معتم      بالله الا سقاه الله بالفرج  
على أن البيت الثالث قد استشف منه الشبلنجي ومن نحا منحاه كفر ابي طالب ، فغاية ما يفيد الكتمان للتدين والايان لظروف مقتضية ومناسبات خاصة ، وهو كل مفهومه ومنطوقه ، فراجع بامعان حيث يتحقق ما نقوله ، مضافاً الى ان البيت ملصق بالأبيات لا أنه منها ، تلك فكرة كثير من المؤرخين الأحرار كما هي الحق والمختار .

مضافاً الى أن نسبة الملمات على الكفر تستازم مخالفة الرسول والإمام علي للنصوص القرآنية الدالة على تحريم الإستغفار والترحم للكافرين والمشركين : فإما أن يقال لم تمر عليهما ولم يعلمها ، وإما أن يكون قد علمها وخبرها وخالفها مضمونها . وكل من التقديرين لا يمكن القول به والتزامه ، بل هو طعن بقداسة النبوة وشرف الإمامة .

وهل من الممكن أن الرسول ووصيه لم يقف على مثل قوله عز من

قائل : « لاتبجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباؤهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » ؟ !  
أو مثل قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله ومن يفعل ذلك فلايس من الله في شيء » ؟ .

والمفروض ان رواية استغفار النبي لعمة وترجمه عايه تكاد تكون اجماعية ، إذ لا بد وأن يكون أبو طالب مؤمناً مستكمل الإيمان ، وإلا نسبنا الى الرسول الأعظم وابن عمه علي إما الجهل بالقرآن وإما تعمد مخالفة نصوصه ، والعياذ بالله .

وعن فم أمير المؤمنين قد أخذ المؤرخون وفي الطليعة ابن ابي الحديد أنه قال : والله ماعبد ابي ابو طالب ولا جدي عبد المطب ولا هاشم بن عبد مناف وثناً ولا صنماً قط ، وإنما كانوا يصلون الى الكعبة على دين الخليل ابراهيم .

ويحدثنا السيد علي خان في درجاته الرفيعة وابن ابي الحديد في شرح النهج وابن هشام في السيرة أن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كان يخطب الناس في الكوفة إذ قام اليه رجل من الحاضرين فقال : انت بالمكان الرفيع السذي جعلك الله فيه وأبوك ابوطالب يعذب في النار ؟ فانتفض أمير المؤمنين انتفاضة الأسد المغضب وقال للرجل : صه يا هذا فض الله فاك ، فوالذي بعث محمداً بالحق لو شفع ابو طالب في كل مذنب لشفعه الله فيه ، ويليک يا هذا أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار ، والله إن نور أبي طالب ليطنيء أنوار الخلائق كلها يوم القيامة إلا نور رسول الله صلى الله عليه وآله ونوري ونور فاطمة والحسن والحسين ، والله مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا .

أقول : ولعمري إنها شهادة كريمة وعظيمة تصدر من ربيب رسول

الله ووصيه في حق أول مؤمن بالله ، وأول معترف بنبوة رسول الله ،  
وأول متفاني في سبيلهما هو ابو طالب ، وعلي هو سيد آل البيت الذين  
زههم القرآن الكريم عن كل شين حيث يقول : « إنما يريد الله ليذهب  
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

## ابو طالب في نظر آل البيت عليهم السلام

فهو عندهم المؤمن حقاً والموحد واقعاً علانية وجهرأ ، وهو عندهم المجاهد الوحيد والمكافح الأعظم ، والذي دافع وناضل دفاع ونضال المستميت في سبيل إعلاء كلمة الله وإرساء قواعد دين رسول الله ، ومحاربة كل معبود ومقدس يناهض الله او يقرب معه ، كما حامى رسول الله وعصمه عن الكفر والشرك وصدقه في دعواه وايدته في ديانته ، ولم يزل كذلك حتى توفاه الله فذهب الى روجه وريحانه حيث منازل الأنبياء والمرسلين ودرجات الأولياء والمقربين .

ذكر السيد صاحب الدرجات الرفيعة بطريقه الى ريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام أنه قال : حدثني ابي أمير المؤمنين عن ابيه ابي طالب أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله ذات يوم : بماذا قد بعثت يا بن أخي؟ فقال : يا عم بعثت بصلة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، ولا يعبد معه أحد . فقال : وانت يا محمد عندي الصادق الأمين .

لو وضعنا هذا الحديث على طاولة التشريح ومنضدة الفحص والتدقيق وجدناه يفيد أول ما يفيد الإقرار بالبعثة والايان برسالة النبي الذي لم يكن الاستفهام عنها ابدأ ، فكان امر النبوة مفروغ عنه وانه متحقق لامحالة ، بل كل الاستفهام والإستشعار إنما كان عن الشيء الذي بعث من اجله صلى الله عليه وآله ، لذا كان الجواب موافقاً للسؤال « بعثت بصلة الرحم وان يعبد



الله وحده » ، فكانت النتيجة أن قال : وانت عندي الصادق الأمين .  
ونقل السيد صاحب الدرجات بطريقه الى الامام السجاد زين العابدين  
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده علي عليه السلام  
انه قال : كنت جالساً في الرحبة والناس مجتمعون من حولى اذ قام الي رجل  
فقال : يا أمير المؤمنين انت في المكان الذي انزلك الله فيه وابوك يعذب في النار؟  
فقلت : صه يا هذا فض الله فاك ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لوشفع  
ابي في كل مذنب لشفعه الله فيه ، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار .  
وروى الحديث ايضاً الامام شمس الدين علي بن فخار بن معد الموسوي  
المتوفى سنة ستائة وثلاثين هجرية في مؤلفه الحجّة على الذاهب الى تكفير  
ابي طالب ، وقد رواه بطرق عديدة فليراجع الكتاب .

ومؤلف السيد هذا من اقدم الكتب واكثرها أهمية ، يحتوي على اكثر  
من أربعين حديثاً قوية الدلالة والسند تنطق باسان واحد وتعبر عن معنى  
واحد ، هو ايمان عم النبي العظيم وتدينه ، وكنموذج نذكر واحداً من تلك  
الأحاديث فأقول :

قال السيد الموسوي قدس سره : حدثني السيد النقيب ابو جعفر يحيى  
ابن زيد العلوي الحسيني البصري بمدينة السلام سنة ستائة واربعة بعد الهجرة ،  
قال اخبرني والذي محمد بن محمد بن محمد ابي زيد النقيب البصري ، قال اخبرني  
تاج الدين والشرف محمد بن محمد ابي الغنائم المعروف بابن السخطة العلوي  
الحسيني البصري ، قال اخبرني الشريف الامام ابو الحسن علي بن محمد  
الصوفي العمري النسابة ، قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن أحمد البصري  
عن ابي الحسن يحيى بن محمد المدني ، قال رأيت بالمدينة المنورة سنة ثمانين  
بعد الثلاثائة ، فأخبرني عن ابيه علي بن همام رضي الله عنه ، عن جعفر  
ابن الضراري ، عن عمران بن معافى ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم

ابن حميد، عن ابي بصير ، عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال : مات والله جدنا أبوطالب مؤمناً مسلماً .

وشعره في ديوانه يدل على ايمانه ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداته اعداء الله واعداء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم موالاته او ابياء الله واولياء رسول الله ، ثم تصديقه للرسول بكل ما جاء به من ربه ، ثم أمره لولده ان يسلموا ويؤمنوا بما يدعو اليه ، ثم وصفه لرسول الله صلى الله عليه وآله بأنه خير الخلق ، وانه يدعو الى الحق والمنهاج المستقيم ، وانه رسول رب العالمين ، فيثبت هذا القول في نفوس اولاده وقلوبهم حين دعاهم ، فيؤازروا رسول الله وما تلبثوا عما قرره .

\* \* \*

اقول : وكما لا اشكال فيه ولا شبهة تعتريه أن العظة من المتعظ تؤثر اثرها في النفوس وتأخذ مأخذها من مجامع القلوب ، فتستولي على المشاعر وتهيمن على الافكار ، فتنفذ إلى الأعماق : فتكون مقبولة شهية محبوبة تتجاوب مع الاحساس ، كما كانت موعظة ابي طالب لولده فإنها لما كانت خارجة من القلب ونابعة عن الصميم ومنبعثة عن الواقع أثرت اثراً فعالاً منقطع النظير في نفس علي وجعفر وعقيل ، فأصبحوا من المؤمنين الأقوياء الأشداء على اعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله .

وتحدث المجلسي في بحار الأنوار في الجزء التاسع منه فقال : لقد تواترت الأخبار عن الامام علي بن الحسين بن علي عليها السلام أنه قال رداً على سؤال قد وجه اليه هذا مضمون السؤال والجواب :

السائل : مولاي يا بن رسول الله جعلت فداك أهل كان جدك ابوطالب مؤمناً حقاً ؟

الامام : نعم يا هذا إنه كان والله مؤمناً مسلماً حقاً .

السائل : سيدي ان هنا قوماً يزعمون أنه مات كافرأ ؟  
الامام : واعجبا أيطعنون على ابي طالب ام على رسول الله ، أما علمت  
أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهاه الله عز وجل ان يقر مؤمنة تحت  
كافر في غير آية من القرآن الكريم ، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد  
- وهي من المؤمنات الصادقات - فانها لم تزل تحت ابي طالب الى ان توفي ،  
أما قرأت يا هذا قوله تعالى « ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .  
اقول : ولعمري ان استدلال الامام هذا على ايمان جده هو أقوى  
دليل واجل برهان ، يأكل جميع ما يأفكون .. وكيف لا يكون كذلك وقد  
صدر عن حفيد الرسول ووارث علمه ، وقد استنتجه وحصله من عملية جده  
رسول الله صلى الله عليه وآله مع ابنته زينب وزوجها ابي العاص ، حيث  
فرق بينهما وسحب ابنته منه لبقائه على الشرك وإيمان ابنة رسول الله ، فن  
سحبه هذه وابقائه تلك - اعني فاطمة بنت اسد تحت ابي طالب - يجزم  
بايمانه وتدينه ، والا لما ساغ للنبي ابقاء علاقة الزوجية بينها وتوثيق الروابط  
بينها وبينه .

ويحدثنا ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣١٢ بطريقه الى الإمام علي  
ابن الحسين عليه السلام أنه قال عند سؤال تقدم به اليه بعض المسلمين ،  
وكان حاصل السؤال : أصحيح يا مولاي ما ينسبه بعض الناس الى جدك  
ابي طالب من الموت على الشرك؟ فقال عليه السلام : واعجباً إن الله تعالى  
نهى رسوله أن يقر مؤمنة مسلمة تحت كافر وعلى نكاحه ، وقد كانت فاطمة  
بنت أسد من السابقات الى الاسلام ، ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات .  
وقال ابن ابي الحديد : ووجه عين السؤال الى الامام الباقر عليه السلام  
فأجاب : والله يا هذا لو وضع ايمان جدنا ابي طالب في كفة ميزان وايمان  
هذا الخلق في كفة لرجح ايمان ابي طالب على ايمان الخلق اجمعين ، ألم تعلموا

أن رسول الله كان يستغفر لعمه ويترحم عليه طيلة حياته ، وهل يعقل أن يستغفر لمشرك ؟ ألم تعلموا أن جدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يأمر بالحج عنه ، وأوصى ولديه الحسين بأن يحجوا عنه وعن والد رسول الله ووالدته ؟ ألم تعلموا أن علياً كان يكرر ان لإيمان أبي طالب رجحاناً ذاتياً على إيمان الناس أجمعين ، فإيمانه إيمان عالم عارف لإيمان تابع ومقلد ؟ !

ويحدثنا الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة والحموي في فرائد السمطين بطريقهما الى زيد بن المنذر عن الإمام الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : قال لي رسول الله يا علي خلقت أنا وأنت من نور واحد كان ذلك بين يدي الله عز وجل من قبل أن يخلق آدم بألني عام ، ولما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه ولم يزل ينقله الله من صلب الى صلب حتى أقره في صلب عبد المطالب ، ثم قسمه نصفين فصار قسم في صلب أبي عبد الله وصار القسم الثاني في صلب عمي أبي طالب ، فأنت مني وأنا منك ، لحملك لحمي ودمك دمي .

أقول : لقد اكثر المحدثون ذكر هذا الخبر ، ولعل كل من تعرض لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعرض له بطرق عديدة ، فيكاد يكون مجمعاً على صحته ووثاقه أسناده . وعليه فإن دل على شيء فإيما يدل بالصرحة على استحالة إبداع الله الحكيم نور اوليائه وصفوته وأحبابه في أصلاب المشركين كعبد المطالب وعبد الله والد رسول الله وأبي طالب بن عبد المطالب عم الرسول الكريم ، وعليه يتضح أن جد النبي صلى الله عليه وآله وأباه - ولا سيما عمه العظيم ، لأنه ادرك الإسلام وشاهد مفاخره ومآثره فتمجد به ودعا اليه وتقانى دونه ، فهو وهما من المؤمنين - فافهم واغتم .

ونقل صاحب البحار بسنده الى الصحابي الكريم أبي ذر الغفاري رضوان

الله عليه أنه كان يقول : لقد سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : خلقت انا وعلي بن أبي طالب من نور واحد ، كنا نسبح الله ونقدسه يمئة العرش من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، ولما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه وسكن الجنة ونحن في صلبه ، وركب نوح السفينة ونحن في صلبه ، وقذف ابراهيم خليل الله في النار ونحن في صلبه ، ولم يزل الله ينقلنا من أصلاب طاهرة الى أرحام طاهرة ، حتى انتهى بنا الى صلب عبد المطلب ، فقسم ذلك النور الى قسمين : فأودع قسماً منه في صلب أبي عبد الله ، وأودع القسم الثاني في صلب عمي أبي طالب . فجعل في النبوة والبركة وفي علي الإمامة والفروسية ، وشق لنا إسمين من اسمائه ، فذو العرش محمود وأنا مجد ، والله العلي الأعلى وهذا علي - وأشار صلى الله عليه وآله الى علي بن ابي طالب بيده الكريمة المقدسة .

هذا والحديث أكثر من نص على إيمان اسرة النبي ولحمته ، وتنزيههما من أرجاس الوثنية وأقذار الكفر وأوضار الشرك ، وإلا لاجتمع طهارة الأصلاب والأرحام مع عبادة الأوثان والأصنام التي هي من أعظم أنواع الرجس وأقذر ألوانه وصوره ، فلا بد إذآ - والحالة هذه - ان يكون آباء النبي العظيم موحدين متألّفين .

ذكر ابن شاذان في المناقب بسنده عن صفوان بن يحيى بن عاصم ابن حميد عن ابي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال : مات أبو طالب مؤمناً مسلماً . وشعره في ديوانه يدل على إيمانه وتدينه ، ثم محبته ونصرته للرسول صلى الله عليه وآله ، ثم معاداته لأعداء الله ورسوله وموالاة أوليائهما ، ثم تصديقه في كل قول جاء به عن ربه . ثم أمره لولديه علي وجعفر أن يسلموا ويؤمنوا بما يدعو اليه ، وقال لها فيما قال : إن مجدآ خير الخلق ، وانه يدعو الى الحق والصراط المستقيم .

وقال السيد الموسوي في الحجة على الذهاب ص ٨٤ : اخبرني الشيخ ابو عبد الله محمد بن ادريس في سنة ثلاث وتسعين بعد الخمسمائة ، قال اخبرني الشريف ابو الحسن العريضي ، قال اخبرني الحسين بن طحال المقدادي ، عن الشيخ ابي علي الحسن بن محمد الطوسي ، عن ابيه الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، عن رجاله ، عن ابي بصير ليث المرادي ، قال : قلت للامام الباقر عليه السلام : إن بعض الناس يقولون : إن جدك ابا طالب في ضحضاح من نار . فقال مغضباً : كذب والله اعداء الله ، إن ايمان جدنا ابي طالب لو وضع في كفة ميزان ووضع ايمان هذا الخلق في كفة لرجح ايمان ابي طالب على ايمان الخلق اجمعين . وكان والله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يأمر أن يحج عنه وعن اب رسول الله وأمه ، واوصى بالحج عنهم بعد وفاته .

وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ بطرقه الى الامام الصادق عليه السلام ، انه قد تقدم اليه بعض الناس بهذا السؤال : السائل : مولاي يا بن رسول الله جعلني الله فداك : أصحيح ما يزعمه البعض في جدك ابي طالب من أنه مات كافراً مشركاً ؟

الامام : كذب والله اعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله ، ما بهذا نزل جبرئيل على رسول الله عن الله عز وجل يشره بأنه قد حرم النار على صلب أنزله وبطن حمله وحجر كتله ، ومما لا يشك فيه أحد أن الحجر الذي كفله هو عمه ابو طالب . واعلم يا هذا أن مثل جدنا ابي طالب مثل اصحاب الكهف أسروا الإيمان فاتاهم الله أجرهم مرتين ، وان جدنا قدكم لإيمانه فأعطاه الله اجره مرتين .

قال ابن ابي الحديد والقاضي النقدي والسيد الموسوي في الحجة : إن الامام الصادق بنفسه قد ابتداء ذات يوم يونس بن نباتة - وهو أحد اصحابه ومخلصيه - :

الامام : ماذا يقول الناس يا بن نباتة في جدنا ابي طالب ؟  
يونس : يقول بعضهم انه في ضحضاح من نار يغلي منه مشاشه .  
الامام : كذب والله اعداء الله ، إن جدنا أبا طالب من رفقاء النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين في جنان الخلد ، وكيف يقال في حقه ذلك  
وهو القائل :

يا شاهد الله علي فاشهد ابي علي دين النبي احمد  
قال ابن ابي الحديد والموسوي والنقدي : وكان الامام الصادق يأمر  
اصحابه ومواليه ان يحفظوا شعر جده ابي طالب ويحفظوه ابناءهم .  
وكان عليه السلام يقول : إن الله تعالى يبعث جدنا أبا طالب يوم  
القيامة وعليه سياء الأنبياء وبهاء الملوك .

قال النقدي في المواهب وابن شاذان في المناقب والسيد الموسوي في  
الحجة والسيد علي خان في الدرجات : ان داود الرقي قال : دخلت على  
سيدي ومولاي ابن الباقر جعفر بن محمد عليه السلام فشكوت له من رجل  
تصعب علي ولم يفني مالي بدمته من دين مع حاجتي وإلحاحي . فقال عليه السلام :  
اذا مررت بمكة فظف بالبيت الحرام سبعة أشواط عن عبد المطلب جد  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، وطف كذلك عن ابوي النبي عبد الله وآمنة  
بنت وهب ، ثم عن ابي طالب عم رسول الله وحاميه ، ثم عن فاطمة بنت  
أسد مربية رسول الله وخادمته ، وصل لكل طواف ركعتين ، ثم اطلب  
من الله سبحانه أن يمكنك من غريمك ويرد عليك أموالك . ففعلت ما امرني  
به سيدي ومولاي ، وارتدت الخروج من البيت من باب الصفا فاذا أنا  
بصاحبي ينتظرني على الباب ، وبمجرد أن رأني بشرفي وجهي وقال : ياداود  
هلم معي تسلم دينك واقبض حقلك . فتبعته الى الدار فتسلمت اموالي ، وكان  
ذلك ببركة توسلي الى الله تعالى بأب النبي وأمه وجده وعمه سلام الله عليهم اجمعين .

## ابو طالب في نظر الامام الكاظم

وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، وها هو يتحدث للجواهر الاسلامية والأجيال المتعاقبة ، فيحكي لهم مآثر جده العظيم ، وما يعرفه عنه من إيمان صادق واخلاص لله ورسوله ، وذلك على أثر سؤال وجهه اليه بعض الناس ، وهذا نص السؤال والجواب :

السائل : مولاي يابن رسول الله جعلت فداك ، ما حال جدك ابي طالب بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله ؟

الامام : اعلم يا داود أن جدنا ابا طالب كان قبل البعثة ينتظر رسالة رسول الله وايام نبوته ، حتى اذا تحقق له ذلك آمن به واقر بكل ما جاء به من ربه ، كما دفع اليه وصايا الأنبياء السالفين من آبائه ، الوصايا التي انتقلت اليه بطريق الوراثة ، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل :

قل لمن كان من كنانة بالعز      وأهل الندى وأهل المعالي  
قد أتاكم من المليك رسول      فاقبلوه بصالح الأعمال  
وانصروا أحداً فإن من الله      رداء عليه غير مدال

يا داود لو لم يكن ابو طالب مؤمناً بالنبى لما كان مندفعاً نحو رسول الله ذاك الاندفاع الغريب ، الاندفاع الذي قلَّ أن يصادف لأي مؤمن او مسلم نظيره ، حتى تحمل مرارة الاعتقال والإقامة الجبرية مدة ثلاث سنين ، وحتى استمات في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل الحفاظ على حياة رسول الله زهاء الخمسين عاماً .



وهل رأيت يا داود او سمعت أن انساناً يدين بدين قد تمكن منه قلبه  
وعاش عليه مدة من الزمن ، ومع احتفاظه به يدعو الى دين آخر يقاومه  
ويناهضه بل يقلعه من الاساس ويزيفه ؟  
وابو طالب يا داود لا يخاف محمداً ولا يرهبه ، بل النبي يحتاجه وينتدبه  
في كثير من الحالات والمجالات ، وعليه لا بد وأن يكون اندفاع جدنا ابي طالب  
اندفاع ايمان وتصديق بالنبوة ، لذا آوى وحامى وجاهد وكافح ، فلا تعنتي  
يا داود بالأقاويل المغرضة والتهويلات المبالغية .  
فالله بالمرصاد لكل باغ وظالم ، فلا تكن تقابل رسول الله يو القيامة  
وانت قدمست عمه ومرييه وآذيته ، ولقد ثبت عن جدنا رسول الله صلى الله  
عليه وآله انه قال : من آذى أهل بيتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى  
الله ، ومن آذى الله فقد دخل النار .

## أبو طالب في نظر الامام الرضا

والرضا هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام .

قال السيد علي خان الحسيني في درجاته الرفيعة وابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج والسيد الموسوي في الحجة وابن شاذان في المناقب : - إن ابان بن محمود - وهو من أصحاب الإمام الرضا كما هو من المؤمنين الصلحاء الذين قد درسوا وتثقفوا على يد الإمام عليه السلام حتى أصبح داعية للدين ومرشداً قديراً للإسلام . . . كتب هذا الرجل الى الإمام يستفهمه عن همسات ربما يسمعهها في بعض الأندية ؛ فكان نص السؤال :

مولاي يا بن رسول الله جعلت فداك ؛ إني شككت في ايمان جدك أبي طالب ، فتداركني يامولاي وإلا ضللت وهلكت ، انقذني ياسيدي وإلا خسرت وهويت .

وبعد أن وصل الكتاب كتب الإمام اليه الجواب ؛ وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . ياابان وانك ان لم تقر بإيمان ابي طالب يكون مصيرك الى النار لامحالة . والسلام .

\* \* \*

ذكر المفسرون ومنهم صاحب مجمع البيان والسيد عبد الله شبر في تفسيره والزمخشري في كشافه في تفسير الآية المباركة أن من يشاقق الرسول ويعانده فيما يأمر وينهى وبصر على المخالفة ويتنكب صراطه المستقيم ويتخذ غير جادته القويمة فهو ليس من الله والرسول بشيء، كما وهو خارج على حدود النبوة، بل هو من شهر السيف في وجه توحيد الله وفي وجه رسوله صلى الله عليه وآله .

ولا سيما إذا كانت المعاندة والمخالفة ناشئة عن سبق الإصرار ، وبعد تبين الهدى والتعرف على الحق الجلي المتمثلين بتوحيد الله عز وجل والتمسك بالإسلام العظيم اللذين هما المحور والحجر الأساس لدعوة الرسول وبعثته ، كما وهما السبيل الذي سلكه المؤمنون والطريق الذي سار عليه المسامون الأوفياء . أما وجه استدلال الإمام عليه السلام بالآية فحاصله : إن التعرض لأبي طالب والمس بكرامته والنيل من قداسته ومقامه الرفيع هو عين المعاندة للرسول والمخالفة المكشوفة له صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف لا يكون الحال كذلك وقد ثبت عنه أنه كان كثير الذكر لعمه كثير الترحم عليه والإستغفار له ، وعلى ذلك سار المسامون والمؤمنون . وعليه فمن يتبغي غير ذلك في عم الرسول وحاميه فهو مجاف ومخالف ، كما هو مشاقق ومعاند للرسول صلى الله عليه وآله ، بل معاند لله وللمسلمين .

ولم يكتف الإمام عليه السلام بالآية جواباً على الكتاب ، بل ذيلها بقوله : « وانك يا اباان ان لم تقر بإيمان ابي طالب كان مصيرك الى النار » ، نظراً الى أنه ربما تفوت على السائل خصوصيات الاستدلال .

ونقل السيد صاحب الدرجات والسيد الموسوي في الحجة والقاضي النقدي في المواهب بطريقهم الى الإمام الرضا عليه السلام أنه كان يقول : كان نقش خاتم جدنا ابي طالب « رضيت بالله رباً ، وبمحمد نبياً ،

وبعلي إماماً » .

وقال ابن أبي الحديد والسيد في الحجة : وكتب عبد العظيم بن عبد الله العاوي الحسيني الى الإمام الرضا ، فكان نص الكتاب : عرفني يا بن رسول الله عن الخبر المروي المفيد بأن ابا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فكتب عليه السلام الجواب ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإنك ان شككت في إيمان ابي طالب فتبوأ مقعدك من النار . ونقل السيد في الحجة والنقدي في مواهبه والسيد علي خان في الدرجات وابن شهر آشوب في المناقب وصاحب البحار بطريقهم الى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آباءه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :

أوحى الله تعالى لي : أن يا محمد اني قد أبدتك بشيعتين : شيعة تنصرك علانية وجهرأ ، وشيعة تنصرك سرأ وخفية . أما الشيعة التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم علي بن ابي طالب ، وأما الشيعة التي تنصرك خفية وسرأ فسيدهم وأفضلهم ابو طالب . كما أوحى الله لي بعد موت عمي ابي طالب : أن يا محمد أخرج من مكة فإلك بها من ناصر بعد أبي طالب .

## ابو طالب في نظر ابن عباس

وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما وهو ابن عم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وهو تلميذ رسول الله كما هو تلميذ علي عليه السلام ، واختص به بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى اصبح من حواريه ومواليه .

ومن جراء ملازمته ، واتصاله حصل على مراتب من العلم ودرجات من المعرفة ، فتفوق وامتاز على غيره : وأصبح من الرواة الفذة والمحدث الصادق عند المسلمين كافة ، لأبِعَارَضٍ في حديث ولا يناقش في رواية ، وحصل على لقب حبر الأمة .

يحدثنا الشيخ الصدوق في أماليه بطريقه الى ابي حزة الثمالي عن عكرمة عن عبد الله هذا عن ابيه العباس بن عبد المطلب أنه قال : كنت ذات يوم في ندوة القوم - والندوة ذلك اليوم هو البيت الحرام ، وكانت الندوة تظم جماعة من الأبطال والزعماء العربية المناوئة لرسول الله وابي طالب - وكان الحديث كل محوره ابو طالب وقصة دفاعه عن النبي وملازمته إياه ، فغرب الحديث وشرق ، وعزاه بعضهم الى أنه ما آمن بمحمد قلباً ، وأنه مات على دين الأشياخ دين الوثنية والأصنام ، فعند ذلك رأيت أن لامقام للسكوت ، وما رأيت إلا أن أوقف القوم عند حدهم : كما أوقفهم على حقيقة ابي طالب وواقعه ، قلت : اسمعوا يا قوم واعلموا أن أخي اباطالب

والله لقد شهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، كما أنه كان يعتقد بأن محمداً أرسله الله وابتعثه ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .  
 فعند ذلك احجم القوم وسكتوا ، وما كان يمكنهم إلا ذلك .  
 وعن ابن عباس عن ابيه ايضاً أنه قال في بعض المناسبات : والله ما مات ابوطالب حتى اعطى رسول الله من نفسه الرضا ، أما والله لقد شهد عند الموت أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله .  
 الى كثير من هذا النوع مما تركناه رعاية للاختصار .

\* \* \*

اقول : ربما يستشف من الحديث الأخير كون الشهادتين قد صدرتا عند الموت فقط ، وانها كل ما نددت به شفقتا الزعيم ابني طالب ، بل انما كان ذلك حيث طلب العباس من أخيه في تلك الساعة الرهيبية أن تكون خاتمة كلامه ونهاية حديثه هي الشهادة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة . .  
 والطلب لم يكن من مخترعات العباس ومبتكراته ، بل هو إحياء من الرسول صلى الله عليه وآله ليلقنه ابا طالب ، لتكون آخر دعواه كأولها أن الحمد لله رب العالمين ، ولتكون سنة باقية على مر العصور وكر الدهور والأجيال المتعاقبة ، لأن الإنسان في ذلك الحال وفي تلك الساعة الحرجة - ساعة فراق الأحبة ، ساعة فراق الدنيا - ربما ينشغل بنفسه عن كل شيء وراء ذلك ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله من إحيائه الى عمه العباس بأن يلحق أخاه ابا طالب ويذكره بأول سؤال يسأله عند إنزاله القبر ، ليلهج به ويجدد العهد به حتى يكون على بصيرة منه وليجيب عند السؤال ، وإلا ليس هو أول اعتراف وأخير لإقرار ، بل هو يتبع سلسلة غير منتهية من الاعترافات والأقارير سجلتها الكتب ولا كتبها الألسن .

والعباس نفسه هو ممن يشهد له بما نقول ، ومن ذلك ما رواه السيد

الموسوي في الحجّة والنقدي في المواهب والسيد علي خان في الدرجات وابن  
ابي الحديد في شرح النهج بطريقهم الى احمد الرقي عن خالف بن حماد  
الأسدي عن الاعمش عن عبابة بن ربعي عن عبد الله بن عباس عن العباس  
ابن عبد المطلب أنه قال :

قال اخي ابو طالب لابن اخيه محمد بمحضر جماعة من العرب وقريش :  
يا بن اخي الله ارسلك ؟

قال محمد : نعم يا عم ، الله ارسلني وبعثني نبياً لأنذر الناس وابشرهم  
برحمة الله .

فقال ابو طالب : إن للأنبياء معاجز وخوارق للعادة يتعذر على عادي  
الناس الاتيان بالمماثل والنظائر .

فقال صلى الله عليه وآله : نعم يا عم كان الأمر كما تقول .

فقال ابو طالب : أرنا آية نبوتك ورسالتك يا بن اخي .

قال محمد : اطلب يا عم الشيء الذي تريده .

قال : ادع لنا تلك الشجرة لتأتيك .

قال النبي : قم يا عم ادعها عني وقل لها « يقول لك محمد أقبلني الي » .

فقام ابو طالب ففعل كما امره النبي ، واذأً بالشجرة وقد انقلعت من

جذورها وأقبلت نحو النبي حتى وقفت بين يديه ونطقت باذن الله قائلة :

السلام عليك يا رسول الله .

فالتفت ابو طالب وقال : قل لها يا بن اخي فلترجع من حيث اتت

والي مكانها الذي انحدرت منه . فأمرها محمد أن تنصرف الى مكانها

فانصرفت . فعندها قال ابو طالب : اشهد انك صادق صديق يا محمد . ثم

التفت الى علي ابنه وقال : يا علي الزم جانب ابن عمك ، فانه لا يدلك

الا على خير ، ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

أقول : والذي يظهر من ماجريات الحديث وخصوصياته أنه كان في أوائل البعثة وفي مبتدأ أيام الدعوة ، وليس الغرض من الطلب هذا إلا لإيقاف الناس وإفهامهم بأن محمداً يدعي النبوة ومدعيها كذلك لا بد وأن يقرون دعواه بالكرامة والمعجزة ، وفعلاً جاء محمد بخارق العادة والمعجزة فأمن بها من آمن وكفر بها من كفر ، ومن كفر فلن يضر الله شيئاً ، ومن كفر فعليه كفره وان الله غني عن العالمين .

ويحدثنا القاضي النقدي في المواهب بطريقه الى الصحابي أبي ذر الغفاري - رحمه الله - أبي ذر الذي قال في حقه رسول الله العظيم « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء بأصدق ذي لهجة من أبي ذر » - نعم ابو ذر هذا قال : كنت في مجلس من مجالس قريش ابان دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتعرضوا للاساءة بأبي طالب والنيل من كرامته ، فلم يسعني الا أن قلت : ما اعلمه عن حاله وما اعرفه من خدماته : فقلت : والله الذي لا إله إلا هو ما مات ابو طالب إلا مؤمناً مسلماً كامل الاسلام والايمان ، ابتغى بذلك نصرة الحق ، لأنني علمت أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، وإني رأيت رسول الله وممته يترحم على عمه ويستغفر له وتلك طريقته مع المؤمنين والمسلمين .

وذكر الفضل بن شاذان والنقدي في المواهب بطريقهما عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي عن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني عن أبي القاسم ميمون بن حمزة الحسيني عن مزاحم بن عبد الواحد البصري عن أبي بكر عبد العزيز بن عبد الرحمان عن العباس بن علي البصري عن جعفر بن عبد الواحد بن جعفر عن العباس بن الفضل عن اسحاق بن عيسى بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن المهاجر مولى نوفل اليماني عن أبي رافع خادم رسول الله صلى الله عليه وآله قال : سمعت ابا طالب يقول :



حدثني ابن اخي محمد ان الله عز وجل بعثه بصلوة الرحم وان يعبد الله وحده ولا يشرك به احد ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

أقول : لم ينفرد بالرواية هذه ابن شاذان والتقدي فحسب ، بل رواها جمع كثير من المؤرخين كابن حجر في الاصابة ٤ / ١١٦ وزيني دحلان في اسنى المطالب والشيخ ابراهيم الحنيلي في نهاية الطلب ، الا أن الرواية كانت بهذه الصورة عن عروة الثقفي عن ابي طالب انه قال : حدثني ابن اخي محمد أن الله سبحانه أرسله بصلوة الرحم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وكان يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

وذكر الأميني في غديره ٧ / ٣٨١ عن الامام احمد بن الحسين الموصلي الحنفي الشهير بابن وحشي في شرحه على كتاب شهاب الأخبار تأليف العلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة اربعمائة وخمسين هجرية انه قال : بغض أبي طالب كفر وجريمة لا تغتفر ، كما نص على ذلك العلامة التفتوني والشيخ علي الأجهوري في فتاواه والتلمساني في حاشيته على كتاب الشفاء مع اضافة « وان ابا طالب لا ينبغي أن يذكر الانخير والا بحمايته للنبي ومؤازرته له ونصرته اياه بقوله وفعله ، وفي ذكره بمكروه ايداء للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومؤذي النبي كافر يجب قتله ، وقد نهى الله تعالى في غير آية من القرآن عن ايداء النبي ، وفي بغض أبي طالب ايداء للنبي ومؤذي النبي كافر » .

وقال ابو طاهر : إن حب ابي طالب ايمان ، وبغضه كفر ونفاق ، لانه ايداء للرسول صلى الله عليه وسلم ، وايدأؤه كفر ونفاق .

## ابو طالب في نظر المأمون

قال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ٣/ ٢١٣ : وكان المأمون معجباً بإيمان أبي طالب الذي يحكيه شعره ونثره ، وكان كثيراً ما يردد هذه الأبيات ويكررها :

نصرت الرسول رسول الاله      ببض تالأأ كلمع البروق  
اذب واحمي رسول الاله      حماية عم عليه شقيق  
وما إن دب لأعدائه      ديب البكار حذار الفنيق  
ولكن اذير لهم سامياً      كما زار ليث بغيل مضيق  
قال ابن ابي الحديد : قال المأمون بعد ترداده للآبيات : لقد أسلم والله ابو طالب بأبياته هذه .

يظهر من هذه الحادثة ان المأمون لم يكن على احاطة تامة ووقوف شامل على ما صدر عن عم النبي العظيم ، الدال بصراحة اكثر مما استشفه من الأبيات التي كانت قد أعجبتة والتي قد استظهر منها اسلامه وايمانه ، مثل قوله :

ولقد علمت بأن دين محمد      من خير أديان البرية ديننا  
وقوله أيضاً :

أنت النبي محمد      قمر اغر مسود  
لمسودين اكارم      طابوا وطاب المولد

وقال ابن أبي الحديد : لقد صح عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه كان منصهراً ببיתי زهير بن أبي سلمى ، وكان يحفظهما ويرددهما كثيراً ويعجبه أن يقرأ أمامه ، والبيتان هما :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما تكتنم الله يعلم  
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينقم  
وقال ابن أبي الحديد : قال عمر : ما رأيت جاهلياً أعلم بالحكم من  
زهير بن أبي سلمى ، ولو قلت إن شعره هو شعر مؤمن يدخل الجنة  
لإقراره بالبعث والنشور لقلت حقاً ولكنك صادقاً غير مبالغ .

ونحن نقول : اذا كان الخليفة عمر قد استشف من بيتي زهير ايمانه  
بالله واعتقاده بالبعث فحكم بأنه من المؤمنين ومن أهل الجنة في حال أنه  
لم يدرك الإسلام او ادرك ولم يؤمن بالنبي ، اذا فما بال اقوام لا يقتدون به  
ويسرون على ضوء استفادته واستنتاجه بالنسبة الى عم النبي العظيم أبي طالب  
فيستظفرون من شعره ونثره وخدماته ودفاعه ومحاماته وجهاده في سبيل الله  
ولإعلاء كلمته وحفظه لرسول الله وتفاديه اياه بالنفس والأولاد ، ثم يفكروا  
في أقواله مثل :

ملك الناس ليس له شريك هو الجباز والمبدي المعيد  
ومثل قوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كوسى خط في أول الكتب  
فبإلله عليك ايها القارئ الكريم ألم يكن هذا من عم الرسول أجلى  
وضوحاً وأقوى اعترافاً بالله وبالمعاد وبالنبي من قول زهير بن أبي سلمى ؟؟  
قال الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء وابو الفرج الاصفهاني وصاحب  
نهاية الطلب عن العروة الوثقى عن أبي رافع خادم رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم انه قال : سمعت أبا طالب يقول : حدثني ابن أخي محمد بن عبد الله

- وكان والله صادقاً - إن الله عز وجل قد بعثه بصلوة الرحم واقام الصلاة  
وايتاء الزكاة ، كما كان يقول اشكر الله ترزق ولا تكفر تعذب .  
وهذا وكثير من هذا القبيل يذكره المؤرخون وينص عاينه المحدثون ،  
وكأنه لم يكن ومعه يموت كافراً وهو في ضحضاح من نار ، فلا حول  
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وانا لله وان اليه راجعون .

## ابو طالب في نظر ابي لهب

وابو لهب هذا هو ابن عبد المطاب واخ لأبي طالب من ابيه فقط ، لأن أبا طالب لم يكن له شقيق في أكثر الروايات إلا عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد كان ابو لهب قبل أن يدعي الرسول بالبعثة ويعلن الرسالة والنبوة خاضعاً خاشعاً لزعامه أخيه أبي طالب ، يأتمر بأمره وينزجر بزواجه ، يقف الى جنبه وينادي باسمه اذا اقتضت الظروف الشاكسة . ولكن بعد الدعوة ، وتظاهر النبي بالبعثة ، وانحياز أبي طالب الى جانب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحميه ويقول بقوله ويذب عنه ، انصرف ابو لهب بكله الى الجبهة المعارضة ، كما انحاز تماماً الى الكتلة المشركة ، وصار يعمل معها ليل نهار على إخماد صوت أبي طالب ثم شل حركة محمد .

وليس خروج ابي لهب هذا على ما عاينه اخوته وذووه من العناد والإصرار على المقاومة الفاسدة . . . أول خروج على الحق ظهر على مسرح الدنيا ، بل هناك من الأشباه والنظائر كثير ، وكثير وليس غريباً أن يخرج الخبيث من الطيب ، كما اتفق ذلك بالنسبة الى نوح النبي وولده وآدم وولده .

وعلى أي حال تجاهل ابو لهب كل القيم الانسانية ، وتعمى عن الحق الصراح ، وتجاهر بالأذى والعداء لأبي طالب أخيه ثم لابن اخيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان هو اشد واكثر أثراً على النبي وعمه الزعيم من

الزمرة المشركة الكافرة ، حتى انزل الله فيه سورة كامامة من القرآن الكريم  
« تبت يدا أبي لهب وتب » ما أغنى عنه ماله وما كسب » سيصلى ناراً ذات  
لهب » وامرأته حمالة الحطب » في جيدها حبل من مسد » .  
وعلى هذا الأساس اجتمع بنو هاشم ، فأجمعوا على رفضه واسقاطه  
عن قائمتهم بأرشاد من أبي طالب وتحريك منه ، لا لشيء سوى انصرافه  
عما هم عليه من دين محمد وشريعته المحيطة ومظاهرتة للمعارضين من  
المشركين .

ومع هذا كله قد تأخذه حمية النسب ووشائج القرى ، ومن أجلها  
فقط قد يغضب أحياناً على القوم ، فيثار لأبي طالب ويمنع الكفر عن بعض  
المحاولات المعادية .

وقد تقدم منا بيان بعض المواقف من هذا النوع ، فنكتفي به فراجع .

## ابو طالب واجتماع آل البيت على ايمانه

وآل البيت هم الأئمة الطيبون والسادة الأطائب المكرمون ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .  
« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

( القرآن الكريم )

« إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، أحدهما أكبر من الآخر ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا ، فانظروا كيف تختلفوني فيها » .

« مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى » .

« مثل أهل بيتي فيكم كالنجوم ، فالنجوم أمان لأهل السماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون » .

( محمد رسول الله )

ومما لا يرتاب فيه أحد ان المقصود من آل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام .

ذكر الطبرسي في مجمع البيان والزنجشيري في الكشاف والسيوطي في الدر المنثور انه سئل رسول الله عند نزول آيتي التطهير والمودة من هم آل البيت

المعنيون في الآيتين ؟ قال صلى الله عليه وآله : هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين ، وهم علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا والجواد محمد وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد المهدي الذي سيظهره الله عز وجل فيما له به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، فهم أولاء آل البيت ، وهم خيرته وصفوته ، كما وهم خزان علم الله وحججه ، وأوصياء رسول الله وخلفائه على امته ، بهم فتح الله ، وبهم يختم ، وبهم ينزل الغيث ، وبهم يكشف الضر ، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض ، وبهم يدفع البلاء وتستدر الرحمة الإلهية .

قال ابن كثير في جامع الأصول في ترجمة عم الرسول أبي طالب في حديث طويل : وقد اجمع آل البيت على إيمان أبي طالب ، واجماعهم حجة عند المسلمين كافة .

أقول : إن اجماع آل البيت مما لا اشكال في تحققه ، كما لا يكاد يخفى على كل مستقرىء متبع ، فهم قد أجمعوا بلا استثناء على إيمان جدهم الأعلى الزعيم أبي طائب ، وتبعتهم على ذلك ذرياتهم لحد الآن والى يوم القيامة ، فهو غير قابل للمناقشة والخذشة عندهم ابداً ، بل هو عندهم أمر مفروغ عنه ، وانه من قبيل لإرسال المسامات .

وكيف يكون معرضاً للنقاش والجدل وقد علم أن مصدره وباني اسسه هو رسول الله صلى الله عليه وآله : « رحمك الله يا عم ، فوالله لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان » .



## ابو طالب في نظر أئمة الزيدية

والزيدية هؤلاء هم طائفة من طوائف المساميين ، لها وزنها وأهميتها في الأوساط الاسلامية ، كما هم يشكلون عدداً هائلا من حيث الوفرة والكثرة ، ولعل البلدان الاسلامية المترامية الأطراف قلّ أن لا يوجد فيها من الزيدية . نعم يقطن كثير منهم في اليمن العربي .

أما تسميتهم بالزيدية فنظراً إلى اعتقادهم بامامة زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ومن زيد تنتقل الإمامة في نظرهم الى كل من نهض بالسيف وقاوم الظلم والطغيان وجاهد الكفار وثار على الحكام الجائرين المتمردين ، بشرط أن يكون من ولد علي وفاطمة . ولعل هذه العقيدة لا تزال موجودة حتى هذه العصور القريبة .

أما انهم يلحقون بالامامية بحيث يعدون منهم فلا ، لأن الامامية ترى : أولاً وقبل كل شيء أن الزيدية هم طائفة من طوائف المسلمين وفرقة من فرقهم ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وثانياً أن الامامية لا يقولون بامامة شخص مهما كانت عظمتة ومؤهلاته ، ومهما كان نسبه ومميزاته ، إلا من قامت على زعامته وخلافته الأدلة القطعية المعلومة الصدور عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما قامت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ذريته ، أما غير هؤلاء من السادة الأماثل من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله فهم سادة كرام موقرون محترهون لانتائهم بهذه السلسلة الطيبة والشجرة المباركة الميمونة . كما وأن الامامية لا ترى

القيام بالسيف وشن الحروب شرطاً أساسياً في إمامة الامام ، فالامام يرى رأيه ويراعي ظروفه الخاصة وامكاناته الوقتية ، كما كان ذلك بالنسبة الى صلح الامام الحسن ونهضة الامام الحسين عليهما السلام .

ومستندهم في ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » ، بمعنى أنها عايبها السلام إمامان على كل حال وعلى كل الفروض والتقدير ، نهضا بالسيف أم لم ينهضا . كما وان الامامية لا يرون الامامة في كافة ذرية علي والزهراء وعلى العموم ، بل الذي يرونه أنها تنحصر في ذرية الحسين فقط ، ولم تساعدهم الأدلة القطعية إلا على ذلك ، مثل قول الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم « الحسين إمام اخو إمام ابن إمام أبو أئمة تسع » .

فقيام الامامة عند الشيعة مقام رفيع ورهيب ، كما هو خطير وعظيم ، لا يرتقيه او يتسمنه إلا بنص من الله تعالى ونص من رسول الله ، باعتبار أنه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فما يصدر عنه صلى الله عليه وآله من قول وفعل هو من الله وبوحي منه عز وجل « ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

فقيام الامامة عندهم كقيام النبوة ، لا يتحقق ولا يكاد يثبت الا بالنص او المعجز الخارق للعادة .

ومن هنا وهناك قد ذهبوا الى عدم إمكان الترشيح والانتخاب في الامامة ، قياساً على النبوة وعطفاً على قدسيتها وكرامتها ، فكما أن النبوة لا يمكن - بل لا يعقل فيها الانتخاب والترشيح كذلك الامامة ، لما يتحملانه معاً من الغاية الواحدة وما يستهدفانه من الغرض المتحد .

نعم كل ما هناك من فرق أن الامام يفقد صفة النبوة فقط ، ولعل الرسول قد عنى ذلك بقوله « يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا

أنه لا نبي بعدي « فهارون عليه السلام كان حائراً على جميع صفات موسى أخيه ، كما كان مرشحاً من قبل الله عز وجل للنبوّة بعد موسى ، ولكن لما كانت النبوات قد ختمت بنبوّة الرسول محمد صلى الله عليه وآله أعطى عالياً كل الصفات والمزايا التي كانت بين موسى وهارون من الأخوة والوصاية والوزارة وولاية العهد الا النبوة .

إذاً النبوة والامامة سيان من ناحية كون كل واحد منهما منصب يمنحه الله لمن يشاء من عباده ، أو ينص عليه الرسول بالخصوص .

هذا بالإضافة الى ان الطائفة الزيدية تختلف عقائدياً عن الشيعة الإمامية : أولاً انها لا تعترف إلا بأربعة من أئمة الإمامية ، وهم علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، وهذا مناهض كايا لعقيدة الامامية الذين يرون أن الأئمة الثابت في حقهم النص اثني عشر شخصاً لا يزيدون واحداً ولا ينقصونه ابداً ، كما أن من انكر واحداً من الاثني عشر عندهم كان كمن انكر الجميع .

ومن جهة أخرى إن الزيدية يختلفون من حيث الفقه والطريقة عن الامامية الشيعة ، لأن فقههم - على الأكثر - ينتسب الى المذهب الحنفي ، وفيهم الشوافع وفيهم غير ذلك من المذاهب الآخرين ، أما الشيعة ففقههم لا يتعدى الفقه الجعفري ، الفقه الذي أخذه الخلف عن السلف وعلى الأكثر عن الامام الصادق جعفر بن محمد ، الفقه الذي أخذه عن أبيه الباقر ، وهو عن أبيه علي بن الحسين ، وهو عن ابيه الحسين ، وهو عن أبيه علي بن أبي طالب ، وهو عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ألا من أراد المدينة فليأتها من بابها » والفقرة الأخيرة من قول الرسول العظيم تقريباً إن لم يكن تحقيقاً تعطي الارشاد العام الى علم علي وفقهه ، وهذا الفقه هو فقه الشيعة من

الصدر الأول والى يوم القيامة ، كما أنهم يعتقدون ان هذا الفقه هو الذي نزل به جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعلمه علياً وعلمه علي لأولاده ، وهم بدورهم علموه العاصم ، ولم يزل كذلك حتى وصل الى علماء العصر .

وكيف كان الأمر الطائفة الزيدية - وان لم يكونوا من الشيعة الامامية - الا انهم مثل باقي الفرق الاسلامية ، والمهم هنا أن الزيدية هؤلاء قد أجمع علماءهم ومحدثوهم على إيمان عم النبي العظيم ابي طالب ، ومستند إجماعهم روايات يروونها بطرقهم عن العدول والثقات عندهم .

ومن الروايات التي كانت مصدراً وأساساً للإجماع رواية ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : سمعت الشيخ ابا طالب يتحدث بمكة : حدثني ابن أخي محمد بن عبد الله عن الله عز وجل أنه تعالى بعثه بصلة الرحم ، وان يعبد وحده ، ومحمد عندي الصادق الأمين . كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقول : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة - وضم اصبعيه .

قال السيد علي خان في الدرجات الرفيعة والقاضي في المواهب : إن الزيدية ذهبوا إلى وجوب حق ابي طالب على المسلمين كافة ، لأنه حمى نبي الاسلام وانقذه من مخالب الكفر والشرك ، ولولاه لكان نسياً منسياً ، فأبو طالب هو الذي أرسى قواعد الدين ، وبنى على قواعد الاسلام بمجايته للرسول ونصرته له ، كما أنه اول المؤمنين به وأول المصدقين لدعواه ، وقال بعض علماءهم :

حماه ابونا ابو طالب واسلم والناس لم تسلم

وقد كان يكتم إيمانه وأما الولاء فلم يكتم

اقتطعنا هذين البيتين من قصيدة قيلت في المقام ، والذي يظهر أن

القائل علوي النسب حيث يقول « حماه ابونا ابو طالب » يعنى انه حماه من دولتي الكفر والشرك وخلصه من موت محتم ، اذ لولا ابوطالب لقصت المؤامرات الكافرة والدسائس المشركة على رسول الله ، وبه يقضون على كل ما جاء به عن ربه من دين وشريعة ، فحفظه ابوطالب وحماه ، وبه حفظ الدين واستقام الاسلام ، فمن هنا وهناك كان حقه واجباً على المسلمين الى أن يقوم الناس لرب العالمين .

## ابو طالب في نظر علماء المغرب العربي

ذهب الكثير منهم الى أن عم الرسول الزعيم اباطالب حامي النبي وكافله هو من اوائل المؤمنين والقدامى من المسلمين ، كما يرون أنه هو أول مجاهد في سبيل الله ، ولم تأخذه في سبيل اعلاء كرامته لومة لائم ولا ارهاب المرهبين ، كما حمى النبي ووقاه عن كل مايسوؤه ويؤذيه ، وفداه بكل ما يملك ، وتحمل في سبيله المشاق والأهوال والنكبات والآلام ، وبشر بدعوة الرسول وحث عليها واسمات في سبيلها . ولم يكتف بكل ذلك حتى أعلن للملأ فلسفة جهاده ومحاماته ، وغاية دفاعه والذب عنه ، وأن كل ما هنالك هو عقيدته بلزوم القيام بوجه الأصنام ومقاومة الشرك والأوثان ، وحفظ رسول الله بكل ما يتمكن من قوى وطاقات حتى بالنفس والاولاد والأسرة . ولم يكتف بذلك ايضاً بل صار الى المقابلة العلنية ، ثم الافصاح بتدينه وإسلامه ، وشعره ونثره بصرخان بذلك ، ثم ترحم النبي عليه واستغفاره له ، وذكره دائماً بخير . . .

كل ذلك أدلة قاطعه على إيمانه واسلامه ، والمشكاك في ذلك ظالم له متعدد على حقوقه المفروضة ، مضافاً الى أنه ايداء للنبي صلى الله عليه وآله ، ومؤذي النبي كافر عند كافة المسلمين .

قال السيد صاحب الدرجات الرفيعة ص ١٥٧ قال السيد زعيم المغاربة السيد الجليل السيد العارف بالله السيد عبد الرحمن الادريسي الحسيني المغربي نزيل مكة المكرمة والمتوفى بها سنة سبع وثمانين بعد الألف - وقد سئل عن

إيمان عم النبي العظيم وكافله الزعيم الهاشمي أبي طالب ، وكان السيد الإدريسي من أرباب الحال والمقال وأبطال واقطاب الرجال ، فقال رحمه الله للسائل :  
إعلم قربك الله منه ورزقك كمال الفهم ان ناصر دين الله وكافل رسول الله  
أبا طالب رضي الله عنه قد قال بإيمانه خلق كثير وجمع غفير من المؤرخين  
والمحدثين ، كما قال بإيمانه جماعة من أهل الشهود والكشف ، كما قد وردت  
فيه أحاديث كثيرة تشهد بإيمانه وتدينه ، اوردها الحافظ ابن حجر في  
إصابته وتكلم عليها :

منها - ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أن  
جبرئيل نزل على رسول الله صلوات الله عليه يبشره عن الله فقال فيما قال :  
يا رسول الله إن الله عز وجل يقول لك : إنه لا يعذب صلباً أنزلك ، وبطناً  
حملك ، وحجراً كفلك . فقال رسول الله : حبيبي جبرئيل اوضحه لي ؟  
فقال : الصلب الذي أنزلك هو صلب عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن  
الذي حملك هو بطن أهلك آمنه بنت وهب ، وأما الحجر الذي كفلك  
هو عمك أبو طالب .

ومنها - ما اورده المحب الطبري في كتابه ذخائر العقبي عن السيوطي  
في كتابه المسالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان  
يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي أبي طالب . وبطبيعة الحال لا يشفع  
رسول الله إلا للمؤمنين الموحدين والمتدينين من المسلمين .  
ومنها - ما اخرجه الشعراني أن الله تبارك وتعالى أحيا أباطالبا للرسول  
فآمن به وأسلم على يديه .

ومنها - ما اخرجه التلمساني المغربي في مؤلفه شمس الأنوار وكنوز  
الأسرار من قول أبي طالب :  
لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا مجد  
 قال الثعالبي في تفسيره وعند تفسيره لقول الله عز وجل « وانذر عشيرتلك  
 الأقرين » إن هذه الآية دليل على إيمان أبي طالب وهكذا الطبري في تفسيره .  
 أقول : ولعل نظر الثعالبي والطبري ومن هو على شاكاتها يرمي ويستهدف  
 حضور أبي طالب في دار النبي يوم الانذار وقيامه وانحيازه الى النبي من  
 دون كل المجتمعين ، ومعارضته اخاه ابا لهب ، حيث صد رسول الله وعارضه  
 وتعهد للقيام معه مهما كلفه الأمر ، وهو في الواقع لدليل قوي على إيمانه  
 وتدينه ، وفي الحقيقة انها نظرة موفقة وصائبة قد وقعت في محلها تماماً .  
 وقد ذكرنا ذلك مفصلاً فيما تقدم فراجع .



## ابو طالب في نظر العامة

يحدثنا السيد في الدرجات الرفيعة ان الأغاب من الجمهور وجلهم يذهبون الى القول بإيمان عم الرسول ابي طالب وتدينه ، وممالا يعتريه الريب ان من اولئك العطاء ابو القاسم الباخي شيخ المعتزلة وعلمهم المفضل ، وكذلك النقيب ابو جعفر الاسكافي ، وكثير امثالها . يستندون في ذلك الى روايات قد اعتمدوا عليها متناً وسنداً :

منها - ما قدره عن حماد بن سلمة عن ثابت بن دينار عن اسحاق ابن عبد الله عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : ما الذي ترجوه لعمك ابي طالب ؟ فقال : أرجو لعمي الرحمة والغفران ، كما أرجو الله أن يعطيه كل خير وكرامة .

ومنها - ان ابا بكر بن ابي قحافة قد جاء بأبيه ابي قحافة ، وهو اعمى يقوده الى النبي يوم فتح مكة ، فلما نظر اليه النبي قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ حتى اتيت به . قال ابو بكر : أردت يارسول الله أن يأجره الله ، فوالله يارسول الله والذي بعثك بالحق نبياً لانا اشد فرحاً بإسلام عمك ابي طالب مني بأبي ، التمس بذلك قررة عينك .

ومنها - ما يروونه بطرق متعددة بعضها عن العباس وبعضها عن ابي بكر كلها تنطق أن ابا طالب مامات حتى قال « لا إله الا الله محمد رسول الله » . ومنها - عن العباس انه قال : لقنت أخي ابا طالب الشهادتين عند الموت ليجدد بهما العهد ، وليكون آخر كلام يخرج به من الدنيا ، فقالتا ولكنه ضعف من أن يسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها - ما قدره عن عبد الله بن عباس انه قال : قال ابو طالب  
للرسول صلى الله عليه وآله ذات يوم : أالله يا بن اخي بعثك وارسلك ؟  
قال : نعم يا عم الله بعثني وارسلني الى الناس كافة .

قال ابو طالب : أرنا آية ذلك . فدعا رسول الله شجرة كانت بالقرب  
منا ، فانقلعت بأمر من الله واقبلت نحوه ولها دوي عظيم ، فوقفت أمامه  
وقالت : السلام عليك يا رسول الله .

ولما نظرنا ذلك فرحنا بكرامة الله على رسوله ، وعند ذلك قال  
ابو طالب : مرها يا بن الأخ ان تنكفيء الى محلها من الأرض ، فأمرها  
فرجعت ، وعندها قال ابو طالب : اشهد أنك صادق صديق .  
ثم التفت الى ولده علي وقال :

ان الوثيقة في لزوم محمد فأشدد بصحبته علي يد يديكا  
ونقل الأُميني في الغدير ٣٩٩/٧ عن ابي الفداء والشعراني بطريقهما الى  
ابن عباس انه قال : مامات ابو طالب حتى اعطى رسول الله من نفسه الرضا .  
وفي نفس الصفحة عن ابن عباس ايضاً أنه قال : لما تقارب الموت  
من عمي ابي طالب أخذ يحرك شفتيه كأنه يقول شيئاً ، فأصغى اليه العباس  
ابن عبد المطلب واذنى اليه رأسه ليسمع ما يقول ، وكان رسول الله حاضراً ،  
ثم رفع رأسه الى النبي وقال : يا بن اخي لقد قال عمك الكلمة التي اردته  
أن يقوها ، فقال رسول الله : الحمد لله .

## ابو طالب في نظر الشيعة الامامية

والشيعة الامامية هم طائفة من الطوائف الاسلامية الضخمة ، وهي اذا ما قيست الى بقية الطوائف لا تقل عنها إن لم تكن تكثرها ، فهي لا تقل عن الحنفية منفردة والشافعية كذلك . والشيعة الامامية هم المسلمون الذين شايعوا علياً أمير المؤمنين وتابعوه في جميع اقواله وافعاله ، ولم نغال اذا قلنا انهم هم المؤمنون الذين لم يحدوا قيد أمثلة عن اقوال رسول الله واحاديثه ، بل في الحقيقة ونفس الأمر انهم إنما شايعوا علياً وتابعوه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد صح عندهم قوله لعجار بن ياسر : يا عمار لو سلك الناس وادياً وسلك علي بن ابي طالب وادياً فاسلك الوادي الذي يسلكه علي » .

والتشيع لم يكن بالأمر الذي قد تكون بعد زمن النبوة ، بل فيه نما وترعرع ونشأ وتأصل .

وكان ممن يفتخر بالشيعة والتشيع : ابو طالب بن عبد المطلب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عباس ، وجعفر بن ابي طالب ، وعقيل بن ابي طالب ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن بن علي ، والحسين ابن علي بن ابي طالب ، ومحمد بن الحنفية ، ومسلم بن عقيل ، وقثم وعبد الرحمان والفضل اولاد العباس بن عبد المطلب ، وابوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وعون ومحمد ابنا جعفر بن ابي طالب ،

وربيعة بن الحرث بن عبد المطاب . . . وهكذا الى جميع بني عبد المطاب وكافة بني هاشم ، ثم جمع غفير من عطاء الصحابة ورجال الاسلام ، مثل عمر بن سلمة ، وسلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وباسر ابيه ، والمقداد ابن الأسود الكندي ، وابي ذر الغفاري ، وحذيفة اليماني ، وخزيمة بن ثابت ، وابي أيوب الأنصاري ، ومالك بن نويرة ، ومالك بن التيهان ، وابي بن كعب ، وسعد بن عباد الخزرجي ، وقيس بن سعد ، وابي قتادة الأنصاري ، وعدي بن حاتم الطائي ، وعبادة بن الصامت ، وبلال الحبشي مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله ، وابي رافع خادم النبي ، وهاشم بن عتبة ابن ابي وقاص ، وعثمان بن حنيف ، وسهل بن حنيف ، وحكيم بن جبابة العبدي ، وخالد بن سعيد بن ابي وقاص ، والبراء بن مالك الأنصاري ، ورفاعة بن رافع الأنصاري ، ومالك بن ربيعة بن الوليد الساعدي ، وعقبة ابن عمرة بن تغلبة الأنصاري ، وهند بن ابي هالة التميمي ربيب النبي صلى الله عليه وآله ، وجعدة بن هبيرة ، وأبي عمرة الأنصاري ، وحجر ابن عدي الكندي ، واسامة بن زيد الكلبي ، وزيد بن أرقم ، وعمرو بن الحقم الخزاعي ، والمسور بن شداد النهري ، وابي ليلى الأنصاري ، وابي برزة الأسلمي ، ومسعود بن اوس ، وعبد الله بن مسعود . . . الى كثير من هذا اللون والعيار الثقيل من وجوه الصحابة وخيار المسلمين ممن تركناهم رعاية للاختصار الذي هو مبنى هذا المؤلف ، وما ذكر فهو على سبيل المثال لا الحصر .

فالشيعنة اذا لم يكونوا قد جاءوا متأخرين ، ووجدوا على هامش المسامين ، او كانوا - كما يقولون - قد خلقتهم وخلقت فكرتهم الظروف وتبنتهم السياسة . . . بل الشيعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والذين قد تناسلوا وتكاثروا ، والذي قد صاروا الى التشيع اخيراً من غيرهم

لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، بل اذا أردنا ان نأتي على آخر من جاء الى التشيع من بقية الطوائف الاسلامية الأخر لما وسعنا ذلك ، وهم لا يزالون يتكاثرون ويستمررون في التكاثر والانتشار الى اليوم والى يوم القيامة .

وعلى سبيل المثال نذكر من الأسر العربية التي رجعت الى التشيع في الأدوار القريبة الدليات ، وهم يسكنون غالباً في النعانية والزبيدية من لواء الكوت ، وقسم كبير من الأسرة القرغولية الذين يسكنون في الدبوني والعززية من لواء الكوت ايضاً ، وقسم كبير من الجنابيين ، وقسم كبير من الجبوريين ، وقسم كذلك من العبيدين ، وقبائل متعددة من شمر وهكذا .

والشيعة يعتقدون أن الذي قد أسس قواعدهم وبنا كيانهم هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يعتقدون أن اول غارس لبذرة الشيعة والتشيع هو الله عز وجل ، كما وهو تعالى قد وضع الحجر الأساس لهما « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا » ، « قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » ، « وآت ذا القربى حقه » ، « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » - الى غير ذلك مما ورد في القرآن الكريم في فضل آل البيت الذين هم رمز الشيعة والتشيع .

أما ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك فكثير وكثير ، نذكر جملة من ذلك :

اخرج الامام احمد بن حنبل في مسنده والبيهقي في صحيحه عن ابي الحمراء أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا من اراد أن ينظر الى آدم في عامه والى نوح في عزمه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيئته والى عيسى في زهده فلينظر الى علي بن ابي طالب .

ابي طالب .

وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة والخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب عن سعيد بن عميصا عن ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي ذات يوم : انت اخي وانا اخوك ، انا المصطفى للنبوّة وانت المحبّي للامامة ، يا علي انا وانت ابوا هذه الأمة ، يا علي انت وصيي ووارثي وابو ولدي ، اتباعك اتباعي واوليائك اوليائي واعدائك اعدائي ، وانت صاحبي على الحوض وصاحبي في المقام المحمود وصاحب لوائي في الآخرة كما انت صاحب لوائي في الدنيا ، لقد سعدت من تولاك وشقيت من عاداك ، وان أهل مودتك في السماء أكثر منهم في الأرض . يا علي انت حجة الله على الناس بعدي ، قولك قولي ، أمرك أمري ، نهيك نهيي ، طاعتك طاعتي ومعصيتك معصيتي حزبك حزبي ، وحزبي حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون . يا علي من أبغضك فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله فقد كفر ، ومن كفر فقد دخل النار .

وقال القندوزي ايضاً : لقد اخرج الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء والحموي في الفرائد عن عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي غرسها ربي فليوال علي بن ابي طالب من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من ولده بعده ، فانهم عترتي ، خلقتوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلاتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة .

وقال القندوزي ايضاً : لقد اخرج الامام أحمد بن حنبل في المسند وابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم :

من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن غرسها ربي بيده  
فليتمسك بولاية علي بن ابي طالب .

اقول : هذا وكثير من النظائر والمشابهات هو الذي روج الشيعة  
والتشيع من زمن النبوة ، كما اوجب استمرارهما وتأصلهما بالرغم من العوائق  
والمكافحات ، بل الاستئصال والابادة في بعض الأدوار .

وعلى كل حال قد اتحدت كرامة الشيعة ، كما اتفقوا كلهم أجمعون على  
إيمان عم الرسول ابي طالب العظيم ، لا يختلف في ذلك منهم اثنان ، اخذه  
الخلف عن الساف ، وهكذا حتى اليوم والى قيام يوم الدين .

وقد ألفوا في الموضوع مؤلفات قيمة ، مؤلفات ضخمة . ولعلنا  
نذكرها في الفصول الآتية انشاء الله تعالى .

## ابو طالب في نظر ابن حجر

وابن حجر هذا محدث ومؤرخ قديم وشهير ، إلا أنه وقف من عم النبي وكافله الزعيم ابي طالب موقفاً شائناً ومعادياً ، موقف المتعامي عن الحق الحائد عن جادة الصواب ، موقف الناكر للجميل ، موقف المستهين بكل ما صدر من المحدثين الأطائب والرواة الأماثل الذين ذهبوا إلى إيمان عم النبي العظيم وتدينسه ، الرواة الذين عززوا مذهبهم ودعواهم بأقوى البراهين واوثق الأدلة .

ولو أن ابن حجر قد نظر بمنظار بصيرته وفكر بامعان ودقة الى اولئك الرواة وما ذكروه من الأحاديث ، ووجد نفسه ومشاعره عن العاطفة والتعصب الأعمى لما كان بإمكانه الا أن يسير في ركاب القائلين بإيمان عم الرسول صلى الله عليه وآله ، ولما وسعه إلا أن يسير بعجلة الذاهبين الى تدينسه واسلامه رضي الله عنه .

ولكنه اعرض عن كل ذلك وانصرف عن كل ما هنالك ، فجرى عدواً وراء أقاويل جماعته الموترين والحاقدين الذين ثأروا لكرامتهم المهانة وشخصياتهم المحطمة أيام زعامته وحمايته لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد بنى ابن حجر على تلكم القواعد المنهارة والأركان الواهية المنخورة ، فجاء يحدث في اصابته أن شرذمة من الروافض ذهبوا إلى إيمان ابي طالب واسلامه ، وتمسكوا بما نسب اليه من قوله :

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أميناً



ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً  
أقول : لم يكن بالشيء الغريب من ابن حجر ولا بالشيء الكثير عليه أن  
يعمد على تشويه الحقائق ومسح الواقع ، فدرس ما شاءت له أهواؤه وافترى  
ما سئحت له الفرصة أن يفترى من الأكاذيب والأقاويل في حق اول ناصر  
للإسلام واول فدائي للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ذلك عم  
النبي الكريم الزعيم ابو طالب ، وسيعلم الذين ظلموا وافتروا أي منقلب  
ينقلبون ، يوم لا تغني عنهم جماعتهم ، ولا ينفعهم اذ يندمون .

وفات ابن حجر ومن اقتفى أثره بمن جاء بعده أن الطعن في ابي طالب  
طعن صراح في صميم النبوة ووخز بأوصال الرسالة وقداستها ، لأنه يؤدي  
الى رمي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالمخالفة القطعية للنصوص  
القرآنية والنهي البين عن مواصلة الترحم والاستغفار للكفرة والمشركين  
« ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره » ، « سواء عليهم  
استغفرت لهم ام لم تستغفر لن يغفر الله لهم » .

هذا مع العلم أن الرسول صلى الله عليه وآله قام على قبر عمه وقرضه  
وأبنته ، ثم اعتكف في بيته اياماً لم يخرج منه . كل ذلك بغية التخصص  
للاستغفار الى عمه الكريم ، ولم يزل كذلك مداوماً على الاستغفار ملازماً  
طوال حياته صلى الله عليه وآله على الترحم على عمه الحامي والكفيل - راجع  
شرح النهج لأبن ابي الحديد والتذكرة للسبط ابن الجوزي وينايع المودة  
للقدوزي الحنفي وكفاية الطالب للكنجي الشافعي واسنى المطالب للسيدزيني  
دحلان الشافعي والسيرة لابن هشام وسيرة الحلبي للتأكد من الموضوع .

أما البيتان اللذان نوه عنهما ابن حجر وشكك في نسبتها الى ابي طالب  
رضي الله عنه ، كما ندد بالشيعة على حسابها ورماهم بالرفض مرة وبالاعتماد  
على الواهي والمنهار من القواعد والأسس والمزيف من الأدلة ، كما كان

ذلك بالنسبة الى استدلالهم بالبيتين السابقين على ايمان ابي طالب .  
وما درى ابن حجر - او كان يدري وتعامى عن الحق وتغافل عن  
الواقع الصريح - كما تعامى وتغافل من كان قباه فطووا وطوى كشحاً عما  
تكررت روايته وأثبتته الجسل من المؤرخين إن لم يكن الكل . نعم روى  
البيتين كل من ابن ابي الحديد وابن الجوزي والحلي وابن هشام والطبري  
وصاحب ثمرات الأعواد والكنجي الشافعي في الكفاية والتعليق في تفسيره  
والبيهقي في دلائله والزحشري في كشافه . . . كما رواها الأعلام من الرواة  
والفطاحل من المحدثين : مثل عبد الله بن عباس ومقاتل والقاسم بن مخضرة  
وعطاء بن دينار وجمع كثير من امثالهم ، وقد عدها العلامة البرزنجي من  
شهير شعر أبي طالب ، فلترجع السيرة الحلبية في ص ٣٩٦ والسيرة الهشامية  
في ٢٨٣/١ و ٢٨٥ لكل من السيرتين ، كما رواها من الشيعة كافة رواتهم  
ومؤرخيهم ، راجع البحار وأعيان الشيعة والغدير .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف ياترى قد استساغ ابن حجر أن يخص  
شرذمة من الروافض قد نسبت ، من دون ما تأكد وتوثق ذينك البيتين الى  
ابي طالب ، ثم استدللت بهما على ايمانه وتدينه ؟ ؟

ولكن الحق لا بد وان ينتصر ، ولا بد وان يظهره الله تعالى ، حتى  
على السنة جاحديه ومعانديه . . . والحق لا بد أن يعلو ولا يعلو عليه شيء ،  
كما انتصر وظهر فعلا على أسنة المنكرين والجاحدين « قل جاء الحق وزهق  
الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ، فلا يقدم بكرامة الشيعة اذاً إذ ينسبهم  
ابن حجر ونظراء ابن حجر الى الرفض والترفض .

ولعمري لانهم ارادوا أن يذموا فذموا ، وأرادوا أن ينتقصوا فجدوا  
وعظموا ، فلتكن الشيعة روافض مترفضين ، فالحق فيهم ومنهم ومعهم ،  
وهم معدنه وأساسه ومصدره ومنتهاه ، واليهم يرجع ويعود ، وهم حقيقة

وواقعاً روافض ، لأنهم رفضوا الأباطيل والأكاذيب ، ونبذوا المناكير والأضاليل الهريرية التي ما انزل الله بها من سلطان ، كما يبرأ منها رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون ، المناكير والأضاليل التي تتقزز من فضاعتها وبشاعتها النفوس وتستنفر من هولها وشناعتها المشاعر والأحاسيس النقية . ولمن يهمله أن يقف على جلالة الأمر : ويطالع على واقع الأحوال ، ويتعرف على القضايا التي تنكرت لها الروافض وحرارتها بكل الملاحرة من معنى ووقفت منها موقف المصادم المعارض ، بكل مالمديها من قوى وطاقت وجهود وامكانات ، نذكر ونذكر ولعل الذكرى تنفع المؤمنين ، « سيذكر من يخشى • ويتجنبها الأشقى • الذي يصلى النار والكبرى » .

فأقول : قال البخاري في صحيحه ٧٥/٤ من كتاب الاستئذان ، كما حدث مسلم في مسنده ص ٤٨١ في باب « يدخل الجنة اقوام افندتهم كأفئدة الطيور كما حدث صاحب ارشاد الساري ٩/٩ عن ابي هريرة انه قال : خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً - وزاد احمد بن حنبل في مسنده بعرض سبعة اذرع .

واخرج ابن ماجة في صحيحه في تفسير سورة ق والقرآن المجيد ١٣٧/٣ كما صححه ابن خزيمة باسناده الى ام المؤمنين عائشة ، كما نقله القسطلاني في ارشاد الساري ٤٩٣/١٠ كما اخرجه البخاري في صحيحه ٨٦/١ في باب فضل السجود من كتاب الأذان عن الراوية المكثر ابي هريرة أنه قال : قال للنبي صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين : هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : فإنكم ترون ربكم يوم القيامة

كذلك ، ثم يجمع الله الناس فيقول لهم : ألا من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، من كان يعبد الشمس فليتبّع الشمس ، ومن كان يعبد القمر فليتبّع القمر ، ومن كان يعبد الطاغوت فليتبّع الطاغوت . فتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ، فيقول لهم : انا ربكم . فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أنا عرفناه ، فيأتيهم على الصورة التي يعرفون فيقول : انا ربكم . فيقولون : نعم انت ربنا فيتبعونه اقول : وبودي أن اترك هذه الأحاديث بلا تعليق ، لأنها كفر صراح واستخفاف بالله العظيم . . . ولكن ثمة شيء واحد يجيش في صدري ، فأجدني مرغماً الى ان أقوله وابديه ، هو أن اقول :

ايها المؤمنون ، ايها المسلمون الأطائب ، يامن رباكم محمد النبي على العلم والمعارف ، وغذاكم بالفضية ومكارم الأخلاق ، هل ترضون لربكم أن يكون بتلك الصور المخزية المنكرة ، الصورة التي قد اخترعها ابو هريرة وصورها من عندياته ، ثم نسبها الى الرسول العظيم ، الرسول الذي هو أول عارف بالله ، واول مقدر له ، وأول داع اليه عز وجل ؟! المعتقد انكم تقولون معي كلا والف كلا ، ونهتف للجميع تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ثم نستغفر الله من تلك الأباطيل والأكاذيب الدنيئة .

واليك قارئى الكريم ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن حنبل في مسنده ٣١٤/٢ عن ابي هريرة انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان النار لتغلي يوم القيامة كما يغلي القدر ، فلا تسكن حتى يضع الله رجله فيها ، فتقول : قط قط .

هذا ، وليس بغريب على مثل هذا الراوي الذي نقل عنه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد الحديث التالي : أخذ رسول الله بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر

يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل .  
وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار ، وانه مخالف لنص القرآن في اذنه خلق السماوات والأرض في ستة ايام ، فمثل هذه الرواية تعد - ولا ريب - كذباً صراحاً وافتراءً على رسول الله ، وهذا الحديث وحده يكشف ولا ريب عن روايات ابي هريرة التي يجب الاحتياط الشديد في تصديقها (١) .

أجل . انه ليس بغريب على مثل هذا الراوي الذي قد اتهمه بالكذب علي وعمر وعثمان وعائشه وغيرهم (٢) : ان يأتي بهذا وامثاله من الأعاجيب كل هذا وكثير من النظائر ينص عليه المؤرخون وتذكره كتب الحديث والسير ، ثم انهم يعتبرون ابا هريرة مع ذلك كله الصحابي الجليل والراوي الصادق ، فلم يدر في مخيلة ابن حجر واصحابه السالكين في فلك المغيرة ابن شعبة والسائرين في ركاب معاوية بن ابي سفيان أن يشككوا في إيمان ابي هريرة او يلوحوا من قريب او بعيد الى منكراته ومخازيه الطاعة بكرامة الباري وقد استسهه عز وجل ، والناصة على ما لا يلبق نسبه الى النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

نعم حرص هؤلاء وحاولوا جاهدين أن يموهوا علي من اتبعهم من الغاوين ، بأن عم النبي ابا طالب مات كافراً مشركاً ، في حال أن ابا طالب رضوان الله عليه قد ملاً الدنيا من اقصاها الى اقصاها هتافاً بالدين الحمدي

---

(١) راجع (أضواء على السنة الحمديّة) للأستاذ محمود أبي رية المصري

ص ٢٠٩ ط ٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

واعلاناً بالدعوة الى الله ، كما قدملاًها جهاداً في سبيل الله وحفاظاً على حياة رسول الله ، حتى تفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ، وصار النبي يؤدي رسالته بكل طمأنينة وهمدوء ، فما ذلك من ابي طالب إلا خدمة لله وحرصاً على تركيز شريعة السماء المحيطة ، وهي كل غايته وتمام غرضه ومتوحياته ، وإلا فهو الغني بشخصيته والعظيم بمكانته وسموه ، تنحني لزعامته العطاء وتطأطأ لسيادته الرؤساء والزعماء .

فما الذي كان يحده أن ينصرف عن كل تلك المقامات والمؤهلات الرفيعة ، ويصير خادماً لمحمد اليتيم الذي رباه وكفله وينصاع ويتصاغر له ، ذاك الانصياع والتصاغر اللذين لا يتفقان لأحد ابداً .  
واليك ايها القارئ الكريم هذا البيت الذي هو واحد من عشرات ، بل هو واحد من مئات مما صدر عنه مما يصرح فيه عن انصهاره بالاسلام واعتقاده بالنبوة :

لقد اكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد  
إذا فلتكن الشيعة روافض ، ولتفتخر بالرفض والترفض ، فالشرف  
كل الشرف ، والمجد كل المجد في الرفض والرافضية بهذا المعنى . وهذا الشافعي  
محمد بن ادريس يفتخر بهما ويعتز بالترفض ، اقرؤا معي أبياته الشهيرة :  
ياراكباً قف بالخصب من منى      واهتف بساكن خيفها والناهض  
سحراً إذا فاض الحجيج الى منى      فيضاً كملتطم الفرات الفائض  
اعلمهم ان التشيع مذهبي      ابدأ اقول به ولست بناقض  
ان كان رفضاً حب آل محمد      فليشهد الثقلان اني رافضي

قال ابو نعيم في حليته ١٥٢/٩ بعد ذكره للأبيات هذه : إنها من مشاهير الشافعي ، كما ذكرها كذلك ابن حجر في صواعقه ص ٧٩ باختلاف يسير ، وقال البيهقي : ان الداعي للشافعي أن ينظم الأبيات مقالة بلغته عن

بعض المشعوذين تعرض به وتنتقصه، لاكثره التحدث في فضائل آل البيت  
فنسبوه الى الرفض والترفض .

وذكر الأبيات ايضاً الفخر الرازي في تفسيره في آواخر تفسير قوله  
تعالى « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » .

وذكرها ايضاً الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٠٨ ، وذكر فيها ايضاً له :

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي  
أرجو بهم اعطى غداً بيد اليمين صحيفتي

وفيها ايضاً :

يا آل بيت رسول الله حبيكم  
فرض من الله في القرآن أنزله  
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم  
من لم يصل عايكم لاصلاة له  
وقال الشبلنجي ص ١٠٤ حكى الامام ابو بكر البيهقي في كتابه الجامع  
لفضائل الشافعي ، قال : بلغ الامام الشافعي أن جماعة من الناس كانوا  
يمتعضون وينزعجون من سماع فضائل آل محمد ، وربما يصل الحال بهؤلاء  
الى الطعن بالشافعي ، حيث يكثر التحدث بفضائل آل النبي ، فقال مندداً  
بهؤلاء ومعرضاً بهم :

اذا في مجلس نذكر علياً  
وسبطيه وفاطمة الزكيه  
يقال تجاوزوا يا قوم هذا  
فهذا من حديث الرافضيه  
برئت الى المهيمن من أناس  
يرون الرفض حب الفاطميه  
وقال الشبلنجي ايضاً ص ١٥٠ : قال الشعراني : وما احسن وأجمل

ما اورده في المناسبة الشيخ الأكبر في الفتوحات الاسلامية :

فلا تعدل بأهل البيت خاتماً  
فأهل البيت اهل للسياده  
فبغضهم من الانسان خسر  
حقيقي وحبهم عباده  
وفي المناسبة قال ابن حجر في صواعقه ص ١١٠ : قال الشيخ

شمس الدين ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم اهل البعد يورثني القربي  
فماطلب المبعوث اجراً على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى  
وذكر صاحب المستدرک على الصحيحين ١٥٠/٣ بسنده الى ابي سعيد  
الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبغضنا أهل البيت  
أحد إلا أدخله الله النار .

وجاء في الصواعق ص ١٤٣ نفس الحديث بلا زيادة ولا نقصان ،  
وفي الدر المنثور للسيوطي في أواخر تفسير آية المودة مثل ذلك .

وفي تاريخ بغداد ١٢٢/٣ بسنده الى ابن عباس انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ولو أن عبداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتى كان كالشن البالي ويلقى الله مبغضاً لعلي بن ابي طالب اكبه الله على منخره في نار جهنم .

أقول : وقد تركنا الكثير من هذا اللون من الحديث النبوي الوارد في فضل آل البيت ، ولا سيما أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعليهم ألف تحية وسلام ، رعاية للاختصار وإرجاء للموضوع الى ترجمة الامام عليه السلام . وعليه فقد اتضح أن الرفض والترفص لم يكن مما يعاب به على الشيعة ، بل هو موضع اعتزاز المسلمين وافتخارهم ، إذا نسأله سبحانه أن يحمينا عليه ويميتنا عليه لنتقى الله عز وجل ونحن شيعة وروافض ولنا الفخر ومع هذا كاه يأتي ابن حجر في اصابته يقول : وقد وقفت على تصنيف لبعض الشيعة يحاول فيه صاحبه إثبات ايمان ابي طالب ، وكان مستنده فيه أحاديث واهية السند ضعيفة الدلالة .

أقول : أليس هذا من ابن حجر نسف لقوله المتقدم ونقض له من الأساس ؟ أو ليس قد قال : إن شرذمة من الشيعة قد استدلّت على إيمان



ابي طالب ببيتين نسبا اليه ، وقال مؤخراً : قد وقفت على مصنف لبعض الشيعة يذهب فيه الى اثبات ايمان ابي طالب ؟ افلا يتدبر هؤلاء ام على قلوب اقفالها .

واكثر الظن أن المؤلف الذي يعنيه هو الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب ، وهذا المؤلف للسيد العلم بن معد بن فخار الموسوي الحلبي الذي اثبت فيه ايمان جده الأعلى ابي طالب بقوي الأدلة متناً وسنداً ، فكان من جملة ما فيه اربعون حديثاً متصاة لم يكن في سلسلتها إلا العدل الموثوق بروايته ، فليراجع تعرف أهمية الكتاب والكتاب .

ومن الطبيعي أن تكون أحاديث الشيعة وروايات الروافض عند ابن حجر واشياخه ضعيفة الدلالة واهية السند ، لا لشيء غير أنها تعتمد جملة وتفصيلاً على حديث آل البيت النبوي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ولأنها تخص عم الرسول العظيم أبا الكرار أبا طالب كافل رسول الله وناصره .

فبشرف الأنبياء أقسم لو قدر أن تكون تلكم الأحاديث وهاتيك الروايات التي جاءت من طريق الروافض والشيعة تعني تمجيد واحد من اصحاب المغيرة بن شعبة او من بطانة معاوية بن ابي سفيان وأمثالها لكانت عند القوم - ولا سيما في نظر ابن حجر - من اضخم الروايات واعظم الأحاديث سنداً واقواها افادة ودلالة ، ولكانت فوق كل حديث وأعلى كل رواية ، ولكنها واردة في ابي طالب وائر الأقربين والأبعدين ، ووالد علي أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين ، لذا كانت واهية السند ضعيفة الدلالة .

هذا وكان ابن حجر لم ينقل في الاصابة أو أنه لم يدر ما كتب :

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة اعظم

أو أنه الحق لا بد أن يعلو وينتصر ، فيظهره الله عز وجل على كل

حال حتى على ألسنة جاحديه ومعانديه من حيث يشعرون او من حيث لا يشعرون . لذا نجد ما نقله ابن حجر في إصابته من محققات إيمان عم النبي الزعيم الهاشمي اكثر مما نقاته الشيعة وأوفر ، وها هو يحدث ان ابن عساكر ذكر في صدر ترجمة أبي طالب بسنده الى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن ثابت عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير قوله تعالى « وهم ينهون عنه وينثون عنه » أنها نزلت في فضل ابي طالب ، وفي سبيل الاشادة بأعماله الخالدة المؤازرة للدين والرسول الأمين ، فأبو طالب هو وحده الذي نذر نفسه العظيمة للذود عن النبي ، ونهى الطغاة وابعادهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وذكر أيضاً بسنده الى عكرمة عن ابن عدي عن هيثم البكاء عن ثابت عن أنس بن مالك أنه قال : مرض ابو طالب فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابو طالب للنبي : يا بن أخي ادع الله الذي بعثك أن يشفيني ويعافيني . فما كان من الرسول إلا أن رفع يديه الى السماء وقال « اللهم اشف عمي ، اللهم عاف عمي » . فقام ابو طالب على اثر الدعاء وكأنما نشط من عقال ، وصار من وقته وساعته الى مزاوله أعماله الاعتيادية وكأنه لم يطرأ عليه اي مرض او ألم .

وقال ابن حجر : قال ابن عساكر : إن ابا طالب قد أسلم وآمن بالبعثة والرسالة . وذكر ابن حجر عن مسند ابن حنبل عن حبة العرفي انه قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد ضحكك من على المنبر حتى بدت نواجذه ، ثم قال عليه السلام : لني تذكرت قول ابي طالب وقد ظهر علينا وانا اصلي مع رسول الله في نخل كان خارج مكة ، فانتظرنا حتى اذا فرغنا فقال لنا : ماذا تصنعان يا ولدي ؟ فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصلى لربنا يا عم ، ثم دعاه الى الاسلام فقال ابو طالب :

ما بالذي تقوله يا بن أخي من بأس .

وقال ابن حجر : ذكر البخاري بطريق طاحه بن يحيى عن موسى ابن طلحة عن عقيل بن ابي طالب أنه قال : جاءت قريش الى ابي طالب فقالت : يا ابا طالب إن محمداً قد سب آلهتنا وديننا كما آذانا واستهان بكرامتنا ومقدساتنا ، فإما ان تنهاه وتكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه . فالتفت عم رسول الله الي وقال : يا عقيل جئني بمحمد ، فلم يسعني الا الإمتثال ، فأسرعت الى الفحص عنه فوجدته فأثبت به الى عمه ، وبعد ان استقر به المجلس كالمه ابو طالب بخضوع ورفق ، وكان من جملة حديثه : اي مجد ان بني عمك هؤلاء يزعمون انك تؤذيهم وتعرض لمقدساتهم وتسب آلهتهم فان كان ما يزعمونه صحيحاً خفف وطأناك عليهم ، وحينذاك ينتفض رسول الله على القوم قائلاً : يا قوم أترون هذه الشمس ، فوالله ما انا قادر على ردها . وعند ذلك قال ابو طالب : والله يا قوم ما كذب ابن اخي قط وهو الصادق الأمين .

وذكر ابن حجر بسنده الى ابي قره عن ابي موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال : إن أبا بكر قد جاء بأبيه ابي قحافة الى النبي وهو اعمى يقوده عند فتح مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : هلا تركت الشيخ حتى آتيت به . فقال ابو بكر : إنما اردت يا رسول الله ان يؤجره الله ، فوالذي بعثك بالحق يا رسول الله نبياً لأنا اشد فرحاً باسلام عمك ابي طالب مني بأبي .

وذكر ابن حجر بطريقه الى ابي طالب نفسه انه قال : كنت مع ابن اخي محمد بندي الحجاز إذ عطشت عطشا شديداً حتى أشرفت منه على الموت ، فرأيت أن لا بد من ان اذكر الأمر الى ابن اخي ولم ارعنده شيئاً ، فبينت له حالتي ، ولما نظرني تألم لحالتي ، ثم أهوى على الأرض بعضي كانت

بيده ، فاذا أنا بعين ماء نبعت ، فقال محمد : اشرب يا عم ، فشربت حتى ارتويت ، والله يعلم ما رأيت اطعم ولا ألد من ذلك الماء .

وذكر ابن حجر عن فوائد الرازي بطريق الوليد بن مسلم عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب .

وذكر ابن حجر أن جماعة قد استدلوا على ايمان ابي طالب بهذه الآية « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون » .

اقول : لقد استدل كثير من المفسرين بهذه الآية على ايمان عم النبي الكريم وتدينه : منهم الزمخشري في الكشاف : والرازي في تفسيره ، والسيوطي في الدر المنثور ، والشيعة كلهم ايضاً كذلك .

إذاً كيف ياترى يقول ابن حجر : وان شردمة من الشيعة قد استدلت على ايمان ابي طالب بيئتين نسبا اليه ؟ ! نعوذ بالله من كل شيطان رجيم ، همام مشاء بنميم .

ونكتفي بهذا القدر مما نقله ابن حجر ، وبه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

• • •

ليست نسبة الممات على الشرك والكفر قد اقتضرت على عم الرسول ابي طالب ، بل تعدوا بها الى ابوي النبي الكريمين .

قال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة ابي طالب : وقد أورد البرزنجي الحنفي رسالة قيمة ألفها رداً على مؤلف الشيخ علي القاري الهروي المؤلف الذي ذهب فيه الهروي هذا الى أن ابوي النبي الزكيين ماتا مشركين وهما من اهل النار ، فالسيد البرزنجي ممن نأر لكرامتها وتهيج مغضباً لمقامها

العظيم ، فانفض مستبسلا في وجه الهروي ، فألف رداً مقدعاً وقوباً أتى به على جميع دلائل الهروي ونسف بقوي حجته واصل برهانه كل ما ذكره ، وزيف جميع محتويات المؤلف ، واثبت بقاطع الدليل وواضح البراهين إيمان السيدين الشريفين والذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما اثبت ايضاً إيمان عمه وحاميه الزعيم ابي طالب .

قال ابن عساكر : وقال البرزنجي : وقد وجدت في سيرة ابن هشام قصيدة ابي طالب اللامية القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي منها قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل  
اقول : هذه القصيدة هي من أشهر شعر أبي طالب ، وهي تحتوي على ما جاوز المائة بيت او جاورها ، كما هي تذكر في أغلب كتب السير والتراجم ، وقد تعرض لأكثرها ابن ابي الحديد في شرح النهج .  
وذكر البرزنجي مقطوعتين لابي طالب لم يذكرهما ابن عساكر كما ذكرهما صاحب الحجّة ايضاً ، يقول في الأولى :

ألم ترني من بعدهم هممته بفرقة خير الوالدين كرام  
بأحد لما أن شددت مطيبي برحل وقد ودعته بسلام  
بكي حزننا والعيس قد قلصد بنا وناوش بالكفين فضل زمام  
ذكرت أباه ثم رقرقت دمعته تفيض على الخدين ذات زمام  
فقلت له رح راشداً في عمومة مواسين في البأساء غير لئام  
فلما هبطنا ارض بصرى تشرفوا انا فوق دور ينظرون جام  
وجاء بجير بعد ذلك حاسراً لنا بشراب طيب وطعام  
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا كثير عليه اليوم غير حرام

فلمّا رآه متقبلاً نحو داره  
 حتى رأسه شبه السجود وضمه  
 وأقبل رهط يطلبون الذي رأى  
 فذلك من اعلامه وبيانه  
 فناروا إليهم خشية لعراهم  
 دريس وهمام وقد كان فيهم  
 فجاءوا وقد هموا بقتل محمد  
 بتأويله التوراة حتى تيقنوا  
 اتبعون قتلاً للنبي محمد  
 ويقول في الثانية وقد ذكرها ايضاً البيهقي في خصائصه ص ٢٨٥ :

فارجعوا عن مجد حتى رأوا  
 وحتى رأوا أحبار كل مدينة  
 زبيراً وتاماً وقد كان شاهداً  
 فقال لهم قولوا بحير وايقنوا  
 كما قال للرهط الذين تهودوا  
 فقال ولم يترك له النصح رده  
 فاني أخاف عليه الحاسدين وأنه  
 وله ايضاً يندد بأبي جهل ويعرض بأعماله العدوانية التي يقوم بها مع  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يتعرض لمصير أبي جهل المرتقب ،  
 المصير المهان الأسود :

صدق ابن آمنة النبي محمد  
 ان ابن آمنة النبي محمد  
 فاربع ابا جهل على ظلع فما  
 فتميزوا غيظاً به ونقطعوا  
 سيقوم بالحق الجلي ويصدع  
 زالت جدودك تستخف وتظلع

سترى بعينك أن رايت قتاله وحروبه من أمره ما تسمع  
أقول : وهذه نظرة من عم رسول الله صلى الله عليه وآله الى مستقبل  
ابي جهل وما يلاقه من الذل والامتهان والحقارة والخسران المبين ، وهذه  
النظرة والقراءة إن دلت على شيء فهي إنما تدل على أنها نظرة ايمان وقراءة انغمار  
بنور الله عزوجل ، وقد قيل « المؤمن ينظر بنور الله » لذا كانت نظرة عم  
النبي وقراءته قد أصابت الواقع وحكت عن الحقيقة ، وبالتالي كان الامر  
كما تكهن وقرأ ، فقتل ابو جهل أشر قتلة ومات اخزى ميتة ، ووطأه  
المسلمون بالأحذية ، وذهب الى جهنم وساءت مصيراً .

## ابو طالب في نظر الاسكافي

الاسكافي هذا علم من الأعلام ، وبطل العلم والأدب والتاريخ ، كما هو من أعظم العباقرة والمفكرين ، له مقامه الكريم ومكانته السامية الرفيعة في الأوساط الاسلامية بكل فرقها وطوائفها ولاسيما عند المعزلة . وقد ذكر له التاريخ آراء تاريخية سديدة ، وتحقيقات علمية رشيدة ، ونظرات موفقة ترى الانسان واقع الأشياء وتوقفه على حقائق الأحداث .

ذكر بعض آرائه وتحقيقاته تلميذه الفذ عبد الحميد بن ابي الحديد في شرح النهج ، وكان من جملة ما ذكره الرد الموفق والمفوق ، الرد الذي زيف فيه رسالة الجاحظ المؤلفة لغاية إثبات أن مبيت ابي بكر مع النبي صلى الله عليه وآله بالغار أفضل من مبيت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب على فراش النبي لياة خروجه من مكة ، فليراجع المجلد الثالث ليعرف وزن الرد وقيمته العلمية ، كما يتضح أن موقف الامام علي وقصة منامه على فراش النبي لا يضاھيه اي موقف آخر ، ولا يقاس به اي مقام آخر .

فالامام بات على فراش الرسول واقياً بروحه ، وهو يرى الأسود تزأر وترجرج ، ويلاحظ لمعان السيوف من وراء شقوق الباب ، فهو يرتقب الهجوم عايه لحظة بعد لحظة ، واذا ما كان ذلك قطعوه ارباً ارباً ومثلوا به أفضع مثله ، وعليه اين هذا الموقف من موقف من كان بصحبة رسول الله وقد استظل بظله واحتمى بجاهه وستر عن الأبصار كرامة له ؟ !

وأياً كان الأمر المهم تعريف ما كان عليه الاسكافي من المنزلة العلمية والقدرة التاريخية والأدبية ، وكان من جملة آرائه وتحقيقاته موقفه المشرف



من عم الرسول الزعيم ابي طالب رضي الله عنه ، الموقف الكريم الذي أبان فيه للأجيال ما لشخصيته الفذة من ايمان عميق ، وإخلاص صادق أصيل لله عز وجل ، وتفان ودفاع ومحاماة في سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم الذود عن حياض الاسلام والذب عن المسلمين ، فكان مما قاله فيه - كما نقله عنه تلميذه ابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج - أن من قرأ علوم السير والتاريخ عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً .  
أقول : إن الامر كان حقيقة كذلك لا يشوبه نوع من المبالغة والغلو ، ولا يخالطه شيء من المحاملة والمهارة ، فأبو طالب لو لم يلتزم النبي ذلك الالتزام المنقطع النظير وبحميه من كيد العدو ثم يعضده ويسنده ويصدقه ويؤازره لقضت المؤامرات الكافرة عليه ، فبحفظه له ومحاماته عنه حفظ الاسلام ، فقام عموده واخضر عوده واينع ثمره وانتشرت اعلامه ومعالمه ، فكان الأمر كما حققه الاسكافي وارتآه .

ولم يكن غريباً ولا كثيراً على العارفين الواعين أن يقرأوا الواقع ويتوسموا الأحداث كما هي ، ويقولوا الحق لا ينتغون عنه بدلا ولا يتخذون عنه حولا ، كل الغاية من وراء ذلك نشر الحقائق والاعلان عن الواقع مهما كانت العقبات المضادة كأداء ، فهم يرون أنها لاتصمد أمام الحق ، كما لا يمكن أن تقف في وجه المعلومات التي تحققوها وجاسوا خلالها .

أما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . لذا ارسل الاسكافي كلمته الطيبة - الكلمة التي اسر الله فيها كما اسر رسوله صلى الله عليه وآله - وتبعه على هذه الفكرة وسابره على الرأي تلميذه وخريج مدرسته عبد الحميد بن ابي الحديد فقال :

ولولا ابو طالب وابنه      لما مثل الدين شخصاً فقاما  
فذاك بمكة آوى وحامي      وهذا بيثرب خاض الحاما

وقال ايضاً : لولا ابو طالب لما قام للاسلام عمود ، ولما اخضر له عود ، وإن حقه واجب على المسلمين كافة الى يوم القيامة .

اقول : ولا بد ان يكون ابو طالب صاحب ذلك الجهاد وهاتيك الجهود وتلك الخدمات والتضحيات والحماية والرعاية منبعثا عن ايمانه بالله فجاهد في سبيله ، وناشئاً عن تصديقه رسول الله فجاه وفداه بنفسه واولاده . ولعلنا لانغالي اذا قلنا : إن عم الرسول أبي طالب كان يعتقد ببعثته صلى الله عليه وآله من قبل أن يتنبأ ومن قبل أن يأتيه الوحي من ربه ، وعلى ذلك وثائق ومستندات تاريخية متوفرة : منها ما نقله الحجة الأُميني في غديره ٩٩/٣ نقلا عن الراوندي في كتابه الخرائج بطريقه الى فاطمة بنت أسد أنها قالت : لما توفي جد رسول الله صلى الله عليه وآله عبد المطلب رضوان الله عليه كان وصيه ولده الكبير أبا طالب ، وقد اوصاه بوصايا كثيرة واكثر ايصاءه بمحمد بن عبد الله ، فقام ابو طالب بجميع الوصايا ولاسيما ما يرجع منها الى محمد ، فاحتضنه وكفاه وأولاه عنايته وصار عنده اعز من بينه جعفر وعقيل وعلي ، ثم أنا بدوري لزمته خدمته وتوليت تدبير شؤونه ، وكان من جملة ما اقوم له به ومما عودته عليه أن التقط له من نخلات في دارنا حفنة من الرطب في كل يوم ، فنسيت ذات يوم أن التقط ، وبعد أن تنبته الى اني لم أحضر العادة لمحمد أسرع الى ذلك ، فتبين لي أن أطفال الجيران قد دخلوا الدار والتقطوا من الرطب ما كان موجوداً ، فنألت من نفسي فوضعت كمي على وجهي ونمت خجلة من مجد ، ثم انتبه من النوم وصرت ارقبه ، ولما لم يجد عاداته قام بنفسه الى النخلات فخطب واحدة منهن : أيتها النخلة انا جائع ، فوالله لقد رأيت النخلة وقد انحنت وتدللت عليه اغصانها ، فأكل منها كفايته وارتفعت الأغصان ، فتعجبت للحادث وبقيت انتظر أبا طالب إذ هو كان غائبا لأحكي له القصة واطلعه

على القضية والكرامة التي منحها الله ابننا محمداً ، فبينما أنا كذلك اذ دخل علي ابوطالب ، فوجدني مندهمة في وجوم ، فسألني عن الوضع والمقتضي ، فنقلت له ما شاهدته وما رأيته من ابن أخيه ، فقال لي : يا فاطمة لاتعجبي ولا تستكبري الأمر من محمد ، فانه نبي هذه الأمة ، والنبي يا فاطمة لاترد له دعوة كما لاترؤى دونه حاجة يطلبها من الله عز وجل ، أما انك ستلدين له وزيراً بعد يأس .

قال الراوندي : وقد ولدت علياً كذلك .

اقول : لم يكن ذكر هذه القضية ومنطوياتها مقصوراً على خصوص الخرائج ، بل ذكرها جمع من أرباب السير كالحلي في سيرته وابن هشام في سيرته وزيني دحلان في أسنى المطالب والقاضي النقدي في المواهب .

## ابو طالب في نظر ابن ابي الحديد

وابن ابي الحديد هو عبد الحميد المعتزلي من أفاضل العلماء والعلماء والأفاضل ، هو مؤرخ قدير واديب شهير ، له في كل فن من العلم اليد الطولي والكفاءة البينة ، ومن استقرأ شرحه على نهج البلاغة عرف مدى مقدرته العلمية والفنية ، وسعة اطلاعه وتضلعه في الأدب والتاريخ والفلك والفلسفة وغير ذلك من انواع المعارف . كما وهو تلميذ النقيب ابي جعفر الاسكافي المعتزلي ، وحيث وصل بنا الحديث الى هنا وجدتني مندفعاً الى اعطاء صور موجزة عن المعتزلة والاعتزال ، فأقول :

اطلق الاعتزال على جماعة قد اعتزلوا حروب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب في الجمل وصفين والنهروان ، وكان ممن اعتزل وصار معتزلياً بهذا المعنى سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب واسامة بن زيد وكثير من امثالهم .

أما الاعتزال الذي كان عند الاسكافي والحديدي وجمع غفير من بغداديين وبصريين لم يكن من ذلك النوع الذي يؤدي الى اعتزال حروب الامام الثلاثة ، لأن الاعتزال كفكرة ومبدأ إنما كان في الزمن العباسي ، وقد حدث أيام خلافة المنصور الدوانيقي يوم كان الحسن البصري هو المدرس العام في بغداد ، وكان البصري ينتمي بدراسته وفقهه إلى ابي موسى الأشعري ، وكان من جملة تلاميذه البارزين عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ، واتفق أن حصلت مشادة كلامية بين واصل واستاذه البصري اثناء الدرس ادت الى ثورة الاستاذ وغضبه ، كما ادت الى خروج واصل عن حدود الأدب

مع استاذة ، الأمر الذي أدى به أن يبعد واصلاً عن الدرس ، فكان مما قال له : اعتزل درسنا ومجاسنا . فاعتزل واصل واستقل ، وكون على الأثر لنفسه حلقة دراسية وحوزة علمية ، فاجتمع عليه خلق كثير وتردد على درسه جمع غفير وأصبحوا يعرفون بالمعتزلة ، كما صار الحسن البصري وجماعته يعرفون بالأشاعرة .

وقد حدث بين الطائفتين خلاف عقائدي كبير ، حتى أدى الأمر بكل من الفرقتين أن ترمي الأخرى بالخروج من الدين وتنبؤها بالتعدي على حدود الشريعة .

وعلى كل حال ليس المهم في المقام الاتيان على آخر ما هناك من موارد الخلاف والنقاش ، اذ هي كثيرة ، ولكن رأينا من الضروري أن نتعرض لأهم الاسس التي دارت عليه رحي القيل والقال والخصام والجدال ، وهو نكران الاشاعرة للحسن والقبح العقليين المؤدي الى تعطيل المستلزمات العقلية ، وعزل العقل عن كل مدركاته واستشعاراته ، وقصر الحكم والتدخل بشؤون الخلق على الشرع وحده ، فلا حكم إلا له ولا أمر إلا له ، فله الأمر من قبل ومن بعد ، فالحسن عندهم ما حسنه الشرع والقبح ما قبحه .

وبمقتضى هذا اذا صدر من الشرع أمر بادخال مثل ابي ذر وسلمان الى النار ويزيد وابليس الى الجنة كان حسناً وطيباً ، لأن الحسن ما حسنه والقبح ما قبحه والعقل قد احيل على التقاعد ، فلا يضع ولا يرفع ولا يعطي ولا يمنع ، الأمر الذي أدى بالمعتزلة ان يصلوا ويجولوا ويرعدوا ويرقوا ، كما أجمعوا على تزييف هذه الفكرة وتسخيفها وأنها بالكفر أشبه ، لذا حاولوا جاهدين اثبات مستقلات العقل ومستلزماته بالأدلة القطعية الرامية الى أن للعقل تمام الحرية ، ولا يمكن أن يعطل عن وظيفته المقررة له ، فهو يحكم بقبح الظلم والكذب والخيانة كما يحكم بحسن الصدق والاحسان ووجوب اداء

اداء الامانة ، وهو والشرع دائماً وأبداً متساندان متعاضان ، ولا يمكن ان يكون بينهما اي انفكاك ابدأ .

والعقل يحكم بثبوت الحكمة والعدل بالنسبة الى الله عز وجل ، فهو لا يرفع ولا يضع ولا يعطي ولا يمنع ولا يثيب ولا يعاقب إلا بمقتضى الحكمة والمصلحة ، كما لا يكاف الا بما يطابق ولا يأمر الا بالممكن ولا يثيب الا من يستحق الثواب ولا يعاقب الا من يستحق العقاب ، فلا يعقل اذاً في حقه تعالى أن يشتهي إدخال المؤمنين النار والشياطين الى الجنة ، لأن ذلك خلاف الحكمة والعدل ، وخلاف مقتضى الربوبية ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومن هنا سميت المعتزلة - بالعدلية ، كما سميت الامامية أيضاً كذلك ، لتوافق الطوائفتين على تحكيم العقل واثبات الحكمة والعدل بالنسبة الى الله سبحانه . وعليه ربما يتكرر في الكتب النقل عن العدلية ، فهم الامامية والمعتزلة أما الاعتزال بالمعنى الأول الذي يحكى عن قعود الجماعة وتأخرهم عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في حروبه لم يكن اعتزالاً كفكرة عقائدية ، بل هو انحراف عن الخليفة الحق وقعود عن الامام المفترض الطاعة باجماع المسلمين ، فاطلاق الاعتزال على اولئك لا معنى له ، بل غير معروف في ذلك الدور .

\* \* \*

واذا اتضح ذلك فابن ابي الحديد معتزلي حقيقي ومعتزلي واقعي ، يعتقد بأن الله تعالى حكيم وعادل ، ومقتضى ذلك أنه عز وجل لا يفعل القبيح ولا يقرب من أي شيء ينافي العدل ويحاف الحكمة .

ولكننا وجدناه وقد خرج على عقيدته وفرغ من مبدأه ، كما تنكر لها وضرب بهما عرض الجدار ، فجاء في مستهل كلامه وبعد البسملة فلا فصل فقال « الحمد لله الذي قدم المفضل على الفاضل » وهو يعني بالمفضل

ابا بكر وبالفاضل الامام علي بن ابي طالب ، والحال أن تقديم المفضول على الفاضل قبيح عند المعتزلة فضلا عن الامامية ، كما هو مستحيل الصدور عن الرب الحكيم لمنافاته لذمته وحكمته وعدالته :

واست ادري - ولعل ابن ابي الحديد نفسه لا يدري أيضاً - كيف استساع أن يحمّد الله على ذلك العمل الذي يباه العقل وينفر منه الحكماء والعقلاء ، وكأنه يعتبره نعمة لازمة الحمد والشكر .

نعم يمكن ان يكون قد تابع الاشاعرة وقلدهم في هذه المسألة بالخصوص ، ولكن كان اللازم عليه أن يشير ولو من بعيد الى تقليده هذا وتبعيته تلك - راجع شرح النهج الجزء الاول .

ونجده مرة ثانية وقد اعرض ونأججابه عن طريقة اشياخه واساتذته المعتزلة ، وقد توقف عن البت بإيمان عم النبي العظيم ابي طالب ، وهاهو يذكر في شرح النهج ٣ / ١٣٧ بعد ان يسرد كثيراً من الروايات عن آل البيت النبوي ، الروايات الناصية على إيمانه وتدينه رضوان الله عليه ثم يقول : فأما أنا فالحال ملتبسة علي والأخبار متعارضة عندي ، والله اعلم بحقيقة الحال . الى ان يقول : وقد صنف بعض الطالبين كتاباً في هذا العصر فبعثه الي يسألني أن اكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً أشهد فيه بصحة ما نقله واعترف له بوثاقته متناً وسنداً ، فتخرجت ان احكم قاطعاً ، لما عندي فيه من التوقف ولكنني لم استجز أن اقعّد عن تعظيم ابي طالب ، فإني اعلم انه لولاه لما قامت للإسلام دعامة ، واعلم ان حقّه واجب على المسلمين عامة الى يوم القيامة والى ان تقوم الساعة ، فكتبت على ظهر المؤلف :

ولولا ابو طالب وابنه      لما مثل الدين شخصاً فقاما

الى أن يقول :

وما ضر مجد ابي طالب      جهول لغى او بصير تعامى

ثم قال : فوفيته حقه من التعظيم والإجلال ، ولم أكن اجزم بأمر  
عندي فيه وقفة .

•

أقول : التفكير والتدبر في نثر ابن أبي الحديد هذا ونظمه يعطيان  
التناقض في الأقوال والتضارب في الكلام :  
فمرة نجده من المكبرين لمقام عم النبي الأمين ، ومن القائلين بوجوب  
حقه على المسلمين الى يوم الدين ، وان الدين والاسلام لولا أبو طالب لما  
قامت لها دعامة ، كما عرض بمن يتعامى عن حقه ويتغافل عن خدماته لله والرسول  
صلى الله عليه وآله .

ونجده مرة اخرى يتوقف من البت بإيمانه رضي الله عليه ، يتعامى  
عن الحق الذي أوجبه على كافة المسلمين ، في حال ان القول بإيمانه بعد  
قيام الأدلة التي ذكرها آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيراً موافق للاحتياط ، فكان اللازم عليه أن لا يتوقف في ذلك بعد شهادة  
الأئمة البررة ، وان لا يقدم على شهادتهم وادلتهم دعوى المغيرة بن شعبة  
وأقوابله الباطلة العدائية ، وهو من جماعة الناقلين والمسجلين لما كان عليه المغيرة  
من المخازي والمناكير ، خصوصاً في الزمن الاسلامي الكريم ، ولقد نقل لنا  
هو وغيره اختلاف المغيرة على الفواحش ، وقد شهد عليه المسامون بالزنى ،  
ولولا انه كان يعد من الصحابة وانه شيخ كبير وأن قضية إقامة الحد عليه  
ربما تكون سبباً للتشهير بالصحابة ومدعاة للتعريض بكرامة المسلمين ، لذا  
حاول الخليفة عمر درء الحد عنه بكل صورة بالنظر الى تلك الأمور ، فغلق  
الموضوع وسد الحديث ، فجلد الشهود لثلاثا تتوسع القضية . . ومن كان  
هذا حاله كيف تقدم روايته على رواية من نزهم الله عن كل شيء ،  
وطهرهم القرآن من الدنس والرجس تطهيراً .



ثم إذا كان أبو طالب في بعض شعر ابن أبي الحديد هو الفاتح للهدى والاسلام ، ولولاه لم تقم للاسلام دعامة ، وان حقه واجب على المسلمين بصورة عامة الى يوم القيامة ، فكيف يمكن لأبي طالب أن لا يدين بالاسلام الذي فتحه وأيده وبذل في سبيل ارساء قواعده النفس والنفائس . وقد برهنت الوقائع والأحداث التاريخية انه رضي الله عنه حارب الشرك ، وقاوم الكفر والوثنية ، وحطم الأصنام ، واستهان بكل من يقدها ويعظمها من الجهلاء والطفاة المردة . . . أفلا يكون بعض هذا مقنعاً لابن أبي الحديد ومن مشى في ركابه أن يقولوا بإيمانه ، لأن يحتاطوا ويتوقفوا فيه ويستشكوا من الحكم عليه بالتدين والايان .

ثم إذا كان عم النبي الكريم غير متحقق إيمانه عند ابن أبي الحديد وجماعته كيف جاز له أن يحكم بوجود حقه على المجموعة الاسلامية الى قيام يوم الدين ، أفهل كان يتصور أن هذا كان تقديراً للمسلمين وتوقيراً لمقامهم الرفيع ، والحال انه توهين لهم وحط من كرامتهم ، لانه أوجب عليهم تقديس المشركين والاعتراف بحقوقهم وفضلهم مدى الدهر وابد الآبدين ، والى ان يقوم الناس لرب العالمين .

وهذا القرآن الكريم يصرح ناهياً عن الاشارة بذكر الكفار ، ونفى ابدأ عن ان يكون لهم حق على المؤمنين والمسلمين « ماجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » . ومن هنا حكم الاسلام بانقطاع عصمة الزوجية بين الزوجة المسامة والزوج الكافر ، كل ذلك لئلا يكون للكافرين على المؤمنين سبيل . وحق ، ولذلك فقط فرق رسول الله صلى الله عليه وآله بين بنته زينب وزوجها أبي وقاص الكافر المشرك .

إذاً كيف ياترى يوجب ابن أبي الحديد حق المشركين على عامة المسامحين الى الأبد ، وهل هذا منه إلا المخالفة الصريحة للنصوص الاسلامية .

ثم اذا كان المتعامي والمتغافل عن حق ابي طالب وفضله هو متعامي عن الحق ومعاند للعدل — على حسب مؤدى قوله — يكون المعنى والمفاد الحكم على عامة المشككين بالتقصير وترك الواجب ، واذا كان ذلك عن اصرار فللقول بأنه الكفر بمجاله الواسع .

وابن ابي الحديد بالذات هو واحد من اولئك المتوقفين المشككين ، والحال أنه هو نفسه قد روى لنا عن ابن عباس أنه قال : ان مثل عمي ابي طالب مثل اصحاب الكهف أسر الإيمان فأثاه الله أجره مرتين ، كما وهو الذي روى أن بغض ابي طالب كفر ونفاق . كما وهو الذي حكى أن المعتزلة قالت بايمان ابي طالب — فإننا لله وإنا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الحلبي في سيرته ١ / ٩٤ : روى الشيخ السحيمي والشعراني والسبكي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال العباس بن عبد المطلب حين رآه يحرك شفتيه عند الموت وساعة الاحتضار ، فأدنى اليه رأسه لسمع مايقول ، ثم رفع رأسه وقال يخاطب النبي : يا بن اخي إن عمك قد قال الكلمة التي اردتها منه . فقال رسول الله : الحمد لله .

ثم قال الشعراني : وقد صح هذا الحديث عند اهل الكشف والشهود ، كما صح عندهم إيمان عم النبي وتدينه .

وقال السيد زيني دحلان في اسنى المطالب : إن عم النبي ابا طالب قد عد من الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه باسناده الى الإمام الباقر عن آبائه عن علي عن ابي طالب أنه قال : حدثني ابن اخي محمد : أن الله بعثه بصلوة الرحم ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وهو والله كان صادقاً صدوقاً :

وكان ابو طالب دائماً وأبداً يشيد بنبوة رسول الله ، كما تفانى في الذب عنها.

قال السيد ابن معد في الحجة والقاضي التقدي في المواهب : أن ابا طالب قال هذه الأبيات :

ألا يارسول الله انك صادق فبوركت مهدياً وبوركت هاديا  
شرعت لنا الدين الحنيني بعدما نرى عبد الناس الحمير طواعيا  
فياخير مدعو وياخير مرسل الى جننا والانس لبيك داعيا  
أتيت برهان من الله واضح فأصبحت فينا صادق الوعد راعيا  
فبوركت في الاحوال حياً وميتاً وبوركت مولوداً وبوركت ناشيا

ويحدث الفضل بن شاذان في مناقبه أن من جملة مواقف عم النبي العظيم الزعيم ابي طالب موقفه البطولي الكريم ، الموقف الذي ذكره ابن إسحق عن كثير بن عامر ، وذلك على اثر مجيء راكب الى الأبطح ومعه سبعة نوق محملة مثقاة بقماش الحرير والديباج والذهب والفضة وبعض الأحجار الكريمة ، وعلى كل ناقة عبد أسود ، والكل يطلبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الراكب المتقدم عليه مهابة وجلالة ، كما تبين مؤخراً أنه وصي أبيه وقد جاء بهذه النوق واحاها والعبيد باعتبار انها ثلث أبيه الذي أوصاه بإبصاها الى النبي صلى الله عليه وآله : فصادف أن مر الراكب على جماعة من رؤساء قريش وزعمائها ، وكان من جملةهم ابو جهل وابو البحتري ، فقام الأخير في وجوههم وقال : لأي مكان تقصدون ؟ قالوا : نقصد رسول الله محمداً . قال ابو البحتري : هذا محمد - وأوماً الى ابي جهل - فنظره الغلام المتقدم ملياً : ثم ساق النوق مسرعاً وقال : ما هو بصاحبي .

ثم أوقف الجمال بمكان وصار بنفسه فقط يدور في أزقة مكة حذراً من أن يسأل عن النبي فيأتيه غيره مدعياً أنه هو ، ومن الصدق ان قابل رسول الله وجهاً لوجه في بعض الطريق ، وبمجرد ان تفرس في وجهه تحقق أنه هو رسول الله ، فنزل من على بعيره وأهوى على يديه ورجليه لثماً وتقبيلاً ،

وإذا به صلى الله عليه وآله يقول : انت ناجي بن المنذر السكاك ؟ قال : نعم فذاك ابي وامى يارسول الله . قال النبي : ابن ثلث ابيك المتكون من سبعة نوق محمداً وسبعة عبيد ؟ فقال : بالقرب منا يارسول الله ، اسمح لي قليلاً الآن آتيك بها .

ثم ذهب مسرعاً فقاد الجبال وجاء مع النبي الى دار عمه ابي طالب ، أما ابو جهل فلما تحقق وصول الجبال الى رسول الله ثارت ثائرتة وقامت قيامته ودعى بالويل والثبور ، وقد اظلمت الدنيا في عينيه وصار الى إهاجة قريش وإثارتهم شارحاً لهم أن اموالاً ضخمة وثروة طائفة نذرنا بعض الناس الى أصنام الكعبة وقد استولى عليها محمد واوصلها الى دار عمه ابي طالب ، وعليه يلزم الجميع باثراك اليهود أن ينضموا الى قيادته ليستخلصوا الأموال من محمد ، وإلا وضع السيف في صدره وانتحر .

وحينئذ ما كان من القوم إلا ان يوافقوه ويقوموا معه الى دار ابي طالب ، ولما قربوا من الدار الهاشمية وسمع ابو طالب ضجيج القوم وصهيل الخيل عرف مغزى مجيء القوم ، خرج ومعه بعض أسود بني هاشم ، فاستقبل ابا جهل وقال : ماتريد وما وراءك يا ابا جهل ؟ فقال : إن ابن أخيك محمد جنى علينا وخان الآلهة الخيانة العظمى ، يهون لقريش أن تسفك في سبيلها الدماء وتزهق الأرواح وتسيب الذراري والنساء .

قال ابو طالب : انت أقل وأدنى من أن تصل الى ذلك ، ولكن عرفني ما الخبر .

قال ابو جهل : إن محمداً قد استولى على نذر وصل للكعبة بما فيها من أصنام ، فلا بد من تسليمه لنا لنعمل فيه رأينا .

فقال ابو طالب : قف مكانك ولا تتكلم حتى اجتمع بمحمد واقف على تفاصيل القضية ثم آتيك برأيه .

فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وأوقفه على إرادة أبي جهل ودعواه وصار ينتظر أمره ورأيه إذ تكلم رسول الله فقال : يا عم ان الأموال ثلث ميت. أوصى أن تصل الي وقد وصات فعلا وجاء بها ابن الميت ، فهي لي خاصة لا يشاركني فيها اي أحد ، كما ليس لأي انسان فيها حق ، ولكن ابا جهل لا يقنع بذلك يا عم ، وعليه اتفق معه على يوم للمباهلة فنخرج نحن وهم الى قريب من الكعبة ونخرج معنا الجمال فيتقدم ابو جهل الى مقدساته يسألها أن تكامه النوق بأي كلام والى سبع مرات ، فان كامتة فهي له وليس لي حق الاعتراض عليه بأي لون من ألوان الاعتراض ، وإن أيس من كلامها أتقدم أنا فأسأل ربي أن تكلمني ، فإن كالمتي فهي لي وليس لأحد فيها حق وان لم تكلمني فهي لأبي جهل أيضاً وليس لي فيها حق .

قال ابو طالب : هذا هو الرأي السديد والحل الوحيد ، فأسرع الى ابي جهل فأفهمه نظرية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وان لالحل للمشكلة إلا ذلك ، فلم يسعه إلا الموافقة والرضا ، وتفرقوا على ذلك .

وصار ابو جهل يقضي جل أوقاته واكثر جاساته عند هبل شيخ الآلهة وكبير المعبودات ، وهو يخضع له ويتوصل به ويطلب اليه أن لا يشمت به الرجال والنساء ، فينصره على محمد ويخضع له الجمال لتكلمه . ولم يزل على هذا الحال الى أن حانت الليلة التي تكون في صبيحتها المباهلة ، بات ابو جهل عند هبل باكياً متضرعاً يمينه إن هو قد انتصر على محمد وظفر بالأموال ليضع عليه قبة من الذهب وخامخالين من الذهب وتاجاً مرصعاً بالاحجار الكريمة وقلادة من الياقوت الاحمر .

ولما صار الفجر وقرب طلوع الشمس ارسل الى شياطينه ليحضروا المباهلة ، فجاؤوه بهرعون . ثم حضر النبي ويخدمته عمه ابو طالب والهاشميون ، وجيء بالجمال فأوقفت في جانب ، وبعد ان أخذ كل من الطرفين مكانه

التفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى عمه وقال : قل لأبي جهل أن يكلم النوق ، فتقدم اليها وكلمها أراد وحاول منها ذلك ماتسنى له ما أراد حتى عجز وكل . فقال ابو طالب للنبي : قم يا محمد كلم النوق ، قام رسول الله صلى الله عليه وآله ووقف في مقابلها ، وبمجرد أن نظرته كلمته وسامت عليه من قبل أن يكلمها ويحدثها ، وأخيراً كلمها وكلمته بكل لباقة وطلاقة ، وانتهت القصة في صالح رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعند ذلك أمر ابو طالب فتيان بني هاشم أن يسوقوا النوق الى الدار ، أما ابو جهل فقد صار اضحوكة بين الناس وسخرية للنساء والأطفال ، ورأى أن يتذرع برمي النبي بالسحر والشعوذة ، وعلم ابو طالب بذلك فصدده وزجره وأوقفه عند حده ، وعاد ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله موفور الكرامة ظافراً منتصراً بعون الله عز وجل ومعونة عمه الكريم .

ونقل الفضل في المناقب والقاضي في المواهب بسندهما عن المفضل بن عمر انه قال : ومن مواقف ابي طالب المؤمنة ما قد سمعته عن صادق آل البيت جعفر بن محمد عليه السلام ، وكان يحدث أصحابه أنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت جدتي فاطمة بنت أسد حاضرة حين ولادته ، إذ كشف لها عن بصرها فرأت بياض قصور الشام وفارس ، فتعجبت لذلك ثم بعد أن وصلت الى دارها اخبرت بما شاهدت وما رأت ابا طالب ، فقال لها ابو طالب : لاتتعجبي يا فاطمة من الأمر ، إن محمداً نبي هذه الأمة ، وستلدين وصيه ووزيره .

وفي نفس الصفحة كما هو موجود في معاني الأخبار بسندهما الى الدقاق عن الكليني عن الحسن بن محمد عن محمد بن يحيى الفارسي عن ابي حنيفة محمد بن يحيى عن الوليد بن ابان عن محمد بن مسكان عن ابيه عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : جاءت فاطمة بنت أسد - وكانت حاضرة

حين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله - ثم اقيات تبشر ابا طالب بمولود ابن أخيه ، فقال لها : وانا ابشرك ببشارة يافاطمة ، فانتظري سبتاً ستلدين مثله الا النبوة . وكان السبت آنذاك ثلاثين سنة ، فعد بين حديث ابي طالب هذا وولادة علي فكان ثلاثون سنة لانزيد ولا تنقص .

وقال مفتي الشوافع زيني دحلان في اسنى المطالب : إن وصية ابي طالب هي من جملة مواقفه المؤمنة الخيرة .

وقال المجلسي في البحار : وان من جملة مواقف ابي طالب الخيرة والمؤيدة لإيمانه قوله لفاطمة بنت أسد زوجته : اخبرتي عن محمد ساعة ولادته أنه سقط معتمداً على يده اليمنى يصعد منه نور الى السماء وهو يقول « لا إله إلا الله » . قالت : نعم حدثتك عن مشاهدة وحس . فقال لها : اكنمي الأمر ولا تخبري به أحداً ، فإني اخاف عليه عيون الحاسدين والماكرين من اليهود الأرجاس والشياطين من العرب ، أما انك ستلدين مولوداً ذكراً يكون له وصياً ووزيراً ، فانتظري سبتاً - والسبت ثلاثون سنة - وأخيراً كان الأمر كما اخبر وكما حدث ، فولدت علياً بعد هذا الإخبار بثلاثين سنة بعد يأس .

وقال صاحب درر البحار نور الدين محمداً بن المرتضى والقاضي النقدي في مواهبه : وان من مؤيدات ايمان عم النبي الزعيم ابي طالب رضوان الله عليه حضوره لقضاء حوائج النبي صلى الله عليه وآله واستعداده لكل متطلباته ورغباته بكل صورة وعلى كل حال ، ومن ذلك ان اتفق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرج ذات يوم الى خارج مكة للتروح والانفراد بنفسه ، وبعد أن قضى المدة التي كان قد قرر أن يقضيها هناك كر راجعاً الى المنزل ، فر في طريقه على نادي بني تميم ، وكان مناديهم يهتف بالناس بين شعاب مكة وضواحيها : ألا من اراد القرى والضيافة فليحضر المأدبة والوليمة المقامة من قبل بني تميم على شرف رئيسهم عبد الله بن جذعان . فأخذ

الناس يتهافتون زرافات ووحداناً على النادي ، ولما مر عليهم رسول الله قام اليه عبد الله وجماعة من زعماء بني تميم فاستقباهو وساموا عليه وعرضوا عليه حضور الوليمة ، فامتنع عن الاجابة معتلاً بترقب عمه ابي طالب له وانتظاره إياه ، واخيراً أقسموا عليه برب البيت وشيبة عبد المطلب ، فما وسعه حين ذلك إلا الإجابة والموافقة ، وبعد تناول الطعام والاستراحة قام ليرجع الى البيت فقام ، الناس كلهم اجمعون اجلالاً لحضرته ، فودعوه بما استقبلوه . به من الحفاوة والتوقير والتكريم ، بعد ان أخذ منهم كلاماً على أن تكون وليمة عنده وفي بيت عمه الزعيم ابي طالب ، فليحضرها كلهم ولا يتخالف منهم أحد حتى الاتباع والحلفاء .

ثم فارقههم وعاد الى أهله ، وبعد أن وصل صلى الله عليه وآله وسلم أخذت القضية تعظم عليه وتكبر في عينه ، ولا سيما أن عمه ابا طالب كان في تلك الظروف لاتساعده حالته المادية على القيام بتلك المأدبة الخطيرة التي تستلزم جملة من الأسباب والمعدات ، ماربما يصعب على عمه تهيئتها . هذا من جهة ومن جهة اخرى إن الأمر لا يبد منه ، لأنه صلى الله عليه وآله قد اعطى كلاماً عليه . ومع هذا وذاك يتعقد الموقف عاياه ، كما يكثُر عليه التفكير والقلق ، وبينما هو على هذا الحال اذ تستشعر منه زوجة عمه فاطمة بنت أسد القلق والاهتمام ، الأمر الذي ادى بها الى ان تستفهمه عن البواعث والدواعي ، ولم تزل به حتى اوقفها على جلية الحال ، فقالت مهيدة عليه وفتحة امامه ابواب الراحة والاطمئنان ، وان الموضوع اقل من أن يكون مثاراً لقاومه ومدعاة لاهتمامه وتفكيره بل هو بسيط للغاية ، ولا سيما وانها تمتلك مقداراً من العسل يقوم بسد كل نفقات الوليمة إن لم يمنع ابو طالب لمكان أنه هو يريد أن يتولى أمرها ، وبينما هما في الحديث اذ دخل عليهما ابو طالب فقال : فيما اتما عليه ؟ فأخبرته فاطمة بالقصة واطلعتة على تعهد



النبي لبني تميم ، فانتفض ابو طالب الى رسول الله فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وصار يهون عليه الأمر ويبسطه عليه ، وان غداً منه قريب فيرى ماتقر به عينه ويسر به خاطره . وتتهياً بعون الله وليمة تتحدث بها الركبان في كل مكان . فاطمأن صلى الله عليه وآله وارتاح نفسياً لضمان عمه ، وصار يرقب الغد الموعود .

أما ابو طالب فقد خرج من الدار مسرعاً الى أخيه العباس ليستدين منه من المال مايسد به نفقات الوليمة ، فاعترضه في الطريق بعض الهاشميين فراه على غير حاله الطبيعية ، وأخيراً تكاشفا فقال الهاشمي : لاجاجة الى قصد العباس انا اقوم بكل ماتريد ياأبا طالب . فغاب قليلاً ثم عاد فجاء بما يكفي من الذهب والفضة وقال : الوفاء ممدود غير محدود يازعيم مكة .

فشكره ابو طالب وودعه وصار الى إعداد اللوازم والمقتضيات ، وبعد أن كمل كل شيء أمر جملة من المنادين أن ينسادوا بالناس في أرجاء مكة وضواحيها : ألا من أراد أن يحضر الوليمة التي سيقمها محمد بن عبد الله في دار عمه ابي طالب على شرف عبد الله بن جذعان رئيس بني تميم فليحضر غداً فالدعوة عامة للجميع . فوصل الخبر الى العباس بن عبد المطلب . فتصور أن هذا المطلب سيكلف أخاه مبلغاً ضخماً ، فبادر ليعرض عليه المعاونة والمساهمة فيه ، فاعتذره ابو طالب محتجاً بتأمية الأمر وحضور كافة اللوازم ، ثم اراد العباس من أخيه أن يتلطف عليه بادارة شؤون الوليمة كخصوصية يختصه بها وككرامة يكرمه بها ، فأجابه الى ذلك . فنحز العباس الابل والغنم ، ونصب القدور وصنع فاخر الحلوى كما تكون المطبوخت واكثر الشواء ، ثم هياً ابو طالب عرشاً خاصاً للنبي صلى الله عليه وآله وحلاه بالأحجار الكريمة والحريير والديباج ، حتى اذا صار الظهر قريباً وبانت طلائع المدعوين جاء برسول الله فأجلسه على العرش ، فكان كالقدر ليلة تمامه وكإله ،

فشغل الناس نوره الملكوتي ووقاره الآلهي حتى صاروا جميعاً لايفترون عن النظر الى هيئته وطلعت، البهمة ، والفرح والسرور باديان على الجميع .  
وبعد الفراغ من تناول الطعام قام الشعراء والأدباء يمتدحون رسول الله وعمه الزعيم ابا طالب ، كما عرجوا على الوليمة الفخمة ، الوليمة التي لم يقفوا على مثيل لها في دنيا الولايم والمكارم ، كما كانت هي إحدى معالي عم الرسول العظيم ابي طالب رضوان الله عليه ، وعلى مثلها فقس ماسواها .

## ابو طالب واهل الكهف

لقد قيس عم النبي العظيم ابو طالب بأهل الكهف بالنظر الى أن الطرفين كانا يتستران بإيمانها ويتكتمان في عقيدتها وتدينها ، لذا استحقا ان يعطيها الله جزاءهما وأجرهما مرتين وثوابها ضعفين .

وربما قد عضد هذا القياس والتشبيه بعض الروايات التي استندت الى عبد الله بن عباس مرة والى بعض أئمة آل البيت مرة اخرى ، في حال أن ظواهر حال كل من الاثنيين تأبى لها أن يكون إيمانها وتدينها على تلك الصورة من الخفاء والسرية التي ينقلها الرواة والمحدثون .

وكيف يكون كذلك في حال انهم نقلوا عن كل من ابي طالب واهل الكهف جملة من المقابلات الموجهة ، وسيلا من الاحتجاج العلي مع ملاحظة العصر ومشركي ازمنتها ؟ ! .

أما الحال بالنسبة الى اهل الكهف فانهم لما كانوا يقلون عن العدو عدداً وعدة فهم محاربون من قبله ومطاردون من ناحيته ، حتى خافوا على أنفسهم بدى لهم أن يفروا بدينهم وأرواحهم إلى حيث لا يدرون ، وما زالوا كذلك حتى ادركتهم رحمة الله عز وجل ، فأخفتهم عن أبصار الكفرة وغيبتهم عن انظار المحرمين الجبابرة . . واخيراً ألهموا الدخول الى الكهف ، فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً .

والقرآن الكريم حين ينقل قصتهم وواقع قضيتهم لا يعطينا اكثر من ذلك ، « نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »

وعليه لولم يكونوا متظاهرين بإيمانهم بالله معلنين بما هم عليه من المبدأ والعقيدة لما كان هناك للكفرة الطغاة سبيل عليهم ابدأ ، كما لم يكن هناك موجب لاختفائهم في الكهف كذلك .

• • •

وأما بالنسبة الى إيمان عم النبي الزعيم ابي طالب فهو أبين من الأيمن ، واطهر من الشمس ، وأوضح من النهار في اليوم الضاحي . كشف عنه نثره وشعره اللذان ضاقت بهما كتب الحديث وسجلتها له الوقائع والأحداث :  
ألم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كمرسى خط في محكم الكتب  
« اخبرني ابن أخي محمد أن الله بعثه بصلاة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، وهو عندي الصادق الأمين » .

الى مئات من هذا اللون من الاقرار والاعترافات التي كان ينتهز بها المجتمعات والأندية غير هياب ولا مكترث .  
ولا نجدنا مغالين بالقول حين نقول : إن كل من استقرأ التاريخ وتدبر بامعان ما نقله لشيخ الأبطح من أقوال وأفعال وأثر فعال في تقوية الدين وشد أزر المسلمين ومعاونة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله لما خرج منه الا مؤمناً مصداقاً باسلام عم النبي جازماً متحققاً لإيمانه رضوان الله عليه .

قال بعض عارفي فضله وتدينه : فإيمان من كان محلقةً للاء في افق مكة ان لم يكن هو إيمان عم النبي المجاهد أبي طالب ؟ وتدين من ياترى كان مشرقاً وضاءً يسترعي اليقضة والانتباه في عالم الخارج غير تدين ابي طالب كافل النبي وداعية الاسلام ؟ ! ولهذا وذاك فقد عده المشركون من الصباة لدين مجد ومن المسحورين الذين نفت في أعماقهم حب مجد وشريعته ، ولذا اجمع الشرك على قطيعته واتخاذ كل وسائل التهوين في حقه ، فلا يزيد ذلك

إلا فناءً في الله وتفانياً في سبيل رسول الله علانية وجهرًا . إذاً لا بد وأن تكون تأسك الأخبار وهاتيك الأحاديث بعد فرض صحتها وصحة نسبتها الى بعض آل البيت واردة مورد المحاراة للناس ، وعلى حسب ماتهضمه عقولهم وتدركه أحاسيسهم ، واردة مورد الاقتناع بالنسبة الى المغفلين والبسطاء من الرجال الذين قد استحوذ عليهم الشيطان ، فصرفهم عن ذكر الله الحكيم وأعمالهم عن مقامات عم النبي العظيم ومواقفه الخالدة في الدين والاسلام ، كما أعمالهم وأصمهم عن ادراك حقيقة ابي طالب المؤمنة وجهوده الخيرة ، اولئك المغفلون والبسطاء الذين قد حشى أدمغتهم واذهانهم بهذه الفكرة ، المناوىء الأول. والمعادي المتجاهر لأبي طالب المغيرة بن شعبة ، المغيرة الذي هو أول حاسد وحاقد لبني هاشم ولا سيما آل ابي طالب ، لشرفهم الموروث ومجدهم العالي وزعامتهم العامة ومكانتهم السامية في الأسرة القرشية والعربية . الأمر الذي أدى به أن يحمل على شيخ الأبطح وسيد بني هاشم حملاته المنكرة العدوانية ، تلك الحملات التي يعلم الله ويشهد أنها حملات مبغضة حاقدة ، وان مغزاها لأساس له من الصحة . وهكذا الحال بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم الخُصين والوفياء من المسلمين ، وسيجمع الله عز وجل بين ابن شعبة وعم النبي الكريم أمام رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يعرض عليه مازوره ابن شعبة وما ابتدعه على عمه ، فيتولى الحاكمة والمخاصمة رسول الله ، ثم أمير المؤمنين بمحض من الأئمة البررة والمسامين الأطائب .

ياترى كيف حال من يكون شفاعؤه خصماؤه ؟

ويل لمن . شفاعؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة تنفخ

قال السيد زيني دحلان في اسنى المطالب ص ٤٥ : وقد صح عن العباس بن عبد المطلب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أترجو

لأبي طالب خيراً؟ قال : كل الخير أرجوه من ربي لعمي ابي طالب .  
ثم قال السيد دحلان : وهذا الحديث رواه أيضاً ابن سعد في الطبقات  
بسند صحيح ، ورجاؤه هذا محقق ، ولا يرجو صلى الله عليه وسلم كل  
الخير إلا للمؤمن .

ثم قال السيد دحلان : قال بعض العارفين : انه ثبت عند أهل  
الكشف والشهود إيمان ابي طالب العاني .

\* \* \*

أقول : قد تقدم منا - قبل قليل - أن نسبة المات على الشرك وتهمته  
المات على الكفر لم تقتصر على خصوص عم النبي الكريم ابي طالب ، بل  
تجاوزت الى ابوي النبي الشريفين وأسرته الطيبة ، وكان مصدر ذلك حديثاً  
رواه مسلم في صحيحه بطريق ابي داود عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس  
ابن مالك أنه قال : أقبل رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله : اين  
مكان أبيه يكون أفي الجنة هو أم في النار؟ وكان أب الرجل قد مات في الزمن  
الجاهلي ، فقال له رسول الله : إن ابي واباك في النار .

وبعد أن وقف العلماء على حديث مسلم هذا قامت قيامتهم وثار  
ثائرتهم ، فصالوا وجالوا وتطاول بعضهم على بعض ، فانتصر قسم كبير  
منهم للسيدتين الجليلين ، ودافعوا عن مقامها الرفيع ، واثبتوا في أكثر من  
مؤلف إيمانها وانها من أهل الجنة .

ومن هنا ذهب الفاضل السيوطي الى التنديد بالحديث الذي رواه مسلم ،  
فقطع في متنه وسنده وقال مامأخضه : إن الحديث من افراد مسلم ، ومثله  
لايثبت به المدعى .

أما قولهم بأنه يجزم بما في الصحيحين أو بما في احدهما فيما اذا لم  
ينتقده الحفاظ او يحدش بصحته رواة الحديث ، والحديث معلول

سنداً ومتناً :

أما من حيث السند ففيه « ثابت » ، وثابت هذا قد عده المحدثون في عداد الضعفاء ، مما لا يتخرج في رجاله عن النكرات ومجهول الحال ، وأما « حماد » المذكور في السند فقد ناقش جمع من الرواة في حديثه ، لذا تنكب البخاري عن الأخذ منه ، كما قيل كان أبو العوجاء الملقب يدس في كتبه المناكير .

وأما من حيث المتن فالكلام عليه يتوقف على بيان مقدمة تتلخص بما حاصله : إن كثيراً من المؤرخين والمحدثين ذكروا سيلاً وافرأ من الأحاديث تدل بمفهومها ومنطوقها على أن أهل الفترة لا يدخلون النار ابداً إلا بعد الاختبار وعرض الإسلام عليهم ، فمن قبله منهم ودان به كان من أهل النعيم والجنة ، ومن أباه ونفر عنه كان من أهل النار ، ولعل أب الرجل ممن لا يتقبل الإسلام فيكون من أهل النار .

ثم قال السيوطي : وإذا عرفت هذا فاعلم أنه روي بطريق معمر بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال للأعرابي آنف الذكر حين سأله عن مكان أبيه : أي قبر لمشرك مرتت به فبشره في النار . وعليه الرواية لم تكن ناظرة لا لأب النبي ولا لأب الأعرابي ، ومعمر هذا لم يناقش في صدقه كما لم يخدش احد في صحة حديثه ، وقد اتفق الشيخان على التخريج له والنقل عنه . وعليه فحديثه يقدم على حديث مسلم ، اذ هو أقوى دلالة وافادة ، كما هو أوثق متناً وسنداً . هذا بالاضافة الى أن رواية معمر معتضدة بالروايات الماثلة مضموناً وطريقاً ، فتعين هي اذاً وتطرح رواية مسلم .

وقال السيوطي : ومع غرض النظر عن كل ذلك لا يمكننا القول بكفر أبوي النبي العظيمين ، بل عامة أهل الفترة ، لجواز تقبلهم للدين واعتناقهم للإسلام عندما يعرضان عليهم ، ومتى ما قام الاحتمال بطل الاستدلال . اللهم

الا ان يدعى قيام اجماع على تعذيب أهل الفترة ، فيقاس على ذلك ابوا النبي الشريهان ، ولكن قيام الاجماع اول الكلام ، ودون اثباته خرط القتاد ، بل التحقيق يقضي أن لا اجماع في المتام فلا قياس .

ثم قال السيوطي : وكيف يسعنا القول والحكم بكفر أبوي النبي وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله « ما زلت اخرج من نكاح كنكاح الاسلام حتى خرجت من ابى عبد الله وامى آمنة » كما صح عنه أنه قال « ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء قط » .

وقال السيوطي : قال الجاحظ : ومن اعتقد غير هذا في ابوي النبي فهو كافر ، والحمد لله الذي قد برأ نبيه من كل وصمة وطهره من كل دنس تطهيراً . ولا يجوز لأي انسان ان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بمباح ولا في غيره ، وتكفير ابويه ايذاء له مما لا ريب ، ومؤذي النبي كافر بلا كلام .

وقال السيوطي : وروى الطبري في ذخائر العقبى عن ابى هريرة أنه قال : جاءت سبعية بنت ابى لهب الى رسول الله شاكية اليه ماسمته من البعض من سب أبيها أمامها ، فغضب رسول الله عند سماعه ذلك ، ثم قام الى المسجد فصعد المنبر فقال فيما قال : فما بال اقوام يؤذوني في قرابتي ، ألم يعلموا أن من آذاني فقد آذى الله .

وشكا عكرمة بن ابى جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعضهم حيث اسمعوه شتم ابيه وسبه ، الأمر الذي ادى بالنبي أن يمنع منعاً باتاً عن سب ابى جهل تكريماً لابنه المسلم . ثم قال : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » ، فكيف اذاً ياترى يكون الحال فيمن ينسب الى ابوي النبي الكفر : وهو اعظم من الشتم والسب ، في حال ان نسبة الكفر اليها لادليل عليه ، فالذي يجب ان نعتقه فيها انها مؤمنان وناجيان من النار



ومن غضب الجبار .

وقال الطبري : واعلم انه قد قال بنجاة ابوي الرسول جمع غفير وخلق كثير من العلماء ، ممن جمع بين الفقه والحديث والأصول ، مثل ابن العربي وابن شاهين وابن منبه وابن ناصر الدين الدمشقي والرازي والسبكي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن حجر العسقلاني وحافظ الدين الحنفي وخاتمة الحفاظ السيوطي وابن حجر الهيتمي ومن هذا حذوهم من الحفاظ وأئمة الحديث .

قال ابن حجر في النعمة الكبرى : احذر ان تروغ عن القول بنجاة ابوي النبي الشريفين ، فالنبي حذرک عن ذلك عند شكايه بنت ابي لهب وعكرمة بن ابي جهل ، حيث قال صلى الله عليه وسلم « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » كما قال ايضاً « من آذاني في قرابتي فقد آذى الله » .

وقال الطبري في كتابه الصغير : القول والخوض في حديث نسبة الكفر الى الأبوين الشريفين خلاف حقوق النبي المفروضة ، كما وهو يؤذيه صلى الله عليه وسلم ، فاني ارى هدر دم من يقول بذلك ، فعلى العاقل ان يصرف نفسه عن هذه الورطة الصعبة ، وإياك ايها المسلم ان يسبق لسانك الى خلاف ماقلناه من نجاة الأبوين الكريمين ، فتكون ممن آذى رسول الله في آباءه الطاهرين ، نسأله تعالى المعافاة عن الخوض في مثل هذه المهالك ، وإياك ان تصغي لما ذهب اليه القاريء علي الهروي من القول بكفر السيدين الجليلين والدي النبي الأمين ، حيث قد زعم انه ركن الى مسألة نسبة الممات على الكفر الى ابي حنيفة النعمان بن ثابت وعن كتابه المسمى بالفقه الاكبر ، وعلى هذا الأساس نشط الهروي ، فألف كتاباً طبعه على هامش كتاب الشفاء معزماً مفتخراً بتلك الفكرة المقيتة ، وليته اذ لم يراع حق رسول الله حيث قد آذاه في آباءه صلى الله عليه وسلم اخفى عن التعرض لها لانقياً ولا اثباتاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم قال الطبري : ولما شاع نبأ كتاب الهروي هذا انتدب اليه جماعة من رجال الاسلام وجماعة من حملة العلم ممن اسخطهم واقص مضجعهم ذلك المؤلف المشؤوم ، المؤلف الذي استهدف في أول ما استهدف كفر ابوي النبي الكريمين ، ثم اسقاط وجوب الصلاة على عهد وآل محمد اثناء الصلاة . وكان في طليعة اولئك الأفذاذ الثنائرين بوجه الهروي الامام عبد القادر الشافعي ، فانه رحمه الله قد ألف كتاباً جليلاً قد رد فيه مزاعم الهروي ومفترباته ، كما مزق فيه آراءه السقيمة شر ممزق ، معتمداً في ذلك على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، مما ادى بالهروي أن يؤوب بالخزي والعار واللعنة الى يوم المآب ، ففسأله سبحانه وتعالى العافية من أباطيل الهروي وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم قال الطبري : ولقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب واخ كان لي في الجاهلية .

ثم قال الطبري في الصفحة السابعة من الذخائر : واخرج تمام الحديث الفخر الرازي في فوائده ثم قال : فان قلت : أليس قد صرح ابو حنيفة في الفقه الأكبر بأن ابوي النبي صلى الله عليه وسلم ماتا كافرين فهما من اهل النار ؟ قلنا : لقد عز على الحنفية كثيراً أن يصدر هذا القول من ابي حنيفة ، ولا سيما الحنفيون المتعصبون الذين لا يميزون تعمد الخطأ على ابي حنيفة ، بل لعالمهم يعتقدون عصمته في جميع اقواله وافعاله ، وهذه مرتبة لا تنطبق إلا على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على حد تعبير الامام مالك بن انس حيث قال : كل انسان يؤاخذ على أقواله وحديثه إلا صاحب هذا القبر - وأشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

هذا بالإضافة الى أنا لانسلم ان الذي قد استند اليه حديث تكفير ابوي النبي هو ابو حنيفة النعمان بن ثابت ، والحديث الذي ذكره الهروي وعلق عليه لم يوجد له في الفقه الأكبر عين ولا اثر ، وكذلك قد استقرأنا الفقه الأصغر فلم نعثر على أي شيء من ذلك .

ولعل الهروي قد اشتبه عليه الحال بأبي حنيفة محمد بن يوسف البخاري ، والبخاري هذا لم يكن معصوماً ، فلا يستبعد منه ان يتعرض لمثل تلسم الأحاديث البشعة ، وانا نبرأ الى الله عز وجل من تلك المقالة ، كما نزه جناب الامام الأعظم عنها .

وكيف يكون من المعقول أن يصدر من ابي حنيفة النعمان وهو العارف بمقام آباء النبي ما يؤدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف يمكن له ان يتفوه بمثل ذلك وهو الرجل التي الورع العالم ، فيعمد الى نشر مقدمة لكتابه الذي يحتوي على أصول الفقه والدين ومبادئ الاعتقاد : ثم يعممه على الناس كافة ليعملوا على ما فيه ، ثم يضمه سب النبي وشتم آبائه الاطهار ورميهم بالكفر الذي لا يابق بشأنها وشأنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فيؤذبه بأمس الناس به رحماً واقربهم اليه مودة .

وهذا الامام النسفي ممن يرى امامة ابي حنيفة كما يعتقد ورعه وتقاه ، والنسفي ممن ذهب مطمئناً الى القول بنجاة الأبوين الشريفين ، فهل ياترى لو كان النسفي يعلم بقول امامه الذي ذكره الهروي عن الفقه الأكبر هل كان من مستطاعه أن يخالف أو يرى غير ما يراه مقتداه ، في حال ان النسفي هو الذي روى عن الثقات من اساتذته واشياخه ان الله عز وجل قد أحيا للنبي ابويه كرامة له فعرض عايتها الاسلام فأسلما ثم ماتا عليه .

قال النسفي : إن محقق الحنفية الجامعين بين الفقه والحديث قد نقلوا عن ابي حنيفة نفسه أنه قال لواحد من أصحابه حين تقدم اليه بسؤال مضمونه :

ما تقول في رجل اقر بالاسلام مجملاً لبعده عن البلاد الاسلامية وتوطنه البلاد الكافرة ، فهو لايعرف من نفسه غير انه مسلم هوية وجنسية فقط ، فاذا مات على هذا فهل يموت مؤمناً مسلماً ؟ .

فقال ابو حنيفة : نعم يموت مؤمناً مسلماً .

السائل : وان لم يعمل بكل شيء طوال حياته من متطلبات الدين وأحكام الاسلام ؟ .

ابو حنيفة : نعم هو مؤمن حياً وميتاً وان لم يعمل أي عمل من اعمال الاسلام . ثم قال النسفي : فن يكون هذا رأيه بالنسبة الى هذا النوع من الناس فكيف ياترى يكون رأيه فيمن دلت عليهم الآثار والأخبار انهم موحدون مؤمنون بالله لايشركون بعبادة ربهم أحداً ، كما كان كذلك آباء رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذا مضافاً الى أن ابا حنيفة رضي الله عنه لم يدع لنفسه العصمة والتزهد المطلق عن الخطأ ، وهو شخصياً كان يقول وبالخرف الواحد : لايجل لأحد أن يأخذ بأقوالنا حتى يعلم بأخذنا من الكتاب والسنة .

ولو سلمنا تنزلاً أن القول محل النزاع هو قوله وحديثه لزمنا العمل على وصيته ، بمعنى انه وجب علينا أن نعرض مانسب اليه على الكتاب والسنة ، فان وجدناه موافقاً لها اخذنا به ، وان وجدناه مخالفاً تركناه واعرضنا عنه ، اذ هو مجتهد والمجتهد ربما يخطيء ، وان أصاب له اجر عشر حسنات وان اخطأ له اجر حسنة واحدة . وكان المعروف من حال ابي حنيفة أن الخطأ ارغب اليه من الصواب ، ولم يكن من اولئك النفر الذين اذا أخطأوا أصرروا على صحة ما فعلوا وصعب عليهم الاعتراف بالخطأ . نعوذ بالله من ذلك . وقال الطبري : وقال السيوطي في مؤلفه الدرجة المنيفة في فضل الآباء الشريفة : ذهب كثير من أئمة الاسلام الى نجاة الأبوين الشريفين ، وليس

من المعقول أن لا يقف اولئك الفحول على تلك الأقوال المؤذية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ لاحالة من أن يكونوا قد وقفوا عليها وخاضوا غمراتها ونفذوا إلى اعماقها ، واجوبتهم على مؤلف الهروي لأدل دليل على ذلك ، لذا كانت هي على الهروي ومن حدا حذوه أشد وقعاً من رواسي الجبال والصواعق الفاتكة .

ثم ان المحقق ابن العربي محي السدين قد قال - وقوله الحق - : ان ابوي النبي الزكيين لا إشكال في أنها من المعنيين بآية الاصطفاء الكريمة ، وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . . ذكر ذلك الشيخان البخاري ومسلم . ومن ثم قد استدل الفخر الرازي بالآية نفسها على عصمة كافة الأنبياء كما ندد بالمخالفين الذين قد استدلوا بالآية الثانية ، وهي قوله تعالى « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه » على عدم عصمتهم . قال السيد صاحب شرح المواقف : لاريب ولا اشكال في عصمة الأنبياء كافة ، ولا مجال للاستدلال بالآية على عدم عصمتهم ، لأنه مبني على عدم تفهم مفاد الآية وعدم الوقوف على مغزاها ومعطياتها ، وتصور أن الظالم لنفسه هو بعض المصطفين والحال انه غير معقول ابداً ، لأن اصطفاء الله الحكيم واختياره لا يكون الا للأخيار والعدول من المؤمنين والمسلمين ، فلا يمكن ان يقع على الأشرار والمجرمين والظالمين لأنفسهم ، اذاً لا بد وأن يكون التبعض من العباد ، والعباد هم على نوعين منهم شقي وسعيد . وعليه لما كان الأنبياء المكرمون ممن تحقق الاصطفاء بالنسبة اليهم لا بد وأن يكونوا معصومين من الذنب منزهيين عن الوقوع في الأخطاء ، وهو المطلوب كما هو الحق ، والحق أحق ان يتبع .

وحيث ان ابوي النبي الكريمين قد قام الدليل على اصطفائها فلا بد اذاً من ان يكونا بريئين من الكفر والشرك ، ولا سيما بعد تكثر الأحاديث

على إحيائها ثم عرض الاسلام عليها فتقبله وماتا عليه . وكان ممن ذكر حديث الإحياء هذا من العلماء والمحدثين ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ ، وعدوه من الحديث الحسن بل الصحيح .

قال الطبري في الذخائر : يمكننا أن نقول بأن ابوي النبي الطاهرين لم يكفرا بالله طرفة عين ابدأ بل كانا يدينان بدين جدهما الاعلى ابراهيم الخليل ، وهذا الوجه يسري ويجري في جميع آباء النبي صلى الله عليه وسلم واجداده ، والقرآن الكريم هو الذي دلنا على ذلك وعلى دعاء ابراهيم ، الدعاء الذي يطلب فيه من الله سبحانه أن تكون ذريته مؤمنة بالله مسلمة « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة » وقد استجاب الله دعاء نبيه فكانت ذريته مؤمنة مسلمة . واذا كان الأمر كذلك فأباء النبي كلهم من تلك الشجرة الطيبة والغمامة الصيبة الى عبد المطلب وعبد الله ، وهكذا الحال بالنسبة الى كافة ولد عبد المطلب ماعدى ابي لهب .

نقل الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء بطريقه الى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لم يلتق آباي على سفاح أبدأ ، ولم يزل ينقلني الله من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام المطهرة مصطفى مهذباً لاتنبعث شعبتان إلا كنت في خبرهما .

روى ابن سعد في الطبقات والبخاري والبيهقي عن واثلة بن الأسقع انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله اصطفى اسماعيل من ولد ابراهيم ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم محمداً . ونقل أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في صحيحه وابن مردويه

وابو نعيم والبيهقي عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله : إن الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ، ثم خلق القبائل جعلني من خير قبيلة ، ثم خلق البيوت جعلني من خير البيوت ، ثم خلق النفوس جعلني من خير النفوس .

وروى البخاري وابن شاذان عن ابن عباس انه قال : دخل اناس على عمه رسول الله صفية بنت عبد المطلب : فصاروا يتفاحرون ويذكرون الأوضاع الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله محمد وكفى . فقال لها بعضهم : تنبت النخلة على الكناسة . فغضبت صفية وتأملت للكلمة الجارحة ، فأسرعت الى رسول الله شاكية اليه ومخبرة إياه بما سمعته من القوم ، فتأثر رسول الله وانزعج ، ثم قصد المسجد وأمر بلال الحبشي أن ينادي جامعة فجاء الناس يهرعون ، فقام النبي الى المنبر فخطب الناس فقال فيما قال : إنسبوني معرفة من انا . فقال المسلمون : انت محمد رسول الله . فقال : إنسبوني معرفة من انا . فقالوا : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا ما بال اقوام ينزلون اصلي ، فوالله اني افضلهم اصلا وخيرهم موضعاً .

وحدث البيهقي عن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : خلق الله الخلق فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً .

وروى الحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي وابو نعيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : خلق الله الخلق فاختر منهم بني آدم ، واختر من بني آدم العرب ، واختر من العرب قريشاً ، واختر من قريش بني هاشم ، واخترني من بني هاشم .

وفي طبقات ابن سعد : واختر من بني هاشم آل عبد المطلب ،

واختارني من آل عبد المطلب .

ونقل ابن عساكر عن ابي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صاب آدم حتى خرجت من افضل بني هاشم .

وعن الحاكم والترمذي عن الإمام الصادق عن آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : جاءني جبرئيل فقال لي : اي محمد إن الله بعثني ان اطوف في مضر فلم اجد حياً خيراً من بني هاشم ، ثم امرني ان اختار من انفسهم فلم اجد خيراً من نفسك .

قال المفسرون ومنهم الزمخشري في الكشاف ان قوله تعالى « هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين » دليل على ثبوت الايمان والتوحيد بالنسبة الى آباء النبي واجداده الكرام ، وانهم ينتقلون من الأصلاب الساجدة الطاهرة الى الأرحام الساجدة المطهرة .

كما قالوا أيضاً : إن هذه الآية المباركة - وهي قوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم » - ان ابوي النبي الطيبين تشملهم الذرية .

واخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا دخل المؤمن الى الجنة اول ما يسأل عن ابويه وزوجته وذريته .

وأخرج الترمذي وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : بعد ان نزل قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب والعيوب .

وأخرج ابو سعيد النيسابوري عن عمران بن حصين انه قال : قال



رسول الله : سألت ربي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتي النار ، وقد أعطاني ذلك .

وقال الطبري في الذخائر وابن حجر في الاصابة : ونحن في سعة من القول بأن جد النبي العظيم عبد المطلب وامه آمنة بنت وهب من المؤمنين ، كما هما صحابيان ايضاً ، لأن اصح ما وقفنا عليه من تعريف الصحابي هو « من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك فهو صحابي محترم كما هو من أهل الجنة ايضاً » فيدخل في ذلك من طالت صحبته او قصرت ، وسيان في ذلك من حضر معه بعض حروبه او لم يحضر ، وسواء في ذلك من نظر اليه أو لم ينظر كالأعمى . نعم لا يكون صحابياً من لقي رسول الله كافرأ ومات على الكفر . وهذا التعريف هو الحق وهو المعتمد عليه ، كما هو الذي تساعد عليه الأدلة الخاصة والقواعد العامة ، وعليه فانطباقه على جد النبي وأمه واضح جداً : أما امه صلى الله عليه وآله وسلم فقد عاشت ست سنين كما رأت بعضاً من كراماته ومعاجزه اثناء ولادته وبعدها . وأما جده عبد المطلب فقد عاش معه اكثر من أمه ورأى ايضاً قسماً وفيرأ من علامات النبوة وآثارها كما كان يرقب ذلك من قبل ان يولد .

وقد أيد هذا المعنى كل من ابن عساكر وابن سعد في الطبقات بطريقتيها الى مجاهد ونافع وابن جبير انهم قالوا جميعاً : قال عبد المطلب لأم أيمن : إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يقولون : ان ابني مجدأ نبي لهذه الأمة ، وهو كذلك .

وقال ابن عساكر : إن عبد المطلب قال لأولاده وقومه عند الموت : احتفظوا بمحمد الا تسمعون ما يقوله الناس فيه . كما قال ابن سكن وغيره من أهل الحديث ان عبد المطلب من الصحابة ، والى ذلك ذهب العلامة البرزنجي الحنفي وألف رسالة في الموضوع ، ولم يقتصر البرزنجي على اثبات

إيمان جد النبي وابويه وصحبتهم ، بل تعدى الى عم النبي ابي طالب  
وانه رضي الله عنه أطول صحبة لرسول الله واكثرهم مشاهدة لكراماته  
ومعاجزه وأوفرهم خدمة له وجهاداً في سبيله واعترافاً بنبوته ، كما استدل  
البرزنجي بكثير من نثره وشعره الاسلاميين . ومن حديث البرزنجي : ان  
ابا طالب صدق بالنبي وآمن به بقلبه ولسانه ، فهو من الناجين من النار ،  
قال بذلك اكثر المتكلمين وأئمة الأشاعرة .

وقال البرزنجي : قال العلامة مجد افندي السجقلي في رسالته المسماة  
بالردود والفرح الرسالة المتكفلة لاثبات إيمان الأبوين الشريفيين ، وكان من  
جملة ما كان فيها أن والدي النبي اخص من ابوي النبي ، لأن الأب اطاق  
على العم كما ورد في القاموس والقرآن الكريم كما في قضية ابراهيم وعمه  
آزر ، وكما اطلق على ابي طالب بالنسبة الى رسول الله لمقام كفالته وتربيته  
له صلى الله عليه وآله وسلم ، كما اطلق لفظ الأم على فاطمة بنت اسد  
لأنها قامت بشؤون النبي وخدمته ، فوالدا النبي مما لا اشكال في انها من  
أهل الايمان كما هما من أهل الجنة ، أما ابو طالب فهو لما كان اكثر مشاهدة  
وصحبة فهو مؤمن مسلم وصحابي ، شعره ونثره يدلان على مدى تمسكه بالبعثة  
ومدى اقراره واعترافه بالنبوة والرسالة ، وعليه لا ينبغي ان يصحى للقول  
المخالف الشاذ .

° ° °

أقول : لقد اتضح مما اسلفناه من اقوال العلماء وادلتهم القاطعة والقوية  
على ايمان اسرة النبي الكريمة ولا سيما ابوه وامه وجده وعمه صلوات الله  
عليهم اجمعين ، ولعمري انهم حاولوا أمراً حسناً وجليلاً وزايلوا معنى ربيعاً  
وكراماً لله فيه رضا وللرسول صلى الله عليه وآله فيه تعظيم وتكريم واعزاز  
وتقدير ، بعد ان اوشك ان يلوته النفعيون والانتهازيون والحاقدون المنصيدون

في الماء العكر ، مثل ابن شعبة والحريري ومن اقتضى اثرهما من الأوائل والأواخر ، ممن أدمى نواظرهم وقلوبهم مجد بني هاشم الأصيل وعزتهم المحيطة للذان قد اصبحا حديث التاريخ والأجيال ، الأمر الذي أدى بأولئك وهؤلاء ان يتنكروا للهاشيمين الأطهار : فيقلبوا لهم ظهر الحن محاولين تشويه تاريخهم الناصع وسمعتهم الكريمة ، فعملوا ماوسعهم ان يعملوا جادين في اخفاء نور الله المودع في اصلابهم تكريماً لهم ، واكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فقبض الله للقيام بوجه اولئك المنافقين بوجه عام جماعة من ابطال العلم وجملة من محدثي الاسلام ، فوثبوا عاياه وثبة الأسد الشبل ، ونهضوا الى اكاذيبهم ومفترياتهم نهضة الليث الهصور ، فأبادوها وفندوها ببايع البيان وقوي الحججة والبرهان ، فله درهم وعليه تعالى جزاؤهم يوم يردون عليه وعليهم بهاء نصرة الحق وانوار الدعوة الى الدين والعدل ، وعندئذ يجردون ما اعده الله للصادقين المخاصين المقدرين للرسول والحافظين فيه آباءه وآله من النعيم المقيم في الفردوس الأعلى : كما يجردون تقدير النبي وشفاعته يوم لاتنفع فيه شفاعاة الشافعين ، يوم لاينفع فيه المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، موال لآل البيت قد حفظ النبي صلى الله عليه وآله في آبائه وذريته .

نعم وايم الله حاول اولئك الأفساذ أمرأ ارضوا به الله ورسوله والمسلمين الأماجد ، كما هو تجنب لما من شأنه ان يؤذي النبي من نسبة الكفر الى آباءه واجداده واسرته الكريمة : الأسرة التي قد رفع الله شأنها واطهر للعالم كرامتها ومنزلتها، كما نزهها عن درن الجاهلية ودنس الوثنية ، فهم السادة الأبرار والمصطفون الأخيار من لدن آدم وحتى عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب صلوات الله عليهم اجمعين .

وهذه هي نظرة الامامية بالنسبة الى الأسرة الطاهرة من الصدر الأول ،

وحتى يومنا هذا ، والى أن يقوم الناس لرب العالمين ، والى ان يردوا على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم فرحون مستبشرون بولائهم له ولآله وآبائه ، الآباء الذين كانوا الوعاء المبارك له صلى الله عليه وآله . وتلك مؤلفاتهم الضخمة ومدوناتهم القيمة مشحونة بالأدلة والبراهين على طهارتهم ونزاهتهم اجمعين ، ولا سيما العم الكريم ابي طالب حامي الرسول وكافله رضوان الله عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ان الامامية قد دلتها التبعية والاستقراء لتاريخ ما قبل الاسلام على اليقين بأن بني هاشم - وخصوصاً زعيمهم ابا طالب - لم يسجدوا لصنم قط ولا لوثن اصلاً ، ولو كان ثمة نوع من هذا اللون لظهر ولتناقله التاريخ كما نقله عن غير الهاشميين من القبائل العربية والقرشية ، ولنوهت عن المعبود الذي كان يخص الهاشميين والعباد بالله .

بل لعل التاريخ والحقائق والوثائق تعطي العكس ، تعطي أن لاعلاقة لهم الا بالله عز وجل ولا اعتماد لهم الا عليه . وقد عرفت بما لامزيد عليه أن جد النبي عبد المطلب وعمه ابا طالب تقصدهما الناس للاستسقاء وعند الشدائد فيفرج الله بواسطته عنهم ويكشف عنهم الضر والبلوى ، وما ذلك منه تعالى إلا لعلهم بأنهم من المؤمنين الموحدين المخلصين ، وإلا لاستحال عليه ان يجري الخير والكرامة على ايدي الكافرين والمشركين .

هذا مضافاً الى مانص عليه المؤرخون - ومنهم المسعودي في مروج الذهب - من أن عبد المطلب رضي الله عنه هو اول شخصية تقدمت الى جعل ابواب الكعبة ذهاباً مرصعاً بالأحجار الكريمة من خالص امواله ، كل ذلك تعظيماً لشعائر الله ربه ورب آبائه الأولين ، في الظرف الذي كان فيه الناس - ولا سيما العرب بصورة عامة - تبذل قصارى جهودها واهم طاقتها وامكانياتها على تشييد الأصنام وزخرفتها وتطعيمها بالمجوهرات والحلي والحلل

لتظهر للرأي العام بالمنظر الجذاب والمظهر الطيب الخلاب .  
 وأما عم النبي ابو طالب فقد لازم خدمة الكعبة ومدارة البيت  
 الحرام ، وحارب ماعلى سطحها من أوثان وأحجار ، ودعا الى الله وحده ،  
 وكان متى مادهمته داهمة أو اصابته كارثة لاذ بفنائها واستجار بجهاها ، فلا  
 ينكفي حتى يعطيه الله ما يريد .

بل زاد على ما كان عليه ابوه الكريم ، فنصر النبي وخدمه ووازره  
 وحاه ووقاه بنفسه وولده ، ثم بأسرته وعشيرته ، وهكذا الى آخر لحظة  
 من حياته .

قال السيد في الحجّة والنقدي في المواهب : ولعم النبي الكريم هذه  
 المقطوعة :

ألا لبت حظي من حياطكم بكر	ألا قل لعمرى والوليد ومطمع
يرش على الساقين من بوله قطر	من الخور جحباب كثير رغاؤه
إذا ما علا الفياء قيل له وبر	تحلف خلف الورد ليس بلا حق
إذا سئلا قالوا لغيرنا الامر	نرى اخويننا من ابينا وامنا
كما خرجت من رأس ذي عاق صخر	بلى لهما امر ولكن تخرجنا
فقد أصبحت منهم اكفهم صفر	هما غمزا للقوم في أخويهما
وكانوا لنا مولى إذا بني النصر	وتيم ومخزوم وزهرة منهم
ولا منهم ما كان لنا منهم شفر	فوالله لاتنفعك منا عداوة
وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر	فقد سفهت احلامهم وعقولهم
رب العباد واصطفانا له الفخر	وما ذاك الا سؤدد خصنا به
لاهل العلى فينهم ابداً وتر	رجال تهادوا حاسدين وبغضة
الى علجة زرقاء حال بها البحر	وليد ابوه كان عبداً لجدنا

تربص ابو طالب بهذه الأبيات اجتمع قريش في الندوة ، فألقاها على

مسامعهم والحماس والاستئساد باديان عليه .

كما يظهر انه من جملة ما كان يحاوله أنه اهاب بآباء رسول الله صلى الله عليه وآله وتذكير الناس بزعامته بني هاشم المستمدة من اقدم العصور وسالف الزمان ، ثم تعريفهم بأن مجدداً صلى الله عليه وآله هو النتيجة الطيبة لأولئك السادة الأكارم ، كما هو المصطفى من السماء والمرتضى من البرية ، كما ندد بقريش بصورة خاصة وبالجموعة العربية بصورة عامة ، حيث ابتعدتا عن روحانية عبادة الله وتجنبتا خلاوة التقرب من رسول الله وعزة النبوة ، فتظاهرتا مع العدو وعاونتا من كانوا عبيداً لها ، فلبئس المولى ولبئس العشير ، ولبئس ما أقدمت لهم ايديهم أن سخط الله عليهم وهم في العذاب مشتركون .

قال العلامة الدينوري في نهاية الطاب والحجة الأميني في الغدير / ٧ : ٣٤٨ : ان النبي صلى الله عليه وآله حين امره الله باظهار النبوة والقيام بمهمة الدعوة الالهية ترجح لديه ان يقصد عمه العباس بن عبد المطلب ليعامه الخلال ويوقفه على جليلة الأمر وترشيح الله عز وجل له بالنبوة والسفارة ، وما ان عرف العباس ما عنده وما يهمه ابدى له رأيه وان يقصد عمه أباطالب لأنه كبير آل عبد المطلب وزعيم بني هاشم والشخصية المهابة في ارجاء مكة ، وكان من جملة ما قاله : الرأي عندي يابن الأخ أن تقصده بما يهملك تجد منه ما يسرك من المؤازرة والمعاونة وكف الأذى عنك ، وإلا لم يخذلك ولم يتخذك ابداً ، وكل من الأمرين في صالحك .

فاستصوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرأي واستملحه ، فنهض من مجاس عمه العباس وتوجه الى عمه شيخ الأبطح ، فأطلعه على ما عنده وافهمه بكل شيء ، حتى اذا فرغ من حديثه فما كان من ابي طالب الا أن نهض مستتبلاً فتقلد سيفه واخذ بيد النبي واخرجه الى الندوة —

وكانت مكتنزة بالناس — فأوقفه على رؤوس القوم ، ثم خطب المجتمع وقال فيما قال : اي محمد يابن ابي تكلم بما احببت وقل ماشئت واطهر ما بدى لك ، فانك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى اباً وجداً ، فوالله لا يسلمك لسان إلا سلقته ألسن حداد شداد واجتذبتة سيوف حداد ، فوالله يا محمد لتذل لك العرب ذل البهم لحاضنها ، ثم اعلم يابن اخي لقد كان ابي عبد المطلب يقرأ الكتب جميعاً فعرف منها عظيم مقامك وكبير منزلتك وما سيظهره الله على يديك ، وقد اخبرني بكل ذلك ، كما وقد اخبرني في اكثر من مرة أنه سيخرج الله تعالى من صلبه النبي الموعود لهذه الأمة ، كما قال لي : يا أبا طالب كم وددت اني ادرك زمن نبوته لأسلم له أمري واؤمن به ، فمن ادركه منكم فليؤمن به ولينصره على اعدائه .

وقال ابن هشام في سيرته ١٧/٢ : إن حياة ابي طالب كلها مواقف مشرفة ، حياة جهاد في سبيل الله ، حياة محاماة عن رسول الله ، حياة مملوءة بالخدمات الجليلة ، حياة تشف عن ايمان صادق وتدين بالشريعة لا يعرفان التكتم ولا يقفان موقف المتستر المحامل ، ومن ذلك موقفه في قوله الذي انشأه على ملاء من الناس وفي المجتمع العام في الندوة وهو آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ألا ان خير الناس نفساً ووالداً	إذا عد سادات البرية أحمد
نبي الهي والكريم بأصاهه	واخلاقه وهو الرشيد المؤيد
جري على جتلى الخطوب كأنه	شهاب بكفي قابس يتوقد
من الأكرمين لوي بن غالب	على وجهه يسقى الغمام ويسعد
كثير رماد سيد وابن سيد	يخص على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لأولاد العشيرة سؤدداً	إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
ومن جملة ذلك ايضاً قوله :	

زعمت قريش أن احمد ساحر كذبوا ورب الراقصات الى الحرم  
مازلت اعرفه بصدق حديثه وهو الأمين على النفائس والحرم  
ومن ذلك ايضاً قوله :  
نحن وهذا النبي نصره نضرب عنه العدو بالشهب

\* \* \*

أقول : لست ادري ولا المنجم يدري مع هذه الوثائق الصارخة  
والمستندات العلنية والهاثفات المدوية كيف تستساغ نسبة الممات على الكفر  
الى عم النبي العظيم ابي طالب ، أو نسبة التكتم في الإيمان والتدين ، في  
حال أنه لو كان في ذلك الدور المظلم ثمة ايمان حقيقي ودين اصيل لايعتورهما  
شيء من التورية والتمويه لكانا ملازمين لأبي طالب وحده .

فهو فقط كان يحاكي بإيمانه ودينه ايمان ودين أهل الدرجات العالية  
وأهل العلم واليقين ، وإيمان الأولياء المخلصين .  
إيمان من لاتأخذه في الله عز وجل لومة لائم ، ولا وعيد متوعد ،  
أو إرهاب قوة أو حكومة .

إيمان من طابق فيه سره اعلانه ، ووافق فيه ضميره بيانه ولسانه .  
وسنوضح الأمر اكثر وننور الأفكار بما وقفنا عليه من مآثر عم النبي  
الزعيم ابي طالب الكريمة تحت عنوان ( ابو طالب في بطون الكتب ) .



## ابو طالب في بطون الكتب

قال السيد ابن فخر في الحجة والقاضي في المواهب والخنيزي في مؤمن قريش : قيل لتأبط شراً الشاعر الشهير : من سيد العرب ؟ فقال : سيد العرب اجمعين ابو طالب بن عبد المطلب .

وقيل للأحنف بن قيس التميمي : من اي شخص قد تعلمت الحكمة واقتبست المعارف ؟ فقال : تعلمت ذلك ودرسته على يد حكيم عصره وحليم دهره قيس بن عاصم المنتري .

وقيل لعاصم هذا : علم من رأيت فتعلمت وحلم من رأيت فتعلمت ؟ قال عاصم : تعلمته من الحكيم الذي لم تنفذ حكمته قط اكنم بن صيني . وقيل لأكنم : ممن تعلمت الحكمة والرياسة والحكم والسياسة ؟ فقال : اخذت ذلك عن حليف الحلم والأدب ونبراس المجد والكرم سيد العرب والعجم ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

وقال القاضي والكراجكي : قيل لأكنم بن صيني - وكان من المعمرين كما كان حكيم العرب على الاطلاق - : انك لأعلم اهل زماذك واحكمهم واعقلهم واحلمهم ، فقال : ولم لا اكون كذلك وقد جالست الشيخ ابا طالب دهره ، وعبد المطلب دهره ، وهاشماً دهره ، وعبد مناف دهره ، وقصياً دهره . وكل هؤلاء سادات وابناء سادات ، فتخالقت بأخلاقهم وتعلمت من علمهم وحلمهم واقتبست من سؤددهم واتبعت آثارهم .

ونقل بعض المؤرخين ومنهم ابن الجوزي في تاريخه بطريقة الى مجاهد عن

ابن عباس انه قال : لما تكررت البشائر ابان ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنبوته وتكررت التنبؤات ببعثته قال الزعيم عبد المطلب لابنه ابي طالب : اسمعت مايقوله هؤلاء في مجد يابني ؟ قال : نعم . فقال عبد المطلب : يا ابا طالب احتفظ بمحمد فان له مقاماً رفيعاً وشأناً عظيماً ، وما اظنه إلا ان يكون نبي هذه الامة . وقد قام ابو طالب بكل متطلبات أبيه وزاد .

وتحدث ابن شاذان في مناقبه عن ابن عباس عن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين أنه قال : قال ابو طالب ذات يوم للعباس اخيه : ألا اخبرك ياعباس عن ابن اخي مجد ؟ قال العباس : نعم يا اخي حدثني عن ابن اخي مجد . فقال : اعلم ياعباس اني لازمت مجداً ملازمة كلية فلم افارقه ابداً لاني ليل ولا في نهار ، لأأتمن عليه احداً لامن قريب ولا من بعيد حتى صرت انيمه معي في فراشي ، فلاحظت ذات ليلة فرأيت انه يضرب بيني وبينه ستر تفوح منه روائح المسك والعنبر ، فاذا أصبحنا لم نجد الستر ، وقد انتهت ليلة من الليالي لم اجد محمداً معي ، فارتعبت للمفاجئة وارتعت للحادث ، فقمتم مضطرباً مألوماً وإذا به من حولي وهو يقول : هاانا حاضر حولك يا عم . وكان في اغلب الأوقات يقصد بئر زمزم فيشرب من مائها ، كما شهدته ليلاً يصلي كثيراً ثم يقرأ ما نزل عليه من القرآن الكريم .

وذكر القاضي نور الله في تفسيره عن ابي طالب انه قال : ما كنا نعرف التسمية على الطعام حتى رأينا محمداً يبتدىء بالطعام والشراب بها ، واذا فرغ قال « الحمد لله رب العالمين » فالتزمنا ذلك وصار عملنا على الابتداء بالبسملة والختام بالحمد ، فرأينا توفر الخيرات وتكثر البركات . ونقل القاضي في المواهب ص ٤٥ عن ابي طالب انه قال : كنت

اشاهد من ابن اخي محمد أنواراً تسطح الى عنان السماء ، كما اني لم اعثر على كذبة منه قط ، كما لم ار فيه شيئاً من وضر الجاهلية ابدأ ، وما رأيت وقف على صبيان يلعبون في الطريق ابدأ ، ولم يلتفت اليهم ابدأ ، وكانت الوحدة والعزلة والانفراد لنفسه احب شيء اليه ، كما كان التواضع من خصائصه ومآثره . واتفق لليهود ان قالوا للمنافقين والمشركين من العرب وقريش : إنا وجدنا في كتبنا السماوية أن من صفات الأنبياء التي لا يشاركهم فيها اي واحد من الناس أن يجنبهم الله اكل الحرام والمشتبهات ، ومحمد ابن عبد الله قد ادعى النبوة ، فاللازم اذاً اختباره وامتحانه .

فهيأوا مادبة فحمة في دار واحد من زعماء قريش كان يتردد على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان من جملة الطعام دجاجة ميتة ، فدعي رسول الله لتلك الوليمة وجعلت الدجاجة الميتة امامه صلى الله عليه وآله ، وصار المدبرون لهذه المؤامرة يرقبون عن كذب اليروا هل يمد يده الى تلك الدجاجة ، فلما رأوه منصرفاً عنها اوحوا الى شياطينهم ان يصرخوا عليه بالتناول منها ، فامتنع ابدأ وقال : اني أرى انها ميتة واكلها حرام علي ، وقد صانني ربي عن مثل ذلك . فأخذوا يحافون له أنها لم تكن كما يظن ، وهو يصر على انها ميتة ، واخيراً قالوا له : اذا لم تمتد اليها يدك فاسمح لنا نحن نلقمك منها شيئاً .

فقام بعضهم فتناول منها قطعة وكأما حاول أن يوصلها الى فم النبي ما استطاع ، فقام آخر وكل ما اراد ان يذني يده من فم النبي لاتصل يده اليه الى ان عجز ، وأخيراً انصرفوا عن الموضوع خوفاً من الشياطين ، وتكاشفوا فيما بينهم فقال بعضهم : إن محمداً هذا لساحر عظيم وكاهن خطير . وفي المواهب ايضاً بسنده الى العباس بن عبد المطلب انه كان ابو طالب لا يمكن اولاده ولا عائلته من الطعام لا في ليل ولا في نهار حتى يحضر

رسول الله صلى الله عليه وآله فيأكل معهم على المائدة ، معتقداً ان في حضوره معهم استدراراً للبركة وتوفراً للخير ، وفي خلاف ذلك ينقص عليهم طعامهم وان كان كثيراً ولا يكفيهم مطبوخهم وان كان وفيراً .

وتحدث صاحب الكافي بسنده الى جعفر بن اسماعيل عن ادريس بن السائب عن الامام الصادق عن ابيه الباقر عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب عليهم السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلس ذكر فيه عمه ابو طالب ، فقال : لقد عني عمي ابو طالب عقيقة دعا اليها آل عبد المطلب ونفراً من قريش ، وبعد أن حضروا أحبوا أن يعرفوا المناسبة التي ادت إلى الايلام والاطعام ، قالوا : يا ابا طالب بأي مناسبة كانت وليمتك هذه ؟ قال : عقيقة وصدقة عقيقتها على شرف ابن اخي محمد وقد اختصصتكم بها دون غيركم من الناس . قالوا : ياسيد العرب ولماذا قد سميت ابن اخيك محمداً ؟ قال : ليحمده أهل السماء وأهل الأرض - وفي بعض النسخ لمحمدة أهل السماوات والأرض . ونقل ابن هشام في السيرة ١ / ٣٧٨ كما جاء في البداية والنهاية ٣ / ٩٧ والغدير ٧ / ٣٦٤ ان ابا طالب انشأ ابياته التسالية على جماهير قريش غير هباب ولا مكترث ، حاول فيها وصف النبي بما هو أهله ، كما امتدحه وحدث عن فضله وكرامته وبعثته ونبوته :

هو العالم المهدي في كل منسر	عظيم اللوا أمره الدهر يحمده
اذا قال قولاً لا يعاد لقوله	كوحى كتاب في صفيح يخلد
يجيش له من هاشم يتبعونه	يسددهم رب العلى ويؤيد
هم راجعوا سهل بن بيضاء راضيا	وكان امام العـالمين محمد
تتابع فيها كل ليث كأنه	اذا مشى في رفرع الدرع اصرد
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم اصبحوا	على مهل اذ سائر الناس رقد

سلوا من قريش كل كهل وأمرد  
 متى شرك الاقوام في مجد قومنا  
 وكننا قديماً لانقر ظلامه  
 فيا لقصي هل لكم في نفوسكم  
 واني واياكم كما قال قائل

وتحدث ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣٢٠ ماملخصه : إن أبا طالب لم يكن حامياً ومدافعاً عن رسول الله فحسب ، بل كان يحامي أيضاً ويدافع عن كل انسان آمن بالله وصدق رسول الله في بعثته ورسالته فيما اذا قد اعتدى عليه الكفر وتعرض لايدائه الشرك ، ومن ذلك ثأره وانتصاره للصحابي الجليل عثمان بن مضعون ، حين تعرض له الطغاة من اليهود والمشركين ، فنصره ابو طالب واخذ بثأره بيده ولسانه فقال :

أمن تذكر دهر غير مأمون  
 أمن تذكر اقوام ذوي سفه  
 ألا ترون اذل الله جمعكم  
 ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا  
 ومرهفات كأن المالح خالطها  
 حتى تذل رجال لاحلوم لها  
 او يؤمنوا بكتاب منزل عجب

اصبحت مكتئباً ابكى لمحزون  
 يغشون بالظلم من يدعوا الى الدين  
 انا غضبنا لعثمان بن مضعون  
 بكل مطرد في الكف مسنون  
 يشق بها الداء من هام الحجانين  
 بعد الصعوبة بالاسماح واللين  
 على نبي كوسى او كذى النون

ونقل المجلسي في البحار بسنده الى الامام الباقر عن آبائه عليهم السلام عن ابي طالب انه قال : لما اتى على رسول الله اثنان وعشرون شهراً من ولادته قد رمدت عيناه ، فقال لي ابي عبد المطلب : خذ ابن اخيك الى عراف الجحفة ليداوي عينه ، فامتنات أمر أبي ، فحملت محمداً بعد أن غطيته بعباءتي عن حرارة الشمس ، فعرضته على الطيب ، وبمجرد ان

نظره قال : يا ابا طالب من يكون هذا وما هو منك ؟ قلت هو محمد بن عبد الله ابن اخي ، ولماذا كان سؤالك هذا ؟ قال : يا ابا طالب ان مجداً هذا نبي هذا الزمان . قات : وما دلاك على ذلك ؟ قال : اني ارى دلائل النبوة وعلامة الرسالة باديان عليه ، كما اني ارى نوراً يخرج من جبينه فيتصل بعنان السماء ، كما اسمع رفيف اجنحة الملائكة التي تحوم من حوله لاجل المحافظة عليه .

ثم قال : يا ابا طالب اشهد علي اني اشهد ان لا اله الا الله وان مجداً هذا رسول الله ، وانه هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية من قبل ، يا ابا طالب احتفظ بمحمد وحافظ عليه بكل ماتستطيع من فتك اليهود وشُرور الكفرة المحرمين .

قالت : ايها الحكيم انك لتحدثني عن شأن عظيم وامر خطير يكون لابن اخي مجد . فقال : اعلم يا ابا طالب ان محمداً هذا أجل وارفع مكاناً وقداسة مما حدثتلك به ، انصرف بابن اخيك ولا تمكن احداً من النظر اليه او الودنو منه ، وان عينيه سيشفيان قريباً انشاء الله . يا ابا طالب ولقد قرأت في الكتب عندنا انك انت الذي ستتولى تربيته وكفالته ، وانت الذي تمنعه عن عدوه وعدو الله .

قال ابو طالب : ثم اخفيتته تحت قبائي وجئت به الى ابي ، فنقلت له جميع ما وقع بيني وبين العراف جماعة وتفصيلاً ، فقال لي ابي : وانا يا بني اعرف ذلك وارقبه من قبل ان يروح به الحكيم ويعرفك به ، فيازمك يا ابا طالب ان تكتم الأمر وان تخفيه حتى يقضي الله امرأ كان مفعولاً وحتى يظهر امر الله في محمد ، فوالله يا ابا طالب ما يموت محمد حتى يسود العالم بأسره عاجماً وعرباً .

وقال صاحب البحار أيضاً : لما سافر رسول الله صلى الله عليه وآله

مناجراً الى الشام بترجيح من عمه ابي طالب كان في القافلة المتوجهة آنذاك جماعة من شخصيات قريش ، منهم عبد مناف بن كنانة ونوفل بن معاوية وهما ممن اوصاهما ابو طالب برسول الله ، كما حثها على مداراته وخدمته ، وفعلا قاما بوصية ابي طالب تماماً حتى وصلت القافلة الى الشام ، فتنفرت التجار تدور بسلعها وبضائعها ، فكان عبد مناف ونوفل مصطحبين ، اذ صادفها في بعض الطريق ابو المويهب - وهو راهب كبير وعالم شهير - فاستوقفها واخذ يسألها وقال فيما قال : من اي مكان انما ؟ قال : نحن من مكة ومن قريش . قال : من اي قريش لأن قريشاً تنشؤ الى فروع وطوائف . فأجاباه على الشيء الذي يحاول التعرف عليه . ثم قال : هل من بني هاشم في القافلة معكم ؟ قال : نعم معنا فتى من بني هاشم اسمه محمد . قال : نعم هو مقصدي ، وهو الشخص الذي اردت التعرف عليه والوقوف على احواله . قال : ان هذا الانسان لم يكن في قريش اخمل منه ذكراً ولا اوطأ منه شخصية ، ولا يعرف إلا بيتيم ابي طالب ، كما هو فعلا اجير لامرأة منا تعرف بخديجة بنت خويلد ، فإنه جاء متاجراً بأموالها . قال : مهها يكن من امر اني اريد منكما مواجهته ومقابته . قال : ما حاجتك اليه ؟ فأخذ يحرك شفثيه وهو يقول : هو هو والمسيح بن مريم ، اني ارجو كما ان تدلاني عليه ، فيبنا هم كذلك اذ يطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه كأنه القمر المنير ، اذ تركها الراهب وقصد النبي فأهوى على يديه ورجليه يقبل يديه ويلثم رجليه ، ثم توجه الى الرجلين فقال : اسمعا مني ما قوله لكما ، ان محمداً هذا والله نبي هذا الزمان ، وسيخرج عما قريب وسيدعو الناس الى شهادة ان لا اله الا الله وانه رسول الله فاتبعوه ولا تعصوا له امراً .

ثم قال لها : هل ولد لعمة ابي طالب ولد سمي بعلي ؟ قالوا : لا .

فقال : اما ان يكون قد ولد أو سيولد عما قريب ، وهو أول من يؤمن  
بمحمد ويصدقه على دعواه ، هكذا وجدنا في كتبنا ، كما وجدنا ان علي  
ابن ابي طالب سيكون سيد العرب بعد محمد ابن عمه ، كما هو رباني هذه  
الأمة وذو قرنيها ، يعطي السيف حقه ، اسمه في الملائة الأعلى علي ، كما هو  
أعلى الخلائق درجة يوم القيامة بعد محمد ، ويعرف عند الملائكة بالبطل  
الأزهر ، كما هو اكثر معرفة عند أهل السماء من الشمس الطالعة .

ثم انصرف الراهب وعاد الرجلان الى قافلتها وهما في سبات عميق  
وفكر متواصل ، وهكذا الى ان وصات القافلة الى مكة واجتمع عبد مناف  
ونوفل بأبي طالب فتقلا له مالمقيه من الراهب ، فقال ابو طالب : واني  
والله اعرف ذلك عن ابي عبد المطلب ، وانا في ترقب للأمر وعلى استعداد  
لتلقي ماسيجي به عن ربه ، كما انا على استعداد لمناصرتة ومؤازرتة مهما  
كانت المخلفات من الشدة والصعوبة .

وفي دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة ابي طالب ١ / ٣٦١ : ابو طالب  
عبد مناف بن عبد المطلب عم النبي ، وهو الذي كفل ابن اخيه اليتيم عند  
وفاة جده عبد المطلب - الى ان يقول - : وعندما بدأ أهل مكة يضطهدون  
النبي لمهاجمته عقائدهم ناصره ابو طالب بصفته رب الأسرة ، ورفض ان  
يتخلى عنه أبداً ، كما رفض ان يتخلى عن القيام بهذا الواجب الأبوي رغم  
اعتراض المكين واحتجاجهم ، وحذا حذوه بنو هاشم عدى ابي لهب .

ولما اعلن القرشيون اقصاء ابي طالب وبني هاشم عن المجتمع المكي  
اعتكفوا في حيهم في شعب ابي طالب ، وعاشوا هناك مضطهدين كل  
الاضطهاد ومدة من الزمن ، ولذلك نجد ان النبي خسر خسارة عظيمة بموت  
عمه المخلص ابي طالب قبل هجرته الى المدينة بثلاث سنوات وبعد بعثته  
بعشر سنين .



وليس عجبياً ان تجعل الروايات من ابي طالب مادة لها ، فهو الرجل الذي كان على صانة وثيقة بالنبي ، كما وهو يعرف عنه الشيء الكثير .  
 ونقل السيد الموسوي في الحجفة ص ٢٢٦ كما نقل صاحب ذخائر العقبى ص ٢٤٠ قال ابو طالب يهجو قريشاً ويندد بأعمالهم المحرمة ويحذرهم مغبة تماديبهم في الغي والضلال ونتائج تخلفهم عن شريعة رسول الله ومناوئتها  
 بمحضر منهم :

تطاول ليئلي لأمر نصب	ودمع كسح السقاء السرب
للب قصي بأحلامها	وهل يرجع الحلم بعد اللعب
وقالوا لأحمد انت امرؤ	خلوف الحديث ضعيف السب
وان كان أحمد قد جاءهم	بصدق ولم يأتهم بالكذب
فيا لقصي الم تخبروا	بما قد خلا من شؤون العرب
فرمتم بأحمد مارمتم	على الاصرات وقرب النسب
فاني ومن حج من راكب	وكعبة مكة ذات الحجج
تنالون أحمد او تصطلوا	ظباة الرماح وحد القضب
وقال أيضاً :	

خذوا حظكم من سلمنا ان حربنا اذا ضرستنا الحرب نار تسعر  
 فانا واياكم على كل حالة لئلان بل انتم الى الصلح افقر  
 وقال السيد في الحجفة ص ٢٢٥ : لقد حكى لي الشيخ ابو الحسن علي  
 ابن ابي المجد الواعظ الواسطي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسة  
 حكاية مطبوعة قال فيها : كنت اروي ابيات ابي طالب التي انشأها على  
 اثر التصاق الحجر بكفي ابي جهل حين هم ان يضرب به رسول الله صلى الله  
 عليه وآله وهو يصلي ، وكان يعجبني من الأبيات هذا البيت فأكثر ترده :  
 بكف الذي قام في جنبه الى الصائن الصادق المتقي

فرايت في منامي ذات ليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في مكان موقور كأنه الجنة ، وهو جالس على كرسي من زبرجدة خضراء والى جنبه كرسي آخر وعليه شيخ بهي وقور عليه سماء الجلالة والعظمة نوره يأخذ بالأبصار ، فدنوت من رسول الله لأسلم عليه واتشرف بلثم يديه ، وقات : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك ياصفوة الله ورحمة الله وبركاته . فرد عليّ السلام وقال لي : سلم على عمي - وأشار بيده المباركة الى الجالس من حوله - قلت : بأبي انت وامي يا رسول الله أي اعمامك هو ؟ فقال : هو عمي ابو طالب الذي آواني صغيراً ووازرني كبيراً . فدنوت حينئذ منه وقلت : السلام عليك يا عم رسول الله ، فرد عليّ السلام ، ثم قبات يديه وتبركت بحضرتة . ثم تفتنت اني احفظ آيياته التي قالها على اثر التصاق الحجر بكف ابى جهل ، فقلت له : يا عم رسول الله اني احفظ آياتك في قصة الحجر وأرغب أن أقرأها عليك لتصححها لي فيها اذا كان فيها شيء من الخلل . فقال : اقرأها عليّ ، فصرت انشده الى ان وصلت الى قوله :

بكف الذي قام في جنبه الى الصائت الصادق المتقي

اذ يستوقفي رضي الله عنه ويطلب الي إعادة البيت ورسول الله مستبشر فرح للوضع ، فأعدته كما احفظ ، فقال : لم تكن روايتك للبيت صحيحة وعلى ماصدر مني ، بل الذي قد قلته كان هكذا :

بكف الذي قام في جنبه الى الصابر الصادق المتقي

فاستيقظت معجباً بالرؤيا مرتاحاً لمشاهدتي رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة عمه الحامي والكافل ثم التصحيح الملبح ، فعمدت الى مجموعتي التي كنت ألفتها وجمعت فيها كثيراً من الشعر العربي ولا سيما شعر ابى طالب الحماسي ، فكتبت في المجموعة وتحت الأبيات الخاصة : اخبرني عم النبي

أبو طالب رضوان الله عليه بمحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله انه  
قد قال هذا البيت بهذه الصورة :

بكف الذي قام في جنبه الى الصابر الصادق المتقي

• • •

أقول : وسيجمع الله الخلق يوم القيامة فيوفي الصابرين اجرهم بغير  
حساب ، ويؤتي بعم رسول الله ابي طالب ونوره يسعى بين يديه ، فيزف  
الى الفردوس الأعلى والجنان العالية ، وعليه وقار الأنبياء وبهاء الأولياء  
والمجاهدين في سبيل الله وروحانية المحاماة عن رسول الله ، فيوضع له كرسي  
الى جانب النبي صلى الله عليه وآله الذي نافح وكافح من أجل دينه والحرص  
على سلامته ، وضحي في سبيل ذلك كل ما لديه من نفس ونفائس ، حتى  
علت كامة الله فكسنت هي العليا ، وظهر امر الله وولت دولة الأصنام  
وكانت هي السفلى ، وتحطمت فلول الوثنية على صخرة التوحيد الصلبة ،  
فينظر حينئذ الى ما اعده الله عز وجل له من المقام الكريم والدرجات الرفيعة ،  
ثم يتهافت المؤمنون على رسول الله يسلمون عليه زرافات ووحداناً ، وبطبيعة  
الحال أنه صلى الله عليه وآله يريد توقيف عمه فيأمر المسلمين بالسلام عليه ، ولا  
بد للمسلمين من أن يمثلوا أمر رسول الله فينتالون على ابي طالب مسلمين  
عليه ومهنتين له بمقامه العظيم .

ومن الطبيعي أن صاحب الرؤيا هو واحد من المسلمين إلا أنه يمتاز  
بأنه يعرف عم النبي ، لأنه قد رآه وعرفه ، وعليه تكون القضية قضية  
يقضة ووجدان لاقضية رؤيا وأحلام ان كنا نؤمن بيوم الحساب .  
أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم اليها لاترجعون .

قال العلامة البجائة الشيخ عبد الواحد المظفر : ان عم النبي العظيم  
الزعيم ابا طالب هو بطل حركة رسول الله ، كما هو بطل المحاماة عنه صلى

الله عليه وآله ، كما هو بطل بكل معنى البطولة وبكل مفاهيمها ، اذ نحن اذا تصورنا البطولة تصوراً عميقاً ودقيقاً وفحصنا الشخصيات فحصاً عاماً وشاملاً - باستثناء شخصيات الأنبياء والمبعوثين بالرسالة الالهية - وتصورنا البطل من واجهة كونه منكرراً وعبقرياً ، أو من زاوية كونه قائداً باسلاً ، او من حيث كونه شجاعاً لا يعرف التقهقر ولا الخور - كما هو المعنى الحقيقي للبطل - او من حيث كونه زعيماً عظيماً ، او من حيث كونه جواداً كريماً ، او من حيث كونه شاعراً وأديباً - كما ذهب الى ذلك كارليل الانجليزي في كتابه الأبطال - او من حيث كونه عالماً محيطاً ، او من حيث كونه نجيباً ومنجياً للأشبال . . . الى غير ذلك من صفات المجد والكمال وسمات العظمة والجلال التي هي من لوازم الأبطال وخصائص البطولة ، اتضح لنا جيداً وبصورة تعكس الواقع كما هو أن البطل الجامع لكل المستازمات والمتصف بكل المتطلبات يكاد يكون معدوماً ، أو على تقدير أن يوجد فعلى ندره . نعم ما يوجد في الخارج فهو الحائر على بعض من تلك المزايا وهاتيك الخلال . وعليه فعم النبي ابو طالب من اولئك الأفراد النادرين الوجود ، والذين قلّ أن تنجب الانسانية لهم نظيراً ومثيلاً في دنيا الوجود ، فهو كما اسلفنا بطل بكل ما للبطل من معنى ، وبطل بكل ما للبطل من مفاهيم متألّفة كانت او متباينة ، فهو حلیم شديد ، عظيم متواضع ، كبير صغير ، نبيه متغافل ، قوي ضعيف ، متحرك ساكن ، شجاع يحترم الدماء ويتعد عن ارهاب الناس واشاعة الملح والاضطراب فيهم . الى غير ذلك من متنافر الصفات ومتباين الطباع .

ولا يقال : ليس من الممكن أن يكون الفرد الواحد مجعاً للمتناقضات ومركزاً للمتناقرات والمتباينات ، لاستحالة اجتماع النقيضين على مائدة واحدة وبساط واحد .

لأننا نقول : نعم من المستحيل اجتماع الأضداد ، وليس من المعقول تألف المتباينات ، ولكن حيث تجتمع على المعنون من واجهة واحدة وتحاول احتلاله من زاوية متعددة ، أما اذا كان عروضها على المعنون من جهات وحيثيات وزوايا متعددة فهو بمكان من الامكان ، كما وقع ذلك في الشريعة وصادف بالنسبة الى الأحكام الاسلامية ، واتفق بالنسبة الى عم النبي الكريم ابي طالب . فحياته رضي الله عنه مليئة بالمتضادات حافة بالمتناقضات ، كما وهي حياة جهاد ونضال عنيفين ، تدور رحاهما بين حق وباطل ، بين توحيد وشرك ، بين عدل وجور ، بين خشوع وجبروت ، بين قوى الخير وقوى الشر .

فهو رضي الله عنه المبدأ لقوة الحركة الاصلاحية ، والمصدر لتفسير قافلة النبي صلى الله عليه وآله ، كما ان اعتقاده بأهميتها وشعوره بمسئوليته كان عاملاً قوياً ومن اهم العوامل والبواعث على دعمه رسالة السماء ودعوة التوحيد الهادفين الى اعلاء كلمة الله التقدير واسعاد البشرية جمعاء في حياتها المادية والروحية ، كما وهما الحجر الأساس الى تحرير المجموعة الانسانية من اوضاع الجاهلية في البيئة المتمردة على الأخلاق والمثل العليا النبيلة والطاغية على الصراط السوي المستقيم .

ومن هنا وهناك شعر ابو طالب بضرورة معاونة رسول الله صلى الله عليه وآله ولزوم مؤازرته والوقوف معه جنباً الى جنب في جميع الأحوال والتطورات ، حتى يتسنى له القيام بكل هدوء واطمئنان بالمسؤولية التي ألقيت على عاتقه ، وحتى يستطيع اداء مهمته كما تريد السماء ، وحتى يحصل ابو طالب على فضيلة الرجل المحامد وكرامة المحاماة عن رسول الله والناسر لنبوته .

ولهذه الأغراض فقط كان رضوان الله عليه يهتف نثراً مرة وشعراً

مرة اخرى يمرض النبي صلى الله عليه وآله ، يمرضه على الاسترسال في امره والاستبسال في واجبه .

فاصدع بما تؤمر ماعليك غضاضة ولقد صدقت وثم كنت أميننا أما انه رضي الله عنه بطل بصورة سياسي محنك ، فانه استطاع ان يخضع الأقوام المختلفي الطباع المتبايني العقائد ، فيجمعهم على بساط واحد ، ويجلسهم على مائدة واحدة ، ويجعلهم اخواناً متراصين متكاتفين ، فيكون منهم كتلة قوية ومجموعة قهارة ، بإمكانها أن تقاوم التكتلات الكافرة ، وتقف في وجه التيارات المشركة . كما سخرها للدفاع عن الدين ، والجهاد في سبيل الحق المبين ، والذود عن حياض الاسلام الأغر . ثم تفادي رسول الله صلى الله عليه وآله بكل معاني المفاداة ...

كل ذلك بفضل تدبره للأمر ، ودراسته العميقة للأحداث ، ومعرفته الكبيرة بالطرق والأساليب التي يمكنه ان يصل الى ما يريد من نواحيها ونوافذها ، فيستولي على أحاسيس الناس ومشاعرهم من دون أن يلتجئ الى طرق شائكة وملتبوة ، ربما لاتكون حميدة العاقبة سليمة النتائج .

وبهذه السياسة الحكيمة والفراسة القويمة تمكن ابو طالب ان يقضي على السيول الجارفة من المؤامرات والحركات المشركة ، كما استطاع القضاء على النعرات القبلية والطبقية ، فنجده مرة يثير بني هاشم ويشجعهم على الاسلام ثم التزام جانب النبي وحايته ، ونجده مرة يتوسع في الأمر فيذكر العرب وقريشاً بما لرسول الله صلى الله عليه وآله من الشرف العظيم والمجد الرفيع من قديم الزمن وسالف الدهور ، وما لآبائه الغر الميامين من الأيادي البيضاء على قریش بصورة خاصة ، الأمر الذي يحتم عليهم بطبيعته الانصياع الى النبي والخضوع له ، ثم اتباعه فيما تنبأ به واقتفاء اثره ، ثم مواساته في محنه وشدائده .

وقد وجد رضي الله عنه ان أثمرت سياسته وايئعت أفكاره وفراسته ،  
فوجد النبي وقد أحاط بمحضته الفدائيون والمخلصون من هاشميين وغير هاشميين  
يفقدونه بكل غال ونفيس ، ويواسونه في السراء والضراء .

\* \* \*

أما انه رضوان الله عليه بطل بصورة مفكر عبقرى وفيلسوف ألمعى ،  
فالواقع والوجدان يشهدان له بذلك ، ولكن لايراد بالمفكر والفلسفى هما  
صاحباً التخيلات الفارغة والتي لا ترجع الى معنى معقول ومقبول ، التخيلات  
والتصورات الجوفاء التي هي ربما تكون كل ما في خزانة بعض المفكرين  
والفلاسفة ، بل ابو طالب مفكر عبقرى وفيلسوف ألمعى يبني على اساس  
من الدراسة الصحيحة ، والإمعان في الحقائق ، والخوض في غمرات الأحداث ،  
والغور في أعماق الوقائع ، ثم تصور العواقب وترتيب أقيسة النتائج ، ثم  
تعبيد الطرق للحصول الى الغاية الحميدة والمقصد الكريم ، من دون ماخسارة  
بالأموال والأرواح ، وتضحية بالعزير والممتلكات .

فبهذه السياسة والحنكة اعلن ابو طالب الحرب على الصهانية والمشركين  
وقاوم الأوثان وحطم الأصنام والجاهلية . . .

بهذا وامثاله قدر للزعيم الهاشمى ابى طالب ان يفلح وينجح وينصر  
رسول الله ويصدقه في جميع المقال والدعوى ، واخيراً يتغلب على كافة  
العقبات ويقضي على جميع المؤامرات الخافدة ، الأمر الذي اضطر المشركين  
ان يعملوا ويعملوا ليل نهار جادين جاهلدين ، يحاولون ويحاولون فصل  
ابى طالب عن ابن اخيه ، ثم لينفذوا فيه مآربهم وليقفوا صفداً واحداً ،  
ثائرين لكرامة أوثانهم المحطمة وأصنامهم المبعثرة المهانة .

وما دروا أنهم يحاولون المستحيل ، وما علموا أن ابا طالب لا يمكن  
أن يتخلى عن رسول الله أبداً ، لأنه رضي الله عنه كان يرى ان الانفصال

عن مجد أو الابتعاد عنه انفصال عن دينه وعقيدته ، وابتعاد عن ربه ورب آباؤه الأولين ، الرب الذي خدم بيته طوال حياته وخدم زواره وحجابه زهاء نصف قرن ، وأخيراً هو ابتعاد عن الرسول الذي ثبتت نبوته بالأدلة القطعية والبراهين القوية ، والتي شاهدها بذاته ووقف على بعضها بنفسه وأعرب عنها بلسانه :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا  
الى أن يقول :

ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية ديننا

\* \* \*

اما بطولته رضي الله عنه بصورة قائد مظفر فهي لانعني كونه بطلا مفتول الساعدين ، عبل الذراعين ، عريض ما بين المنكبين ، متكون من عدد مناسب من الستمترات فحسب . . بل تعني اكثر ماتعني تحقيق عناوين الفوز والانتصار والغلبة والظفر ، ثم بفضل الحزم والتدبير والتروي والتفكير الاستيلاء على مخيمات العدو واحتلال مناطقه الخطرة ، وما تحتوي عليه المعسكرات من قوة وعتاد وسلاح وذخائر .

وبالنظر الى هذه القيادة الرشيدة المتمثلة في ابي طالب أصر الكنانيون عليه ان يقودهم الى معركتهم مع القيسيين ، وبعد أن اجابهم الى ذلك لمسوا منه حسن الادارة للجيش وحسن القيادة للجنود ، وكلما كان هو قائدهم كان النصر حليفهم والفوز معهم . . وهكذا في كل خروجه معهم .

\* \* \*

أما انه بطلل بصورة زعيم فهو زعيم بكل معنى الكلمة ، وزعيم بجدارة واستحقاق .

فالزعيم في عرف الحكومات والدول هو القائد لقطعة من الجيش



تحتوي على ثلاثة أفواج ، والفوج يتألف من ألف جندي .  
والزعيم في عرف العرب هو رئيس القبيلة وقائدها ، والحاكم بينها  
في خصوصياتها ولسانها المعبر عن آلامها وآمالها لدى السلطة الحاكمة ، أو لدى  
القبائل الأخرى .

وعلى جميع التقادير كان ابو طالب زعيم قريش ، ورئيس مكة ،  
واعظم قائد محنك خبرته الحوادث وجربته الوقائع .  
وقد تقدم مانقلناه عن التاريخ وعن مروج الذهب بالخصوص قيادته  
للكنانين في حروبهم مع القيسيين ، وكان جيش كنانة يتألف من عشرات  
الآلاف من الجند .

هذا بالاضافة الى ما كان يتمتع به الزعيم الهاشمي من لوازم الزعامة  
ومقتضياتها : من كرم نفسي ، وتصاغر للناس ، وتعاهد لقضاء الحوائج  
مها كلفه الأمر من خسارة مادية أو تعب ومشقة بدنيين .

نعم قد تتوقف اموره المادية احياناً فيضطر الى الاستدانة من اخيه  
العباس بن عبد المطلب ، وهذا قد يتفق حتى للحكومات الكبرى ، فانها  
قد تستدين احياناً من حكومة اخرى في ظروف استثنائية واوراق خاصة ،  
فلا يضر في زعامة ابي طالب اذاً أن يحتاج الى الاستدانة من العباس اخيه .  
ولا يصغى لسا نقله البعض من المؤرخين ان ابا طالب كان فقيراً  
لامال له ، وما ساد فقير قط الا ابو طالب ، والحال ان التاريخ هو الذي  
كان ينقل ان ابا طالب كان كريماً جواداً ، وقد انسى كرمه وجوده كرم  
كل كريم حتى كرم حاتم وجوده ، ومن يكون على هذه الشاكلة كيف  
يكون فقيراً لامال له ؟ ! .

أقول : ولا ينهض دليلاً على تأزم حالة ابي طالب الاقتصادية وفقره  
عملية الرسول معه ، حيث جاء اليه بعمه العباس ليأخذ منه بعض عائلته

تخفيفاً عليه وتقليلاً لمصارفه المتكثرة ، بل انما كان ذلك من النبي وعمه العباس لغاية اسمى وارفع واجل وامنع لاحظها رسول الله صلى الله عليه وآله من زاوية التخفيف عن ابي طالب المتقلبل بعبء العائلة الضخمة ، والأضياف الذين ليس لهم انقطاع ، والحجاج المتكثرين : بل كانت الغاية هي ان يظم علي بن ابي طالب اليه ويضيفه الى عائلته ليتولى تربيته وتثقيفه وتعاليمه وتأديبه ا يظهر للعالم وهو اكمل انسان وافضل شخصية بعد شخصية النبي المباركة ، وفعلا وبهذه الوساطة ظهر علي كذلك على مسرح الدنيا ، وهو اجل انسان بعد النبي صلى الله عليه وآله .

فحيازة النبي لعلي لما يعلمه من انه هو خيرة الله وحجته من بعده أولاً وحفظاً لعمه ابي طالب فيه ثانياً . ولهذا وذلك كان الاختصاص منه صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ، وإلا فأبو طالب كان كريماً يهب الألوفا ويعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، كما كان مأوى الضيوف والوفود والحجاج . وعليه كيف يمكن ان يكون فقيراً ومعدماً حتى يقال فيه انه « ماساد فقير قط الا ابو طالب » ؟

ومن يمعن النظر ويتصور قضية التخفيف بدقة يجد ان سحب الشخص الواحد او الشخصين عن ابي طالب لا يؤثر التخفيف ابداً ، اذاً لا بد وان تكون عملية النبي صلى الله عليه وآله ناظرة لما قدمناه من تلك الغاية الجليلة والمقصد الشريف النبيل .

\* \* \*

قال المظفر : أما انه رضوان الله عليه بطل بصورة شجاع ، وقد عرف الشجاع بأنه هو الانسان الذي يزاول الحروب ويمارس الغزوات والوقائع ويخوض غمار المعارك ، فينازل الأبطال ويواجه الفرسان والشجعان ، فيأتي بفنون حربية ما يستطيع بها التغلب على العدو وقتل فرسانه وابطاله ، ثم كسب

المعركة والفتح المبين ، لذا لا يعطى وصف الشجاع وسمة الشجاعة لمن يتفق له دخول حرب واحدة ودخول معركة واحدة ، او لمن يدخل الحروب ولم يبق نفسه في لهواتها .

ومن هذه الزاوية ومن نوافذ هذه الواجهة ربما يتوصل الى ان الزعيم اباطالب لم يعرف عنه انه قد تكررت عنده الحروب ، وخاض غمار الغارات والغزوات إلا ما كان من أمر قيادة الكنازيين ، فهو وان ابدى فيها شجاعة وبطولة متناهيتين لكن الواقعة الواحدة لانقيض على قائدها سمة الشجاع ووصف الشجاعة ، فإطلاقها على ابي طالب اذاً جزاف ومن قبيل السالبة بانتفاء الموضوع .

فهذا صحيح من بعض الوجوه ، ولكن ان تدبرنا المعنى اللغوي والمرتكز العرفي للشجاع نجد أن الملكة والقابلية وتوطين النفس على خوض المعارك وممارسة الثورات وتدبير امور الجيش وتسييره على الخط الذي يضمن له الفلاح والنجاح هي كل مفاد الشجاع ومعطيات الشجاعة ، وخوض معركة واحدة كاف في تحقيقها فيما اذا ظهرت ملكة الانسان وقابليته ، وعرفت بطولته وبسالته ، كما ذهب الى ذلك كارليل الانكليزي في مؤلفه ( الأبطال ) حيث قال : إن الشجاعة ينبوع الرحمة ، وينبوع الصدق والشرف ، كما هي مصدر الكرم والمروءة ، وما الى ذلك من محامد ومحاسن وفضائل مجيدة . ومن وقف على ما كان عليه زعيم بني هاشم من صفات الخير والمجد المؤثل وسمات الكرم ، وجده هو الشجاع حقاً .

على ان أبا طالب رضوان الله عليه لا يقال له أنه ليس له الاموقف واحد في حرب الكنانيين مع القيسيين ، لأن الحرب بين القبيلتين داوم مدة غير قليلة ، وكل يوم تثار فيه الحرب هي حرب جديدة ، اذاً هي حروب متجددة ومتعددة . وما دام ابو طالب هو القائد اذاً هو الشجاع بكل

معنى الكلمة .

وكيف لا يكون كذلك وقد نقل التاريخ عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في بعض المناسبات : رحم الله عمي ابا طالب ، لو ولد الناس كلهم لولد لهم شجعاناً .  
وبطبيعة الحال لو لم يكن هو شجاعاً لما صح ان يولد الشجعان ، لأن فاقد الشيء لا يكون معطيه - راجع الجزء الثالث من شرح النهج لابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب .

\* \* \*

أما انه بطل بصورة شاعر فالشاعر في عرف الأدباء هو الانسان الذي يقوى على صياغة مستوحيات خياله وأحاسيسه بقلب موزون واسلوب مقفى ، سيان في ذلك الشعر العاطفي والشعر الحماسي او غير ذلك . ولا يقدر او يضر بشاعرية الشاعر كونه متميزاً بطابع خاص واسلوب مخصوص ، مبتعداً بهما عن الغزل المفضوح والحب غير المشروع والمدح والهجاء من غير استحقاق ، ولعل هذا اللون من الشعر هو أوقع في نفوس بعض الناس وألذ الى طبائعهم نعم قد لا يروق للمؤمنين والمتدينين . وعلى كل حال فصاحبه أديب وشاعر مما لا ريب فيه .

أما شعر ابي طالب فهو من النمط المستمر بطابع التحمس للدين ، ثم بيان محاسن الاسلام ومفاخر الدين الحنيف ، ثم الإشادة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمها بالنفوس ، ثم الحث على اتباعها واقتفاء اثرها ومناصرتها على اعداء الله واعداء رسوله ، ثم التذليل على أنه ممن تابع الرسول وآمن بدعواه ووازره بكل امكاناته وطاقاته .

وقد وجد انه يكرر :

يا شاهد الله عليّ فاشهد  
اني على دين النبي أحمد

أما لاميته المعروفة الشهيرة فهي إما تكمل المائة بيت أو تجاوز المائة ،  
والتي هي من الشعر الراقي ، والتي هي من أجمل الشعر وأفضل القصيدة ،  
التي قال فيها ابن كثير الشافعي الدمشقي : أما لامية أبي طالب فهي أجمل  
وأكمل وافحل من المعلقات السبع ، كما وانها أصدق مثال للشعر العربي .

\* \* \*

أما انه بطل بصورة عالم ، ولا يكاد يخفى ما للعلم من انواع ومصاديق :  
فقه ، اصول ، فلسفة ، طب ، فلك ، كلام ، تفسير ، البلاغة ، المنطق ،  
المعاني والبيان ، لغة ، العاوم الطبيعية - الى غير ذلك من الأصناف .  
ومن وقف على ترجمة عم النبي أبي طالب الترجمة التي تعرضت لها  
كافة كتب التاريخ والسير عرف جيداً أنه رضوان الله عليه كان عالماً بجميع  
انواع العلم ، كما دلت على ذلك بنثره وشعره ، لذا قد عُده من أعظم الحكماء ،  
بل قالوا إنه استاذ الحكماء ومعلم الفلاسفة والأدباء ، فلترجع كتب التاريخ  
ومنها مؤلفات ابن حجر العسقلاني تعرف مقدرته العالمية وتمحقق منزلته  
الأدبية والفلسفية .

\* \* \*

أما انه رضي الله عنه بطل بصورة نجيب فانه قد أنجب الليوث  
والاشبال ، وولد الأبطال والذلاء : مثل علي وعقيل وجعفر ، الأشبال  
الذين كانوا المثل الأعلى للبسالة والاستنساد والبطولة والنبل والسؤدد .  
أما علي بصورة خاصة فهو الشخصية اللامعة التي قد ملأت الدنيا  
من اقصاها الى اقصاها سمواً ومجداً وعزاً وعظمة علماً وحلماً وكرماً وشجاعة  
إقداماً وبسالة وفتوة وجهاداً ، لذا عبر عنه علماء الغرب انه سلطان الأبطال  
وفيلسوف العرب .

\* \* \*

أقول : ولعمري ان حديث المظفر هذا حديث قيم وتحليل شامل يتسم بمنتهى العظمة والجلالة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بحث وتحليل هما كانا متميزان سمواً وملائمة مع حياة عم النبي العظيم ، الحياة الحافلة بكل المؤهلات والمكانة الخيرة ، فجزاه الله عن عم رسول الله خير جزاء المحسنين .

وتحدث السيد الموسوي في الحجة ص ٢٢٣ فقال : حدثني شيخنا عميد الرؤساء ابن ابي ايوب اللغوي ، قال اطعنني السيد الشريف عبد الحميد التقي الحسيني النسابة على نسخة من كتاب الكامل للمبرد كان فيها بعد ذكره لأبي طالب في بعض ابواب الكتاب : لقد أسلم ابو طالب وحسن اسلامه كما صدق الرسول في دعوى النبوة ، كما يظهر ذلك واضحاً جلياً من قوله الذي يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم :

إذهب بني فما عليك غضاضة ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وفي ص ٣٥٧ من الحجة قال السيد : وكان عثمان بن مضعون الصحابي الجليل يقف احياناً بباب الكعبة فيعظ الناس ، فيأمرهم بالمعروف والبر والدين والتمسك بمبادئ مجد الذي جاء بها من ربه العظيم ، وينهاهم عن المنكر والبغي ويحثهم على نيل الأوثان ورفض الأصنام والابتعاد عن الشرور والآثام ، فوثب عليه رجال من المشركين فضربوه ضرباً مبرحاً وعذبوه عذاباً اليماً ، ولم يكتفوا بكل ذلك دون ان قلعوا إحدى عينيه ، فبلغ الخبر ابا طالب ، فغضب للحادث المرير ثم اخذ يتطلب الفعلة حتى عرف الذي تصدى لقلع عين عثمان ، وكان شخصية مرموقة من قريش ، فأصر على أن يقتص منه وان يفعل به كما صنع بعثمان .

وقد شاع نأ اصرار الزعيم الهاشمي على أن يقلع عين من قلع عين عثمان بن مضعون ، فضاق الخناق بقريش وتحققوا أن تصميم ابي طالب هذا

لابد وأن يسفر عن الاقتصاص ، ولا بد أن يقنع عين صاحبهم ، فصاروا يهرعون الى ابي طالب زرافات ووحيداناً يطلبون اليه ويرجون منه ان يقبل منهم بالدية والفداء ، وابو طالب يصبر على تصميحه ورأيه وانه يقوم بما بدا له مهما كلفه الأمر ، وبعد محاولات ومخادعات فاشلة ارتد الوسطاء على أعقابهم خاسرين ، وقد ينسوا من كل المحاولات .

أما ابو طالب فصار الى ترصد المحرم وترقبه ، وأخيراً عثر عليه بين ملاً من قريش وقد احاطوه من جميع جهاته ، فلم يبرح عنه حتى فقأ عينه كما فقأ عين عثمان بن مضعون ، ولم يستطع أي واحد من الحاضرين ان يتكلم او يدافع او يرفع رأسه ، ثم انشأ ابو طالب مقطوعة شعرية تبين الحادث وترمز الى الانتصار واخذ الثار ، وقد تقدم ذكر الأبيات .

وتحدث الفضل بن شاذان في المناقب عن الكراچكي عن محمد بن علي ابن صخر عن عمر بن محمد بن يوسف عن محمد بن سليمان عن محمد بن صنوبر ابن صلصال انه قال : كنت اخرج مع ابي طالب لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وحمايته من اليهود والمشركين ، فخرجت ذات يوم للغاية ، وكان خروجي قبل موعد خروج ابي طالب ، فجلست على البساب ريثماً يخرج ، فبينما انا كذلك اذ خرج الي مضطرباً مرتبكاً ، وهو يقول : يا ابا الغضنفر هل رأيت الغلامين مجدأً وعلياً ؟ قلت : لاياشيخ الأبطح لم أرها منذ جلست . فقال : قم بنا نطلبها فلست آمن عليهما من ان يغتالها المشركون واليهود . فقمتم معه حتى خرجنا من بيوت مكة ، ثم صرنا الى جبل كان هناك ، فاذا نحن بمحمد وعلي يصليان بجانب من جوانب الجبل ، وقد رأيت ابا طالب وقد تهامل وجهه فرحاً حيث وجدهما يصليسان ، فانظروهما الى أن فرغا جاء بهما الى الدار .

ونقل القاضي النقدي في المواهب بسنده الى عمر بن حصين أنه قال :

كان والله اسلام جعفر بن ابي طالب بأمر أبيه وإرشاده ، حين أمره ان  
يوصل جناح رسول الله في الصلاة ، كما قال له بعد ان فرغوا من الصلاة  
يا جعفر ستقتل في سبيل الله وبأمر من محمد بن عبد الله وتقطع يدك فيعوضك  
بجناحين بدل يديك المقطوعتين تطير بهما مع الملائكة في الجنة .

أقول : وليس كثيراً على عم رسول الله ان يقرأ مستقبل ولده فيخبره  
بما سيطالعه من ميتة في سبيل الله بأمر من رسول الله ، حين يأمر بجهاد  
الكفرة الطغاة ، فيقتل وتقطع يده ثم يعوض عنها بجناحين . . . نعم ليس  
غريباً عليه هذا التنبؤ وهذه القراءة ، كما هو شأن المؤمنين المتقين ، وأخيراً  
وافق الخبر العيان وطابق التذوُّر الواقع ، بعث رسول الله ابن عمه جعفر الى  
موتة يقوم جيش المسلمين ، فجاهد جهاد الأبطال الى ان قطعت يده ثم  
قتل عليه السلام ، فأبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما مع الملائكة  
في الجنة .

ونقل ابن شهر آشوب في مناقبه بطريقه الى مقاتل انه قال : لما رأت  
قريش الى النبي - وقد علا ذكره وظهر امره واستجاب كثير من الناس  
الى دعوته واصبحت تتسع يوماً فيوماً - اجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا ، كما  
صمموا وتهيؤوا وتعاقدوا على أن يقتلوا رسول الله بعد موت ابي طالب ،  
حتى ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، ثم شاءت الأقدار أن يعلم ابو طالب  
بما بيتوه وصمموا عليه ، فيجمع على الأثر كافة بني هاشم وبني المطلب ،  
فأعلمهم بنوايا القوم اتجاه ابن اخيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله ، وطلب  
اليهم ان يلازموه ولا يفارقوه في حاه وترحاله ، وان يحوطوه مهما كلفهم  
الأمر ، وان ادى ذلك الى التضحية بالروح والدم ، ثم قال : يا قوم ان  
ابني محمد نبي صادق وامين ناطق ، وإن شأنه أعظم شأن ومكانه من ربه  
اعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجمعوا على نصرته وحاموه من كيد عدوه ،



فانه الشرف الباقي لكم .

ونقل في الكافي بسنده الى ابن ابي عمير عن الحسين بن ابي حمزة عن صادق آل البيت جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : قد اجتمعت قريش وحلفاؤها من العرب واليهود ذات يوم ، فتداولوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم مخض اجتماعهم ذاك عن التصميم على قتل النبي الأمين ، وبه يقضوا على شريعته ودينه ، إلا أنه قد وقف نصب أعينهم ابو لهب ، فخافوا تحركه وهياجه وحذروا من ان تثور فيه روح النخوة القبلية وحمية النسب ، فيقلب لهم ظهر المحن ويتنكر لأفعالهم هذه ومؤامرتهم القذرة ، فقالت ام جميل بنت ابي سفيان وزوجة ابي لهب - وهي كانت من جملة من حضر تلك الندوة المشؤومة ومن جملة المشتركين في وضع خططها وتصاميمها - نعم تبرعت ان تكفيهم أمر ابي لهب ، واوعدت ان ستعمل جاهدة وتحاول ما امكنتها المحاولة والخديعة على حبسه وحجزه في الدار ونهية الظروف المحبذة لعدم خروجه ربمًا تتم العملية والمؤامرة ، فشكروها ثم ودعوها وتفرقوا على ان يجتمعوا في الوقت المحدد ليقوموا بما تعاقدوا وتعاهدوا عليه ، وعادت ام جميل الى دارها وهي قلقنة تفكر كيف تستطيع ان تنقلب على ابي لهب وتسيطر على أعصابه ، وهكذا ظات تفكر وتفكر حتى قرب الفجر ، وأخيراً دلها التفكير على ان تحمى الحمام ، وبالفعل قامت بذلك حتى اذا نهض ابو لهب من نومه وقام ليرتدي ملابسه ليخرج على مستمر عادته قامت بوجهه ام جميل فقالت : يا ابا لهب اني رأيتك محتاجاً الى الاغتسال وها انا قد هيأت لك الحمام وغسأت ثيابك ، فاغسل والبس ثيابك النظيفة ثم اخرج اذا أردت بعد ذلك ، فانظرات الحياة عليه وتلقى الفكرة برغبة ورحابة ، فبادر الى دخول الحمام وصارت ام جميل تدلكه وتغسل له وتماطله وقد اطالت القضية فخافت انكشاف السر ، فهيأت له لبس ثيابه ، ولما رأته يحاول

الخروج من السدار عرضت عليه الشراب وحسنته له ، وانه شراب عظيم قد اهدى اليهم ومن مدة لم يشربا ولم يشملا ، وكأنه هشن للموضوع فوافق وجلس ، فأخذت تسقيه وتشرب وتسقيه حتى ارتخت اعصابهما وصارا بعالم الخيال والنشوة ، وكادت مؤامرة جماعة الشرك ان تنجح وتفجح وتم لولا ان ينكشف التآمر الدنيء لعن النبي الزعيم ابي طالب ، فتقوم قيسامته وتثور نائرتة ، ويتأكد ان ابا لهب لم يكن مع القوم كما لم يكن من المتآمرين على حياة النبي في هذه المرة ، فيرسل ولده عايماً الى دار عمه وقال له فيما قال : اسرع الى دار عمك ، فأطرق عليه الباب فان فتح لك وإلا اكسره وادخل وقل لعمك : يقول لك ابو طالب ان امرأة عمه عينه في القوم ليس بذليل . فذهب علي فوراً فطرق الباب فلم يفتح له ، فكسره ودخل فوجد عمه وزوجته وقد دوخهما الخمر وأنامهما السكر ، فاما بصر به ابو لهب استنكر دخوله وحالته ، فقال : ماوراءك يا علي ؟ فقال له : يقول لك ابو طالب : من كان عمه عينه في القوم ليس بذليل . فقال : صدقت وصدق ابوك . ثم نهض ليخرج ، فتعاقمت به زوجته وحاولت عدم خروجه ، فاشتد واحتد ولطمها على عينها ففقأها وخرج مسرعاً حتى وقف على رؤوس القوم والغضب باد على وجهه ، ثم انفجر قائلاً : ايها الجماعة الحمقاء تبأ لكم ولأعمالكم ، إني وافقتكم وسابرتكم على اخي وابن اخي وما كنت اعتقد أن الحال يبلغ بكم الى ماقد وصل وتبلغ بكم الصلافة والوقاحة الى هذا الحد ، تريدون قتل مجد ، فوالله لقد هممت أن اصبو لدين مجد ثم ترون صني بكم . فخاف القوم من أن يفعل ، فأخذوا يهدئون عليه ويخففون من حدته ، وتنازلوا له واعطوه كلاماً أن يكفوا عن المحاولة ويبتعدوا عن إيذاء ابي طالب ومجد ، ولم يزالوا به حتى ارضوه وفشلت المحاولة وخسرت المؤامرة وباؤا بالخزي والعار ، وتفرقوا أذلاء صاغرين .

وتحدث السيد الموسوى في الحجة ص ١٧٤ فقال : حدثني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني قراءة عليه في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، قال اخبرني الشريف النسابة ابو تمام هبة الله بن عبد الصمد العباسي الهاشمي قال اخبرني الشريف ابو عبد الله جعفر بن هاشم بن علي بن محمد بن الصوفي قال اخبرني جدي ابو الحسن علي بن محمد الصوفي العنوي العمري النسابة ، قال روى الشريف الفاضل ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن جده يحيى بن الحسين الشريف العالم النسابة يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ذات يوم وبمناسبة ما لعقيل بن ابي طالب : يا عقيل اني احبك حين حباً لك وحباً لحب عمي ابي طالب لك .

أقول : لله انت ، ولله درك يا عم رسول الله وهنيئاً لك بمقامك الكريم وشأنك الرفيع عند رسول الله العظيم ، حيث قد أحبك واحب من تحبه انت كرامة لك . ومن الجلي الواضح ان رسول الله صلى الله عليه وآله ما احبك إلا لإخلاصك لله وتفانيك في سبيله ، ومن المستحيل أن يحب الا في الله ولا يبغض الا في الله ، ولو لم يكن ابو طالب يحب الله ويحبه الله لما أحبه رسول الله .

ولعله من أقوى الادلة على مدى حبه لله عز وجل ومدى حبه لرسول الله صلى الله عليه وآله لاميته العظيمة ، وكنت أود بالحاح أن اقف على تمامها ، لأن الكتب التاريخية التي كانت بمتناولي غالباً ما كانت تقتطف منها البعض وتنصرف عن الباقي لظولها وكبرها ، حتى اذا قدر لي ان أعثر عليها كاملة غير منقوصة في سيرة ابن هشام وديوان ابي طالب والمواهب ، فتفتحت لها مشاعري وأحاسيسي ، ووجدتني مغرماً بها وبتردادها ومعجباً بما تحتوي عليه من معانيٍ غر واهداف جليلة ودعوة الى الله تعالى

ورسوله ، ووجدتها فوق وصف الواصفين وتعريف المعرفين ، ورأيتني مندفعاً الى تسجيلها كاماة وتامة في مؤلفي هذا ، ولكن قد يعترضني ما كان يعترض الآخرين من التوقف عن نقلها جملة وتفصيلاً للغرض الذي من اجله كان الاكتفاء ببعضها ، وهكذا بقيت متردداً أقدم مرة واحجم مرة اخرى ، وربما تصورت أن في ذكرها تامة خدمة للأدب العربي والشعر العربي ، كما هو خدمة لأبي طالب لما له على المسلمين عامة من الحق المبين والفضل الجليل الجسم ، ومع هذا كانه لم اكن اجزم بشيء .

وفي ذات يوم وفي ضحى يوم الخميس المصادف اربعة وعشرين من شهر جمادى الاولى لسنة ألف وثلاثمائة وسبعة وثمانين هجرية ساورتني قصة لامية ابي طالب ، فشغلت كل تفكيري إذ اخذتني سنة لم أألفها ولم اكن قد اعتدت عليها في مثل ذلك الوقت بالذات ، فخيّل لي شخص سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول : ألم تكن تذكر في مؤلفك هذا عني اني كنت أمر اصحابي ان يحفظوا ويحفظوا أبناءهم لامية ابي طالب . فقلت : نعم كان ذلك جعات فذاك . قال : لماذا إذا توقفت عن ذكر لامية ابي طالب مجموعة ، اذكرها كاملة فإنها تحتوي على علم جم ونصائح ومواعظ وحكم ومدح للنبي صلى الله عليه وآله ثم الأقرار بنبوته وتشجيعه على حركته . فانتبهت مرتبكا واجما وكلمات الامام عايه السلام ملء مشاعري واحساسي ، ووجدت مؤلف القاضي النقدي المواهب مفتوحاً أمامي وعنوان صفحته الأولى « لامية ابي طالب » في حال اني لم اتصور ولم اكن اتفطن اني فتحته او استخرجت القصيدة قبل السنة والغفوة .

وكيف كان الأمر المهم اني وجدت من نفسي انها تحوم حول الموضوع وتحاول بصورة لإرادية ذكر تمام القصيدة ، وشعرت بأن قلبي

اكثر مني مبادرة والتهاماً للقصيدة الشذية العطرة : وهاهي نعرضها للقراء  
 امتثالاً لطلب الامام وتنويراً للافكار المحبة للرسول الأعظم صلى الله عليه  
 وآله وسلم والمنصهرة ببوتقة الولاء لآله الميامين ، صوات الله عليهم اجمعين :  
 خليلي ما أذني لأول عاذل  
 خليلي إن الرأي ليس بشركة  
 ولما رأيت القوم لاود عندهم  
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى  
 وقد حالقوا قوماً علينا اظنة  
 صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة  
 واحضرت عند البيت رهطي واخوتي  
 قياماً معاً مستقبلين رتاجه  
 وحيث ينخ الأشعرون ركابهم  
 موسمة الاعضاد او قصراتها  
 ترى الودع فيها والرخام وزينة  
 اعوذ برب البيت من كل طاعن  
 ومن كاشح يسعى لنا بمعية  
 وبالبيت ركن البيت من بطن مكة  
 وبالحجر المسود إذ يمسخونه  
 وموطيء ابراهيم في الصخر وطأة  
 واشواط بين المروتين الى الصفا  
 ومن حج بيت الله من كل ركب  
 وبالمشعر الأقصى اذا عمدوا له  
 وتوقافهم بين الجبال عشية

بصغواء في حق ولا عند باطل  
 ولا نهته عند الأمور البلابل  
 وقد قطعوا كل العرى والوسائل  
 وقد طاعوا أمر العدو المزابل  
 يعظون غيظا خالفنا بالأنامل  
 وابيض ماض من تراث الأوائل  
 وامسكت من اثوابه بالوصلائل  
 لدى حيث يقضي نسكه كل نافل  
 بمفضي السيول من اساف ونائل  
 محبسة ثين السديس وبازل  
 بأعناقها معقودة كالعشا كل  
 علينا بشر او ماح بباطل  
 ومن ملحق بالدين مالم نحاول  
 وبالله ان الله ليس بغافل  
 اذا اكتنفوه بالضحى والأصائل  
 على قدميه حافياً غير ناعل  
 وما فيها من معشر وجحافل  
 ومن كل ذي نذر ومن كل نافل  
 إلا الى مفضي الشراج القوابل  
 يقيمون بالأيدي صدور الراحل

وما فوقها من حرمة ومنازل  
سراعاً كما يفزعن من وقع وأبل  
يؤمنون قذفاً رأسها بالجنادل  
تجوز بها حجاج بكر بن وائل  
وردا عاياه عاطفات الذلائل  
وهل من معيذ يتقي الله عادل  
تسد بنا ابواب ترك وكابل  
وبطن ترى من هاشم بالخافل  
ولما نطاعن دونه ونناضل  
نقاتل عنه بالقنا والقبائل  
ونذهل عن ابنائنا والحلائل  
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل  
من الضغن فعل الاثكب المتحامل  
لنلتبس اسيفنا بالامائل  
اخي ثقة حامي الضعينة باسل  
منيع الحمى عند الوغا غير ناكل  
عايننا وتأتي حجة بعد قابل  
يحوط الحمى غير ذوب مواكل  
ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
فهم عنده في نعمة وفواصل  
الى بغضنا جيش العدى والتحامل  
جزاء مسيء لا يؤخر عاجل  
ولكن اطاعا امر تلك القبائل

ولياة جمع والمنازل من منى  
وجمع اذا ما القربات اجزته  
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها  
وكندة اذ ترمي الجمار عشية  
حليفان شدا عقدا ما اختلفا به  
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ  
يطاع بنا الأعداء ظلما واننا  
كذبتم وبيت الله نترك مكة  
كذبتم وبيت الله نزي مجداً  
نقيم على نصر النبي مجد  
وننصره حتى نصرع دونه  
وينهض قوم في الحديد اليكم  
وحتى يرى ذوالبغى يركب درع  
وانا لعمر الله ان جد جدنا  
بكفي فتى مثل الشهاب سميذع  
من الحمي من فرعي لوي بن غالب  
شهوراً واياماً وحولا محرواً  
وما ترك قوم لاباً لك سيداً  
وابيض يستسي الغمام بوجهه  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم  
لعمرى لقد اجرى اسيد ورهطه  
جزت رحم منا اسيداً وخالدأ  
وعثمان لم يشفق علينا وقنفذ

اطاعا بنا الغاوين في كل وجهة  
كما قد لقينا من سبيع ونوفل  
فان يلقيا او يمكن الله منهما  
وذاك ابو عمرو ابى غير بغضنا  
يناجي بنا في كل ممس ومصبح  
ويقسمنا بالله ما ان يغشنا  
وسائل بالوليد ماذا خبت لنا  
وكنت امرءاً ممن يعاش برأيه  
وعتبه لاتسمع بنا قول كاشح  
ولست اباليه على ذات نفسه  
وقد خفت ان لم تزدرهم وترتدع  
ومر ابو سفيان عني معرضاً  
يفر الى نجد وبرد مياهه  
ويوصلنا قول المناصح انه  
أمطعم لم اخذلك في يوم نخوة  
ولا يوم خصم اذ اتوك اشدة  
امطعم ان القوم ساموك خطة  
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا  
بميزان حق لاجنيس شعيرة  
لقد سفهت احلام قوم تبدلوا  
ونحن صميم في ذوابة هاشم  
وكان لنا حوض السقاية فيهم  
فما ادركوا ذحلا ولا سفكوا دمأ

ولم يرقبا فينا مقالة قائل  
وكل تولى معرضاً لم يجامل  
نكل لها صاعاً بكيل المكابيل  
ليطعننا في كل شاء ونائل  
فناج ابا عمرو بنا ثم خاتل  
بل قد نراه جهرة غير حائل  
بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل  
ورحمته فينا ولست يجاهل  
حسود حقوق مبغض ذى دغاو  
فعش يابن عمي ناعماً غير ماحل  
نلاقي وتلقى مثل احدى الزلازل  
كما مر فيل من عظيم المناول  
وبالرغم اني عنكم غير غافل  
شفيق وينحني عارمات الدواخل  
ولا عند تلك المعضلات الجلائل  
اولي جدل مثل الخصوم المساجل  
واني متى اوكل فلست بواكل  
عقوبة شر عاجلا غير آجل  
له شاهد من نفسه غير عادل  
بني خلف ثاروا بنسار الغياطل  
وآل قصي في الخطوب الاوائل  
ونحن الذرى من غالب والكواهل  
وما خالفوا الا شرار القبائل

بني جمع عبيد قيس بن عاقل  
 علينا العدى من كل جلف وخامل  
 بلا ترة بعد الحمى والتواصل  
 عدي وكعب فاحتبوا بالمحافل  
 نفاهم الينا كل صقر حلال  
 وألأم حاف من معد وناعل  
 فلا تشاركوا في امركم كل واغل  
 تكونوا كما كانت احاديث وائل  
 وجنم بأمر مخطيء للمناضل  
 وخذلاننا في الدجى والمعائل  
 سيحتلبوها لاقحاً غير باهل  
 وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل  
 اذاً ماجأنا دونهم في المداخل  
 لكننا أسى عند النساء الماطفل  
 فلا بد يوماً مرة من تزايل  
 فلا بد يوماً انها في مجاهل  
 هم ذبحونا بالمسدى والمقاويل  
 لعمري وجدنا عيشة غير نائل  
 براء الينا من معقة خاذل  
 اذا لم يقل بالحق مقول قائل  
 زهير حساماً مفرداً من حائل  
 الى حسب في حومة المجد فاضل  
 واحببته شأن الحب المواصل

بني امة مجنونة هندكيسة  
 وسهم ومخزوم تماودا وألبوا  
 يعضون من غيظ علينا اكفهم  
 وحث بني سهم عاينا عديهم  
 وشايظ كانت في لوي بن غالب  
 ورهط نفيل شر من وطأ الحصا  
 فعبد مناف انتم خير قومكم  
 فقد خفت ان لم يصلح الله امركم  
 لعمري لقد وهتم وعجزتم  
 ليهن بني عبد مناف عقوقنا  
 فان يك قوم سرهم ما صنعتمو  
 فابلغ قريشاً ان سينشر امرنا  
 ولو طرقت ليلا قصياً عظيمة  
 ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم  
 فان تك كعب من لوي تجمعت  
 وان تاك كعب من كعوب كبيرة  
 وكنا نجير قبل تسويد معشر  
 فكل صديق وابن اخت تعده  
 سوى ان رهطاً من كلاب بن مرة  
 بني اسد لانظرقت على القذى  
 فنعم ابن اخت القوم غير مكذب  
 اشم من الشم البهاليل ينتمي  
 لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد



فلا زال في الدنيا جالاً لأهلها  
فأيدته رب العباد بنصره  
فن مثله في الناس او من مؤمل  
حليم رشيد عادل غير طائش  
فكننا اتبعناه على كل حالة  
الم تعلموا ان ابننا لامكذب  
رجال كرام غير ناهم  
وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم  
شباب كرام غير ميل غوارد  
بضرب ترى الفتيان عنه كأنهم  
ولكننا نسل كرام لسادة  
سيعلم أهل الضغن ابي وأبهم  
وأبهم مني ومنهم بسيفه  
ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم  
فأصبح منا احمد في ارومة  
كأنني به فوق الجياد يقودها  
وجدت بنفسي دونه وحميته  
ولا شك ان الله رافع قدره

وزيناً على رغم العدو المخاتل  
واظهر أمراً حقه غير باطل  
اذا قاسه الحكام عند التفاضل  
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل  
من الدهر جداً غير قول التهازل  
لدينا ولم نعبأ بقول الاباطل  
الى العز آباء كرام الاصائل  
ويخسر عنا كل باغ وجاهل  
كبيض سيوف بين ايدي الصياقل  
ضواري اسود فوق لحم خردال  
بهم تعتلي الأقوم عند المتناول  
يفوز ويعاو في ليسان قلائل  
يلاقي اذا ماحان وقت التنازل  
ويحمد في الآفاق في قول قائل  
تقصر عنها سورة المتناول  
الى معشر زاغوا الى كل باطل  
ودافعت عنه بالطل والكلاكل  
ومعليه في الدنيا ويوم التجادل

\* \* \*

أقول : لعمرى انها قصيدة عصماء عطرة ، وفريدة فواحة نضرة ،  
والوكة ناجحة مظفرة ، قد استهدفت أول ما استهدفت تحطيم ثورة الأوثان ،  
وتسخيف عبادة الأحجار والاصنام ، ثم التعريض بقريش والعرب ، حيث  
انهم حاربوا الله ورسوله ، وجانبوا كل شيء من شأنه أن يرجع الى الفضيلة

والخلاق السامي النبيل ، ثم التعرّيج على مالآباء رسول الله صلى الله عليه وآله من مكارم ومفاخر وفضائل ومآثر من سالف الزمن واقدام العصور ، ثم التحدث عن نبوة الرسول وبعثته وفضله ومحاسنه ، ثم مدحه صلى الله عليه وآله بما هو أهله ومستحقته ، ثم إعلان تصديقه للنبوة وإظهار تمسكه بكل ماجاء به النبي عن ربه عز وجل ، ثم إبداء الاستعداد والحضور لكل متطلبات النصره والمؤازرة من التفاني والتفادي وما الى ذلك ، ثم التفاؤل لدين رسول الله بالانتشار والانتصار مهما كانت العوائق والحواجز . . .

الى آخر ماتحتوي عليه من فنون العلم والأدب واللغة والفلسفة ، فهي جديرة بأن يخصص لها مؤلف يتضمن شرحها وما حوته من بديع المقال وعظيم المفاد والمآل ، ولعلنا نتوفق الى ذلك فيما يأتي انشاء الله ، فنكون ممن تقرب الى الله بحفظ رسول الله في عمه وحاميه وكافله .

وقال القاضي النقدي في مواهبه ص ١١٤ : إن ابا طالب رضي الله عنه كان يتعاطى في نظمه اللغز أيضاً ، فمن ذلك قوله :

خذ اليمين من ميم	ولا تنقط على أمري
ومازجها يكن إسماً	لمن كان به فخري
به آمنت في سري	ولا تسألني عن جهري

رمز كرم وإشارة باهرة يفوه بها عم النبي الكريم ، حاول فيها فيما حاول ان يشير الى اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم افاد عن انطباعاته عنه وانه رسول الله حقاً ونيبه صدقاً لامراء في ذلك ولا شبهة ، كما اظهر أنه صلى الله عليه وآله هو فخره وشرفه معترزاً بذلك ويرفع رأسه عالياً بواسطتها ، وذلك منتهى الإيمان وغاية الاخلاص .

وقال النقدي في نفس الصفحة : ومن ذلك أيضاً قوله :

ألا خذ وعد موسى مرتين وضع أصل الطبايع تحت ذين

وسكة خان شطرنج فخذها ثم ادرج بين ذين المدرجين  
فذلك اسم من يهواه قلبي وقاب جميع من في الخافقين  
ويحدثنا الموسوي في الحجة فيقول : أخبرني الشيخ محمد بن ادريس  
بأسناده المتصل الى الحسن بن جمهور التميمي عن ابيه انه قال : قال ابن  
قتيبة بطريقه الى صالح بن كيسان عن عبد الله بن رومان عن يزيد بن الصعق  
عن عمر بن خارجة عن عرفطة انه قال : خرجت الى بعض صقاع مكة  
لشغل كان لي هناك ، اذ اقبلت جمال من اعالي نجد حاذت مكة وقربت  
من الكعبة ، واذا أنا بغلام قد ألقى بنفسه من أعلى جبل من الجبال ثم  
توجه الى الكعبة وتعلق بأستارها ، ثم صار ينادي : يارب هذه البنية أجرتني  
وخلصني مما انا فيه . فأقبل اليه رجل ممن كان في القفاة فأخذ يوسعه شتما  
وضرباً ، ورام ان يجره من الكعبة والغلام متمسك لا يريد أن يحل يديه من  
أستارها ، والناس وقوف لا تستطيع تخليص الغلام من الرجل .

وبينما نحن كذلك إذ أقبل على الكعبة شيخ جسيم وسيم عليه وقار  
الحكماء وبهاء الملوك والعطاء ، فشهد ما نشاهده ، فأقبل على الرجل وقال :  
ما بالك وباله ؟ فقال : هذا غلامي وقد أبق مني ووجدته الآن واريد  
ارجاعه معي الى وطني . ثم استنطق الغلام وقال : أصحيح مايقول هذا ؟  
قال الغلام : لا يا عم لا علاقة لي بهذا الرجل ابداً ، غير أنه كانت له صداقة  
مع أبي وبما أنه رجل فقير كان يعطف عليه ويساعده ، وربما قد ولاه  
بعض أعماله ، ثم مات أبي وانا طفل لا اعرف كل شيء ، فاشعرت الا  
وانا مستعبد لهذا النجدي ، وقد سمعت ان لله بيتاً يمنع من الظلم وينتقم من  
الظالمين لذا قصدته واستجرت بأستاره ليخلصني ممن ظلمني واستعبدني .

فقال له الشيخ : نعم الآن يفرج الله عنك وتخلصك بنيته من خصمك ،  
هيا معي وامش أمامي ، فحل الغلام يديه من استار الكعبة ومشى أمامه ،

فحات مني التفاتة الى النجدي فرأيته وقد اريد وجهه وتحير ولاذ بالسكوت والصمت ورجع الى قافلته بخفي حنين، واما الشيخ فغاب بالغلام ولم ادر الى اين، وقد اكبرت موقفه ومقامه ونصرته للمظالم وتحليصه من الظالم ، ثم رجعت الى مكاني والقضية قد أخذت مني مأخذها وانا اشعر برغبة ماححة حول التعرف على ذلك الشيخ لأكتسب منه الأدب والنخوة العربية ، فها وجدني الا وانا في مكة لتلك الغاية ، ولكني لم اعرف اسم الرجل حتى اسأل عنه وأصل اليه ، فصرت اطوف في مكة فرأيت حالتها غير طبيعية تهيمن عليها الضوضاء وتسودها غوغاء غير اعتيادية ، والناس بين قائل استجبروا باللات والعزى ، وقائل يقول استجبروا بهبل ومناة الثالثة ، وقائل يقول يا قوم لاتذهبن بكم المذاهب وفيكم بقية ابراهيم وسلالة اسماعيل فهو أهل لكل كرامة ومحل لكل فضيلة .

فسألت عن الأخير فقبل لي هو ورقة بن نوفل ، ولما سمع الناس قوله قالوا : لعلك عنيت بكلامك شيخ الأبطح ابي طالب ؟ قال ورقة : نعم ما عنيت الا هو .

ثم قام القوم كلهم بصحبته وقت انا معهم ، فسرنا الى ان وصلنا الى مضيف عامر ودار شامخة : فدخاوا ودخلت ، فاستقبلنا صاحب المضيف استقبالا طيباً : فتأملت فيه واذا هو صاحبي الذي قصدت من أجله مكة ، فجلس الناس بين يديه خاشعين مؤدبين ، أما انا فكل غايتي أن اجلس امامه أتزود من النظر الى محياه الكريم ووجهه المبارك .

وبعد ان استقر بالجماعة الجلوس تكلم خطيبهم فقال : يا زعيم قريش انا قصدناك بمهمة وجئناك بحاجة توسط الى الله في قضائها والا هلكنا عن آخرنا نحن ومواسينا واطفالنا . قال : وماذا يا قوم ؟ قالوا : يا شيخ الابطح قد اقحط الوادي واجدبت الارض ومنعت السماء درها فاستسق لنا يا بن عبد المطلب ، فان

لك شأناً عند الله وجاهاً كبيراً . قال ابو طالب : رويدكم يا قوم دلوك الشمس وهبوب الريح .

فصار القوم الى الانتظار ، فا زاعت الشمس او كادت حتى خرج ابو طالب ومعه اغيلمة من آل عبد المطلب وبينهم غلام كأنه البدر الساطع والقمر المنير ليلة التمام والكمال ، فجاء ابو طالب فأسند ظهره الى حائط البيت الحرام وجعل الغلمان بين يديه ، ثم صار يدعو بدعوات لم نسمعها ، ثم لوح نحو السماء باصبعه السبابة ، فنظرت الى السماء وهي ضاحكة صاحبة ، وبمجرد ان فرغ أبو طالب من دعائه رأيت الغيم وقد سيطر على السماء فاسود وادلهم ، ثم رعدت السماء وارتقت ، ثم انفجر السحاب كأفواه القرب بماء منهمر ، ففاضت الصحاري والوديان ، فهلل الناس وكبروا وفرحوا بما تفضل الله عليهم ببركة عم النبي ابي طالب من تحقق الطلبة وتلبية المهمة .

وتحدث السيد زيني دحلان مفتي الشوافع العام في عصره على هامش المختصر تأليف السيد الشريف محمد قطب الدين البرزنجي - والمختصر هذا كان الاساس والغاية من تأليفه الرد والجواب المعتضد بأقوى الادلة واسطع البراهين على مؤلف الشيخ علي القاري الهروي الرامي الى نسبة الكفر الى ابوي النبي الشريفين واسرته الكريمة ، فالمختصر كل غايته تحطيم مزاعم الهروي وتفنيد آرائه من الجزم بأن ابوي النبي وعمه ابا طالب بل واسرته المباركة كلهم كانوا مؤمنين بالله لا يشركون به طرفة عين أبداً ، وهم على دين وملة جدهم الأعلى النبي ابراهيم عليه السلام ، وبالتالي هم من اهل الجنة المشمولين لكرامة الله ورحمته يوم القيامة .

قال السيد دحلان ذكر البرزنجي في خاتمة مؤلفه : لما اكملت من رسالتي مسودتها وكان ذلك في اوائل ذي القعدة الحرام من سنة ثمانين

بعد الالف هجرية بالمدينة المنورة على مشرفها آلاف التحية والسلام في منزلي المعروف بالزقاق المعروف بزقاق البدوي ، انقذ في ذهني وبدر لي ان ابعث بمسودتي الى بعض الخدمة للحرم النبوي الشريف لمن تقدم له وقدم في طريق الله ، ومن له مجاهدات ومكاشفات واوراد ، واخيراً بعثتها اليه ورجوته ان يدخلها الحضرة الشريفة ويجعلها تحت استار كسوة القبر المعظم ، لأنه هو صلى الله عليه وسلم كل الغاية من الجمع والتأليف كخدمة خالصة لحضرتة ليس الا ، ومن ثم تنزيه آباءه الكرام مما يضر بسمعته وسمعتهم عليهم السلام ، كما كانت الغاية من ارسال المسودة لتجري عليها تلك العملية لأتبين مقبوليتها ومدى ارضائها للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومتى ما استشعرت منه الرضا واستظهرت القبول قدمت على تبويضها ثم تقديمها للطبع والنشر والا انطويت عليها واخفيتها الى الابد ولم اشعر بها احدأ ، ولما وصلت الى السادن قد حقق ما طلبته منه ، فتركها تحت استار القبر الشريف عدة ليالي ، ثم جاء بها الي وهو فرح مستبشر وهو يقول : خذ كتابك يا شيخ فاني اهنيك به ، لأنه قد وقع موقع الرضا والقبول من حضرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ، كما انه قد أبد كل ما جاء فيه من اصول وفروع ، وعندئذ تشجعت وقويت على حركة النشر والاظهار .

\* \* \*

وتحدث الشيخ الصدوق في اماليه ومعاني الاخبار بطريقه الى ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : خلقت انا وعلي بن ابي طالب من نور واحد ، فكنا نسبح الله ونحمده يمينة العرش من قبل ان يخلق الله آدم بخمسمائة الف عام ، ولما خلق الله آدم جعل الله ذلك النور في صلبه ، كما ركب نوح السفينة ونحن في صلبه ، وقذف الخليل ابراهيم في النار ونحن في صلبه ، ولم يزل الله عز وجل ينقلنا

من الاصلاب الطاهرة الى الارحام المطهرة حتى انتهى بنا الى عبد المطلب ، فقسم ذلك النور الى قسمين وجعله نصفين ، فجعلني في صلب عبد الله بن عبد المطلب وجعل علياً في صلب عمي ابي طالب بن عبد المطلب ، وجعل الله سبحانه وتعالى في النبوة والبركة وفي علي الوصاية والفصاحة ، كما شق لنا اسمين من اسمائه ، فذو العرش محمود وانا محمد ، وهو تعالى الأعلى وهذا علي - وأشار بيده الكريمة الى علي بن ابي طالب .

اقول : الحديث اشهر من ان يذكر ، فقد سجلته كل كتب التاريخ والحديث والسير ، فلم يختلف فيه اثنان ، فراجع تجسده نصاً في السيرتين الحلبية والهشامية والطبقات . وعليه اذا كان الله عز وجل قد استودع نوره في صلب عبد الله وأبي طالب أفلا يكون هذا الاستيداع دليلاً واضحاً على ايمانها رضوان الله عليهما ، والا لكان ذلك من المستحيلات الاولى ، لما يلزمه من تلوث نور الله تعالى بدران الكفر وبخس الشرك ، وحينئذ يستكشف من ذلك انها مؤمنان نقيان ، لذا كانا مستودعاً لنور الله عز وجل وأوعية لحبيبه ووليه .

وتحدث القاضي في مواهبه ص ٥٣ بطريقه الى الصحابي العظيم جابر ابن عبد الله الانصاري رضوان الله عليه انه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن مولد علي بن ابي طالب عليه السلام ، اذ يتأوه رسول الله وقال : آه آه لقد سألتني يا جابر عن خير مولد ولد بعسدي من ذرية ابراهيم الخليل ، اعلم يا جابر ان الله تبارك وتعالى قد خلقني وعياً من نور واحد من قبل ان يخلق آدم بخمسمائة الف عام ، فكنا نسيح الله ونقدسه على يمينة العرش ، ولما خلق آدم قذف بنا في صلبه ، فاستقررت أنا في جنبه الايمن واستقر علي في جنبه الايسر ، ثم نقلنا من صلبه الى الاصلاب الطاهرة والارحام المطهرة ، ولم نزل كذلك حتى اطلعني من

ظهر ابي عبد الله بن عبد المطلب ورحم أمي آمنة بنت وهب ، ثم اظهر الله علياً من صلب طاهر ورحم طاهر من صلب عمي ابي طالب ورحم فاطمة بنت اسد .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أخالك يا جابر يطيب لك التحدث عن هذا المولود الكريم . قات : اجل يا رسول الله فذاك ابي وامي ، المتحدث انت والحديث عن علي بن ابي طالب محبوب الله ومحبوبك . فقال : اعلم يا جابر ان علياً من قبل ان تقع نطفته في بطن امه كان هناك راهب يقطن على مراحل من مكة في كهف من جبل يسمى جبل اللكام ، وكان هذا الراهب من المعمرين ، وقد وصل عمره الى مائة وتسعين سنة قضاه في عبادة الله عز وجل وما طلب من الله شيئاً الا واعطاه اياه ، فسأل الله سبحانه ذات يوم ان يرهبه ولياً من اوليائه ، فألهم الله ابا طالب في زيارته ، فقصده الى صومعته ، ولما ان بصر الراهب عمي ابا طالب ثار اليه وصار يقبل رأسه وجبهته ، ثم اجلسه مكانه وجلس هو متأدباً بين يديه وصار الى مساءلته ، وكان من جملة ما ألقاه عليه من المسائل : من اين انت يرحمك الله ؟

ابو طالب : من تهامة .

الراهب : ومن اي تهامة فهي طويلة ، مريضة ؟

ابو طالب : من مكة المكرمة .

الراهب : فمن اي اسرها وقبائلها انت ؟

ابو طالب : من عبد مناف .

الراهب : من اي بني عبد مناف ؟

ابو طالب : انا ابو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن

عبد مناف .



الرسول الاعظم : فقام الراهب مجدداً الى عمي فأهوى عليه يقبل يديه  
ورجليه وهو يقول : السلام عليك يا ولي الله ، الحمد لله الذي قد اراني  
وليه قبل الموت .

الراهب : ابشر يا ابا طالب ان الله تبارك وتعالى قد ألهمني بشارة  
سارة لك .

ابو طالب : بشرني ايها الراهب الصالح ، فثلك من يبشر بخير .  
الراهب : ألهمت انه سيخرج الله من صلبك ولدأ ذكراً يكون ولياً  
من اولياء الله ، ويكون وصياً للرسول المبعوث في هذا الزمان ، ويكون  
وزيره وولي عهده ، فان ادركت زمن ولادته اقرأه عني السلام وقل له  
المثم يقرئك السلام ويشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً  
عبده ورسوله يرسله بالهدى ودين الحق ويظهره على الدين كله ولو كره  
الكافرون ، بمحمد تختم النبوة والبعثة وبك تتم الخلافة والوصاية .

يا جابر لما سمع عمي هذا من الراهب بكى من شدة الفرح والشوق  
للوليد الجديد ، ثم قال للراهب : أتعرف اسمه وهل هو موجود عندكم في  
كتبتكم ؟

الراهب : نعم اعرف اسمه ونعته ، وهو موجود عندنا وفي كتبنا  
اسمه علي بن ابي طالب .

ابو طالب : فهل من دليل يذهب الشك عني ؟

الراهب : تمن علي واطلب مني ما بدي لك ، فوالله ما تسألني عن  
شيء الا وحققتك لك فوراً باذن الله تعالى ولطفه .

ابو طالب : اني جائع اشتهى من طعام الجنة .

الراهب : يحرك شفتيه ويدعو الله ، وما ان يستم دعاؤه حتى حضر

بين يديه طبق فيه من فواكه الجنة وثمرها ، فقال : تقدم يا ابا طالب وكل من طعام الجنة فهو هنيئ مريء ، فتقدم وأكل من تلك الفاكهة وكانت مشكلة من عنب وتفاح ورمان ، حتى اذا شبع استأذن الراهب أن يحمل ما تبقى من الفاكهة : فأذن له ، ثم استأذن الراهب بالرجوع الى اهله فأذن له وقال : اذا ولد لك وليدك المبارك أعلمني فانصرف معافى انشاء الله . فعاد ابو طالب الى بيته ، فدفع الفاكهة الى زوجته فاطمة بنت اسد ، فتناولتها وأكلتها ، وبعد أيام وجدت نفسها حاملا مثقاة ، فانعدقت يا جابر نطفة علي من طعام الجنة ، ولقد زلزلت الارض وارجت الجبال يوم حمله وانعقاد نطفته ، الامر الذي افزع قريشاً وأقلقهم ، فهرعوا الى آلهتهم وفرعوا الى مقدساتهم يسألونها تهدئة الارض وارساء الجبال ، فما تزداد الارض والجبال الا اهتزازاً وارتعاداً ، كما تضععت الاوثان واضطربت الاصنام وسقط على الارض قسم منها من شدة الاهتزاز ، كل ذلك وهم لا يعرفون السبب والدوافع التي ادت الى هذا العالم الخيف المرتبك .

أما ابو طالب فقد جاء الى جبل ابي قبيس ، فصعد عليه غير هياب والا مكترث بما اصاب القوم من الدهول والفرع ، ولما استقر على الجبل نادى بالناس ، فاجتمعوا في سفح الجبل ، فأوماً اليهم بالهدوء وملازمة السكينة ، فصاروا يتطلعون الى ما سيقوله شيخ الابطح وما هي غايته من نداءه ، ثم ابتدأ عمي بالكلام فقال فيما قال : اعلموا أيها الناس ان الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الالية حادثة مهمة ، وخلق فيها خلقاً جديداً فان لم تقرروا لهذا المخلوق الكريم بالولاء والفضل وتشهدوا له عن ايمان وتصديق بذلك لم يهدأ الوضع الذي تحسونه وتستشعرونه ، بل لا يزداد الا تفاقمًا وشدة وتعقدًا .

وعندئذ قال الناس : ومن هو هذا المخلوق الجديد ، المخلوق الذي

اثرت ولادته بالعالم هذا الاثر العظيم ؟ قال : هو علي بن ابي طالب ، لقد امر الله سبحانه وتعالى ان يولد فولدته فاطمة بنت اسد في الليلة المنصرمة : وحينئذ لم يسع القوم الا ان ينطقوا بلسان واحد : انا نؤمن بما نخبر ونقول بمقالتك ، فاسأل ربك ان يرفع عنا ما نحن فيه .

فبكى ابو طالب ورفع رأسه ويديه الى السماء وسأل الله عز وجل ان يرفع عن الناس ما يرونه من الهلع والفرع ، ثم دعا بهذا الدعاء فقال : « الهي ومولاي أقسم عليك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية وبالفاطمية البيضاء الا ما تلطفت علي تهامة بالرحمة والرأفة » فاستجاب الله دعاء عمي ابي طالب ، فهدأ الارض ومنع الاهتزاز وعادت حياة الناس الى حالتها الطبيعية .

يا جابر فوالذي برأ النسمة وفاق الحبة لقد كانت العرب تكتب هذا الدعاء للتحرز به وهم لا يهتدون الى معناه ومغزاه ، وكانوا يستعمونه في الشدائد ومشكل الامور فيفرج الله عنهم وهم لا يعرفون مضمونه ومراميه : وفي صبيحة الليلة التي ولد فيها علي اشرفت السماء وتنور الافق وخرج عمي ابو طالب يتخلل سكك مكة ويجوب اسواقها ونوادبها هاتفاً ومردداً الله اكبر ، الله اكبر ، لقد تمت حجة الله على الخلق اجمعين . فجاءه الناس يهرعون وهم يقولون : وما تأويل ذلك يا زعيم مكة ؟ فقال : ابشروا يا قوم فهذه الليلة الماضية قد ولد فيها ولي من اولياء الله ، وظهر فيها نور من أنوار الله ، به يختم الله الاوصياء كما يكمل بولايته خصال الخير كما ختم بمحمد الانبياء من قبل ، فعلي بن ابي طالب امام المتقين وناصر الدين ووصي رسول رب العالمين ، فهو امام هدى ونجم علا ومصباح دجى ، كما هو ميسد الشرك والشبهات ، كما هو نفس اليقين وروح اندين .

يا جابر ولم يزل عمي كذلك النهار كله والليل كله حتى اصبح الصبح

قد اختفى اربعين صباحاً ولم يره احد .

قال جابر : قلت يا رسول الله بأبي انت وامى الى ابن ذهب عمك

وما هي غايته من ذلك الاختفاء المدة التي ذكرتها ؟

قال صلى الله عليه وآله : قصد عمي الراهب ليبشره بولادة علي حيث قد اوعده بذلك ، وقد استوعب ذهابه وايباه تلك المدة ، ولما وصل ابو طالب الى الجبل الذي يقطن المثرم بعض كهوفه فوجده ملتفأ بعباءته وكان قد فارقت روحه الحياة ، فاستاء ابو طالب لذلك حيث لم يحصل على الغاية التي من اجلها تحمل وعناء السفر ووعورة الطريق ، وبينما هو كذلك اذا ادار بعينه في زوايا الكهف فوقع بصره على حيتين عظيمتين مختبئتين في الزاوية وكأنهما يحرسان جثمان الراهب من الضواري والوحوش ، وقد اهم ابو طالب ان يكلم الحيتين فقال السلام عليكما ايها المخلوق العظيم . فقالتا : وعليك السلام يا ولي الله وعم رسوله ابا وليه ، الذي يظهر من حالتك يا عم رسول الله ان غايتك الاجتماع بالمثرم ؟ قال : نعم ولكن من المؤسف لم اجده حياً . فقالت : يا عم رسول الله اسأل الله تعالى بحق محمد وآل محمد ان يجيبي لك الراهب فتجتمع به وتساله عما تريد ثم يعود ان شاء العودة الى الموت .

فاتجه عمي الى الله واقسم عليه بي فأحيا الله الراهب ، فعانق عمي وصارا يتحدثان ملياً ، فقال عمي : اني قصدتك لأبشرك بمولد علي ابني . فقال : بشرك الله بنحير يا ابا طالب ، اشهد علي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان علي بن ابي طالب ولي الله وحجته على الخلق بعد رسول الله ، ثم اعلمنى هل كانت هناك علامات وأمارات لية ولادة علي ؟ قال ابو طالب : نعم قد اهتزت الارض ومادت الجبال وسقط بعض الاصنام من شدة الاهتزاز .

ثم طلب الراهب ياجابر من عمي ان يطلعه على كيفية ولادة علي وابن  
كانت ولادته ، فصار ابو طالب يقص عليه قصة الولادة ويوقفه على مكانها  
فقال : اعلم ايها الراهب لما مضى من الليلة التي ولد فيها علي ثلثها اخذ  
فاطمة زوجتي ما يأخذ النساء من الطلق ، فاستشعرت ذلك منها ، فقات :  
ما بالك يا فاطمة ؟ قالت : اني اجد وهجاً وارتباكاً في احشائي ، ثم خرجت  
الى البيت الحرام مستجيرة به ولائذة بحماه ، ولما وصلت الى البيت وكان  
مقفلاً فانشق لها الحائط ، فدخلت والتحمت الحائط ، وكان هناك جماعة قد  
استعظمو الامر فعاجلوا فتح الباب فاستعصى عليهم ، فتحققوا انه سر من  
الاسرار الالهية ، اما انا فرجعت الى البيت فبحثت بالمفاتيح وفتحت الباب ،  
فدخلت فوجدت فاطمة وهي في حالة طلق ، فصار في نفسي ان اخرج  
فاتي اليها بنساء من بني هاشم ليلين منها ماتلي النساء من النساء ، فقلت  
لها : اني ذاهب لآتيك ببعض نساء بني هاشم . قالت : شأنك يا ابا طالب  
فنهضت للغاية ، ولما صرت قريباً من الباب اذ نوديت من بعض اركان  
البيت ان امسك يا ابا طالب ان ولي الله لآتمسه ايدي البشر حين ولادته ،  
فتحيرت ولم ادر ماذا اصنع ، وبينما انا كذلك اذ يدخلن البيت اربع نسوة  
عليهن هيبة ووقار يابسن ملابس بيض ، روائحهن اطيب من المسك الاذفر  
فأقبلن يمشين على سكينه وهدوء حتى حاذين فاطمة ، فقلن لها : السلام  
عليك يا اولية الله وام وليه . فقالت : وعليكن السلام من انتن ؟ قلن :  
ستعرفين من نحن بعد ولادتك ، فهلمي نهيتك للولادة ، فجالسن بين يديها  
ولم يزلن كذلك حتى ولد علي ، وقد وقع على الارض ساجداً لله عز وجل  
فنظرته فوجدته كالشمس الطالعة وهو يقول : اشهد ان لا اله الا الله وان  
محمداً رسول الله وانا وصي رسول الله ، بمحمد تخم النبوة وبني تخم الوصية .  
ثم اخذته واحدة من النسوة فوضعت في حجرها ، فلما نظرها قال :

السلام عليك يا اماء . قالت : وعليك يا ولدي افضل التحية والسلام . ثم قال لها : ماذا تعلمين عن ابي ؟ قالت : انه يتقلب بنعم الله وينعم برحمته ولطفه . فلما سمعت منه ذلك لم امتلك نفسي دون ان قلت : الست انا ابوك وفاطمة امك . قال : نعم ولكن انا يا ابتاه من صاب آدم وبطن حواء فسؤالي كان عن ابي الاول وحاضنتي التي تراها هي حواء ، فلما سمعت ذلك استحيت من النسوة فقصدت بعض زوايا البيت ، فالتفت بعباءتي ونمت . ثم تناولته الثانية قبلته وناغته ، فنظرها علياً وقال : السلام عليك يا اختاد فما خبر اخي ؟ قالت : وعليك السلام يا ولدي واخوك برحمة من الله وفضل ، اما انا فما وجدتي الا مندفعاً لسؤاله من حيث ادري ولا ادري ، فقلت : يا ولدي اي اخت هي واي أخ تسأل عنه ؟ فقال : اها هي فريم بنت عمران فسألته عن اخي واخيها موسى بن عمران . ثم تناولته الثالثة فجعلته في حجرها ، ثم اخرجت من حقيبتها ثوباً من حرير الجنة وسندسها ، فألبسته اياه ، وناولته الرابعة فشمته وصارت تلممه وتقبله وقالت له : السلام عليك يا ولي الله . قال : وعليك السلام ايتهما المؤمنة الصالحة ، السلام عليك يا آسية . ثم ناولته لأمه وقالت : احتفظي به يا فاطمة بارك الله لك فيه .

فقلت للنسوة : لو ختناه لكان ذلك احسن له واخف عليه لأن العرب كانت تستعمله . فأجابتي واحدة منهن فقالت : ياعم رسول الله بارك الله لك في ولدك وأقر عيني بك به ، فانه ولد مختوناً وطاهراً مطهراً ، واعلم ياعم محمد أن ابنك لا يضره حر الحديد في الدنيا أبداً الا على يد رجل يبغضه الله ورسوله والملائكة والمؤمنون .

قالت : وما اسم هذا الرجل ؟ قالت : اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادي من اهل الكوفة ، ويكون هذا الامر بعد وفاة نبي الله محمد بن عبد الله بثلاثين سنة .

وبينما نحن كذلك اذ يدخل علينا محمد ، فأخذه من ابدي النسوة فصار  
يناغيه ويناجيه ويسر اليه ، ثم ناوله لأمه ثم غبن النسوة عن الابصار ،  
فالتفت الي ولدي وقال : قم الآن والتحق بالمثرم واخبره بولادتي وقص  
عليه قصتي كما رأيتها ، فاستصوبت رأيه وقد قصدتك لأجل بشارتك .  
فسجد الراهب شكراً لله تعالى ثم هلل الله وكبره ثم قال لعمي : غظني  
يا عم رسول الله بعباءتي ، فغطاه فانتقل الى جوار ربه ورحمته .

يقول ابو طالب : فاستوحشت لذلك كثيراً واذا أنا بالحيتين يقولان  
لي اذهب يا عم رسول الله الى مكانك فاحفظ علي ابن اخيك محمد وعلى  
ولذلك علي واحفظهما من كيد الاعداء واحرسهما من شرور الكافرين ولا سيما  
اليهود المحرمين ، واننا نهنتك بولدك الكريم فانه ولي الله وحيبيه بعد رسول  
الله كما هو وصيه ووزيره .

قال جابر : قلت يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آل بيتك اصحيح  
ما يقوله بعض الناس ان عمك وناصرك ابا طالب قد مات كافراً والعياذ بالله ؟  
فقال صلى الله عليه وآله : يا جابر الله اعلم بما في النفوس ، كما هو  
سبحانه وتعالى اعلم بالغيب ، ولكن يا جابر الشيء الذي اريد ان اقوله لك  
الآن اني لما عرج بي الى السماء ليلة الاسراء فانهي بي الى العرش فرأيت  
على ساق العرش اربعة انوار ، فقلت : الهي ومولاي وسيدي ماهذه الانوار ؟  
فقال عز وجل : يا محمد يا حبيبي هذا نور جدك عبد المطلب ، وذاك نور  
عمك ابي طالب ، وهذا نور ابيك عبد الله ، وذاك نور امك آمنة بنت  
وهب . فقلت : الهي وبماذا قد استحق هؤلاء منك هذه الكرامة ؟ قال  
تعالى : لايمانهم بي واعتمادهم علي .

• • •

اقول : وقد روى الحديث كثير من المؤرخين والمحدثين منهم المجلسي

في البحار وابن شاذان في الفضائل وصاحب جامع الاخبار والديلمي في ارشاد القلوب ، ثم لا يستكثر على عم رسول الله مثل هذه الكرامات فيحيى الله عز وجل بواسطة توسله بمحمد رسول الله الاموات او يكلمه مالا قابلية له على التكلم لاطاعته رضوان الله عليه لله وعبادته اياه ، ثم مجافات ومحاربة كل ماينافي التوحيد والشرك ، ثم تفانيه في سبيل رسول الله والتزامه . وقد ورد في الحديث القدسي : « عبدي اطعني تكن مثلي ، انا اقول للشيء كن فيكون وانت تقول للشيء كن فيكون » .

قال القاضي النقدي في المواهب : قال ابو طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلمن ولاءه والتزامه له صلوات الله وسلامه عليه :  
بسنى وجهك الذي فاق في الحسن على نور شمسنا والهلل  
انت والله يامناي وسؤلي الذي فاق نوره المتعالي  
انت خير الانام من هاشم الغر بكل العلا وكل المعالي  
وعلو الفخار والمجد أيضاً ولقد فقت اهل كل المعالي  
وقال السيد زيني دحلان في المطالب والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء :

ان اباطالب كان اذا اشتد عليه البلاء واصابته ضائقة ومحنة توسل الى الله تعالى بمحمد واسمع الناس بعض ما يعرف من فضائله وفواضله فيفرج الله عنه ويكشف مابه من ضر مسه ، فما من محفل او ندوة يحضرها الا وينفجر كالبركان باناً مكارم رسول الله ومحدثاً عن جميل خصاله ونبيل خلاله وصفاته ، وما ذلك منه الا ايماناً منه بنبوته وتصديقاً له في بعثته ورسالته ، فمن ذلك ما يرويه عن ابيه العظيم جد رسول الله الزعيم عبد المطلب انه رضي الله عنه رأى ذات ليلة كأن شجرة قد نبتت على ظهره وقد ضربت اغصانها على الدنيا وامتدت الى المشرق والمغرب ، وكأن الناس كل الناس قد سجدوا له لتلك الشجرة وكانوا لها خاضعين خاشعين ، ورأى بعضاً من قریش وقد



تعلق ببعض فروع الشجرة ورأى البعض الآخر يحاول قطعها واستئصالها ،  
وكلما قربوا منها يقوم في وجوههم شاب لم ير قط اجمل ولا أنبل منه ،  
فيصدهم ويمنعهم بقوة وحماس عن الدنو اليها بسوء ، فدنوت انا وحاولت  
التعلق بغصن منها لم استطع ذلك ، فقلت في نفسي : الخير كل الخير لهؤلاء  
الذين ساعدتهم الحظ والتوفيق على التعلق والتمسك ببعض فروعها ، ثم انتبه  
فزعاً مرعوباً فناداني وقص علي قضية رؤياه ، فاستأذنته ان اعرضها على الكاهنة  
والعرفاء فأبئين مغزاها وما ترمز اليه ، فقال : شأنك اذا اردت ذلك . فقصت  
من ترجح لدي من العرفاء فنقلت له رؤيا ابي ، وما ان سمع ذلك مني حتى  
استولى جالساً وقال : قل لأبيك ان صدقت رؤياه وتحقق حلمه ليخرجن  
من صلبه رجل يمتلك شرق الدنيا وغربها وتدين له الناس وتخضع له الدنيا  
بأسرها ، أما انه ما استطاع ان ينال غصناً من اغصانها وما تمكن من التعلق  
بفرع من فروع الشجرة فانه لا يدرك الزمن الذي يكون فيه حفيده سلطاناً  
ومالِكاً على العالمين بل يفاجئه الاجل قبل ذلك ، وبعد ذلك جئت الى ابي  
فقصت عليه تأويل رؤياه ففرح اولاً ثم بدت على وجهه واساريره علامات  
الاستياء والتأثر ، فقلت : يا ابتاه رأيتك فرحت اولاً واستأت اخير ؟

فقال : يا ابا طالب اما فرحي فلأن الوليدا المرقتب لم يكن كما ذكر الراهب  
هو ملك من ملوك الدنيا فعسب بل هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية  
من قبل ونقله الخلف عن السلف من آباءك الاكرمين وبالملازمة يسود  
الدنيا من اقصاها الى اقصاها ، وهو امر بواقعه وحقيقتنه يستازم المسرة  
والفرح لأنه الشرف والمجد اللذان يتضاءل امامهما اي شرف ومجد ، اما  
جهة استيائي وتأثري اولاً لمحاولة القوم قطع الشجرة واجتثاثها ومحاربتها بكل  
الوسائل والحيل ، وثانياً من ناحية اني لم ادرك الزمن الذي يكون فيه ولد  
نبياً وسفيراً عن الله عز وجل .

وقال القاضي النقدي في المواهب بعد ان يذكر هذه القصة : وكان ابو طالب يكرر المرة تلو الأخرى ، مما لاشك فيه ان الشجرة نبتت على ظهر ابي عبد المطلب هي ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .  
وقال النقدي ايضاً : ان جماعة من الحديثين قد عدوا كون ابي طالب شقيقاً لعبد الله والرسول من النعم الالهية والتفضلات الملكوية على ابي طالب لأنه لم يكن شقيقاً لعبد الله الا ابو طالب رضوان الله عليهم اجمعين ، كما انهم عدوا اختار النبي الاكرم كفالة عمه ابي طالب واختصاصه به من دون اعمامه التسعة الآخرين هو ايضاً من كرامات الله عز وجل لأبي طالب عليه السلام .

وقال المحجاسي في البحار ومن اظهر كرامات الله تعالى على ابي طالب ان جعله اميناً على محمد رسول الله وكفيلاً له .

ثم قال المجلسي : روى الواقدي لمادنت الوفاة من عبد المطلب جد رسول الله امر ولده ابا طالب ان يحمل من داره الى البيت الحرام فيجعله بفناء الكعبة وعند استارها المباركة ، فامثل ابو طالب ، فحمل السرير الى حيث اراد ابوه ، وكان السرير من الخيزران الاسود ، وقد انتقل الى عبد المطلب بطريق الوراثة من جده عبد مناف ، وكان مطعماً بالذهب والفضة والتمين من الاحجار الكريمة ، ثم نقل ابو طالب اباه الى سريره فنام عليه والتف اولاده حوله كما احاطت به جموع بني هاشم ، وصار الناس من الزعماء والوجوه يتهافتون على زيارته وعيادته ، وكل فرد منهم تظهر على ملامحه شعارات الحزن والالم ، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في ذلك الحين طفل صغير يروح ويحيي على جده فيصعد معه على السرير فيلتقاه جده بكل رحابة وسرور ، فيجاسه معه على السرير ، وجاء ذات مرة واراد صعود السرير على عادته فلم يهن الامر على ابي لهب ، فاجتذبه

واراد منعه ، فأخذ عبد المطلب بقوة واصعده معه ، وما شعر ابو هب  
الا واللطمة على وجهه وعينه ، فأخجته امام الناس وامام حشود الزائرين  
والعائدين .

ثم قال عبد المطلب : والله يا ابا هب ان تقربت من محمد او  
تعرضت اليه او دنوت منه بسوء تعرف ما يصيبك مني كما تعرف مصيرك  
الاسود وتعرض نفسك لأقصى العقوبات .

ثم التفت عبد المطلب الى ابي طالب وقال : يا ولدي اني مفارقكم  
عما قريب فأذهب الى جوار ربي وغفرانه ، وهذا محمد وديعتي بل وديعة  
الله عندك ، يا ابا طالب بحرمة ابوتي عليك احفظ وصيتي وعليك بمحمد ،  
اكفله انت بنفسك ولازم رعايته بشخصك ولا تدع ابا هب وامثاله لمن  
لاذمة لهم وذمام يقربون منه بأذى او يتعرضونه بما يسيئه ويكدر عليه صفوه  
وراحته ، ثم انشأ يقول للتأكيد عليه بالمحافظة على رسول الله صلى الله عليه وآله :

اوصيك يا عبد مناف بعدي	بواحد بعد ابيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهسد	فكنت كالام له في الوجد
وبالحشى الصقته والكبد	حتى اذا خفت فراق الوغد
اوصيك ارجى اهلنا للرفد	بابن الذي غيبته في اللحد
بالكره مني ثم لا بالوعد	وخيرة الله تشا في العبد

قال الواقدي : ولما سمع ابو طالب التأكيذ الثري والشعري على  
محافظة النبي واحاطته قال : يا ابتاه طب نفساً وقر عيناً ، فاني والله سأقوم  
بكل وصاياك وافدي محمداً بنفسي واهلي وولدي وبكل ما تناله يدي مادمت  
حياً ، فرفع عبد المطلب يديه نحو السماء وقال : اللهم رب الارباب ومالك  
الارض والسماء بارك في ابي طالب ووفقه لكل خير .

ونقل ابن شهر اشوب بطريقه الى الاوزاعي انه قال : لما مرض عبد المطلب

مرض الموت اوصى برسول الله ابنه ابا طالب كثيراً وكثيراً جداً ، فقام ذات يوم ابو لهب فقال : ابتاه اراك تكرر الوصية الى ابي طالب كما عهدت اليه امر محمد وكفالته ، فلم لا توصي الي وتعهده بكفالة محمد لي فأنا احفظه واصونه .

وما ان سمع عبد المطلب منه ذلك حتى استوى جالساً وانتفض انتفاض الليث ، فهز اباهب وانهاه عليه بكلمات جارحة وقال فيما قال : انك لم تكن اهلاً لكفالة محمد ولا صالحاً لحمايته ولا كرامة لك بل نكتفي منك ان تكف عنه شرك ومكرك فسكت ولم يجر جواباً .

ثم قام العباس وقال : انا يا ابتاه اكفل محمداً واقوم بخدماته واكفيه كل شيء . فقال : لا ولن تصلح لرعاية محمد وتربيته ، لأنك كثير الغضب شديد الوطأة فلا آمنك ان تثور وتغضب على محمد فتكسر خاطره وتعكر عليه عيشه ، فعندئذ سكت العباس ولم يتفوه بشيء .

ثم قام ابو طالب فقال : انا له يا ابتاه جعلت فداك وفداه . فقال : نعم يا ولدي انت له بارك الله فيك وفيه ، قم يا محمداه واجلس في حجر عمك ، فامتثل رسول الله فجاس في حجر عمه ابي طالب .

وذكر المحدث قطب الدين الراوندي في الخرائج بطريقه الى فاطمة بنت اسد زوج ابي طالب انها قالت : لما بدت امارات الموت على عبد المطلب اجتمع عليه اولاده ، فالتفت اليهم وقال : ايكم يكفل محمداً ويقوم بشؤونه ؟ فقال بعضهم : نحن ، وسكت آخرون . فقال عبد المطلب : من الافضل ان تركه هو يختار لنفسه من يشاء من عمومته . وعندئذ توجه اليه بالكلام وقال : يا محمد انا قد جعلت لك حرية الاختيار وفوضنا لك امر الانضمام الى من تشاء من عمومته ، لأنني يا ولدي قد دنا مني اجلي وقربت مني منيتي والموت اراه يحوم من حولي فأجده كقاب قوسين أو

ادنى ، واود ان ارى بحياتي من يكتملك والشخص الذي تختاره لحبايتك  
كي اطمئن واذهب الى جوار ربي مرتاح الضمير من ناحيتك .  
وعلى هذا الاساس قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصار  
يطلب النظر الى كل واحد من عمومته ، ثم الى عمه ابي طالب فجلس في  
حجره ، فالتفت عبد المطلب الى ابي طالب وقال : يا بني اني على  
ثقة من امانتك ودينك ، فكن لابن اخيك كما كنت انا له ، والله يجزيك  
خير جزاء المحسنين . فقال ابو طالب : والله يا والدي هو عندي اعز من  
نفسي وولدي ولا نعمتك عيناً انشاء الله .

ولما مات عبد المطلب وانتقل الى رحمة ربه الكريم تولى ابو طالب  
خدمة رسول الله ، فأجاد الكفالة واحسن الخدمة ، وكان المقدم عنده على  
نفسه واولاده . ثم التفت الي وقال لي : يا فاطمة هذا محمد ابن اخي هو  
روحي وسمعي وبصري فأحرصي على ان لا يمسه مكروه ، اكرمي مثواه  
وقومي بمطالباته واعرفي قدره ، فانه نبي هذه الامة وكفى . فقات عند ذلك  
نعم يا ابا طالب اني اعرف محمداً حقاً واعرف ماسيؤول اليه امره ، وهو والله  
عندي اعز علي من نفسي عابها ، كما هو والله اعز علي من ولدي ، وسأقوم  
بخدمته ما وجدت الى ذلك سبيلاً انشاء الله .

\* \* \*

اقول : ومهما يكن من شيء فليس اختيار عبد المطلب ابا طالب  
لكفالة رسول الله صلى الله عليه وآله واختيار النبي هو شخصياً للانضمام  
الى عمه الزعيم ابي طالب . نعم ليس هذا الا لتجاوب الارواح وانجذاب  
النفوس بعضها لبعض ، بالاضافة الى ايمان ابي طالب العميق بالله ورسوله ،  
الامر الذي قد استشعره كل من النبي وعمه ، كما استشعر انه ارف به  
واشفق عليه من اي احد من اولاد عبد المطلب ، لأن ابا طالب هو شقيق

عبدالله والدرسول الله ، ولم يكن لها شقيق ثالث . ومن هنا وهناك كان من ابي طالب ما كان من الخدمة الصادقة ، والولاء الخالص ، والايان الواقعي العظيم . وتحديث الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص ١٧ فقال : ان ابا طالب يجتمع برسول الله من حيث الآباء والامهات الى آدم وحواء ، ومما لا شك فيه ولا ريب يعتربه ان آباء النبي الاكارم واجداده البررة كلهم اماجد اطائب ، ينحدرون من طاهر الى طاهر ومن زكية الى زكية ومن مؤمن بالله الى مؤمنة كذلك ، واذا كان الامر كذلك فعم النبي هو واحد من تلك الدوحة المؤمنة وفرع من فروع تلك الشجرة الطيبة . فلا غرابة اذا ان يكون اول مؤمن بالله واول واثق ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، واول متفان في نصرته ومؤازرته .

ونقل القندوزي في نفس الصفحة ايضاً بسنده الى الكلبي انه قال : احصيت لرسول الله خمسمائة ام ، فما وجدت فيهن من سفاح الجاهلية شيئاً . ومما لا يعترضه الوهم والشك ان امهات ابي طالب هن امهات رسول الله صلى الله عليه وآله .

اقول : ومن اصدق من رسول الله صلى الله عليه وآله قبلا وحديثاً ، وقد تقدم عنه صحيحاً انه قال « والله ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء قط من لدن آدم وحواء وحتى عبد الله وامي آمنة بنت وهب » .

ونقل القندوزي في نفس الصفحة بسنده الى ابن عباس انه قال في تفسير قوله تعالى « وتقبلك في الساجدين » يعني عز وجل قد علم تقبل رسول الله في اصلاب الساجدين وارجام الساجدات حتى اخرجه من صلب عبد الله وبطن آمنة نبياً .

وفيها ايضاً بطريقه الى عائشة انها كانت تقول : قال رسول الله في تفسير قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم » انما اراد عز وجل من

انفسهم نسباً وصهرأً وحسبأً ، فوالله ليس في آبائي ولا في امهاتي من لدن آدم وحواء وحتى آمنة وعبد الله سفاح قط ، بل كانوا يستحلون نساءهم بعقد كعقد الاسلام .

وفيهما اعني في ينابيع المودة في ص ١٣ قال القندوزي : وقد جاء في فضائل العباس بن عبد المطلب من انه رضي الله عنه قد دخل على رسول الله كئيباً حزيناً الامر الذي استلزم ان يسأله رسول الله عن الاسباب والدوافع التي ادت الى ذلك ؟

قال العباس : بأبي انت وامي صلى الله عليك وعلى آلك الطيبين مالنا وقريش اذا تلاقوا ما بينهم تلاقوا بوجوه ضاحكة مستبشرة ، واذا صادفونا لقمونا بغير ذلك لقمونا بوجوه مكفهرة كالحة ؟ فغضب رسول الله عند سماعه من عمه ذلك ، ثم قام الى الجامع وامر المنادي ان ينادي بالناس ، فحضر الناس فصعد النبي على المنبر فقال فيما قال : من آذى عمي فقد آذاني ، فأما عم الرجل صنو ابيه . ثم قال : فوالله الذي نفسي بيده لا يدخل الايمان قلب رجل منكم حتى يحب آل بيتي لله ورسوله .

اقول : وما لا يخالجه الشك والريب ان عم النبي العظيم ابا طالب ، اذا ما قرناه بالعباس وقسنا احدهما بالنسبة الى الآخر وجدنا ان خدمات ابي طالب ومواقفه المشرفة هي اكثر واوفر من خدمات العباس ، بل لا يقاس ولا نسبة بالمرءة بين الموقنين والخدمتين ، فخدمة ابي طالب وجهوده ومسايعه المشكورة ونصرتة ومؤازرتة لا يعلمها ولا يقدرها الا الله عز وجل والارسل الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم اذا كانت ملاقاتة قريش للعباس على غير الوجه الذي يلاقون به بعضهم لبعض مما يغضب النبي ويؤلمه - وبالتالي يضطره الى جمع الناس وصعود المنبر وتفهمهم - بأن من آذى عمه فقد آذاه ، ثم قال : « اما عم الرجل صنو ابيه » .

فما حال من نسب الى عمه وخادمه، وكافله والقائل بمقاتلته الممات على الكفر -  
والعباذ بالله - ليست هذه النسبة لأبي طالب من اعظم الايذاء لرسول الله واكبر  
الاساءة اليه صلى الله عليه وآله ، انلا يتدبرون هذا ام على قلوب اقفالها !! .  
ذكر ابن ابي الحديد في شرحه على النهج بطريقه الى امير المؤمنين  
علي بن ابي طالب عليه السلام من انه قال في بعض خطبه الحكيمة البليغة  
يصف رسول الله وصفاً رائعاً وواقعياً يرادف وصف الله عز وجل  
ومدحه لرسوله وحببيه كما وصف آباءه واسرته الكريمة ، وانها اسرة مؤمنة  
بالله معتمدة عليه في كل امورها ومشاكلها ، لا تعرف غيره كما لا تعبد سواه ..  
ثم ذكرها بما هي فيه من المواهب الجليلة والصفات الفذة النبوية والمجد المؤمل  
القديم ، فقال عليه السلام :

« فاستودعهم في خير مستودع ، واقرهم في خير مستقر ، تناسختم  
كرائم الاصلاب الى ارحام المطهرات ، كلما مضى منهم خلف قام منهم  
بدين الله خلف ، حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه  
وآله ، فأخرجه من افضل المعادن منتبأً ، واعز الارومات مفرساً ، من الشجرة  
التي صدع منها انبياءه ، وانتخب منها امناه ، عترته خير العتر ،  
واسرته خير الاسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في  
كرم ، لها فروع طوال وثمر لا ينال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من  
اهتدى ، وسراج لمع ضوءه وشهاب سطر نوره ، سيرته القصد ، وسنته  
الرشد ، كلامه الفصل ، وحكمه العدل ، ارسله الله على حين فترة من الرسل  
وهفوة من العمل ، وغباوة من الامم » .

وتحدث القندوزي في ينابيعه ص ١٣ وصاحب مجمع الفوائد فقلا :  
جاء العباس بن عبد المطلب الى الرسول الاعظم ، فقال : يا بن اخي حضرتني  
ايات رغبت ان القيها عليك اذا سمحت . فقال : هاتها يا عم لا يفضض



الله فاك فأنشده :

من قبائها طفت في الهواء وفي  
ثم هبطت البلاد فلا بشرانت  
وردت نار الخليل مكتتماً  
تنقل من طاهر الى رحم  
حتى احتوى بيتك المهيم من  
وانت لما ولدت اشرفت الارض  
فكنت في ذلك الضياء وفي  
وقال ابن ابي الحديد والقندوزي في بنايعة ان لأمير المؤمنين علي بن  
ابي طالب خطبة يصف بها كيفية خلق الكون وكيفية خاتمة رسول الله محمد  
صلى الله عليه وآله ، ثم يتعرض لما لآباء النبي من الخبث والشمم والايامن  
العميق بالله عز وجل والدعوة له خاصة كما لا يشركون بعبادته احداً ،  
فقال عليه السلام :

خلق الله الخلق في ظلمه ، ثم رش عليه نوراً من نوره تعالى ، فمن  
اصابه من ذلك النور بشيء فقد اهتدى ، ومن اخطأه فقد ضل ضلالاً  
مبيناً . وان الله عز وجل حين شاء تقدير الخايقة ، وذراء البسيطة ، وابداع  
المبدعات ، ضرب الخلق في صور كالبهاء قبل وجود الارض والسماء ، وهو  
سبحانه في انفراد ملكوته ، وتوحد جبروته ، فأشاع نوراً من نوره فلمع  
وقبساً من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع ذلك النور في وسط تلك الصورة الخفية ،  
فوافق نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، فقال الله عندئذ : أي محمد  
انت المختار المنتخب عندك ، يا محمد ثابت نوري وكنوز هدايتي ، ثم اخفى  
الخالقة في غيبه وكتمها في مكنون عامه ، ثم وسط العالم وبسط الزمان وأثار  
الزبد واهاج الريح فطغى عرشه على الماء ، ثم سطح الارض على الماء ، ثم  
انشأ الملائكة من انوار ابتدعها وعوالم اخترعها ، ثم قرن بتوحيده تعالى

نبوة محمد صلى الله عليه وآله ، فهو ابو الارواح ويعسوبها ، كما كان آدم ابا الاجسام والاجساد ومنشأها ، ثم انتقل النور في جميع العوالم : عالم بعد عالم ، وطبق بعد طبق . وقرن بعد قرن ، الى ان ظهر نور محمد صلى الله عليه وآله بالصورة والمعنى في آخر الزمان هذا ، وان لمحمد بالخفاء روحانية تستمد الفيض الاقدس ، ثم هو صلى الله عليه وآله يمد العوالم كلها بتلك الروحانية الخفية .

اقول : هنيئاً لك يا عم رسول الله وكافله ، حيث كان نورك ينتقل مع نور رسول الله ، فطاف العوالم كلها ثم صار يمدّها بالفيض والروحانية ، ثم شاءت لك ارادة الله سبحانه ان تكون صائناً لذلك النور محافظاً عليه ، ما ان استطعت الى ذلك سبيلا .

وجاء في مستدرک الصحيحين ٤ / ٧٣ بطريقه الى عبد الله بن عمرانه قال : بيننا نحن جالوس ببناء دار رسول الله صلى الله عليه وآله اذ مرت علينا امرأة ، فقال رجل من الجالسين : هذه بنت محمد . فقال ابو سفيان : ان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التبن ، فسمعت المرأة هذا الكلام فأسرعت في مشيها فدخات على رسول الله فأخبرته بمقالة ابي سفيان فبينما نحن جلوس اذ خرج علينا رسول الله مغضباً يابوح الغضب على وجهه الكريم ، فأمر ان ينادى في الناس جامعة ، فاجتمع الناس في المسجد يهرعون ، فصعد النبي المنبر فقال فيما قال : ما بال اقوام تبلغني عنهم مقالة ، اعلموا ايها الناس ان الله تبارك وتعالى لما خاتق السماوات والارض قد اختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار منهم بني آدم ، واختار منهم العرب ، ثم اختار منهم مضراً ، ثم اختار منهم قریشاً ، واختار منهم بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم ، فأنا من بني هاشم من خيار الخيار ، فمن احب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب

فببغضى ابغضهم ، ثم نزل صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فاعتذر الى  
حضرتة المؤمنون .

° ° °

اقول : ومما لا يشوبه الشك ولا يعترضه الريب والوهم ان ابا طالب  
عم رسول الله وناصره هو اجل سادات العرب واكبر شخصياتهم ، فن  
احبه احب النبي ، ومن ابغضه فقد ابغض النبي صلى الله عليه وآله ، على  
اساس حديث ابن عمر هذا ، ومن ابغض النبي فهو كافر باجماع المساميين ،  
كما يستحيل على الله الحكيم ان يودع انواره واسراره في اصلاب وارحام  
قد انطوت على الجحود بربوبيته او اشركت معه غيره في العبادة ، كما  
يستحيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يشيد ويفخر بشجرة كافرة  
او يمجد ويعظم اسرة مشركة .

وذكر السيد الموسوي في الحجة فقال : قال العباس بن علي بن الحسين  
بن علي بن عبد الله بن العباس بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ابياتاً يفخر  
بها على غيره من الاشراف ، باعتبار انه نتاج اسرة مخضت عن رسول الله  
صلى الله عليه وآله :

انا ورسول الله يجمعنا	اب وام وجد غير موصوم
جاءت به وبنا من بين اسرته	غراء من نسل عمران بن مخزوم
حزنا بها من يسعى ليدركها	قراية من حواها غير مسهوم
رزقاً من الله اعطانا فضيلته	والناس ما بين مرزوق ومحروم

وقال ايضاً :

ان علي بن ابي طالب	جدا رسول الله جداه
ابو علي وابو المصطفى	من طينة طيبها الله

وبالمناسبة اقول : قد عثرت على مقارنة ومفاخرة بين الهاشميين والامويين

ذكرها ابن ابي الحديد في شرح النهج بتبديء من ٣/ ٤٦٧ وتنتهي ب ٤٩٩ ، فكان المنتصرون للامويين يأتون الى التفضيل من طريق عاتكة بنت يزيد بن ابي سفيان حيث هي مائة بنت ملك وحنيفة ملك ، وكما تكثر الملوك في بيت هو افضل من غيره ، اما المنتصرون للهاشميين فقد حذوا حذوهم فانصروا على التفضيل من طريق فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم . لذا قالوا : ان كان الفخر والفضل بعاتكة لأنها ابنت الملوك فانا نذكر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانها بنت سيد الملوك وسيد البشر من الاولين والآخرين ، والتي قال فيها النبي فاطمة سيدة نساء العالمين . هذا ، مضافاً الى ان ام فاطمة خديجة الكبرى التي واست رسول الله صلى الله عليه وآله في السراء والضراء ، وبذلت جميع ما تملكه من الثروة الطائلة في سيده ومصالح الاسلام ، بالاضافة الى ان السيدة فاطمة هي ام السبطين الامامين الحسن والحسين وحليمة علي امير المؤمنين وسيد الخلق بعد الرسول الامين . . .

وناهيك من مرأة ابوها رسول الله ، بعلمها علي بن ابي طالب ، امها ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، اخوها الطيب والظاهر ابناء رسول الله ، ابن عمها الآخر جعفر الطيار ذو الجناحين ، عمها ابو طالب العظيم ، ابو طالب الزعيم الذي كان اشد الناس شكيمه واجودهم رأياً واشهمهم نفساً وامنهم جانباً واحوطهم على الاسلام واكثرهم خدمة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو سادن الكعبة ، بليغ اديب شاعر فصيح عالم جليل خطيب عظيم ، عم رسول الله وكافله ومربيه ومؤازره .

فهل يا ترى بالمستطاع لأي انسان ان يقاخر أبا طالب عم الزهراء ، او يقاخر اناساً ولدهم هاشم عمرو العلي ، فبنو هاشم ابدأ لا يبارون ، فهم فوق عظمة العطاء وسيادة السادة والزعماء ؟ !

اما الامويون فلا يعرف فيهم خير قط لاني جاهلية ولا في اسلام ، بل لعلمهم ومن غير مبالغة في القول ان اجرامهم ومناكيرهم في الدور الاسلامي اكبر واكثر مما كانوا عليه في الزمن الجاهلي ، فهم اجلاف واراذل قد ضربت عليهم الذلة جاهلية واسلاماً .

فهم الذين كانوا قد أقدموا على اول عمل منحط كربه تقشعروا من فضاعته ابدان العقلاء حتى في الجاهلية وحين لا دين ولا كتاب ولا شريعة ولا نبوة . نعم اقدموا على نكاح نساء الآباء . قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٤٦٩ / ٣ قال ابو عثمان : قد صنع امية بن عبد شمس شيئاً لم يقدم عليه احد لامن الاولين ولا من الآخرين ، لقد زوج امرأته من ابنه عمرو في حياته ، فأولدها ابا معيط بن ابي عمرو بن امية وصارت سنة في عقبه .

اما ابو طالب - بل الاسرة الهاشمية ما عدى ابي لهب - فانهم كانوا مؤمنين بالله نابذين لكل ما عداه ، فقد حرموا على انفسهم كافة المنافيات للانسانية ، وحرموا عليهم جميع الملاذ غير المشروعة من الزنى والخمور والربنى والقمار والكذب ، الى غير ذلك من المخازي والموبقات .

قال جعفر بن ابي طالب ذات يوم للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : بأبي انت وامي يا رسول الله اني ما كذبت كذبة قط لا في جاهلية ولا اسلام منذ عامت ان الكذب منقصة ورذيلة ، وما شربت الخمر قط منذ عامت انه يزيل العقل ويخمره ، وما زينت قط منذ علمت متى ما فعات فعل بي . فاستر رسول الله بذلك ودعا له بالخير والبركة .

اقول : ذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج ٤ / ٤٨ كتاباً من علي عليه السلام لمعاوية بن ابي سفيان يعرفه فيه بيته ومكانته كما يصف فيه مجد الهاشميين ومكارمهم ، وها نحن نذكره تنويراً للرأي العام واطهاراً للواقع

الذي ما ربما يخفى على البسطاء من الناس ، فيتخيلون ان هناك مجداً وسيادة وكرامة وزعامة لبني امية .

والى القارىء الكريم نص الكتاب الذي كانت مناسبتة كتاب من معاوية قد وصل الى الامام عايه السلام ، وهذا كتاب معاوية اولاً ، وقد ذكره ابن ابي الحديد ايضاً في نفس الصفحة والجزء :

« من عبد الله معاوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب :

اما بعد ، فان الله تعالى جده قد اصطفى محمداً عليه السلام لرسالته واختصه بوحيه وتأديته لشريعته ، فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية ، ثم قبضه الله اليه رشيداً حميداً قد بلغ الشرع ومحق الشرك واخذ نار الاوك ، فأحسن الله جزاءه ، وضاعف عايه نعماه وآلاءه .

ثم ان الله سبحانه اختص محمداً بأصحاب ايدوه وآزره ونصروه ، وكانوا كما قال الله تعالى فيهم « اشداء على الكفار رحماء بينهم » ، فكان افضلهم مرتبة واعلاهم عند الله درجة الخليفة الأول الذي جمع الكامة ولم الدعوة وقاتل اهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصر الامصار واذل رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر المامة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفة ، فلما استوثق الاسلام وضرب بجرانه عدوت عليه وبغيته الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الامر وظهروه ودستت عليه واغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك ان تدركه قبل ان يمزق ، فما ادركته فما يوم المسلمين منك بواحد ، لقد حسدت ابا بكر والتويت عايه ورمت افساد امره وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ، ثم كرهت بيعة عمر وحسدته واستطت عايه مدته وسررت بقتله واظهرت الشهامة بمصابه حتى انك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل ابيه ، ثم لم تكن اشد منك لابن عمك عثمان ، فقد نشرت قبائحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ودينه ثم في سيرته وعقله ، واغريت

به السفهاء من اصحابك وشيعتك حتى قتاهه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد ، وما من هؤلاء الا بغيت عليه وتلكأت في بيعته حتى حملت اليه قهراً بجرائم الاقتتار كما يساق الفحل المغشوش ، ثم نهضت تطلب الخلافة وقتلة عثمان من خالصائك والمحدقون بك ، وتلك من اماني النفوس وضلالات الاهواء ، فدع اللجاج والعبث جانباً وادفع اليها قتلة عثمان واعد الامر شورى بين المسلمين ليقفوا على من هو الله فيه رضى ، فلا بيعة لك في اعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتي لك عندنا ، وليس لك ولاصحابك عندي الا السيف ، فوالذي لا اله الا هو لأطلبن بدم عثمان والاحق قتلته ابن ما كانوا وحيث وجدوا فأقتلهم او اموت في هذا السبيل .

واما ما ترال تمنّ به من سابقتك وجهادك فاني وجدت الله يقول « يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم مؤمنين » ، ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها اشد الانفس امتناناً على الله بعملها ، واذا كان الامتان على السائل يبطل اجر الصدقة فالامتان على الله بأمر الجهاد يجعله كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدران على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين » .

اقول : والله انه لكتاب صلف وقح ينم عن عداة معاوية لعلي عليه السلام وبغض لا يضاهيه اي بغض ، وكيف لا يكون كذلك وهو يعلم حقاً أن علي بن ابي طالب قد ضرب خراطيم آبائه بالسيف حتى قالوا « لا إله الا الله » وأن علياً هو الذي قتل أخاه وعمه وخاله ، وأن علياً وحده هو الذي قرضته السماء وفرضت ولايته على الخلق عامة ، وهو الذي خلق بذكره الحفيد في الآفاق ونصبه رسول الله إماماً للمسلمين وعلماً للأمة ، وهو الذي جاءه ، ابو سفيان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقال له : مدّ يدك يا علي ابايعك . فصادف منه الإباء والانكار وعدم الرضا من عملته ، لما يعلمه

عليه السلام من خبيثه وانطوائه على النفاق ، وانه لا يبتغي من فذلكنه تلك إلا ان يتصيد في الماء العكر وياعب لعفته برأس علي عليه السلام ، ظناً منه ان ستتظلي عليه أحابيله واباطيله : ولكن امير المؤمنين المسدد بعناية الله والناظر بنوره سبحانه عرف نواياه ، فجاببه بالرد والانكار ولم يقبل بما عرضه كما لم يعتن برأيه .

وعلى كل حال لنطلق العنان الى القلم ليصور لنا جواب أمير البلاغ واستاذ الفصحاء وإمام الخلق اجمعين وامير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وإليك قارئ الكريم النص الكامل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن ابي طالب الى معاوية بن ابي سفيان .  
اما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله بدينه وتأيينه اياه لمن ايدته من اصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت نخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا ، فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر اوداعي مسددة الى النضال ، وزعمب ان افضل الناس في الاسلام فلان وفلان ، فذكرت أمراً إن تم اعتر لك كله وان نقص لم ياحقك ثلمه ، وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس ، وما للطلاق وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين والأنصار وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ، هيهات هيهات لقدحن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا تربيع ايها الانسان على ظالمك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر : فاعليك غلبة المغلوب ولاظفر الظافر ، فانك الذهب في التيه رواج عن القصد ، ألا ترى غير نخبر لك ولكن بنعمة الله احدث ان قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والانصار ولكل فضل ، حتى اذا استشهد شهدنا



قبل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، أو لا ترى ان قوماً قطعت ايديهم في سبيل الله حتى اذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قبل الطيار في الجنة وذو الجناحين ، ولولا ما نهى الله سبحانه عنه من تزكية المرء نفسه . لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين ، فدع عنك من مالت به الرمية ، فإذا صنابع ربنا والناس بعد صنابع لنا ، لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي فضلنا وطولنا على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الأكناء ولستم هناك .

واني يكون ذلك كذلك ومنا النبي محمد ومنكم المكذب ، ومنا اسد الله واسد رسوله ومنكم اسد الاحلاف ، ومنا سيدا شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار ، ومنا سيدة نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب - الى كثير مما لنا وعليكم ، فاسلامنا ما قد سمع وجاهلينا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ماشد عنا ، وهو قوله تعالى سبحانه « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وقوله تعالى « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » فنحن اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة .

لما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله فلجؤهم ، فان يكن الفاج به صلى الله عليه وآله فالحق لنا دونكم ، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم .

وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت ، فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر لك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها . وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المغشوش حتى اباع فلعمر الله لقد اردت ان تدم فدمحت وان تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً في يقينه ،

وهذه حجتي الى غيرك فصلها ولكنني اطلقت لك منها ذكرها .  
ثم ذكرت من امري وامر عثمان فلك ان تجاب لرحمك منه ، فأينا  
الذي كان اعدى له واهدى لمقاتلته ، ام من بذل نصرته فاستعدده واستكفه  
امن استنصره ففراضى عنه وبث له المنون حتى اتى قدره عليه ؟ كلا والله ،  
لقد علم المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون الناس الا  
قليلا .

وما كنت لأعتذر من اني كنت انقم عليه اشياء واحداثاً ، فان كان  
الذنب اليه ارشادي وهدايي اليه فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة  
المتنصح ، « وما اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه  
توكلت واليه انيب » .

وذكرت انه ليس لي ولاصحابي عندك الا السيف ، فلقد اضحكت  
بعد استعمار ، متى القيت آل ابي طالب وبني عبد المطالب عن الاعداء  
ناكسين ناكلين وبالسيف مخوفين ، فالبث قليلا يلحق الهيجاء حمل فسيطلبك  
من تطلب ويقرب منك من تستبعد ، وانا مرقل نحوك يحفظل من المهاجرين  
والانصار والتابعين لهم باحسان ، شديد زمامهم ساطع قمامهم متسريلين  
سرايل الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم ، وقد صحبتهم ذرية بذرية وسيوف  
هاشمية قد عرفت مواقع نصالها من اخيك وخالك وجدك ، وماهي من الظالمين  
ببعيد .

اقول : وترك المقارنة والتمييز بين الطائفتين لذوق القارىء الكريم ثم  
ليقطع وليحكم بما يريد .

واقول ايضاً كما قال جدنا امير المؤمنين عليه السلام : ان اريد الا  
الاصلاح ما استطعت الى ذلك سبيلا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه  
انيب .

وبالجواب منه عليه السلام كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ولكننا نذكر ما رواه ابن ابي الحديد بالصفحات نفسها من انتصار الخليفة المعتضد العباسي للهاشيميين وتفضيلهم على من سواهم ، كما نفى مجال المقارنة والمقايسة والتمايز بكتاب عمه على جميع البلاد الاسلامية وأمر بقراءته على الناس في كل مكان ، بالرغم من معارضة العباسيين في ذلك ومما نعتهم اياه عن نشر الكتاب ، الا انه اصر واصر الا ان ينشر ويقرأ في النوادي الحكومية والشعبية والمجتمعات العامة ايام الجمعات والاعياد ، وهذا نص الكتاب :

اما بعد : فقد انتهى الى امير المؤمنين ما عليه العامة من شبهة دخلتهم في دينهم ، وفساد لحقهم في عقائدهم ، وعصية قد غلبت عليها احوالهم ، ونطقت لها ألسنتهم التابعة الى احوالهم المبتدعة قلدوا فيها قادة الضلال بلا روية ولا بصيرة ، كما خالفوا فيها السنة الواجبة الاتباع ، قال الله تعالى « ومن اظلم ممن تبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » خروجاً منهم عن الطاعة ، ومسارة الى الفتنة ، وايثاراً للفرقة ، وتشكيكاً في الامر ، وتشتيباً للكلمة واظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتزمنة العصمة ، واخراجه من المائة ، واوجب عليه اللعنة ، كما صغر قدره وحقه ، واوهن امره ، واضعف ركنه من بني امية الشجرة الملعونة في القرآن الكريم . كل ذلك مخالفة صريحة لمن استنقدهم الله به من الهلكة ، وبواسطته اسبغ عليهم النعمة من اهل بيت البركة والرحمة ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فأعظم امير المؤمنين الامر وما انتهى اليه الوضع ، فرأى ترك انكاره المنكر خروجاً عن الدين وفساداً لمن قلده الله امره من المسلمين واهمالاً لما اوجبه الله من تقويم المخالفين واصلاح المعاندين ، فأمر المؤمنين بخبركم معاشر المسلمين ان الله عز وجل لما بعث محمداً صلى الله عليه وآله بدينه

وامره ان يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم الى ربه ، فأنذرتهم وبشرهم ونصح لهم وارشدهم ، فكان من استجاب اليه وصدق قوله واتبع امره نفر يسير من بني ابيه ، يدفعون عنه من نابذه ، ويقهرون من تظاهر عليه وعانده ، ويتوثقون له ممن كاشفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح له بنصرته ، ويتجسسون له اخبار اعدائه ، حتى اذا بلغ المدى وحن وقت الاهتداء دخلوا في دين الله وطاعته، وتصديق رسوله ، ثم الايمان به بثابت بصر واحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله اهل بيت الرحمة واهل بيت الدين ، اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير ، فهم ورثة النبوة ومعادن الحكمة وموضع الخلافة ، لذا أوجب الله لهم الفضيلة والزم العباد لهم الطاعة ، فكان ممن كذبه وعانده وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الاعظم ، يتلقونه بالضرر والتثريب ويقصدونه بالاذى والتخويف وينالون من اتبعه بالتعذيب .

وكان اشدهم في ذلك عداوة ، واعظمهم مخالفة ، واولهم في كل حرب ومناصبه ، ورأسهم في كل اجلاب وفتنة ، لا ترفع على الاسلام راية الا لا كان صاحبها وقائدها ابوسفيان بن حرب صاحب احد والخندق وغيرهما ، معه اشباعه من بني امية الملعونين في كتاب الله ثم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة ، لسابق علم الله فيهم وماضي حكمهم فيهم وفي كفرهم ونفاقهم ، ولم يزل ابوسفيان لعنه الله يحارب الله ورسوله ، مجاهداً يدافع عن الاوثان مكائداً حتى قهره السيف وعلا امر الله وهم له كارهون ، فتعوذ بالاسلام غير منظوى عليه واسر الكفر غير مقلع عنه ، فقبله رسول الله وقبله ولده على علم منه بحاله وحالهم ، ثم انزل الله تعالى كتاباً فيما انزله على رسوله يذكر فيه شأنهم وهو قوله « والشجرة الملعونة في القرآن » ولا خلاف بين احد من انه تعالى وتبارك اراد بالشجرة الملعونة بني امية ، ومما ورد مطابقاً للقرآن

من السنة النبوية المروية عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وآله في ابي  
سفيان فكثير وكثير جداً :

منها- انه صلى الله عليه وآله قد رأى يوماً ابا سفيان مقبلاً على حمار يقوده معاوية  
وزيد يسوقه ، فقال النبي : لعن الله الراكب والقائد والسائق .

ومنها - ما نقلوا عن ابي سفيان من قوله يوم بيعة عثمان : تاقضوها  
يا بني عبد شمس تاقف الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ما من جنة  
ولا نار .

وهذا هو الكفر الصراح بعينه ، الكفر الذي ياحقه اللعنة من الله كما  
لحقت الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك  
بما عصوا وكانوا يعتدون .

ومنها - وقوفه على ثنية احد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا  
رمينا محمداً وقتلنا اصحابه .

ومنها - الكلمة التي قالها للعباس بن عبد المطاب يوم فتح مكة المكرمة  
وقد عرضت عليه جنود الله : اقم اصبح ملك ابن اخيك عقيماً يا عباس .

ومنها - قوله يوم الفتح ايضاً حين سمع بلال الحبشي يؤذن على ظهر  
الكعبة الى ان قال : اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله ،  
تمنى الموت ولم يكن يسمع ما سمع من اذان بلال ، وقال : لقد سعد عتبة  
بن ابي ربيعة حيث لم يشهد هذا المشهد ولم يسمع ما قد سمعت .

ومنها - الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان قد  
رأى كأن نقرأ من بني أمية ينزون على منبره نزو القردة .

ومنها - طرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن العاص لمحاكاته  
له في المشي ، فألحقه الله بدعوته آفة باقية مدى عمره .

هذا بالإضافة الى ما كان من امر مروان ابنه من افتتاحه اول فتنة في

الاسلام ، واحتقابه فيها كل دم حرام سفك او أريق بعدها .  
 ومنها - ما انزله الله تعالى على نبيه ليلة القدر خير من ألف شهر .  
 قال المفسرون : ان الآية تعني أن ليلة القدر خير من ألف شهر ، اي خير  
 من ملك بني امية الذي كانت مدته ألف شهر .  
 ومنها - ان رسول الله دعا معاوية يوماً فدافع بأمره واعتل بطعامه  
 ثلاث مرات ، فعندها قال رسول الله : لا اشبع الله بطنه ، فبقي لا يشبع ابداً ،  
 كما كان يردد « ماشبعت شعباً ولكن اتركه اعياءً ومملاً » .  
 ومنها - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : سيطلع من  
 هذا الفج رجل يزعم انه من امتي يحشر على غير ملتي . وعلى الأثر طلع  
 من المكان الذي اشار اليه النبي معاوية بن ابي سفيان .  
 ومنها - أن الرسول صلى الله عليه وآله قال : إن معاوية في تابوت  
 من نار في اسفل درك من جهنم يستغيث فيقال له : الآن وقد عصيت من  
 قبل وكنت من المفسدين .  
 ومنها - انه صلى الله عليه وآله قال : اذا رأيتم معاوية على منبري  
 فاقتلوه .

ومنها - اقتراه المحاربة لأفضل المسالمين في الاسلام مكاناً ، وأقدمهم  
 الى الدين سبقاً ، وأحسنهم فيه ذكراً وائثراً ، ذلك امير المؤمنين علي بن  
 ابي طالب عليه السلام ، وقد نازعه حقه بباطاه ، وجاهد أنصاره بضلاله  
 واعوانه ، وحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولان من اطفاء نور الله وجحود  
 دينه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .  
 ومنها - انه صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة  
 الباغية لأنك تدعوهم الى الجنة ودم يدعوك الى النار . ولا شك ولا ريب  
 في أن الفئة الباغية التي قتلت عمار هي فئة معاوية .

وكان معاوية مؤثراً للعاجلة ، كافرأ بالآجلة ، خارجاً عن ربة الاسلام  
مستحلاً للدم الحرام ، حتى سفك في فنتته وفي سبيل غوايته وضلالته مالا  
يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه ، عداوة  
منه لله ، مجتهداً في ان يعصى الله فلا يطاع ، ويبطل احكامه فلا تقام ،  
ويخالف دينه فلا يدان به . . . . . يحاول ان تعلق كلمة الضلال ، وتطغى  
دعوة الباطل ، ولكن كلمة الله هي العليا ، ودينه هو المنصور ، وحكمه  
هو النافذ ، وأمره هو الغالب ، وكيد من عاداه وحاده هو المغلوب  
الداخض .

فاتحتمل معاوية أوزار تلك الحروب وتوابعها ، وتطوق تلك الدماء  
البريئة وما سفك بعدها الى يوم القيامة . كما انه قد سنّ سنن الفساد ،  
فعلبه اثمها واثم من عمل بها الى يوم الدين ، وقد اباح المحارم لمن ارتكبتها  
ومنع الحقوق اهلها ، لأنه قد غرته الآمال واستدرجه الإمهال ، فكان مما  
اوجب الله به عليه اللعنة وسوء العذاب .

ثم قتله من قتل صبراً من أخيار الصحابة والتابعين ، واهل الفضل  
والدين ، مثل حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي الى كثير  
من هذا اللون ممن قتلهم ظلماً وعدواناً .

ثم ادعاؤه زياداً ونسبته اياه الى ابيه ابي سفيان ، والله سبحانه يقول  
« ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » وقال رسول الله : ملعون ملعون من  
ادعي لغير ابيه وانتمى الى غير مواليه . كما قال : الولد للفراش وللعاشر  
الحجر .

فخالف معاوية في ذلك حكم الله ورسوله جهاراً ، فأحل بأعماله هذه  
من محارم الله ورسوله في ام حبيبة وغيرها من النساء من شعور ووجوه  
قد حرمها الله ، وأثبت بها من قربي ابعدها الله عز وجل - الى كثير مما

ادخله من الخلل في الدين ما لم يناه خلل مثاه ، وغير وبدل في الاسلام ما لم ينل الاسلام تبديل وتغيير يشبهه .

فن ذلك ايثاره خلافة الله ومقام رسول الله ابنه السكير الخمير صاحب الديكة والقرود والفهود ، فأخذ له البيعة من خيار المسلمين بالقهر والسلطة والتوعد والاحافة ، وهو يعلم سفهه وطيشه ، ويعلم رهقه ونزقه ، ويشاهد كفره وعتوه وفجوره وطغيانه ومحاربتة لله ورسوله بلا اختشاء ولا تستر ، ولما تكنّ الخلافة الى يزيد لعنه الله طاب متحفظاً يطلب بثأر المشركين من المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة وقعة الحرة الواقعة التي لم تمر على البشرية مثلها ولا على المسلمين افضع وابشع منها ، فشفى عند نفسه غليله ، وظن انه انتقم لأشياخه من اولياء الله ، وبلغ الثأر لأعداء الله والرسول ، فقال مردداً غير هيب مظهراً كفره وعناده وشركه وإلحاده :

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل  
لأهاوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لاتشمل  
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل  
قول من لا يرجع الى دين ، ولا يؤمن بالله العظيم .

ثم ان اغلظ ما انتهك واعظم ما اجترم سفكه لدم الحسين بن علي عليهما السلام ، مع علمه بموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسماعه منه انه قال « الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا ، الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » اجترأ منه على الله ورسوله ، وعداوة منه لها ، فاخاف في عمله ذلك من الله نقمة ، ولا راقبه في معصية .

هذا مضافاً الى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل سننه وأحكامه ، واتخاذ مال الله بينهم دولا ، ثم هدمهم لبيت الله ، واستحلالهم حرمه ، ونصبهم الجانيق عليه ورميهم اياه بالنار بألوان له



احراقاً وتخريباً ، ولما قد حرم الله منه استباحة وانتهاء كآ ، ولئن لجأ اليه قتلا وتنكيلا ، ولئن آمنه الله فيه اخافة وتشريداً ، حتى اذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام بعد ان ملأوا الأرض بالجور والظلم وعموا عباد الله بالعداء والقهر والاذلال ، فحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة وقطع الله دابر الذين ظلموا وكانوا يعتدون ، والحمد لله رب العالمين .

ايها الناس ان الله تعالى امر ليطاع ، فقال تعالى « ان الله لعن الكافرين واعد لهم عذاباً سعييراً » وقال تعالى « اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ، فالعنوا ايها المسلمون من لعنه الله ورسوله ، وفارقوا من لن تناولوا القرية من الله إلا بمفارقته .

اللهم العن ابا سفيان بن حرب ومعاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد وولده الى يوم القيامة .

اللهم العن أئمة الكفر والضلال ، وقادة الشرك والفساد ، واعداء الدين ومعاندي الرسول ، ومعطي الأحكام ، ومحرفي الكتاب ، ومنتكهي الدم الحرام . اللهم انا نبرأ إليك من موالات أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلت تباركت وتعاليت « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

ايها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأملوا سبل الضلال تعرفوا سابلها ، فقفوا عند ما اوقفكم الله عليه ، وانفذوا ما امركم الله به .

\* \* \*

أقول : وليس ابن ابي الحديد وحده الذي ذكر كتاب الخليفة المعتضد هذا بل ذكره كثير من المحدثين والمؤرخين ومنهم العلامة الطبري في تاريخه والمجلسي في بحاره والأميني في غديره ، ولعمري أنه كتاب ضخم وكتاب جليل وعظيم يصدر عن أعظم شخصية من خلفاء بني العباس ، فان المعتضد

قد قرأ بنفسه ووقف بذاته على قبائح الأمويين قديماً وحديثاً ، وعرف  
تطاولهم على آل البيت والهاشميين في حال انهم - اعني الأمويين - بعيدين  
كأبعد ما بين السماء والأرض عن كل فضيلة ، قريبين كل القرب الى كل رذيلة  
بعيدين كل البعد عن القيم الانسانية :

أحيائهم عار على أمواتهم والميتون مسبة للغابر  
فأين هم من الهاشميين ، وابن ابو سفيان من ابي طالب ، وابن معاوية  
من علي عليه السلام ؟

قال ابن ابي الحديد من ابيات يصف بها ابا طالب وابنه علي بن  
ابي طالب :

فلولا ابو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما  
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب خاض الخماما  
واين يزيد الفهود والقرود من الحسن والحسين سيدي شباب أهل  
الجنة ، وابن آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً  
من آل مروان طرداء رسول الله ؟ !

نقل ابن ابي الحديد ٢ / ٤٥٨ عن الزبير عن محمد بن الحسن عن محمد  
ابن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمان عن عبد الله بن عباس انه قال : والله  
ماشدت قريش الرحال ولا اناخت الجمال بفناء احد إلا بفناء هاشم بن عبد  
مناف وعبد المطلب بن هاشم وابي طالب بن عبد المطلب ، والله ان أول  
من سقى الماء العذب وقام برفادة الحاج وأول من جعل باب الكعبة ذهباً  
من ماله الخاص شيبة الحمد عبد المطلب ، وكانت قريش تتجر ولكن  
لا تتعدى تجارتهم الحجاز ليس إلا حتى رحل هاشم بن عبد مناف فنزل  
ضيفاً على قيصر ملك الشام آنذاك ، فاحترمه وعظمه وكان كل يوم يولم له  
الولائم وينحر الذبائح ويدعو الزعماء والوجهاء وارباب الدولة على شرف

هاشم وزعامته العربية ، فلما استأذن هاشم من الملك ليعود الى بلاده  
فقدم له الهدايا والتحف وطلب اليه ان يفضي بمهامه وحوادثه . فقال هاشم :  
لا حاجة لي تخصني بل الشيء الذي اريده الحرية لتجارة قريش وفسح المجال  
أمامها لتتجه الى أي بلاد من بلدان العرب . فأجابه الى ذلك وعلى الأثر  
صارت تجارة قريش تجوب اليمن ولبنان والخليج العربي والعراق لاتعارض  
في شيء ببركة جد رسول الله الأعلى الزعيم العربي هاشم بن عبد مناف .  
قال المسعودي في مروج الذهب : وكان هاشم يقوم في اليوم الأول  
من شهر ذي الحجة من كل عام ، فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء الباب  
فيخطب الناس ويقول فيما يقول :

« يامعشر قريش انتم سادة العرب ، وأحسنها وجوهاً ، وأعظمها  
حلماً ، وأجلها نسباً وحسباً ، وانتم جيران بيت الله ، اكرمكم بولايته وخصمكم  
بجواره دون بني اسماعيل ، وحفظ منكم احسن ما حفظ من جاره ، فأكرموا  
ضيوفه واحترموا زواره ، فإنهم يأتونكم من اماكن بعيدة ، فورب هذه  
البنية لوكان لي مال يحتمل لكفيتكم كل شيء ، ألا واني مخرج من طيب  
اموالي وحلاله مما لم يقطع من رحم ومما لم يؤخذ بظلم وغصب ولم يدخل  
فيه حق ، فواضعه لخدمة الزوار والحجاج . ألا فمن أراد منكم ان يفعل  
كذلك فليفعل ، ولكنني اسألكم بجرمة هذا البيت ان لاتخرجوا مما  
هو في ايديكم لخدمة الحاج والزوار الا الحلال الزكي من الأموال » :

وكان الطيبون من قريش ترضخ لارشادات الزعيم العدناني ، وتقبل  
نصائحه بترحاب وسرور .

ثم قام من بعد وفاته بكل ما يرجع الى خدمة البيت الحرام والقيام  
بشؤون زواره ووفوده شبيهة الحمد عبد المطلب ، فأجاد الخدمة واحسن  
الرفادة .

ثم قام من بعده ولده ابو طالب ، فأضاف الى ذلك كلاة خدمة رسول الله وتربيته ونصره على اعدائه ، ثم تأييده في شريعته ودينه .  
ونقل ابن ابي الحديد بطريقه الى الزبير بن بكار في كتابه النسب :  
وقد قيل في عبد المطلب وابنه ابي طالب بعد وفاة الزعم هاشم العظيم  
هذه الأبيات :

كهولهم خير الكهول ونسلهم نسل الملوك لايبور ولا يجري  
ملوك وأبناء الملوك وسادة نفاق عنهم بيضة الطائر الصقر  
متى تلق منهم طامحاً في عنانه تجده على اجراء والده يجري  
همو ملكوا البطحاء مجدأوسؤدأ وهم ردعوا عنها غواة بني بكر  
وهم يغفرون الذنب يتقم مثله وهم تركوا رأى السفاهة والهجر  
وها انا ذا أقول ولا أزل لهم شاكرأ حتى أغيب في القبر  
أقول : وايم الله كلما يتأمل الانسان ويعمن النظر بدقة وتدبر ويقرأ  
تاريخ اسرة النبي العظيمة ولحمته الكريمة وشجرته الطيبة يتضح له بجلاء  
شرف هذه الاسرة وكبير مقامها وسامي مجدها. وعزتها ، فيجدها ترفل في  
شمم وتمشي في كرم ، يتوارثه الخلف عن السلف ، فن عبد مناف الى هاشم  
عمرو العلي الذي هشم الثريد لقومه واهل مكة مستتون عجاف يكاد أن يقضي  
عليهم الفقر ونهاكهم الحاجة ، الى عبد المطلب والى ابي طالب الى مجد  
رسول الله وعلي أمير المؤمنين وزير رسول الله ووصيه ، فكانوا كما قال  
القائل :

كلما غاب نجم بدى كوكب تأوي اليه كواكبه  
فكاهم يهدفون هدفاً واحداً ، ويستقون من ينبوع واحد ، فوصية  
عم الرسول العظيم ابي طالب إذا ماقورنت بوصية هاشم وإذا ماقيست بوصية  
عبد المطلب تجد الجميع تركز على توحيد الله ونبي الشركاء عنه ثم خدمة

بيت الله والاعتناء بوفوده وزواره .

يحدثنا السيد قطب الدين البرزنجي في المختصر والسيد زيني دحلان في أسنى المطالب والقاضي النقدي في المواهب : ان الزعيم الهاشمي ابا طالب كان من المتأهلين الذين كان الله عز وجل يجري الخير والكرامة على ايديهم ، وقد استسقى ابو طالب للناس مراراً فاستجاب الله دعاءه ولبي ندائه فأغاث الناس وامطرهم ببركة دعائه .

قال صاحب المناقب ومثله صاحب المواهب : وكان من جملة طلبات ابي طالب من الله تعالى طلبته منه تقدست اسماؤه ان يلقنه اسماً لابنه علي حين ماولد عليه السلام فقال :

يارب ياذا الغسق السدجي والقمر المبتلج المضي  
بين لنا من حكمك المقضي ماذا ترى في اسم ذا الصبي  
واذا هو بلوح اخضر يسقط عليه وفي حجره من واجهة السماء ، فاذا  
باللوح مكتوب فيه :

خصصت بالولسد الزكي والطاهر المنتجب المرضي

فاسمه من شامخ علي علي اشتق من العلي

فكان الرسول أشد الناس والأقرباء فرحاً بما تفضل به الله على عمه ابي طالب وابن عمه علي ، ثم ابو طالب قد أمر ان يعلق اللوح في جوف الكعبة ، ولم يزل كذلك الى ايام ملوكية هشام بن عبد الملك ، فأمر بانزاله بعد أن فهم قصته وتعرف واقعته .

وقد تقدم مايؤيد هذا من ان النبي صلى الله عليه وآله قال في الحديث المعروف بحديث النور الحديث المروي بطرق الخاصة والعامة والحديث طويل ، والغاية هي قوله صلى الله عليه وآله : ولم يزل ذلك النور ينتقل من الأصلاب الزكية الى الأرحام الزكية ، حتى اذا صار في صلب جدي عبد المطلب

قسمه الله الى شطرين ، فأودع شطراً منه في صلب عبد الله ابي وأودع الشطر الثاني في صلب عمي ابي طالب ، فكنت انا للنبوة وكان علي للوصية والفروسية ، وقد اشتق الله لنا اسمين من اسمائه ، فاقه تعالى المحمود وانا محمد وهو تعالى الأعلى وهذا علي - و اشار صلى الله عليه وآله الى علي بن ابي طالب عليه السلام .

إذا فالتسمية من الله سبحانه مقررّة من عالم الذر وكائنة في اللوح المحفوظ ، إلا ان اظهار ذلك واعلانه كان بمناسبة مولد علي ورجاء ابيه ان يلهم اسماً لوليدته المبارك ، فكانت قصة اللوح الأخضر .

وتحدث الامام احمد بن حنبل في مسنده ١ / ٣٠٩ بطريقه الى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لما كانت ليلة المعراج ليلة عرج بي الى السماء وكنت من ربي قاب قوسين او أدنى وكان عروجي بعد صلاة العشاء وطيف بي في السماوات كلها ، وأصبحت بمكة فضقت بذلك ذرعاً ، وصار في نفسي إن حدثت بالواقعة لا أصدق ، فجلست مجلساً منعزلاً عن الناس مفكراً في أمري حائراً في قضيتي ، فبينما أنا كذلك اذ مر بي ابو جهل فانتهز وحدتي وانعزالي فرصة ، فجاء فجاس من حولي فقال : وجدتك وحلك يا محمد كأن شيئاً نزل عليك من السماء تفكر فيه . فقلت : لا يا ابا جهل لم ينزل الوحي علي في هذه الساعة .

ابو جهل : اذاً ماذا يلوح بخاطرك ويجول في فكرك .  
رسول الله : عرج بي ليلة البارحة ، فطيف بي في السماوات وأصبحت بين ظهرانيكم .

ابو جهل : اي محمد اذا دعوت لك قومك أ كنت تحذتهم بما جرى لك في عروجك .

رسول الله : نعم أحدثهم بكل ما رأيت وشاهدته .

ابو جهل : يغيب قلباً ثم يعود بجماعة من شياطينه ويقول : حدث  
يامحمد .

رسول الله : عرج بي الى السماء ، فشاهدت الملكوت الأعلى ،  
فرأيت العظمة الآلهية وبديع الصنع حتى صرت من ربي كقاب قوسين او أدنى .  
ابو جهل : يضحك ملياً كما ضحك أصحابه عالياً ، ثم صاروا الى  
ايدائه وايلامه .

رسول الله : بلغ ذلك عمي ابا طالب فأسرع الى انقاذي من ايدي  
الظامة الطغاة ، فجزاه الله خير جزاء المحسنين .

وتحدث الحلبي في سيرته ٢ / ٣٣ وابن هشام في سيرته ١ / ٦٣٤  
ان ابا جهل كان من اشد المشركين ايداءً وعداءاً لرسول الله ، كان يتبعه  
ويتربص به الفرص ولم يمنعه أي مانع منه الا ابو طالب ، فهو بالمرصاد  
له ولأمثاله من المجرمين ، كما هو الصاعقة المحرقة على رأس ابي جهل ومن  
حذا حذوه من الكفرة الآثمين .

قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة : ان قریشاً قد زعمت ابا جهل  
وسودته من قبل ان يختط شاربه ، كل ذلك لعلمهم بعدائه لأبي طالب  
ومجد بن عبد الله ، فجعلته ذا رأي وقول يسمع اذا قال ويتبع اذا رأى ،  
لاحباً منهم اليه ولا رغبة منهم في ابي جهل ، ولكن انما كان ذلك استدراراً  
لعواطفهم وانتهازاً لعدائه المستأصل واستجلاباً لأسرته بني مخزوم .

ثم قال ابن حنبل : قيل ذات يوم لأبي جهل وكان القائل الأخنس  
ابن شريق وقد مر في يوم من الأيام على النبي وهو يقرأ شيئاً من القرآن  
فقال : رأيت اليوم عجباً يا ابا الحكم ، لقد سمعت مجدداً في هذه الساعة يتلو  
شيئاً لاهو يشبه الشعر كما لم يكن يشبه كلام الآدميين ، الأمر الذي حيرني  
وابهرني .

قال ابو جهل : وما تريد مني ان اقول فيه تبارينا نحن وبنو عبد  
المطلب ، اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا وجادوا فجدنا  
وسعوا الى قضاء حوائج الناس فسعيننا ، وكدنا ان نكون كفرسي رهان ،  
قالوا منا نبي هذه الامة يأتيه الوحي من السماء ، والأقرح لقلوبنا مساندة  
عمه ابي طالب له ومؤازرته اياه على العوبته واسطورته ، فتى اذا ندرتهم  
ونلحقهم ، فواللات والعزى لانؤمن بمحمد ولا نصدق له ولا نهدي حتى نقتله  
ونلحق به عمه ولم يزل كذلك ، الا أنه لم يجراً على قتل ابي طالب كما لم  
يجراً على رسول الله بواسطة ابي طالب ، ولكنه صار الى التنكيل بأنصار  
النبي وتعذيبهم فيما اذا استضعف واحداً او استوحده ، فهو الذي قتل ياسر  
وسمية والدي عمار ، وهو الذي اعان ابا سفيان على تدبير حركة بدر الكبرى ،  
كما كان هو احدى ضحاياها ، فقتله الله اشر قتلة وأخزاه ولعذاب الآخرة  
أشد وأعظم .

أقول : لقد تكلم الحلبي وابن هشام بالصواب ، ونطقا بالحق وصرحا  
بالواقع ، حيث ذهبا الى ان عم النبي الكريم هو وحده كان يقف في طريق  
المتحدين ويصد عن رسول الله عادية المعتدين امثال ابي جهل . فأبو طالب  
وحده قد شمر لشل حركة الكفر ، كما اقدم على الحد من نفوذ الشرك  
وتحرشات الوثنية ، فهو بالمرصاد لكل باغ أثيم وطاغ معتد لئيم من عرب  
ويهود ومجربين .

قال السيد الموسوي في الحجة والقاضي القندي في المواهب : لولا  
ملازمة ابي طالب للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومعاضدته اياه  
لكان نسياً منسياً وكان من الهالكين ، والى ذلك اشار القرآن الكريم  
« والذين آووا ونصروا » فالذي آوى النبي ونصره وآمن به وكفله هو  
ابو طالب رضي الله عنه .



وقالا ايضاً : قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى « فلينصرن الله من ينصره » وارد في فضل ابي طالب ، لنصرته وكفالاته للنبي صلى الله عليه وآله .

وقال القاضي نور الله في مناقبه والنقدي في مواهبه ص ٦٦ : قد وقع بين ابي طالب وبين بعض من زعماء اليهود القذرين مشادة وغلظة ، فعير اليهود ابا طالب بمحمد حين كان طفلاً وعند حليلة السعدية ، فقالوا فيما قالوا : بماذا تتناول علينا وابن اخيك محمد يستجدي الناس ويسألهم إلخافاً . فعندها غضب ابو طالب وهشم أنف اليهودي بعصاه ، واولا ان يخلصوه منه لقضى عليه ، ثم قال : ايفعل محمد ذلك وهو ابن سيد العرب ؟ ! ثم ترك السفر وتوجه الى المكان الذي تسكنه حليلة ورسول الله فأخذه منها وجاء به الى داره .

أقول : اراد اليهودي المحرم بحديثه ذاك التنديد بأبي طالب ورسول الله معاً ، والا من المستحيل ان يصدر مثل ذلك العمل من شخصية اختارها الله واجتباها للرسالة والنبوة .

هذا أولاً ، وثانياً ان الله عز وجل قد اسبغ على حليلة وآل حليلة تعمة وبركاته ، وقد استشعروا ذلك وانه ببركته صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي يلزمهم معه ان يقوموا بكل متطلباته وشؤونه .

وثالثاً ان ابا طالب في كل حين وآخر يرسل الى حليلة بكل ماتحتاج اليه من اموال وملابس الى غير ذلك من اللوازم البيتية ، فهل من الممكن اذاً ان تترك النبي يضطر الى مالقة اليهود الطغاة ؟ ؟

ومع هذا كله بادر ابو طالب الى محل حليلة رضي الله عنها اشتياقاً الى رسول الله اولاً ، وثانياً ان مدة رضاعه صلى الله عليه وآله قد انتهت فلا مبرر اذاً لبقائه عند حليلة ، والا فأبو طالب يعتقد كذب خبر اليهودي

وانه افتراء وزور ، وما القصد منه الا الإيذاء فقط .

وعلى أي حال وصل ابو طالب الى المنطقة التي فيها النبي ، فوجد أطفالا يلعبون في الطريق ورأى رسول الله متكأ على الحائط ينظر الى الأطفال ، وهو صلى الله عليه وآله في منتهى النظافة والاناقة والزكاة والترف ، فوقع عليه عمه يشمه ويقبله ، فأخرج اليه ملابساً فاخرة كان قد صحبها معه اليه ، فأصر النبي على ان لا يقبل ذلك وأصر ابو طالب يلاطفه ويكلمه بخنان وعطف ويقول له : يا بني أنا ابوك ، واخيراً تركه واسرع في مشيه ورجع الى امه ومرضعته ، فنقل لها ما فعله معه الرجل الذي لم يعرف انه عمه ، فقالت له : يا بني لعله ابوك قد اشتاق اليك وجاء الينا ليراك . وبينما هما كذلك اذ دخل عليها ابو طالب ، فرحبت به وعظمته حليلة وفرشت له الفرش اللائقة بمقامه الكريم ، ثم التفتت الى رسول الله : ألم اقل لك ان الرجل الذي تنقل عنه هو ابوك فهو ابوك حقاً ، قم الآن اليه واجلس في حجره . فقام صلى الله عليه وآله فجالس في حجر عمه وابو طالب صار يبكي من شدة الفرح به ، ثم بقي هناك ثلاثة ايام عاد بعدها بالنبي الى داره .

ألا قاتل الله اليهود الجبناء ، فقد حملوا مشعل العداة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورفعوا رايات الحرب والمقاومة ، كما نصبوا له الشباك وحاكوا عليه المؤامرات منذ طفولته ومنذ نعومة اظفاره ، بل من حين عامهم بولادته صلى الله عليه وآله ، فما من حركة يقوم بها المشركون ضد رسول الله وضد دينه الحق إلا ولليهود طالع فيها ويد طولى في تدبيرها ، لقد دسوا إليه سماً قاتلاً في اكثر من مرة ولكن عناية الله به هي التي ترعاه وتسلمه من مكابدهم ومناوئهم القدره .

إذا والحال هذه لا يستغرب منهم كما لا يستكثر عليهم كل عمل اجرامي وكل شر ذميم ، فهم والمشركون تجمعهم المصيبة الواحدة أن أظهر الله عليهم

رسوله مهجداً ، فلا يدع من الكافرين على الأرض دياراً ، كما لا يترك لليهود عيناً ولا اثرأ .

فاذا العدو المشترك هو محمد وعمه ابو طالب من ورائه ، يسنده ويعضده لذا جهدوا كل الجهد وعملوا كل حياة ووسيلة للقضاء على رسول الله وابي طالب ، والله يأبى إلا ان يتم نوره وان كره الكافرون .

ونقل السيد الموسوي في الحجة والقاضي في المواهب ص ٨٣ بطريقتها الى الاصبح بن نباتة وانه كان يتحدث عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من انه كان يقول : والله لقد كان ابو طالب جاداً مجتهداً وساهراً مشمراً لصالح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كفله كفالة لم يتحدث قط بمثلها ولم يحدث التاريخ ابداً عن نظير لها في دنيا التاريخ ، كما قد احبه حباً جماً ، بل قد ألقى الله عز وجل حب النبي وموالاته في روعه وقلبه ، فكان عنده اقدم من نفسه واهم من سمعه وبصره وأعز عليه من ولده واهله كما كان يكف عنه دسائس الكفر وأذى الشرك ، ويجرص كل الحرص على راحته ولإبعاد كل منغص ومكدر عنه ، فيرى ذات يوم رسول الله وهو ضيق الصدر مفكراً وعلى غير حالته الطبيعية ، فيستفهمه عن ذلك فيدافع صلى الله عليه وآله عن البيان وسرد الدوافع ، ولكنه يلحف عليه بالسؤال حتى اضطره الى كشف الحقيقة وشرح الأسباب التي ادت الى سلب راحته وارتياحه ، فقال : يا عم مررت بجاعة من قريش وهم ينحرون جزوراً لألتهم ومقدساتهم ، فلم أسلم عليهم وقد واصات سيرى ولم اعتن بهم ، فكبر عليهم مقامي الأمر الذي اوجب ان يقول بعضهم لبعض : ما اوقع مهجداً وما أصلفه يمر علينا ولم يعتن بنا كما لم يكلمنا فيتكبر علينا وهو يتيم ابي طالب ، وبالتالي تبعوني الى المكان الذي انزل فيه للصلاة فانها لوا عليّ ضرباً بالأحجار ورمياً بالحصى حتى افسدوا علي صلاتي وما سلمني

إلا ربي منهم .

فعندها ثار ابو طالب وكأنما نشط من عقال ، فتقلد سيفه وقال :  
أين يكون هؤلاء يابن اخي ؟ فقال صلى الله عليه وآه : يا عم انهم كانوا  
قريباً من الأبطح . فأخذ بيد النبي وخرج به الى المكان السذي وصفه ،  
فوجد القوم منشغلين بذبائحهم ، ولما نظروا إلى ابي طالب ورسول الله  
وابو طالب بحالة من الغضب والاستنساد وهو يقول : يابن اخي من الذي  
تجرأ عليك وتعرض لك بسوء ، فسدله النبي على أشخاص من الزعماء ،  
فاستقدمهم ابو طالب اليه فتقدموا أذلاء صاغرين حتى صاروا بين يديه أهوى  
عليهم ضرباً ولطماً على وجوههم وآنافهم حتى ادماهم ، ولم يزل بهم حتى  
رق عليهم رحمة الله محمد صلى الله عليه وآله ، فكف عمه عنهم والتمسه أن  
يتركهم فالذي صنعه كاف في حقهم ، فكف عنهم وعفا عنهم .

ثم اخذ بعضد رسول الله وجاء به الى الدار موفور الكرامة مرفوع  
الرأس مستبشراً ، حيث قد اخذ له عمه بثاره من الأوباش المحرمين . وعلى  
اثر هذه الحادثة نزل قوله تعالى « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي  
آذانهم وقراً » .

وقال الموسوي والقاضي : وقد رويت هذه القصة بصورة اخرى  
وعلى شكل آخر ، وحاصل ذلك : ان النبي صلى الله عليه وآله لما صنعوا  
به ما صنعوا عاد الى البيت والدماء تسيل من بدنه المبارك وساقيه الكريميتين ،  
فرأته الزهراء بتلك الحالة فتألمت لأليم الحادث وبكت للحالة ، ثم نهضت  
فأماطت عن الرسول ثيابه المملوطة بالدم وغسلت ماعلى بدنه من جامد  
الدماء ، ثم خرجت مسرعة الى عمها ابي طالب والكتابة والحزن باديان عليها ،  
فلما بصرها قام اعظماً واجلالاً لشأنها وقال : الذي حدث عندكم يا فاطمة ؟  
ف قالت : يا عم ما حسب ابي فيكم ؟ فتقرز ابو طالب من الكلمة وقال :

وما ذاك يابنية ؟ فنقلت له ماشاهدته من وضع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يافاطمة أما حسب ابيك فينا فهو السيد المطاع والسيد الكريم العزيز ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد مناف ، وسوف ترين حسب ابيك فينا .

ثم خرج مبادراً الى القوم وفعل فعلته فيهم ، وقد وصل الخبر الى السيدة فاطمة وأن عمها قد أخذ بثأر أبيها من وجوه القوم وكبارهم ، فهذأت وفرحت وطابت نفسها واطمأنت ، وعلى اثر هذه الحادثة انشأ أبو طالب ابياتاً قرأها على القوم أشاد فيها بنبوة رسول الله واعلن عن حضوره لنشرها وبث معاملها مهما كلفه الأمر ، فكان من تلك الأبيات قوله :

ألا إن أحمد قد جاءنا بحق ولم يأتنا بالكذب

فقال اليهود المحرمون : إن مجداً هذا لم يكن النبي الذي قد نوهت عنه الكتب ووعدت به التوراة ، وان مجداً هذا هو ساحر كذاب وشاعر كاهن ، والنبي الموعود لا يولد الآن بل هو يولد في آخر الزمان وفي المستقبل البعيد واسمه أحمد لا محمد ، اذاً لا يصح أن يعبر عنه بأحمد ، فاطلاق هذا الاسم عليه زور وبهتان تعمده ابو طالب بلا دليل يستند عليه ولا برهان يعضد مقالته .

\* \* \*

أقول : لقد حاول اليهود من دعواهم تلك وابتغوا من وراء زعمهم الباطل تكذيب القرآن الكريم ، حيث يقول كما في سورة الصف حاكياً عن عيسى بن مريم حيث يبشر قومه والأجيال المتعاقبة من بعد زمنه بالنبي « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبین » .

ومما لا ريب فيه ان أحد اسماء رسول الله التي سماه بها القرآن احمد كما سماه بمحمد ، ولعل اليهود أنفسهم يعرفون ذلك ايضاً ولكنهم بغالطون الواقع والحق ، وما يمدعون الا انفسهم وهم يشعرون ومن حيث لا يشعرون قاتلهم الله انى يؤفكون .

وإذا ما رجعنا الى تاريخهم الأسود القديم نجدهم وقد كافحوا كثيراً من رسل الله وانبيائه وقتلوهم وشردوهم وقعدوا لهم بكل مرصد ، واغروا منافقيهم على قتل المسيح عيسى بن مريم ، وقاموا وناهضوا رسول الله محمداً بكل معنى المناهضة والمعارضة ، وهم أكثر عداً له صلى الله عليه وآله من المشركين ، لذا قد جعلتهم الآية الكريمة في الدرجة الأولى بغضاً وعداءً وترصباً برسول الله .

وقد حاولوا قتله في واقعة خيبر وهو في خيمه ، وبعد ان اكتشفوا موقعه رموه بالنبال والسهم ليلا والمسلمون كانوا نائمين قد أضناهم التعب واضر بهم الجهاد ، ولولا ان يحس بهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب لقتلوا النبي في خيمه ، ولكنه عاين السلام قنسد استشعر بهم فنهض اليهم فتبع الجهة التي كان ينطلق منها النبل والسهم ، فعثر على بعضهم فقتلهم وفر الباقون . على أنه عليه السلام تتبع المنهزمين وتبعهم ، ولكنه بالنظر لانشغاله بمن قاتلهم منهم فلاذ اولئك بالحصون والقلاع ، فنجوا من بأس ابن ابي طالب وسيفه البتار .

ولما رجع علي الى النبي حكى له القصة ورجح له وللمسلمين أن يغيروا موضع الخيم ، فصادف رأيه الاستحسان والتأييد من الجميع ، واخيراً جعلوه في وسط المعسكر وأحاطوه من جميع جهاته بالخيمات .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاسي الأمرين ويتجرع الغصص والاضطهاد المرير من اليهود العتاة ، ولا سيما بعد وفاة الزعيم ابي طالب ،

وكان من آخر الأنبياء ان توفي صلى الله عليه وآله مسموماً على يد يهودية  
قدرة قدمت على عمها المحرم بحث من جاعتها الأوباش الطغاة .

وليس ابن هشام والحلي هما فقط قد اختصا بالسؤال المتقدم الرامي  
الى ان الوضع ما كان يستقيم للرسول الأعظم ، كما ان المؤامرات الكافرة  
ما كانت تنكشف وتتحطم لولا معاضدة أبي طالب ومواقفه ودفاعه ، فهو  
الحامي الثاني له بعد الله عز وجل ، بل قال بمقاتلتها خلق كثير وجمع كبير  
من المؤرخين والمحدثين الذين لاتأخذهم في الحق لومة لائم ، مثل ابن ابي  
الحديد وابن الجوزي والزنجشري وغيرهم .

ومن هنا تتجه مقالة القائلين بأن حب ابي طالب رضوان الله عليه  
إيمان وبغضه كفر ونفاق ، المقالة التي تحدث عنها السيد البرزنجي في المختصر  
وزيني دحلان في أسنى المطالب ، وما ذلك إلا لأنه أحب الله ورسوله فأحبه  
الله ورسوله ، فنصر الدين والنبي صلى الله عليه وآله لربه إياهما واعتقاده  
بهما ، لذا استحق تقريظ رسول الله بأن كان حبه إيمان وبغضه الكفر  
والنفاق بعينه .

نقل البخاري في صحيحه في باب حب النبي صلى الله عليه وآله بطريقه  
الى انس بن مالك عن رسول الله انه قال : لا يؤمن احدكم حتى اكون  
أحب اليه من ولده وولده ولده ، كما لا يؤمن احدكم حتى تكون امرتي  
وأهل بيتي أحب اليه من اسرته وأهل بيته .

أقول : ومما لا يخالجه الشك ولا يخالطه الوهم ان زعيم الهاشميين  
ابا طالب كان في وقته شيخ اسرة النبي وسيدهم المطاع فيهم ، كما كان  
حاميه ومربيه وكافله والمقتني اثره في كل ادواره وأحواله ، فحق اذاً أن  
يكون حبه علامة للإيمان وبغضه علامة على الكفر والنفاق .

وفي صحيح البخاري في نفس الباب والصفحة وعن الراوي نفسه نقلاً عن

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ثلاث خصال من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أولاً - ان يكون الله عز وجل ورسوله احب الى الانسان ممن سواهما .  
ثانياً - ان يحب الانسان في الله ولله تعالى .

ثالثاً - ان يبغض الانسان ويبغض في الله ولله سبحانه .

أقول : قد تكرر هذا الحديث في كتب التاريخ والحديث ، ومرجعه ومؤاده هو لزوم كون الانسان اذا أحب ان يحب من احب الله ورسوله وأحبه الله ورسوله ويتعد عن ابغض الله ورسوله وابتغضه الله ورسوله ، ولما كان عم النبي الكريم ابو طالب قد نصر الله فسحق الأوثان واطاح بالأصنام كما اعلى كلمة الله وجاهد في سبيلها ودحر عباد الوثنية وسخف اطاعة الأصنام ، ثم انكفأ الى ملازمة رسول الله ومساندته وكف الأذى عنه ، واعلن مراراً عن تمسكه بنبوته وشريعته وحاول تركيزهما ونشرهما ، كما توفق الى ذلك . وكل هذا دليل قطعي على انه رضي الله عنه أحب الله واحب رسول الله في الله ولله ، ولازمه ان يكون الله عز وجل قد أحب ابا طالب ، لذا قد أمر النبي ان يظهر للناس ان حب ابي طالب ايمان وبغضه كفر ونفاق .

وما حب رسول الله صلى الله عليه وآله ولعمه ابي طالب إلا من تلك الناحية لاغير . وعلى فرض نسبة الممات على الكفر اليه يقتضي ان لا يكون محبوباً لله ، بل يقتضي ان يكون بعيداً عن الله كأبعد ما بين السماء والأرض ، وعليه يستحيل على رسول الله ان يحب المبعوض الى الله أو يحب عدو الله تعالى ، فن حب النبي المحقق لعمه يستكشف حب الله له ، وهو الحق والحق أحق ان يتبع .

ويحدثنا الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ٤٢ بسنده الى عبد المنعم



ابن ادريس عن ابيه عن جده وهب انه قال : كان في بني اسرائيل رجل  
قد عصى الله مائتي سنة ثم مات ، فأخذ الناس برجله فرموه على المزبلة في  
البلد اهانة له واحتقاراً لأعماله الاجرامية ، فعند ذلك امر الله نبي ذلك الزمن  
- وهو موسى بن عمران - أن يخرج الى ذلك الانسان فينقله عن المزبلة ويفسله  
ويكفنه ويصلي عليه ويشيعه ثم يدفنه .

فقال موسى : يارب ان بني اسرائيل يشهدون انه عصاك قرابة  
المائتين سنة واعرض عنك وعن عبادتك ، وتأمرني الآن ان أقوم له بذلك  
التكريم وتلك الحفاوة .

فقال تعالى : نعم انه كان كما يقولون ، إلا انه كانت فيه خصلة  
لأجلها امرتك ان تفعل به ما بينته لك .

قال موسى : يارب وما الخصلة ؟ .

قال : هي انه كان كلما نشر التوراة ووقع نظره على اسم محمد المكتوب  
فيها يقبله بلهفة ويضعه على رأسه ثم يمره على عينيه ويصلي عليه وآله ،  
فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوبه كرامة لاسم محمد .

وتحدث مسلم في مسنده في كتاب الايمان في باب وجوب محبة النبي  
صلى الله عليه وآله ، بسنده الى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم انه قال : لا يؤمن العبد حتى اكون انا واهلي أحب اليه  
من نفسه وأهله وماله وولده ومن الناس اجمعين .

\* \* \*

أقول : اذا كان عصيان الله مائتي سنة يغفره الله كرامة لمن يتبرك  
باسم محمد ويقبله - كما هو منطوق حديث البخاري آنف الذكر - كيف  
ياترى يكون الحال وبالنسبة الى من افنى عمره الطويل في حب محمد ، ومن  
واساه في السراء والضراء ، وكان محمد عنده ريحانته من الدنيا ، فيطبع على

جيبته القبلات بلا حساب ، واخيراً حمله من علوه واسمات في سبيل الحفاظ عليه ، ذلك هو ابو طالب ، ابو طالب الذي لم يعص الله طرفة عين ولم يشرك بعبادته احداً ، فاذا يستحق اذاً من تكريم الله وتوقيره يوم القيامة . نعم والله يستحق كل كرامة ، يستحق مجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله في الفردوس الأعلى ، وهناك يفرح المؤمنون .

وذكر السيد زيني دحلان في أسنى المطالب فقال : لقد تواترت الأخبار أن ابا طالب كان يحب النبي حباً جماً ، وكان يحوطه ويؤازره ويعينه على تبليغ رسالته ، كما كان يصدقه فيما يقوله ، ويمتدحه بشعره وثرته بما يدل على ذلك ، كما امر ولديه علياً وجعفرأ بالدين ولزوم خدمته واتباعه في كل اموره .

وقال القاضي في المواهب ص ٧٠ : ان ابا طالب رضي الله عنه كان شديد الحب الى رسول الله ، بحيث لا يحلو له إلا التحدث بذكره العطر ، كما لا يحلو له إلا التحدث بفضائله ومفاخره صلى الله عليه وآله ، وقد عرف عنه انه كان يروي عنه مناقبه وكراماته ، فكان من ذلك انه كان يقول : خرجت مع ابن اخي محمد الى خارج مكة حيث طلب الي تلك لغاية التروح والتنزّه ، اذ مر بنا راهب وما ان وقع نظره على ابن اخي حتى توقف عن المشي فجأة وخانته رجلاه ، فما استطاع ان ينقلها ابدأ من مكانها . ثم اخذ يحدّ النظر من محمد ويمعنه في وصفه وجسمه ، ثم انطلق قائلاً : ألسنت ايها الغلام انت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ .

قال محمد : نعم انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

الراهب : عندي مسائل ارغب ان اوجهها لك لتجيبني عليها ، فأقسم عليك باللات والعزى إلا ما أجبته .

النبي : ان كنت تقسم علي بهذا القسم النحس فلا تسألني عن شيء

واذهب عني ، فوالله ما ابغض عليّ منه .  
ابو طالب : ايها الراهب ان كان كلا ولا بد مساواة مجد أقسم عليه  
بالله فانه يجيبك .

الراهب : لاني اقسم عليك بالله يا مجد إلا ما اجبتي .  
النبي : اما الآن فامدأ، عما بدا لك .  
الراهب يسأل والنبي يجيب وهو يقول : صدقت يا مجد .  
الى ان قال : بقسي في نفسي شيء واحد أريد ان اقف عليه  
واتأكسد منه .

النبي : وما ذلك ايها الراهب ؟  
الراهب : اريد ان تكشف لي عما بين كتفيك ؟  
النبي : قد رفع له ثوبه حتى ظهر ما بين كتفيه صلى الله عليه وآله .  
الراهب : يرى خاتم النبوة المنطبع بين كتفيه ، فيهوي عليه لثماً  
وتقبيلاً وتبركاً .

ابو طالب يقول : لقد حاذرت على ابن اخي من الراهب ، فأخذت  
الحيطة وصرت أتحرى حركات الراهب وسكناته .

الراهب يستشعر ذلك من ابي طالب ، فيقول له : لاتخف مني على  
ابن اخيك ، فإني ارقبه واعلم انه النبي الذي وعد الله به هذه الأمة ، وان  
له يا ابا طالب شأناً عظيماً .

ابو طالب : وانا اعرف ذلك ايضاً وارقبه منذ زمن .  
الراهب : احتنظ بابن اخيك من كل الناس ولا سيما من اليهود ،  
فانهم ان استظهروا ، منه ما قد استظهرته أنا لا يولون عنه حتى يلحقوا به  
الأذى او يغتالوه .

ابو طالب : نعم ايها الراهب الأمر كما تظن وتتكهن ، وأنا يقظ

حذر تمام الحذر واليقظة .

قال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب : لما عرف اليهود المحرمون صفات النبوة - وقد توفرت في محمد بن عبد الله - قامت قيامتهم وجن جنونهم ودعوا بالويل والثبور ، واخيراً صمموا على قتله والاستراحة منه ، لولا ان يحميه الله بعمه ابي طالب .

وقال الطبري في تاريخه والبلاذري وابن شهر آشوب في المناقب والنقدي في المواهب : ان الله عز وجل قد حمى نبيه محمداً من كيد العدو ودس المحرمين اليهود ومحاولاتهم بعمه ابي طالب ، فهو أول من بذل الجهد لدين محمد وشريعته ، وهو أول من كانت له المساعي المشكورة في الاسلام ، ولما نزل قوله تعالى يخاطب نبيه « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » صدع رسول الله بالدين الحنيف وامثل امر ربه ، فنادى في قومه بالاسلام فبشر وانذر وصار الى بث رسالته ، فالتف حوله جمع من الناس حتى اذا نزل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون من دون الله » اجمع القوم على تكذيبه وعقدوا المؤامرات عليه ، ورموه بالسحر والشعوذة ، وقالوا يريد محمد أن يجعل الآلهة الهأ واحداً إن هذا لشيء عجاب . وكان في مقدمة هؤلاء اليهود القذرون وفي مقدمة قريش عتبة وشيبة والوليد وابو جهل الخزومي وامثالهم .

ولما انحاز ابو طالب الى جانب رسول الله وصار الى مسانده ومعاضدته ودفع الأذى عنه تفرحت جفون المشركين وقلوبهم ، وتحققوا خسران المعركة .

ونقل الطبري والبلاذري وابن شهر آشوب والقاضي في المواهب بطريقهم الى السدي كما قال ابن بابويه القمي في مؤلفه النبوة بطريقه الى الامام علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام أنه قال : اجتمعت قريش

بمعونة اليهود ، فجاؤا الى ابي طالب - والنبي كان حاضراً عنده - ولما استقر المجلس بالقوم قال بعض زعمائهم : يا ابا طالب نسألك النصف من محمد .

قال ابو طالب : وما تعنون بالنصف يا قوم ؟  
قالوا : نريد منك ان تمنع مجداً عنا فيكف عنا ونكف عنه ، فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله ، وبذلك تتدفع جميع المخاذير والعواقب السيئة .  
ولما تخض ابو طالب الحديث وفهم ما يريدون وقرأ الغاية التي من أجلها قصدوه ، رغب ان يكون جوابهم على لسان رسول الله ، فقال :  
أتسمع مايقول هؤلاء يابن اخي .

فقال صلى الله عليه وآله : نعم قد سمعت ، ولكنهم غير صادقين في دعواهم النصف ، ولو كانوا صادقين لأنصفوني من أنفسهم واجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ، فاني لأدلمهم إلا على خير ولا اهديهم إلا سبيل الرشاد ، فان الله عز وجل قد امرني ان ادعو الى توحيده وان اصدع بدينه دين الحق والهدى دين الخنيفية ملة ابينا ابراهيم الخليل ، فن اجابني منهم على دعوتي كان له عند الله سبحانه الرضوان والخلود في الجنان ، ومن عصاني منهم اقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .  
فقال ابو طالب للقوم : هذا جوابكم .

قالوا : اذا قل له فاليكف عن شتم آلهتنا وسبها ولا يتعرض لها بسوء ، اذ يقرأ عليهم النبي « قل افغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون » . فسكتوا ملياً واطرقوا برؤوسهم الى الأرض هنيئة ، ثم رفعوا رؤوسهم وقالوا : يا ابا طالب قل لابن اخيك ليخيرنا عن يؤمن منا به وعن لم يؤمن فلن وجدناه صادقاً آمناً به .

وعلى اثر مقالاتهم هذه نزل على رسول الله قوله تعالى « وما كان

الله ليذر المؤمنين .

قالوا : والسلات والعزى لنشتمنك واهلك ، فنزل قوله سبحانه  
« وانطلق الملاء » .

ثم قالوا : يا ابا طالب قل لابن اخيك أن يعبد ما يعبده نحن مدة  
ونعبد ما يعبده مدة ، فنزل قوله تعالى « قل يا ايها الكافرون \* لا أعبد ما تعبدون »  
الى قوله « لكم دينكم ولي دين » .

قالوا : قل له يا ابا طالب أرسله ربه إلينا خاصة ام الى الناس كافة .  
فقال صلى الله عليه وآله : يا عم اني بعثت للناس كافة ، بعثت الى الأسود  
والأبيض ولمن في رؤوس الجبال ولمن في لجج البحار ، ولأستولين عما  
قريب على الروم والفرس . يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً .

فلما سمعوا منه ذلك قال قائلهم : لو سمع الروم والفرس هذا من محمد  
لاختطفونا من أرضنا ولأزالونا عن مواضعنا ، ثم لقلعوا الكعبة حجراً حجراً ،  
فنزل على اثر هذه المقالة قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب  
القيس » .

ثم تكلم مطعم بن عدي - وهو احد شخصيات القوم - فقال :  
يا ابا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على ان يتخاصوا منك ويتعدوا  
عما تكرهه ، فما اراك ان تقبل منهم شيئاً .

قال ابو طالب : والله يا مطعم ما انصفتني قومي ولا انصفتني انت ،  
ولكنك قد اجتمعت مع القوم على خذلاني ومظاهرتهم علي ، فاصنع  
ما انت صانع .

ثم انفض القوم واصرروا وصمموا على مقاومة ابي طالب ورسول الله ،  
وصاروا الى تعذيب من في طوائفهم من أفراد المسلمين .  
ولما تحسس ابو طالب منهم ذلك جمع كافة آل المطلب وبني هاشم ،

فأخبرهم بتسدير الشرك والكفر واليهود ، وأمرهم ان لا ينفصوا عن محمد أبداً ، وان يلازموه في كل أحواله ويحافظوه من أعدائه ، وان يقتصوا من كل احد يحاول التقرب اليه بأذى مهما كان من العظمة والسيادة . فأجاب الجميع الى ذلك وانصرفوا ممتثلين .

وقال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب : انظر واعتبر أيها الواقف على احوال ابي طالب وخدماته للنبي ، وكيف قد وطن نفسه على شد أزره والدفاع عنه بنفسه وولده واسرته .

كما أريد منك قارئ الكريم ان تتصور بدقة وتفكير عميق وتمعن النظر في وصية عم الرسول العظيم ابي طالب ، وتقف دارساً لمعطياتها وجليل معناها ومغزاها ، تجدها مفعمة بالدين الواقعي والولاء الصادق لله ورسوله ثم الاستماتة في سبيلها ، كما اجدك لانخرج منها الا وأنت مكبر في ابي طالب روح الايمان والاعتراف بالنبوة ، ثم الجهاد الخالد والمساعي المشكورة المتواصلة حتى آخر لحظة من لحظاته وآخر ساعة من ساعات الدنيا .

يحدثنا ابن بابويه في أماليه بطريقه الى محمد بن سنان عن عمرو بن ثابت انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عمه ابي طالب وهو مريض مسجى ، فبكى رسول الله لحالته وقال : يا عم جزاك الله خيراً ، فقد كفلت يتما وربيت صغيراً وآزرت كبيراً ، والله لا يضيع عنده اجر المحسنين .

وحدث المجلسي في البحار والشيخ المفيد في الارشاد والقاضي في المواهب ص ١٣٨ بطرقهم الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال عند مجيء امير المؤمنين علي بن ابي طالب يخبره عن وفاة ابيه : بكى رسول الله بكاءً عالياً وتأملاً تأملاً عظيماً ، وقال : لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، إنا لله وانا اليه راجعون ، إمض يا علي فتول امر تجهيزه وتشيعه رحمه الله ،

ثم اعلمني بعد أن يتم ذلك .

فقام علي بأمر النبي ، حتى اذا ما أشرف على النهاية ارسل الى النبي من يعامه الحال ، فحضر التشييع والحزن والأسى باديان علي وجهه الكرم وهو يردد قوله « وصلت رحماً يا عم ، جزاك الله خيراً يا عم » وأراد ان ينزل عمه بيده الى حفرة ولكن علياً ابى إلا أن يقوم هو بدلاً عنه محافظة على النبي .

وبعد ان تمت مراسم الدفن قام رسول الله على القبر الشريف مؤنباً عمه العظيم ، فكان مما قاله : والله يا عم لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان .

وروى ابو الحسن البكري في كتابه مولد علي والقاضي في المواهب ص ١٣٥ قالاً : قال ابو مخنف : لما حضرت ابا طالب الوفاة دعى اولاده وعشيرته من بني هاشم وبني عبد مناف ، فأمرهم بالمحافظة على النبي واتباعه فيما يقول ثم المحاماة والدفاع عنه بكل غال ونفيس ، ثم استدعى رسول الله وعلياً فضمهما الى صدره واخذ يشتمهما ويقبلهما . ويبكي لفراقهما ، وهو يقول : يعزّ علي والله فراقكما ولكن امر الله لا بد منه ، كما لا بد من ملاقاته الله عز وجل وملاقاة امره بالقبول والرضا ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ثم التفت الى ولديه عقيل وجعفر فأوصاهما بصورة خاصة باين عمهما النبي ، ثم ادار عينيه في اهل بيته عامة وقال : استودعكم الله ، الله خليفتي عليكم وكفى به خليفة . ثم غمض عينيه واسبل يديه ورجليه وصار الى روح الله وريحانه ، والنبي يقول : رفقاً ياملأثكة ربي بعمي .

ثم صار النبي وعلي يغسلانه ، فكان النبي هو يغساه وعلي يصب الماء ، فكان تغسيله بالسدر والكافور الذي جاء بها جبرئيل من الجنة كهديّة للنبي صلى الله عليه وآله ، وبعد الانتهاء أدرجاه بأكفانه ، ثم شيع بأفضل تشييع



وكانت مكة ضجة واحدة ، فما ترى إلا باكياً وباكية ، النساء قد شققن الجيوب ونشرن الشعور ، وهن بهتاف مستمر : وداعاً وداعاً لك يا عم رسول الله الحبيب ، حتى أوصلوه الى مقره الأخير فأنزلوه في حفرته ثم اهلوا عليه التراب .

فجلس رسول الله على القبر واخذ يردد : واأبتاه واعمه و ابا طالباه وا حزناه عليك يا عم ، آه آه لفراقك يا عم ، كيف اسلو عنك أم كيف انساك يا من ربيتني صغيراً واجبتني كثيراً ونصرتني ووازرني كبيراً وحافظت علي وحميتني من عدوي ، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد ، رحمك الله يا عم وجزيت عني خيراً ، والله لأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان .

ثم اقبل الناس يهرعون الى رسول الله يسألونه ويخففون عليه المصاب ، وهو آخذ في البكاء والنحيب ، وهو يقول : ما أسرع ما فقدتاك يا عم ، إنا لله وانا اليه راجعون . ثم التفت حوله بنو هاشم فأقاموه من القبر وجاؤا به الى البيت .

ونقل ابو الفداء في تاريخه بطريقه عن ابن عباس وابي بكر بن ابي قحافة انها وقفا على قبر ابي طالب وابناه بما يستحق من التعظيم والتكريم ، وكان من جملة حديثهما : إنا نشهد يا عم رسول الله أنك جاهدت في سبيل الله ونصرت رسول الله ، ومضيت مؤمناً بالله مصداقاً لرسول الله ، فعمشت سعيداً ومتم حميداً مجيداً ، فرضي الله عنك وأرضاك وأعطاك من جنانه ورضوانه ماتقر به عينك . ثم قال ابو الفداء : مات ابو طالب في السنة العاشرة من البعثة .

ونقل في اسنى المطالب بسنده الى النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقول : مانالت مني قريش من الأذى حتى مات عمي ابو طالب .

ونقل القاضي في المواهب بطرق متعددة كلها تستند الى النبي صلى الله عليه وآله من انه كان يقول بعد موت عمه ابي طالب : لقد نالت مني قريش من الاضطهاد والأذى ما لم تكن تطمع به ابداً في حياة عمي ابي طالب .

وتحدث الامام ابو الحسن البكري في مؤلفه الأنوار في مولد النبي محمد ص ١٣٢ بسنده الى عمر الشيباني وجماعة من أصحاب الحديث وجملة من أرباب السير انه من جملة نعم الله على ابي طالب أن جعله ملاذاً لرسوله ، وحصناً منيعاً يقف دون كل من يحاول السوء والشر به ، كما انه قد وقف نفسه ونذرها للمحاماة والدفاع عنه من حين ولادته صلى الله عليه وسلم وحتى آخر لحظة من لحظاته ، نزولاً منه عند وصايا ابيه عبد المطلب المتكررة بمحمد أولاً ، وعاملاً منه بما سيؤول اليه امر محمد من البعثة والتنبؤ ثانياً ، وما موقفه هذا الموقف الكريم الذي عبر فيه عن شعوره نحو النبي وأحاسيسه بفضائله ومفاخره المرتقبة .

واليك ايها القارئ الكريم هذا الموضوع ، ومنه تعرف مالأبي طالب من المفاداة والتضحية في سبيل الله ومجد رسول الله فاعلم :

لقد احتضن العالم الجاهلي عالين كبيرين وكاهنين عظيمين كانا قد فاقتا اهل ذلك الزمن ذكاءً وفطنة واضطلاعاً بأخبار الماضين وآثار الأمم السالفة : اما العالم الأول فهو ربيعة بن مازن المعروف بسطيح ، واما الثاني فهو وشق بن واهلة بن زيد اليماني .

اما سطيح فقد خلقه الله قطعة لحم لاعظم فيها ولا عصب فيطوى وينشر كما يطوى الثوب ، لاينام من الليل الا شطره ، يقلب طرفه في السماء ويقصر نظره في النجوم والكواكب ، فيستفيد من سيرها وحركاتها علماً جماً وعليه صار يقصد من كافة ارجاء العالم يسألونه عما يهمهم وعن الأسرار

التي يخونهم التعرف عليها وفهم حقائقها وغالباً ما يصاب في أخباره ومعلوماته  
 فبينما هو يفكر في الكواكب اذ لمعت في الأفق لمعة وبرقت في السماء برقة ،  
 فلاح له شمائل مكة ونظر الى نور ينزل من عنان السماء فيغمرها ثم منه  
 قد استضاء العالم ، ثم رأى بعض الكواكب تنساقط وبعضها الآخر يضرب  
 بعضه ببعض فيخرج بعد ذلك دخان عظيم ، الأمر الذي ادى الى ارتبائه  
 واضطرابه وتشتت آرائه وتفكيره . ثم قال : كواكب تظهر بالنهار ، وبق  
 يلعب بالأنوار ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على عجائب وأخبار .  
 وظل يومه يفكر فيما عاينه وقرأه ، حتى انقضى النهار فأمر غلامه ان  
 يصعدوه على قمة جبل عال كان بالقرب منه ، فحملوه اليه ثم صار يقاب  
 طرفه في السماء فشهد أشياء ثم قال : انزلوني انزلوني فقد حار لبي وطار  
 عقلي مما رأيت ، وظني لقد قرب خروج الهاشمي ، واذا ماخرج فعلى  
 الوطن السلام .

ثم كتب الى زميله وشق بن واهلة بالأمر وأطاعه على ما رأى وانه قلق  
 للحادث وقد لازمه السهاد وشرد عنه الرقاد .

فأجابه ابن واهلة : ان النور الذي ذكرته ورأيت والأحداث التي  
 نوهت عنها هي رموز وأسرار لا يستطيع حلها والكشف عن غوامضها ،  
 فألمي اعفائي عن البت فيها ، فراجع بها غيري .

وبعد هذا كتب الى الزرقاء - زرقاء اليمامة - يعرفها القصة ويحكي لها  
 مشاهداته ومعانياته ، ثم طوى الكتاب وأعطاه لرجل من قومه اسمه صبيح ،  
 وأمره ان يجد السير حتى يوصل الكتاب ، وكانت الزرقاء بعيدة النظر تنظر  
 من مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت جالسة في مقصورتها فنظرت فعرفت رسول  
 سطيح ورأت كتابه وقد وضعه في طيات اليمامة ، فتشامت من الوضع  
 وبقيت ترقب وصول الرسول والكتاب ، حتى اذا وصل فطرق عليها الباب

فقامت الى فتحه فدفع اليها الكتاب ، فلما قرأته وعرفت سمافيه قالت : خبر قبيح أتى به صبيح ، من كاهن اليمن سطيح ، عن أنوار ساطعة وضياء لامع ، ذلك ورب الكعبة من دلائل مخرب الأوطان وميمم الأطفال ومحطم الأوثان والأصنام من بني عبد مناف محمد بن عبد الله بلا خلاف .

ثم كتبت الجواب : من الزرقاء الى سيد الكهان وشيخ بني غسان المعروف بسطيح صاحب القول الفصيح والعلم الرجيج ، اما بعد : فقد وردني كتابك وقدم علي رسولك ، وذكرت لي اشياء قد رأيتها فهي ان دلت على شيء فإنما تدل على علامات وآيات ظهور الهاشمي ، فأيقض نفسك واحذر من الغفلة والتقصير ، وبادر الى المسير الى مكة فياني مزعة اليها لأعرف اهلها على الحقيقة ، فاعلنا نتعاون على الخيلة للقضاء على هذا المولود الذي ينذر تولده بالأخطار العظام ، فنخمد ناره ونوره قبل اشراقها .

ثم ختمت الكتاب ودفعته الى الرسول وامرته بأن يسادر في ايصاله الى سطيح ، ولما وصل بالكتاب اليه ففضه وقرأه ، ثم صار يبكي بكاء عظيماً وأنشأ :

لاصبر لاصبر اضحى بعد منزلة تدع الجلادة كالمستضعف الوهن  
ان كان حقاً خروج الهاشمي دنا فارحل بنفسك لاتأسف على اليمن  
ثم اجعل القفر اوطاناً تسير بها وارحل عن الاهل ثم الدار والوطن  
فالعيش في مهمه من غير ماجزع اهني من العيش في ذل وفي حزن  
ثم اخذ في اهبة السفر الى مكة ، وقال لقومه : اني سائر الى نار  
تأججت ، فاذا أدركت احمادها رجعت وان كانت الأخرى فالسلام عليكم ،  
واني لاحق بالشام لااخرج منها حتى اموت .

وبعد ان وصل الى مكة واستقرت به الدار تسامعت به قريش ، فجاؤا اليه زرافات ووحداناً يرحبون به ويسلمون عليه ، وظن ان رسول الله معهم

وانه قد ولد ، ولكنه . صلى الله عليه وآله بعد لم يولد بل هو حمل في بطن امه ، وكان من جملة من زاره من شخصيات قریش ابو جهل بن هشام و ابو البحري و عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والعاص بن وائل ، فقالوا :  
ياسطيح ما الذي اقدمك علينا ، افهل من حاجة فتقضى ؟

فقال سطيح : بورك فيكم مالي اليكم من حاجة . قالوا : اتمضي معنا الى منازلنا . قال : لا بل انزل على من اليهم قصدت وبفنائهم أنحت ، وقد علمتم فضلي ولكني جئتكم أخبركم بما كان او يكون بالهام ألهمته ، فأين المقدمين بالعهد ومن لهم السابقة بالمجد والحمد ، أعني أفضل قریش من بني عبد المطلب ، جئت ابشرهم بالبشير النذير والسراج المنير وقد قرب ظهوره . ثم نادى برفيع صوته : اين عبد المطلب وسلالة الأشبال من هاشم ؟ فعظم الأمر على ابي جهل وجماعته ، وقد اربدوا واسودت وجوههم واخذهم مثل الإفكل . ثم تفرقوا عنه منذهلين لهول الخبر فزعين من الحادث فاتصل الخبر الى بني هاشم ، فجمع ابو طالب اخوته واسرته فخطب فيهم وقال : إعلموا ان هذا القادم عليكم هو كاهن اليمن وسيدها ، وكان قد قدم على أبيكم من قبل عبد المطاب فأخبره بالوليد الذي يخرج من ظهره ، مبارك في عمره يملك الأقطار ويدعو الى عبادة الواحد القهار ، وها هو قد قدم الينا فهيا بنا ننطلق اليه لندعوه الى منازلنا ولتأخذ الأمر على حقيقته منه ، فإن كان صادقاً فقد استوجب الاحسان وان كان كاذباً حصل على الذل والهوان ، والذي اراه أن نخفي عايه نسبنا وحسبنا الى ان يتم لنا ما نريده ونحاوله .

فقالوا جميعاً : سر بنا إن شئت ياشيخ الأبطح فإننا ممثلون لانعصي لك أمراً ابداً .

فساروا حتى دخلوا على سطيح وكان جالساً في ظل الكعبة والناس

من حوله ، ولما نظره ابو طالب نزع سيفه ورمحه وأعطاهما لغلام سطيح  
وقال : انها هدية مني لك ، ثم قصد ابو طالب سطيح فقال : حبيت  
بالكرامة وخلدت النعم الى يوم القيامة ، فإنا قد أتيناك زائرين وبواجب  
حقك معترفين .

فقال له : جللت بالسلام واتخفت بالإنعام ، فمن أي العرب انت  
وجماعتك ؟ .

فأراد ابو طالب أن يقف على مقدار علم سطيح قال : نحن من بني  
حجج الكرام أهل المفاخر العظام .  
فقال له سطيح : أدن مني أيها الشيخ ، وضع يدك على وجهي ،  
فان لي اليك حاجة .

فدنا منه ابو طالب ووضع يده على وجهه ، وعنده اخذ سطيح يتكلم :  
وحق عالم الأسرار ، المحتجب عن الأبصار ، غافر الخطيئة ، وكاشف البلية ،  
انك صاحب الذمم المرضية ، والإخلاق العلية ، المعطي لغلامي الهدية ،  
قناة خطية وصفحة هندية ، وانكم لأشرف البرية ، وان لك ولأخيك اشرف  
الذرية ، يلتقي معاديتكم الرزية ، وانكم ومن معكم من سلالة هاشم الأخيار ،  
وانك من غير شك عم النبي المختار ، المنعوت في الكتب والأخبار ، فلا  
تكنتموا علي نسبكم فإني عارف به .

فتعجب ابو طالب من حديثه وقراءته وقال : صدقت ياسطيح في  
المقال وأحسنست الخصال ، وإنا نريد منك ان تخبرنا بما يكون في زماننا  
وما يجري . عاينا .

فقال : والدائم الأبد ، ورافع السماء بلا عمد ، الواحد الأحد ، الفرد  
الصمد ، ليعثن من هذا - وأشار الى عبد الله بن عبد المطلب - نبي هذه  
الأمّة عما قريب ، يهدي الى الرشاد ، ويهدم كل صنم ، ويهلك عباد الأوثان ،

يعينه على ذلك ابن عم له ، له صولات عظام ، وضربات جسام ، ابوه بلا شك ابو طالب ، وهو أنت ايها الشيخ .  
فقال ابو طالب : ياسطيح نحب أن تصف لنا هذا النبي وتبين لنا فضله .

فقال : نعم اسمعوا مني كلاماً فصيحاً ، سيظهر منكم عن قليل رجل نبيل ، رسول الملك الجليل ، وإن لسان سطيح عن وصفه لكليل ، هو رجل لا بالطويل الشاهق ، ولا بالقصير اللاصق ، حسن القامة ، مدور الهامة ، بين كتفيه علامة ، على رأسه غمامة ، تقوم له الدعامة ، الى يوم القيامة ، ذاك والله سيد بني تهامة ، يزهو وجهه في الدجى ، اذا ابتسم أحسن من نشأ ، واكرم من مشى ، حاو الكلام ، طلق اللسان ، قوي الجنان ، زاهد عابد راكع ساجد ، لامتكبر ولا متجبر ، إن نطق أصاب ، وان سئل أجاب ، طاهر الميلاد ، بريء من الفساد ، رحيم بالعباد ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وبالنور محفوف ، وعلى أصحابه عطوف ، اسمه في التوراة والانجيل معروف ، يجير الملهوف ، وبالكرامة موصوف ، اسمه في السماء احمد ، وفي الأرض مجد ، وفي الجنة ابو القاسم .

ثم سكت سطيح فقال ابو طالب : نرغب اذا لم يكن في ذلك صعوبة عليك ان تبين لنا صفة الانسان الذي يعاونه ويقوم معه ويؤازره على اداء مهمته .

قال سطيح : هو غلام همام ، وليث ضرغام ، وقائد مقدم ، وقشعم جزام ، كثير الانتقام ، يسقي اعداءه كؤوس الحمام ، عظيم الجولة ، شديد الصولة ، كثير الذكر في الملاحم ، يكون لمحمد وزيراً ، ويدعى بعد موته اميراً ، اسمه في التوراة إلبا ، وفي الانجيل طابريا ، وفي الزبور سيداً برياً ، وفي كتاب المصطفى عليا .

ثم امسك عن الكلام وسكت ملياً والناس تنظر اليه وتنتظر أن يكون مستمراً في الحديث ، ثم انفجر وكأما نشط من عقال او انتبه عن غفوة وسبات عميق وقال : يا ابا طالب ضع يدك على وجهي مرة اخرى .

فقام ووضع يده على وجهه ، فتنفس سطوح الصعداء ، وأن أنيناً متزايداً ، وقال : يا شيخ الأبطح ، خذ بيد اخيك عبد الله ، فقد ظهر مجدك ، وابشرا بعلو منزلتكما في هذه الدنيا ، ورفع مقامكما في الآخرة ، فالغصنان من شجرتكما ، فمحمد لأخيك وعلي لك .

فهت ابو طالب من حديثه ، وشاع الخبر في ارجاء مكة ، فامتلاً الأبطح بالناس يعاونه الوجوم ويسودهم التفكير في الموضوع ، ولم يسع ابا جهل إلا ان يقول : يا معاشر العرب ويا جحافل قريش ماهذه الحادثة التي نزلت بنا من بني هاشم ، فليس الصبر من شيمنا ، ولا الإمهال من عاداتنا ، وقد سمعتم نبأ سطوح يخبر غير رجيح ، ويوعد بضيق الفسيح ، وظهور غلامين يخرجان من عبد الله وابي طالب تكون على يديهما نهايتنا وقتل ابطالنا ونهب أموالنا وسيئ نساتنا ، ثم تردي احوال آهتنا ومقدساتنا للولدين نار تحرق وصاعقة تطبق .

ثم قهقهه في ضحكة عالية استخفافاً وهزءاً ، وبينما هم كذلك اذ أقبل عليهم عم النبي الزعيم ابو طالب ، فوقف بين الجماهير فعرف كل شيء ، فنادى بالناس فقال : يا معشر قريش اصرفوا عن قلوبكم الزبغ والطيش ، ولا تتنكروا لما سمعتم ووعيتم من حديث سطوح ، فهو محقق وواقع لا محالة انشاء الله . ثم اعلموا أنا اولى بخدمة الكعبة ، ونحن اولى بدفع الأذى عن حرم الله ، وعلى ايدينا نبعت زمزم ، فوالله الذي لا اله سواه ماسطوح بكاذب ، وإنه في كلامه لصائب ، وما نطق بكلمة قط إلا وظهر برهانها . أوليس هو المخبر لكم ان سيطلع الى أرضكم هذه رايات الجيش ،



وتلوح لكم سيوف العساكر ، وأخيراً مامضت الا قلائل من الأيام حتى رأيتم بأمر أعينكم جيوش ابرهة الحبشي ، الجيوش الجاررة ؟ ؟  
 أوليس هو الذي أخبركم عن توجه سيف بن ذي يزن ، وبالتالي وفي اليوم نفسه تحققتم صدق خبره وتبينتم صحة حديثه ؟ !  
 والآن يا قوم يخبركم عن قرب مولد النبي الموعود ، وانه من أحفاد عبد المطلب ، فلماذا لاتصدقوه ، فوالله يا قوم انه لصادق أمين ، وحكيم موفق ، وعن قريب سيظهر الله نبيه ورسوله على رغم الحاسدين والملحدن كما ستخمد نار المنافقين والمعاندين .

ثم أمر ابو طالب بأن يحمل بنو هاشم سطيح الى منزل ابي طالب ، ولما أوصلوه رفع مقامه وعظم مجاسه واكرم مثواه ، وخلع عاياه الخلع الثمينة واهدى اليه الهدايا العظيمة ، ثم صار الى توفير أسباب الراحة والهدوء له .  
 وبانت مكة على اشد ما يكون من الوجل والاضطراب ، فكانت تخرج بأهلها حقداً للبيت الهاشمي وحقناً على سطيح حيث بشر الهاشميين بمولد النبي العظيم ولما برق الصباح وبزغت الشمس كان اول من وصل الأبطح ابو جهل ، ثم صار يرسل رسله الى الزعماء والشيوخ والوجهاء ، حتى اذا اكتض المكان بالناس قام ابو جهل بينهم خطيباً والتذمر والانفعال بادبان على ملامحه ، فقال فيما قال : يا آل غالب ، يا ذوي العلى والمراتب ، أترضون لأنفسكم ان ترموا بالمناكب ، كما ذكره ابو طالب ، ان هذا من العجائب ، فواللات والعزى لننقل جلاميد الحصى الى البحر الأقصى أهون مما ذكره سطيح من ان سيظهر عليكم رجل من بني عبد مناف ، يرميكم بالبوار والتنكيل ، ويوعدكم بالذل الطويل ، فتباً لكم ان كانت أنفسكم بما ذكره راضية ، والى ما اخبر به وحدث عنه داعية . وعليه ان رضيتم بهذه النهاية السيئة والمصير المظلم فن الساعة عايكم مني السلام ما بدت الأيام ، فها أنا راحل عنكم

وخارج عن أرضكم ، فجاورة الوحوش أحب إلي من المقام بهذه الدار التي سيحل بها الهوان والاذلال والصغار .

ثم تركهم ومضى الى منزله ليتهياً للسفر ، ولكنه أحدث ضوضاء وبلبلة في البلد ، كما احدثت حركته هذه ضجة وتغيراً في الوضع الجاهلي الكافر ، الأمر الذي لزمهم على اثره التجمع والتصميم على الاجتماع بأبي جهل ومنعه عما اعتزمه وصمم عليه ، واخيراً مضوا اليه وقالوا له : يا ابا الحكم ما هذا الأمر الذي حاولته والحال الذي عزمت عليه ، فأنت السيد فينا والمقدم علينا ، فأمرنا بأمرك وانهنسا بنهيك تجدنا عند ذلك ولا نخيد عما تربد قيد شعرة .

قال : اذاً الرأي أن تقوموا معي الى نادي ابي طالب ، فترجونه ان لا يعطي مجالاً لهذا الكاهن الذي قد آواه واکرمه فعظمه وانعم عليه ، فأما ان يسلمه اليكم او يخرجوه عن ارضنا : والا كان السيف أفضى والموت امضى .

وقبل ان يصلوا الى ابي طالب باغته الخبر ارسل فوراً على كافة بني هاشم وأمرهم بحمل السلاح الكافي ، ولما جاؤه قصد بهم الى الأبطح ، وعند وصولهم شخصت الى ابي طالب الأبصار ومدت الأعناق وکمت الأفواه وخرس كل لسان فصيح ، فجلس كل قائم واستوى كل نائم هيبة من ابي طالب وفرعاً من شأنه وسطوته وخوفاً من بأسه وثورته ، ثم نطى القبائل وتجاوز المحافل حتى توسط المجتمع ، ثم رفع صوته وقال : ياسكان الأبطح والصفاء وزمزم ومنى وابي قبيس ، ايكم الثالث لبني عبد المطلب اهل المكرمات والمراتب ، حتى أحل به الويل والثبور والحزن الطويل ، أما انا لا أعرفه ولو كنت اعرفه لنال مني مصيره الأسود ، ولكني انكره واجحدته كائناً من كان ، وإني احذرکم اجمعين من يوم عبوس ، تطير فيه

الأبيدي والرؤوس ، ويكون على ابدينا هلاك النفوس ، ولاني قائل لكم :  
وحق لاله الحرم وباريء النسم اني لأعلم عما قليل سيظهر الموت في التوراة  
والأنجيل ، والموصوف بالكرم والتفضيل ، والذي ليس له في عصرنا أي  
مثيل ، والذي قد تواترت به الأخبار ، وانه يبعث في هذه الأعصار ، وانه  
رسول الملك الجبار ، المتوج بالأنوار ، المؤيد بالسكينة والوقار .

ثم قصد ابو طالب الى الكعبة ، فتبعه الناس إلا ابو جهل ، فانه قد  
بقي في مكانه وحده يتخبط بالشنار ويتعثر بالمذلة والعار ، ولما دنى ابو طالب  
من الكعبة اخذ يقول : اللهم رب هذه الكعبة العلية ، والسماء المبنية ،  
والأرض المدحية ، والجبال المرسية ، إن كان قد سبق في علمك وغامض  
مشيئتك ان تزيدنا شرفاً الى شرفنا وعزاً مضاعفاً الى عزنا بالنبي المشفع  
والنور المستودع الذي بشر به تبع فأظهر لنا ياربنا بيانه وبرهانه ، وعجل  
لنا يالهلنا بزوغه وتبنيانه ، واصرف عنا بغي الحاسدين والحاقدين يا ارحم  
الراحمين .

ثم جاس وأحدق به الناس من كل جهة وجانب ، ولم يستطع أي  
واحد أن ينطق ولا بكلمة واحدة .

واخيراً وبعد صمت طويل قد ابتدر الى الكلام منبه بن الحجاج -  
وكان ذا قوة وجسارة - فقال : يا ابا طالب قد ظهرت عزتك وانارت  
طلعتك وابتهج شكرك وذكرك بالكرم السني والشرف العلي ، وقد علمت  
رؤساء القبائل وأهل النهي والمحافل أنكم أهل الشرف العظيم والفضل الجسم  
من حاضر وقاصي ، وانت يا ابا طالب السيد المطاع الطاهر الحبيب ، فلا  
ينبغي لمثلك أن يسمع الى ما ينطق به الكهان والمشعوذين ، وأنت تعلم انهم  
اوعية الشيطان يأتون بالكذب والبهتان ، فلعلك تصير سطوح الينا لتنبين  
مدى صدقه ، فإن النبوة التي قد عرف عنها وذكرها في اكثر من مرة لها

دلائل وآثار لاتنحى على العقلاء كما لاتنزوي عن النبلاء .

ولما فرغ منه من حديثه أمر ابو طالب أن يحضروا سطيحاً بفناء الكعبة ، فأحضروه وبمجرد أن وقع بصره على الناس عرف مايدور فيما بينهم اذ ينفجر قائلاً رافعاً صوته : يامعاشر قريش لقد اكثرتم الاختلاف ، ودبى في قلوبكم الارتجاف ، ومددتم ألسنتكم الى بني عبد مناف ، تكذبونهم فيما به صدقوا ، وكذبتموهم بما نطقوا ، وارسلتم الي تسألوني عن الحال الظاهر وأمر النبي الطاهر ، صاحب البرهان وقاصم الأوثان ومذلل الكهان ، وأيم الله مافرحنا بظهوره لأن الكهانة عند مولده تزول ، وأثر الدلائل عند مولده الى افول ، واذا كان ذلك كذلك فلا خير في حياة سطيح ، فلموت خير له من الحياة ، ولكن الحق لا بد أن يسمو وان يظهر ، ومولد النبي حق وانه سيكون عما قريب ، وان كنتم في شك وريب مما اقول فأتوني بنسائكم وامهاتكم وبناتكم لترون مني العجب العجاب ، لترون مني مايبهركم وترون شيئاً لايدخله الكذب ولا يدنو منه التردد والريب ، واوقفكم بالفعل على المقصود ، وأعرفكم بالساعة نفسها على ام المولود الحاملة به المولود الذي يدعو الى المعبود الواحد الأحد .

فانتدب اليه رجال من قريش فقالوا : لإدعيت ياسطيح انك تعلم الغيب وتخب عن المجهول .

فقال : لا ، لأقول اني اعلم الغيب ولكني اسيطر على قسم من الجن فهو يسترق السمع ويتجسس الأحداث فيأتيني فيخبرني بما عاين وتحسس ، فالنبي لا بد من أن يظهر وهو من بني عبد مناف .

واخيراً تداول الناس وتراجعوا فيما بينهم ، وبالتالي ترجح لديهم أن يأتيه بالأمهات والبنات والنساء ، وانفضوا على هذا الرأي .

أما ابو طالب فقد منع ام رسول الله عن الخروج ، كما منع زوجته

فاطمة بنت اسد عن الخروج ايضاً .

وعلى الموعد حضرت النساء والرجال بصورة عامة ، ولما اجتمعوا وهم في ترقب وانتظار وتلهف واستطلاع ، فرمق سطيح النساء بطرفه وأخذ ينظرهن يميناً وشمالاً ، ثم قال : اعزلوا الرجال عن النساء ، فانتحى الرجال ناحية وبعدوا عن النساء ، فأطال سطيح النظر اليهن ، ولما اعياهن التعب والوقوف قلن له : ياسطوح أحرص اسانك وخاب ظنك .

قال : والله ماحرص لساني ولا كلّ بياني وما خاب ظني . ثم رفع رأسه الى السماء بعد أن قرب اليه ابا طالب وبعض اشخاص من قريش وقال : وحق الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين ، احداهن الحامل بهذا المولود الداعي الى خير معبود مجد ، والثانية ستحمل بعد حين من الزمن ولداً أميناً قوياً مكيناً يدعى امير المؤمنين وسيد الوصيين ووارث علم النبيين . فبهت الناس وأطرقوا برؤوسهم فكأنما على رؤوسهم الطير ، فكانوا حيارى سكارى قد خالطهم الهلع والجزع واصابهم الخوف من كل مكان . أما ابو طالب فقد انطلق بعد حديث سطوح هذا ، فجاء بزوجه وزوجة عبد الله أخيه ، فجلسن مع النساء ، وما أن وقع بصر سطوح عليهما حتى صاح قائلاً : يا ذوي الشرف الرفيع والمفاخر الرضية ، يا آمنة يابنت وهب انت والله الحاملة بسيد الأنبياء والمرسلين ، ألسنت حامله فعلا ؟ قالت : نعم اني حامل لثلاثة اشهر .

فالتفت سطوح الى الناس وقال : الآن شهد قلبي وثبت لبي وأصدقني صاحبي ، يامعشر قريش اعلموا ان آمنة بنت وهب هذه هي سيدة نساء العرب والعجم ، وهي الحامل بأفضل الأمم المدمر لكل وثن وصنم . يامعشر قريش قد دنى ظهور مجد الأمين رسول رب العالمين ، وكأنني أرى من يخالفه قتيلاً وعلى الأرض جديلاً ، وكأنني أرى عزمك يحول وشرفكم يزول

إن انتم لم تاتزموا جانب مجد وتقتفوا أثره ، فطوبى لمن آمن به وصدقه ، وطوبى ثم طوبى لمن تبعه ونصره ، فمن تبعه على الحق الذي يجيء به من ربه فقد استمسك بالركن الوثيق ونجى من كل حرج وضيق .

ثم قال سطيح : وانت يابنت اسد يافاطمة اعلمي وليعلم كل من حضر أنت ام السيد الامام الذي يكسر الأصنام ويبيد الأوثان ويحطم الجاهلية بلا استثناء ، وهو الامام المبين الذي لايعترض عقله الخلل والطيش ، مخرب الأطلال وميمم الأطفال ، سيفه على رقاب الكفرة والمشركين غير مردود ، قاتل الشجعان ومردى الأبطال والأقران ، الفارس الكمي والضيفم الجري المسمى بعلي ابن عم النبي . ثم قال : آه آه .

ولما سمعت قريش منه ذلك تحفزوا عليه ووثبوا ليقتلوه ، فانتدب اليه ابو طالب وبنو هاشم فنعوه وحاموه ودفعوا عنه كيد المعتدين .

هذا ، وابو جهل يصرخ : افسحوا لنا المجال يابني هاشم لنصل الى هذا الكاهن المحرم ، فنسقي سيوفنا ونشفي غليلنا وصدورنا من دمه ، والا لنحل بكم الدمار ونوردكم البوار .

فقال له ابو طالب : ويحك يا اخس العرب وأرذلها ، ما اراك إلا انك تحب الفرقة بين العشيرة الواحدة ، وتريد ان تلقي البغضاء في الأسرة الواحدة ، ومثلك لا يتكلم بما تكلمت ، فأنت أخس اللثام .

ثم همّ به لولا ان يخلصه من يده بعض زعماء قريش بعد أن اصابته ذبالة السيف فشجرت رأسه وسال الدم على وجهه ، وصار يهتف بجماعته المشركة الكافرة : يامعشر قريش يا اهل المحافل ويا رؤساء القبائل والفضائل اترضون لأنفسكم تحمل العار وتتقبلون الخزي والدمار ، فدونكم سطيح وآمنة بنت وهب وفاطمة بنت اسد فاقتلوهم واريحونا منهم .

ثم جردت السيوف وشرعت الرماح من قريش وبنو هاشم ، فثار

الغبار وطار الشرار وارتمت الأرض بطولها والعرض .

قالت آمنة : وحين رأيت الموقف وشاهدت لمعان السيوف وبريق أسنة الرماح والملاّ يريد قتلي ذهلت واستقط في يدي ، وبقيت لالوي على شيء ، وبينما انا كذلك إذ اضطرب الجنين الذي في بطني واخترق سمعي صوت يماثل الأنين ، واذا بالقوم وقد صاح بهم صائح وهتف بهم هاتف وصرخ بهم من السماء صارخ ، ذهبت الصرخة بالعقول والألباب وصار الناس يضرب بعضهم بعضاً من حيث لا يشعرون ، واخذوا يتساقطون على الأرض بلا حراك كأنهم اموات .

قالت آمنة : ورفعت بصري نحو السماء فرأيت ابواب السماء وقد فتحت ، واذا أنا بشيخ قد نزل من السماء ويده حربة من نار وهو يقول : ايها الطغاة لاسبيل لكم اليوم على رسول الملك الجليل وانا اخوه جبرئيل ، اخذوا جميعاً عن خاتم النبيين .

قالت آمنة : فعند ذلك سكن قلبي ورجع الي لبي واطمأننت على نفسي وجنيتي ، وتحققت دلائل النبوة من ولدي والكرامة التي أراني الله تعالى لها .

ثم اخذ ابو طالب بيد أخيه عبد الله وجاء بنا الى المنزل ، وتركنا القوم صرعى تحسبهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . كل هذه الكرامات والفضائل والقوم مازالوا مصرين على عنادهم ، فهم في طغيانهم يعمهون .

وبعد ايام مما شعروه ووعوه جاء بعضهم الى ابي طالب يقدمهم منبه ابن الحجاج ، وبعد ان استقر بهم المجلس قال : ياشيخ الأبطح يا ابا طالب يامن لم تزل عالياً في المراتب ولمن عاداك غالب ، نريد منك ان تصرف عن بلادنا هذا الكاهن الكاذب ، فان جميع ماوقع بيننا من بغض وعداء

واصطدام وشحناء هو من اثر كهانته وشعوذته ، ونحن ياشيخ الابطح غير متحققين صدقه ، ولو كنا قد تحققناه لكنت انا اول من يعاضده ويسنده على احاديثه تلك ، ثم انشأ :

ابا طالب انا اليك عصابة لندرجوك فارحم من اتى لك راجيا  
ونحن فجيران لكم ومعاضد على كل من اضحى وامسى معاديا  
ابا طالب أتخنت بالرشد والهنا ووقيت صرف الدهر لازلت باقيا  
فان كان رب العرش أرسل منكم رسولا الينا وهو للحق داعيا  
فنحن لندرجو أحمداً في زماننا نجاهد عنه بالسيف المواضيا  
ابا طالب اصرف سطيحاً فإنه اتى منه آت بالأذى والدواهيا  
فدع عنك حرب الأهل والطف تكرماً ولا تتركن الدم في الأرض جاريا  
فلما سمع ابو طالب الأبيات فكأزه رق للحالة واخذته الرأفة على  
الأطفال والنساء من إثارة الحرب والمقاومة المسلحة ، اجابهم الى تسفير  
سطيح والتزجيج له بمغادرة مكة .

ثم قال : يامنبه إن جميع ماقاله سطيح ليس فيه شك أبداً ، وستجدون  
نتيجة جميع حديثه وتكهنه عما قريب . ثم امر بعض بني هاشم أن يحملوا  
اليه سطيحاً ، فأحضروه بين يديه ، فقال له ابو طالب : أتدري لأي شيء  
احضرناك ؟ قال : نعم تسألوني الخروج من مكانكم والارتجاع عن بلادكم  
فانا على ما اردتم عازم وبالخروج جازم ، يا ابا طالب اذا ظهر فيكم البشير  
النذير فاقرأوه مني السلام الكثير وقولوا له إن سطيحاً أخبرنا بخبرك فكذبناه  
وطردناه . يامعاشر قريش سيأتىكم بشر آخر اكثر مني دقة وصحة واوفر مني  
حديثاً ومعرفة ، فهو إما قد دخل بلادكم هذه او يدخل عما قريب .

ثم قال : يا ابا طالب ياعم رسول الله هيء راحتي فيني قد عزمت

السفر .



فقام ابو طالب له بهدايا ضخمة وأموال فخمة، وسيره مع نفر من غلمانة معزراً مكرماً ، ولكن قريباً لم ترتح تماماً كما لم تهدأ لسفر سطوح باعتبار أنه شوشهم بتوجه من هو اكثر منه كهانة ومعرفة الى بلادهم ، الأمر الذي من اجله لعبوا لعبتهم من طلب تسفير سطوح ، فظلوا قلقين مرتبكين ، الآلام تحز في نفوسهم والأوهام تأخذ منهم مأخذاً عظيماً . فبينما هم على هذا الحال ونحوه فاجتمعوا ذات يوم في النادي اذ يرون راكباً من بعيد ترقل به ناقته ، فتناولت اليه الأعناق ومدت اليه الأبصار ، فحققوا النظر وإذا بالراكب على الناقة امرأة ، فصاروا ينتظرون مجئها حتى اذا قربت اسرع الى ملاقاتها ابو قحافة عمر بن عامر ، وهو اول ما بادر اليها فعرفها ، ثم رجع الى جماعته ينادي بالويل والثبور ، وهو يقول : يا اهل الأبطح لا مقام لكم به ، لقد اتيكم انداهية الدهماء والطامة العظمى ، هذه المرأة القادمة هي الزرقاء كاهنة اليمامة .

وما شعروا إلا وهي في وسطهم وكأنها عرفت كل شيء عندهم ، واذا بهاتفت عالياً : يا معاشر قريش حبيتم بالعيش والإبكار، وعمرت بكم الديار ، فإنني قد فارقت اهلي ووطني وقصدت بلدكم هذا لأحوال قد أتت واشياء قد دنت ، واني مخبرة لكم عما يخرج عن دياركم من العجب العجيب ، فإن أذنتم لي بالنزول نزلت وان احبيتم الرجوع رجعت من حيث اتيت ، ثم انشأت :

اني لأعلم ما يأتي من العجب بأرضكم هذه يا معاشر العرب  
لقد دنا وقت مولود لأمته مجد المصطفى المنعوت في الكتب  
فمن قليل سيأتي وقت مولده يرمي معانده بالذل والحرب  
يدعو إلى دين غير اللات مجتهداً ولا يقول بأصنام ولا نصب  
وقد اتيت لأخبركم بينة لما رأيت من الأنوار والشهب

عما قليلا ترى الأنوار زاهرة ببطن مكة ترمي الجمع بالشهب  
فان اردتم والا رحى راجعة وتندمون اذا ماجاء بالعطب  
وآخر بذباب السيف يعضده قرن يدانيه بالاحسان والنسب  
ولما سمعوا منها ذلك امروها بالنزول والجلوس معهم لغاية الوقوف  
على ما عندها من غوامض واسرار ومعارف وتكهنات، وهل هي تنحو منحى  
سطيح او تختلف عنه؟

فزلت وجلست في وسطهم ، وبعد ان استقرت تقدم اليها عتبة بن  
ربيعه قائلا : أهل راعك احد ياسيدة اليمامة ، وهل لك حاجة فتقضى او  
ملمة فتمضى ؟

فقالت : ما انا بفقيرة الحال ولا انا قليلة المال ، ولكني جئتكم لأبشركم  
واحذرکم ، وليست البشارة تعود لي بل هي علي وعليكم ، اذ فيها هلاكي  
وهلاككم .

فقال عتبة : اراك توعدين نفسك واينا بالدمار .

قالت : يا ابا الوليد وساطح البلاد ومن هو عالم بالمرصاد ، ليخرجن  
من هذا الوادي نبي يدعو الى الرشاد وينهى عن الفساد ، نوره يتجدد واسمه  
محمد ، وكأني به عن قريب سيولد ، ويساعده على ذلك مساعده ويقارنه في  
الحسب ويدانيه في النسب ، يبئس الأقران ويدمر الشجعان ، أسد ضرغام  
وسيف حسام ، جسور في الغمرات هزبر في الغارات ، له ساعد قوي وقلب  
جريء اسمه علي .

ثم قالت : آه آه يوم القاه ، واعظيم مصيبتاه ، ولو أني ادركته  
لكانت لي معه قصة عجيبة ومصيبة عظيمة ، ولو أردت النجاة لسارعت  
الى الاجابة وتركت ما انا عليه من المكيدة ، ولكني أرى خوض البحار  
ونقل الأحجار والتلوح على النار وقطع الأشجار اهون علي من الذل والصغار

فلا انا مشترية بعزي ذلاً ولا بعلمي جهلاً ، ثم انشدت :  
 ذرى القبائل والسادات وبحكم اني اقول مقالا كالجلاميد  
 لو كنت من هاشم او عبد مطلب او عبد شمس ذوي الفخر الصناديد  
 او من لوي سراة الناس كلهم أهل الساحة والتفضيل والجود  
 او من بني نوفل او من بني اسد او من بني زهرة الغر الأماجيد  
 لكنت اول من يحظى بصاحبكم اذا جرى ماؤه في يابس العود  
 لكننا اجلي قد جان مواعده لما دنى مولد ياخير مولود  
 ثم قالت : وخالق الشمس والقمر ، ومن تصير اليه كافة البشر ، لقد  
 صدقكم سطوح الخبر .

فلما سمعوا كلامها حارت عقولهم ، وتجددت عليهم المصائب والأحزان .  
 ثم ان الزرقاء ادارت ببصرها نحو الحشد الكبير ، فنظرت ابا طالب  
 فأطالت النظر اليه ، وكان معه اخوه عبد الله بن عبد المطلب ، وكانت  
 تعرف عبد الله من قبل ، لأنه قد سافر مع ابيه عبد المطلب الى اليمامة  
 وبقيها هناك اياماً ، وكانت السفرة من قبل ان يتزوج عبد الله بآمنة بنت  
 وهب ، وكانا قد نزلا في قصر مجاور الى قصرها .

فلما نظرت الى عبد الله والأنوار تسطع من غرته والمهابة والوقار يعلوانه  
 أحبته واكبرت مقامه ، وعرفت ان النبي الموعود والذي يبعث في مثل تلك  
 الظروف فهو من صلبه ، فهو عبد الله وابن عبد المطلب ، فخرج عبد المطلب  
 ذات يوم من القصر فانتهزت خروجه فرصة لأنه ترك عبد الله وحده ،  
 فأسرعت الى القصر وببدها كيساً مملوءاً من الورق ، فدخلت عليه وقالت :  
 حيت بالسلامة واتحفت بالنعمة والكرامة ، فمن اي العرب انت فا رأيت  
 اجمل منك وجهاً ؟ .

فقال : انا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد الأشراف

ومطعم الأضياف ، انا من قوم هم سادات الحرم ، ومن لهم السابقة  
والقدم .

قالت : صدقت لأنك أنبل وأفضل واكمل مما ذكرت ، وهل لك  
من فرحتين عاجلتين ؟

قال : وما هما . قالت : أبذل لك مائة من الأبل وناقة محملة تمرأ  
وسمناً وهذا الكيس مملوء ورق ونقود .

قال : على اي شيء ؟ قالت : ان اضطجع معك فأونسك .  
فلما سمع منها هذا الكلام وفهم منها ما تريد منه غضب وتألم وظهر  
منه الاستياء وقال لها بازعاج : اليك عني فما أشر غرتك وما اقبح طلعتك  
أما علمت اننا قوم لانرتكب المعاصي ولا نقرب من الفجور والآثام ، اذهبي  
عني ياويلك وإلا قتت اليك بهذا السيف .

وكلما حاول ان تخرج عنه فيتخلص من شرورها لم يستطع ، فما هي  
إلا جادة في رأيها ، واخذت تضاعف له المال وتطمعه في الثروة الطائلة ،  
واخيراً قام اليها بالسيف ، فلما عرفت صدقه وأنه يقتلها إن هي لم تخرج  
من القصر لاذت بالهزيمة وتمنعت بالفرار وعادت الى قصرها خائبة خاسرة ،  
واخذ عبد الله مكانه وهو على حالته من الحدة والغضب ، وجعل سيفه  
على فخذه . وبينما هو كذلك اذ دخل عليه ابوه ، فوجده على تلك الحالة  
المؤلة ، وبمجرد ان وقع نظره على ابيه بكى وانشأ :

ونحن ذوي المفاخر في الأنام	أترتكب الحرام بغير حل
جوارحنا تصان عن الحرام	انركن للحرام ونحن قوم
اماجيد جحاجة كرام	معاذ الله انا من اناس

فقال له : ما الذي دهاك وما جرى عليك من بعدي ؟ فنقل له  
القصة ووصف له المرأة التي راودته عن نفسه ، فعرفها عبد المطلب وقال :

بابني هذه هي الزرقاء كاهنة اليامة ، فقد نظرت النور الذي يسطع في جبينك .  
وظلعتك البهية ، فعلمت انه الشرف الأكيد والعز الذي لا يبيد ، فأرادت  
ان تسلبه منك ، فالحمد لله الذي عصمك منها .  
ثم بادر الى الرحيل فرجع الى الوطن بولده ، فزوجه من آمنة بنت  
وهب .

فلما رأته مع اخيه ابي طالب عرفته وتذكرت قصتها معه ، كما علمت  
أنه قد تزوج بآمنة ، فقالت له : ألسنت بصاحبي في اليامة ؟ فقال لها  
عبد الله : نعم لا اهلا ولا سهلا بك يا قبيحة .

فقالت : ما فعل بالنور الذي كان يسطع من وجهك ؟  
فقال : ان ابي زوجني من آمنة بنت وهب فانقل النور من جيني  
الى جبينها .

قالت : صدقت ولا شك فيما ذكرت .  
ثم صرخت هاتفة في الجمع : يا اهل العز والمراتب والمفاخر إن الوقت  
لمتقارب وإن الأمر لواقع ماله من راد ولا دافع ، فتفرقوا فلقد دنا المساء  
وأتوني غداً لتسمعوا مني الأخبار وتقفوا على الحقيقة والآثار .

وحينئذ تفرقوا عنها وذهب كل على شاكلته ، حتى اذا ذهب من  
الليل شطره التحقت بسطيح على مراحل من مكة ، وبعد ان اجتمعت به  
قالت : ياسطيح ما الذي تراه من الرأي ؟

قال : ارى العجب العجاب ، وان الوقت قريب ، وأخبرها بما جرى  
له من اوله الى آخره .

قالت : وما انت صانع ؟ قال : إنني قد كبر سني وخمد ذكري ،  
ولولا مخافة العار لعجلت على نفسي بالفناء والدمار ، وأمرت من يجرعني  
كؤوس الردى والبوار ، وقد عزمتم يازرقاء الهجرة الى الشام حتى يأتيني

الحمام ، فان المولود الجديد منصور ومن عاداه لاصحابة مقهور .  
قالت : ياسطبح ابن اصحابك واعوانك لم لا يساعدوك على خنق هذا  
الأمر مادام في المهدي ومن قبل أن تلد آمنة فتقتلوه ، واذا ماقتلتموها قتلتهم  
الجنين الذي في بطنها .

فقال : ويالك ومن الذي يقدر على قتلها ويقوى على اغتيالها والحفاظ  
لها الله سبحانه ، ثم ابو طالب يرعاها ويحميها ، وهو العالم بحال جينيتها  
وما سيؤول اليه امره من العظمة والسؤدد ، فدعيني واذهي عني فاني مشرف  
على الموت فاني ارقبه فهو مني قريب .

ولما أيست من معاونته كرت راجعة الى محلها من مكة ، ولما أصبح  
الصباح اجتمع الناس وكلهم تطلع الى أخبارها وأحاديثها ، ثم اقبلت فأخذت  
مجلسها من الندوة ثم سألت عن ابي طالب والهاشميين . فقيل لها : ههنا  
كلهم حضور . فعينت مكانهم ، فقامت تمشي حتى وقفت على رؤوسهم  
فقالت :

أنعم الله لكم الصباح ، وأشرقت بكم البطاح ، وأنارت بكم المحافل ،  
وعلوتم القبائل ، ويزداد شرفكم علواً ورفياً ، اذا ظهر فيكم المنعوت في  
التوراة الموصوف بالانجيل ، فالويل لمن عاداه وطوبى لمن تبعه . واعلموا  
يا بني هاشم ما قصدت بلادكم هذه إلا لأن ابشركم بالبشارة التي هي اعظم  
البشائر واجملها .

فقال لها ابو طالب : جزيت خيراً بازرقاء ، وقد وجب حقلك علينا  
فهل لك من حاجة فتقضى وملمة فتمضى ؟

قالت : حاجتي إليك يا شيخ الأبطح ان تجمع بيني وبين آمنة بنت  
وهب زوجة اخيك عبد الله لأتحقق ما جئتمكم به من البشارة السارة .

فقال ابو طالب : ما سهل ما طلبت حباً لك وكرامة ، قومي معنا

الى المنزل فأنت في ضيافتنا محترمة موقرة ، ثم تجتمعين هناك بأمنة .  
ولما دخاوا الدار خصص للزرقاء مكاناً مختشماً ، وامر ابو طالب  
الجواري بخدمتها وتهيئة أسباب الراحة لها وان بدخواوا عليها آمنة . ثم  
عرضوا عليها الطعام فأبت ان تأكل معتاة بأنها راغبة بالاجتماع بأمنة ، ومتى  
ما اجتمعت وعرفت منها ما تريد عند ذلك تناول الطعام والشراب .

ولما اجتمعت بأمنة تحققت ان الجنين الذي هو في بطنها هو النبي  
الذي سيبعث فتخرج عند مولده العجائب فتساقط الأضنام وتحطم الأوثان  
وتخمد النيران ، فأخسأها الحقد والحسد والتعصب للجاهلية ، فرأت ان  
لاقرار لها في الدار ولا راحة لها مادامت ترى آمنة وهي حامل بمحمد ،  
ثم اصرت على الخروج من دار ابي طالب ، وبالتالي فقد خرجت الى محلها  
وهي مفكرة حيرانة كثيفة حزناة ، وبقيت أياماً وهي تفكر في تدبير الحيلة  
للقضاء على آمنة كي تستريح منها ومن جنينها ، وأخيراً قد تعرفت على  
ماشطة آمنة - وهي امرأة من الخزرج تعرف بتكنا - فأخذت تتردد عليها  
وتبدي لها الوداد والاخلاص ، ثم حسنت لها الانتقال الى المكان الذي هي  
فيه ، فوافقت تكنا على ذلك فبقيت عندها مدة لم تر منها شيئاً ضائراً ،  
فاستيقضت تكنا ذات ليلة فرأت حول الزرقاء شخصاً وهو يخاطبها بهذه  
الأبيات :

كاهنة جاءت من اليمامة	أزعجها ذو همة همامة
لما رأت نوراً على تهامة	وهو لاظهار النبي علامة
مجد الموصوف بالكرامة	ستدرك الزرقابه الندامة
لهفي على سيدة اليمامة	إذا أتاها صاحب الغمامة

وإذا بها تقول له : لقد كنت لي محباً وأنت صاحب الوفاء ، فما الذي  
حبسك طوال هذه المدة وأنا في هموم متواترات وزفرات وحسرات متتاليات ؟

فقال لها : ويحك يازرقاء لقد نزل بنا أمر عظيم ، أجل وأعظم مما نزل بك ، ولقد كنا نصعد إلى السماوات نسترق السمع إلى أن بعث عيسى ابن مريم طردنا من أربع ، فكنا طيلة هذه المدة نسترق السمع من ثلاث سماوات إلى هذه الأيام طردنا حتى من الثلاثة ، ونسمع مناديا ينادى في السماوات العلا : إن الله يريد أن يظهر عبده وحبيبه مجدداً ، فخرجت علينا الملائكة وحرمت علينا الصعود وجئنا اليك كي نحذرك .

فلما سمعت حديث الجنى هذا قالت : اليك عني فاني لا بد أن اجهد جهدي واعمل حيثي فأهلك المولود وأمه ، فتولى عنها بعد أن أنشدها :

إني نصحتك بالنصيحة جاهداً      فخذني لنفسك واقبلي من ناصح  
لا تطلبي أمراً عليك وباله      فلقد اتيتك باليقين الواضح  
هيهات أن تصلي إلى ما تطلبي      من دون ذلك كل خطب فاضح  
فالله يحفظ عبده ورسوله      من كل ساحرة وأمر فادح  
عودي إلى ارض اليمامة واحذري      من شر يوم سوف يأتي كادح

ثم إن الجنى قد اختفى عنها وتركها على ما بها من الحيرة والذهول .

تقول الماشطة تكنا : ولما أصبحنا وجدت الزرقاء مهمومة مغمومة

يسود عليها الوجوم ويخيم عليها الإرتباك ، فجئت إليها وجلست بين يديها وقلت : ياسيدي مالي أراك مفكرة مضطربة مهمومة مغمومة ، فان كانت لك مهمة اذكرها لي لعلني استطع تذليلها لك ومعاونتك على تسهيلها .

فقالت : يااختاه ان كل ما اعتراني واصابني هو من جراء مولود يتولد

عن قريب ، يكسر الهام ، ويحطم الأوثان والأصنام ، يذل الكهان ، ويخرب الديار ، ولعلك تعلمي ان التلوح على النار أيسر من المذلة والصغار . آه لو وجدت من يساعدي على قتل آمنة لبذلت له المنى واجزلت عليه الغنائم ثم عمدت إلى بدرة من الأموال فصبتها امامي .



تقول تكنا : لما رأيت المال سال له لعابي . واغراني الشيطان . كما لعب بعقلي وهيمن على اعصابي ، ثم قلت لها : إنك يازرقاء تحاولين أمراً خطيراً ومعنى عظيماً . صعب المنال ، وكأنك تعزمين ان يكون على يدي ، فاعلمي يازرقاء اني ماشطة بني هاشم وآل ابي طالب ، ومن المستحيل ان يدخل عليهم غيري ابدأ ، ولا آمن العواقب الوخيمة ان ظهر مني شيء يشعر بالاساءة .

فقالت الزرقاء : أنا ادبر لك الكيفية التي يمكنك التوصل بها الى قتل آمنة ، وذلك اذا دعنتك آمنة للتمشيط اعلميني فأعطيك خنجراً صغيراً يمكنك اخفاؤه بصورة سهلة ، فاذا دخلت في التمشيط اغرزي الخنجر في عنقها فإنه فوراً يقضي عليها لأنه مسموم ، ثم حاولي التظاهر بأنك لا تعلمين بأي شيء من الحادث ، وان شملتك التهمة واستحقت عليك الذمة فاني ادفعها عنك مهما كانت ومهما بلغت ، حتى ولو كانت عشر ديات تترتب عليك ، هذا غير الجعالة والهدية التي اضمرها لك إن أنت اتمت العملية وقتت بالطلب . فصممت الماشطة على القيام بالمهمة ، وبقيت تتحين الفرصة ، فاتفق

ان ارسلت عليها آمنة فأسرعت الى الزرقاء وأخبرتها بذلك فأعطتها الخنجر ثم توجهت الى دار ابي طالب ، ولما دخلت على آمنة رحبت بها وعاتبها على انقطاعها مدة غير مألوفة ، فأخذت تحتج بحجج معذرة ، ثم دنت الى آمنة على عاداتها لتسرح شعرها وتمشطه .

تقول تكنا : كلما أحاول ان اغرز الخنجر في رقبتها اشعر بقابض يقبض على يدي يمنعها عن الحركة ويشلها عن الاستطاعة ، وحاولت وحاولت فرأيت انها فاشاة ، فارتبكت فجأة ووقعت لوجهي من شدة الارتباك ، وفشل المحاولات ، فسقط الخنجر من يدي ، الأمر الذي استفز آمنة واهالها وادى بها الى ان تصيح وتهتف بنساء بني هاشم ، فدرن على الأثر من

حولها وصرن يخففن عايبها القصة ويمينها السلامة ، الى ان اطمأنت وهدأت  
 حمدت الله على نجاتها من الموت المحتم لو لا ان يسامها الله عز وجل .  
 فقالت النساء لتكننا : مادعاك الى ان تقومي بما اردت القيام به ؟  
 قالت : الطمع والاغراء بالأموال ، والزرقاء هي التي سولت لي ذلك  
 ومهدت لي الطريق ووعدتني بالأموال المسيلة للعباب ، فلا تفوتكم الزرقاء  
 فدونكم هي فاقتلوها من قبل ان تعلم بفشل مؤامرتها فتهزم وتسلم منكم .  
 وسقطت تكننا على الأرض فحركوها فاذا بها ميتة . فتعال الضجيج  
 في بيت ابي طالب فوصل إلى ناديه فسمع فبادر الى الحرم فرأى المشاطة  
 ميتة ، فسأل عن السبب فأخبر به ، فصاح ابو طالب بغلمانه دونكم الزرقاء  
 اقتلوها اقتلوها قتلها الله ، عجلوا عايبها ، ولكنها استشفت الخبر فخرج بها  
 شياطينها من مكة وأسرعوا الى اخفائها عن بني هاشم ، فتبعها الهاشميون  
 فلم يقفوا لها على أثر .

الى ان قال ابو الحسن بن عبد الله البكري :

ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ما كان من أحداث  
 ووقايح يوم ولادته كانت الزرقاء في حفدة من جواربها ووصائفها ، واذا  
 بها تصرح صرخة عظيمة وغشي عليها ، فلما افادت انشأت تقول :  
 أما المحال فقد مضى لسبيله ومضت كهانة معشر الكهان  
 جاء البشير فكيف لي بهلاكه هيهات جاء الأمر بالاعلان  
 ثم دخل عبد المطلب على أمته يهشها بوليدها المبارك ، ثم قال : الحمد  
 لله الذي صدقنا وعده واخرج لنا وليده ، اذآ لا ابالي بالموت بعد اليوم ؛  
 فاحتفظي يا أمنة بولدك فانه قررة عينك ، وسيكون له شأن عظيم ومكان  
 كبير .

ولما مضى على المولد الكريم سبعة أيام أولم عبد المطلب في اليوم السابع

وليمة عظيمة ، ذبح فيها الذبائح ونحر فيها الابل ودعى اليها الناس من كل مكان ، وفضل من الطعام شيء كثير قدموه للوحوش والطيور .

• • •

اقول : ان لم يكن هناك موقف مشرف لأبي طالب الا هذا الموقف المستنبط من حديث الشيخ هذا لكان وافيا ومدللاً على مدى اخلاصه للنبي من قبل أن يولد ، ومدى تحسه بنبوته كذلك ، لذا لم تزوده كثرة التكهن علماً بما سيثول اليه امره ، بل كان وكأنه يرتقبه ويأمله ويعرف عنه كل شيء ، وقد جهد كل الجهد على ان يدفع عنه الشرور والاذى والدواهي العظام ، وهو حبل في بطن امه ، وحرص كل الحرص على ان يفديه ويحميه من عدوه بعد ولادته ، واخيراً صدق وآمن به ووازره بعد تنذؤه وبعثته .  
واليك قاريء الكريم ماخصاً للقضية الثانية ، القضية التي ذكرها البكري والتي يتجلى بها موقف عم النبي العظيم ابي طالب اتجاه رسول الله ، ومحاولة اظهاره بالمظهر اللائق المناسب لقداسة الرسالة ، والملائم لكرامة النبوة والجلالة من حين طفولته ونعومة اظفاره :

قال القاضي النقدي في مواهبه : إن موقف عم النبي العظيم ابي طالب لا يسد مسد أي موقف آخر ، لذا قد تمنى صلى الله عليه وآله الموت والخلاص من الدنيا بعد وفاة عمه الكريم ، فقد التجأ الى التخفي عن قريش والمجرمين من اليهود لأنهم أمنوا العقوبة وانتهزوا الفرصة ، وخلا لهم الجوف فاستعملوا معه جميع أنواع الأذى والايلام ، وجهدوا كل الجهد واعماوا الحيل ودبروا المؤامرات على قتله ، إلا ان الله يمنهم عنه ويحميه من القتل .

فقد ظفروا به مرة وحده فاحتوشوه ، فشحج رأسه ابو جهل بحجر حتى سالت الدماء على وجهه الكريم ، وضربه آخرون على ساقيه فأدموهما حتى اضعفوه عن المشي ، واذا بجبرئيل يأخذ بعضده فيصعده على جبل كان

قريباً من المكان الذي كان فيه ، فخلصه من الطغاة ولكنهم لازموا سفح الجبل برجاء أنه ينزل فيأخذوا منه حيفهم ويتموا فيه مأربهم ، ولكن الله عز وجل أعجزهم عن صعود الجبل ، كما ألقى عليهم النعاس والتعب ، فقرروا الرجوع الى منازلهم والتحنين بمصادفة اخرى . أما رسول الله صلى الله عليه وآله حين رأى نفسه على قمة الجبل ألقى بنفسه على سطحها والدماء تسيل من بدنه الشريف .

وقصد رجل علياً وكان وقد وقف على صنع القوم مع النبي الأمر الذي اضطره الى صعود الجبل وما يدري أهو حي ام ميت ، فأهال الحديث علياً وكبر عليه ، فبادر الى بيت ام المؤمنين خديجة ليستعين بها على الفحص عن رسول الله فطرق الباب عليها فقالت : من الطارق ؟ قال : أنا علي ابن ابي طالب . قالت : هل لك علم بالنبي يا علي ، فاحب ان يفاجئها بما عنده فقال لها : لا ولكن أرغب أن نخرج معاً للفحص عنه .

فخرجت معه وصاروا يفحصان حتى اذا وصلوا الى الوادي القريب من الجبل ، قال علي : يا ام المؤمنين استبطني الوادي وانا استظهره . قالت : نعم .

أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فاق من غشيته ، فرأى جبرئيل عنده وهو يبكي لحالته ، ولما وقع نظره عليه بكى هو الآخر وقال : أما ترى يا جبرئيل ما صنع بي قومي ، فقد كذبوني وطردوني وتألبوا علي وصبروني الى ما ترى ، فأخذ بيده جبرئيل فأقامه واستخرج من تحت جناحه درنو كآ من الجنة منسوجاً من الحرير مطرزاً بالذهب والأحجار الكريمة ، ففرشه وقال : أجلس يا محمد . فجلس صلى الله عليه وآله فصار جبرئيل الى ملاطفته وتسليته ، ثم قال : يا محمد أتريد ان تنظر الى كرامة الله تعالى عليك وكرامتك عليه ، قال : نعم يا حبيبي ، فأراه بقدرة الله عظمتة في

الدنيا وما سيحصل عليه عما قريب من الاستيلاء على الدنيا وما فيها من ملوك وعظاء ، كما اراه مقامه الكريم ومنزلته الرفيعة في الدار الآخرة . فهدأ صلى الله عليه وآله مقداراً ما .

ثم ارسل الله وفوداً من الملائكة لتكون طوع ارادته ورهن اشارته ، يأترون بأمره وينتهون بنواحيه ، فتقدم اليه الملك الذي عهد الله اليه امر الشمس فقال : يا رسول الله انا مأمور ان اطيعك ، فان امرت ان اسلط اشعة الشمس على المحرمين فوراً فأحرقهم فعلت .

وتقدم الملك الموكل بالأرض فقال : أنا يا رسول الله طوع ارادتك ، فان امرت ان اطبق الأرض على الكفرة فعلت .

وتقدم الملك الموكل بالماء فقال : تأمرني يا رسول الله ان اغرقهم اجمعين وليس لأحد عندي هوادة . ثم صار الملائكة يتقدمون واحداً بعد واحد يعرضون انفسهم وخدماتهم وحضورهم واستعدادهم لكل الأوامر والمتطلبات ، حتى اذا انتهوا امرهم رسول الله بالهدوء ، ثم قال : يا ملائكة ربي وكريم مخلوقاته أنتم امرتم باطاعتي وامتثال اوامري ؟ قالوا : نعم يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك ، قد أمرنا الله عز وجل بذلك .

فعند ذلك رفع النبي يديه الى السماء وقال : اللهم يا راحم الراحمين تعاليت وتباركت ، انك يا الهي تعلم اني لم اخق عذاباً ونقمة ، ولم ابعث إلا رحمة للعالمين وخيراً للخلق اجمعين ، يا ملائكة ربي ألحقوا بصفوفكم واماكنكم التي رتبكم الله فيها ، فلا حاجة لي فيكم ، دعوني وقومي فانهم لا يعلمون . فعند ذلك تفرقت الملائكة ورجوا الى السماء نحو اماكنهم وصفوفهم .

ولم يبق عند النبي الا جبرئيل عليه السلام ، اذ يلتفت فيرى خديجة تجوب الوادي باكية حزينة تهتف وتقول في هتافها : بأبي وامي أنت يا رسول

الله ، أميت انت يارسول الله ، فدتك نفسي يارسول الله .  
فبكي جبرئيل لحالتها وقال : استأذتك يارسول الله بالعروج ، فهذه  
خديجة مدهوشة ذاهلة ، فادعها اليك لتراك والآتوت من شدة الوجس  
عليك .

فخرج جبرئيل ونادى رسول الله خديجة ، فسمعت صوته وجاءت على  
أثره ، فعرفت انه من فوق الجبل ، فصعدت الجبل فوجدت النبي بتلك  
الحالة المؤلة المشجية ، وهو يحاول ان لا يقع على الأرض شيء من دمه المقدس .  
فسألته خديجة عن محاولته تلك وعن السبب الداعي اليه ؟ قال لها صلى الله عليه  
 وآله : ياخديجة اني اخشى ان وقع من دمي شيء على الأرض يغضب الله على من  
في الأرض فيخسفها بهم فيهلكون عن آخرهم .

ثم قالت خديجة : يارسول الله اسأل الله ان يهدي الى مكانك علي  
ابن ابي طالب فانه يكاد يشرف على الموت من اجلك وقد خرجنا سوية  
لغاية الفحص عنك .

فسأل ربه ذلك ، ولم يمض من الوقت الا قليل حتى انتهى الفحص  
بعلي الى قمة الجبل ، فوجد رسول الله وبخدمته ام المؤمنين خديجة ، فبكي  
بكاءً شديداً حين وقع بصره على النبي ورآه بما هو فيه من الجراح وسيل  
الدماء ، وبقوا ثلاثهم الى ان مضى من الليل شطره ، وقد نامت العيون  
وهدأت الأصوات ، انزل علي وام السيدة الزهراء خديجة النبي ، وجاءوا  
به الى الدار ، وكان المشركون قد وضعوا كميناً في جنح الظلام يراقب نزول  
رسول الله من الجبل ويعلمهم بنزوله ليقتضوا فيه نفثهم وليوفوا نذورهم  
وليطوفوا بالآلهة احراراً آمنين .

فخرجوا حين اخبرهم الجاسوس ، فا ادركوه في الطريق وتبينوا أنه  
صلى الله عليه وآله قد دخل البيت ، فحفزهم حقدهم الدفين وثأرهم للاصنام

ان يرموا بيت رسول الله بالأحجار ، فتكثر الرمي على البيت النبوي وصار علي وخديجة يقيان رسول الله بجسميهما عن الأحجار ، الى ان اخذهما الألم والدم ورأيا ان لا انقطاع لهذا العمل الاجرامي الخطير ، ترجح لخديجة ان تنسرت وتخرج اليهم ، فخرجت فعلا وخاطبتهم قائلة : تبأ لكم ايتهما الجماعة وترحاً ، أما انكم قد فعلتم معنا فعل الأجلاف الجفاسة فأسأتم الى انفسكم والى العرب بصورة عامة ، ما لكم كيف تحكمون ، الله اكبر ارمى الحرة في بيتها ، فوالله ان لم تتفرقوا عن ذاري الآن اوجه الى اسرتي وقومي من يخبرهم بفعلكم التي تترفع عنها حتى الوحوش وضواري البر .

فما سمع القوم من خديجة ذلك خافوا من التهديد ، كما خافوا من وصول خبرهم الى اسرة خديجة فيكبسوهم في مكانهم ويفنوهم عن آخرهم وعندها تحل بهم فتنة كبرى لا قبل لهم بها ولا ينفعهم اذ يندمون .

وبالتالي اعطوا سيقانهم للريح فانهمزوا ولاذوا بالفرار ، ثم رجعت خديجة الى رسول الله ، فنقلت له قصتها وحديثها مع الجبريين . ثم بكى رسول الله بكاءً شديداً ، وصار يخاطب عمه ابا طالب وهو في قبره فقال : رحمك الله يا عم ، لو كنت حياً لما بلغ الشرك مني هذا المبلغ ، يا عم لو كنت موجوداً لما تجاسر الكفر على بيتي ورموني بالأحجار ، يا عم لقد كنت في حياتك منيع الجانب مهيباً مصاناً ، ولكني بعد فقدك صرت مهسودر الكرامة تتحاوشني الذئاب من كل مكان ، فالمستعان بك يا الله ، ولا حول الا بك يا غياث المستغيثين ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ونقل صاحب إعلام الورى وصاحب دلائل النبوة والقاضي في مواهبه ص ١٤٣ بطريقهم الى الزهري انه قال : ائتم تجهم الوضع على رسول الله واكفهر وكشر الكفر عن انيابه بعد موت حامي النبي وكافله عمه ابي طالب ، كما حاكوا عليه المؤامرات واكثروا عليه الايذاء ، الأمر الذي قد اضطره

صلى الله عليه وآله الى ان يعرض نفسه المباركة على الأسر والقبائل العربية ، مستجيراً بالرؤساء والزعماء على امل ان يحميه منهم أحد عن صولة الشرك وجولة الكفر وعبث اليهود الفجرة ، ولكنه صلى الله عليه وآله لم يجد الا الصدود ولم يحصل الا على الإعراض والامعان في الاساءة ، واخيراً يرجع منزعجاً مألوماً أسفاً على فقد عمه ابي طالب .

وترجع عنده ذات يوم ان يقصد ثلاثة من الزعماء وكانوا اخوة ، وهم ياليل بن عمرو وحبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو ، فظن صلى الله عليه وآله بهم خيراً ورجا فيهم أن يحموه من مكائد اعدائه ، ولكنه لما حل بين ظهرانهم لاقى منهم من السخرية والاستهزاء والايذاء ما هو أشد واكبر من اذى الكفرة واليهود ، فقال له كبيرهم : أنا اسرق استار الكعبة ان كان الله قد بعثك . وقال الآخر : اعجز الله ان يرسل غيرك وانت يتيم ابي طالب . وقال الثالث : ان كنت نبياً كما تزعم لأنت اعظم شرفاً من ان اكلمك ، وان كنت كاذباً فأنت أشر من اكلمك واقل من ان احدثك . وما كفاهم كل ذلك بل اوعزوا الى صبيانهم واطفالهم ان يرموه بالحجارة ان قام من مجلسهم ونادبهم ، فلما يئس منهم قام صلى الله عليه وآله ليرجع الى منزله ، اصطف له الاطفال وصاروا الى رميه بالأحجار حتى بعد عنهم وخلصه الله تعالى من شرهم .

وبينا هو في الطريق شعر أنه متعب يحتاج الى الاستراحة والجلوس قليلاً ، واستظل بظل بستان كان يمشي بقربه ، فجلس مفكراً مهموماً يتصور مقام عمه ابي طالب وانه كل ما يلاقي وما اصابه من ضرره عليه فقلسه لأبي طالب ، ذلك العم الحنون الذي كان وحده هو الشوكة في عيون العدو ، كما هو وحده كان السد المنيع الذي يحول بينه وبين ايذاء الطغاة المتمردين واليهود الأشرار ، ثم يسترجع ويسلم امره الى الله الواحد القهار .



فالتفت صلى الله عليه وآله الى ناحية من نواحي البستان فرأى عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبداً لهما وقد استظلوا بظل البستان ، فتعوذ بالله منهما ومن الشيطان الرجيم ، وتبين انهما يحاولان ابداءه والدنو منه بسوء ، فاستجار بالله منهما ورجاه الخلاص والنجاة من ايذائهما . واخبراً قد استدعى عتبة وشيبة عبدهما عداس وانتدباه لايداء رسول الله والتشويش عليه ، فتقدم العبد وجلس بين يدي النبي وهو ينوي ان يقوم بما أمره مواليه ، فكلمه رسول الله واحسن له في الحديث ، ثم سأله من اين انت ومن اي بلد تكون ؟ قال : انا عداس ادين بالمسيحية وبلدي نينوى . فقال النبي : اكرم بها من باءة ، فانها مدينة العبد الصالح يونس ابن متى .

فقال عداس : يا محمد ومن اين علمت ذلك ؟ قال النبي : ربي أعلمني به ، يونس كان نبي ذلك الزمن ، وقد بلغ رسالة ربه كما يريد ، وقد لاقى في سبيل ذلك من قومه من الحن والشدائد والمصائب والصاعب كما لاقيت انا من قومي حين امرني ربي باظهار النبوة والافصاح عن البعثة .

قال عداس : أو أنت نبي يا محمد ؟ قال : نعم يا عداس ، انا نبي هذه الامة . ولم يزل صلى الله عليه وآله يتحدث عداساً بأخبار الماضين واحوال الأمم السالفة حتى اذعن عداس وايقن ، فينقلب فجأة الى احترام رسول الله والتأدب امامه ، ثم اهوى على قدميه يقبلهما وهو يقول : اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله حقاً ، يارسول الله المعذرة الى الله واليك فاعفو عني وسامحني يارسول الله صلوات الله عليك .

فلما شاهد عتبة وشيبة من عبدهما الانصياع الى النبي واحترامه والانعطاف

على قدميه يقبلهما كبر عليهما الأمر وثقل عليهما الوضع وندما على ما فرط منها من ارساله الى مجد ، وقد قال عتبة لشيبة : اظن انه اسحره محمد ، فادعه فليات البنا مسرعاً ، فدعاه فأقبل حتى جلس من حولها ، فقال له : ما الذي دعاك لأن تسجد لمحمد وتخضع له وتهوي على قدميه تقبلهما ، وكأنك تريد أن تقطع منها قطعة .

قال عداس : ليس في الحق مغضبة ، إني تحققت من محمد أنه نبي هذه الامة ، الأمر الذي ادى الى غضبها وانتفاضتها وزجرهما لعداس وقولها له بل كذبت وكذب محمد ، فانه قد استولى عليك بسحره وشعوذته فأياك ان تقرب اليه بعد ، فانه يفتنك عن دينك وطريقتك المثلى الطريقة التي كان عليها اباؤك واجدادك من اقدم العصور وسالف الدهور . ثم اخذا بيده ورجعا الى منازلها .

\* \* \*

لقد شاءت ارادة الله التي لا تمهر لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله أن ينجو من شر المحرمين الخطيرين عتبة وشيبة بإشغالها بقصة الخادم عداس وإلهامها الابتعاد به عن النبي حذراً من ان يصبو لدين محمد وينخدع بأقواله السحرية وحديثه الجذاب ، فبدا لرسول الله ان يرجع الى منزله لفرار الطريق وبطئه على اهله ، فتوكل على الله وقام وواصل السير الى البيت ، ولما دخل وجد خديجة ومن حولها علي بن ابي طالب وهما على احر من الجمر انتظاراً له ووحشة واستبطاء للموعد المعتاد لحضوره ، فعرفا من ملامحه الاستياء والتأثر ، فقالا له : بآبائنا وامهاتنا يارسول الله الى متى تبقى في هذه الشدة والضيق ، فاسأل الله تعالى لك الفرج والخروج من هذه البلدة الظالم اهلها . وكأنه صلى الله عليه وآله قد استحسّن الطلب واستمالحه ، فرفع يديه الى السماء طالباً من الله القدير ان ينقذه من هذا البلاء ويخرجه من ذلك العناء اذ يوحى الله تعالى اليه : ان اخرج يامحمد من مكة فما لك بها من ناصر

بعد عمك ابي طالب ، وعندها قد اعتزم الهجرة ووطن نفسه على مغادرة مكة .

ففاوض علياً عليه السلام بما صمم عليه واضمره ، وأمره ان ينام على فراشه ، وخرج في جوف الليل يجتد السير حتى بعد عن مكة ، فصار يعرض نفسه المباركة على القبائل المتصاة طوال الطريق ، لعله يعثر على من يساعده ويعضده ويحميه ، لم يلق الا ما يكرهه ويسوؤه حتى وصل المدينة المنورة ، فلما استشعر أهلها بمقدمه الكريم خرجوا إليه عن بكرة ابيهم فرحين مستبشرين يهللون ويكبرون ويرحبون به صلى الله عليه وآله اجل الترحيب واجمله ، وبايعوه على أن يقدوه بأنفسهم ، ويفدوا عائلته وذريته بعوائلهم وذرائعهم : وكان اول منزل نزله هو منزل ابي ايوب الأنصاري رضوان الله عليه ، وبعد أن استقر كتب لعلي امير المؤمنين ان يقدم عليه بالعائلة النبوية فأقبل علي بالعائلة جهاراً وعلانية . وبالرغم من المحاولات العظيمة المانعة والتي وقفت مستأسدة دون حملها ، وبالتالي اوصلها علي الى المدينة آمنة مطمئنة ، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد بنى له بيتاً مجاوراً للمسجد ، كما قد بنى بيتاً لعلي في جواره .

وهناك اطمأن رسول الله وهدأ باله وصلحت احواله وانتشرت كراماته وفضائله ، كما قد علت كلمته ورفرفت على المؤمنين والمسلمين رايته وتوسعت حركته ودعوته ، وصار الأنصار والأعوان يتهافتون عليه زرافات ووحادانا ، وأهل المدينة برمتهم يصاحبونه ويماسونهم ويفدونهم بالآباء والأمهات ، ولكنه صلى الله عليه وآله كما رأى ذلك يتأوه ، فيذكر عمه وحاميه ويتصور ما لاقاه في سبيله وما لاقاه هو من العذاب والتنكيل بعد موته ، يبكي ويتألم ثم يسترجع ويدعو له بالرحمة والغفران .

قال المحقق الخنيزي في مؤلفه مؤمن قريش ص ١١٩ :

أخرج ابن عساکر بطريقه عن جلهمة بن عرفطة في حديث يطول - الى ان يقول - : كان والله ابو طالب يتحلى بالصفات الفضلى .  
ثم قال الخنيزي : ما لنا وللتعليق ، فلندع المجال للساني صاحبي السيرة الهشامية والحامية هما يحدثان مباشرة عن لسان جلهمة وبلا واسطة ، فقالا : قال جلهمة كان والله ابو طالب يتحلى بفضلى الصفات ويتميز بخير السمات ، تحيطه بهالة من الإكبار والتقدير ، وتفرده عن كل من حوله من عظماء الرجال ووجهاء الجاهلية ، فهو نعمة الخير ، والكهف الحصين الذي بقي من الطواريء ، فاليه يلجأ الضعيف المضام ، ومن كفيه النديان ينتهل العدم فتعود له الحياة المخضرة ، وبه يتوسلون حين ينقطع من السماء قطرها المدرار ، وهو الوصول للرحم ، الكشاف للكرب ، البر الرحيم ، الجواد بما يملك من غير منة ، والسبح بما يستطيع من دون طلب .

كان قوي الارادة ، كما هو منطبق يتدفق بلاغة ، كما هو حديدي ثبت الجنان جميل الطلعة مهيب الجانب موفور الاحترام والتعظيم ، وان له بالتشريع لدراية ومعرفة شاملة وعلماً عميقاً ، فحرم على نفسه شرب الخمر ومفارقة الموبقات وكل ما حوله من اوضاع الجاهلية وارجاس الشرك وآثام الوسط المنحط ، فترفع بروحانيته الى افق واسع رفيع المستوى مديد الرفة نقي الجواء على صفاء وطهارة . وكان هو اول من سن القسامة في دم عمرو ابن علقمة ، فأقرتها السنة النبوية فيما بعد . . .

والى ان قال الخنيزي : راجع السيرة لابن هشام ١ / ٧٩ و ١ / ١٣٤ و ٢ / ١٩٦ من السيرة الحلبية من صحيح البخاري .

وتحدث القاضي في مواهبه فقال : كان ابو طالب رضوان الله عليه كأبيه شيبة الحمد يفرش له فراش بجانب الكعبة ، ولم تكن هذه الميزة الخصوصية الا لها ، فلا تتعداها الى غيرهما أبداً ، وقد يجيء رسول الله

صلى الله عليه وآله فيجلس الى جنب عمه ، فيمتعض ابو لهب وينكمش من جلوسه ، ولا سيما اذا لم يكن ابو طالب حاضراً ، ويأتي رسول الله فيجلس في مجلس عمه ويتكئ على وسادته ، وفي يوم من الأيام جاء رسول الله صلى الله عليه وآله واراد الجلوس مع عمه على فراشه صده ابو لهب وحاول منعه عن ذلك ، فغضب ابو طالب واستقدم ابا لهب اليه ، فأخذه من انفه ولطمه على وجهه وقال له : إياك أن تتعرض لمحمد بعد هذا وإياك ان تقترب اليه بما يسوؤه ويؤذيه ، فمحمد حر في جميع التصرفات حر في جميع ما يفعل ويترك ، فان محمداً يستشعر ان له مقاماً كريماً وشأناً عظيماً ومستقبلاً وضاءً ، والله يا ابا لهب لان تعرضت الى محمد بأقل شيء عرضت نفسك إلى الاهانة والتوبيخ ، وسخط الله عز وجل وعقوبته . فأدار ابو لهب بوجهه ورجع الى ورائه ولم يستطع ان يتفوه ولا بكلمة واحدة .

\* \* \*

وقال الجاحظ في رسالته التي ذكرها ابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج ، الرسالة التي تفصح عن العدا لآل البيت النبوي الكريم ، آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وتصرح بالبغيض لأمر المؤمنين علي بن ابي طالب بصورة خاصة . نعم ذكرها ابن ابي الحديد كاماة غير منقوصة ، كما ذكر الجواب عليها ، الجواب الذي تحفز اليه ابو جعفر الاسكافي .

وكيف كان الأمر تعرض الجاحظ من حيث يدري أولاً يدري الى ذكر ابي طالب بكل خير ، وكان من حديثه : أو لست تعلم أن قريشاً خاصة وأهل مكة عامة لم يقدروا على اذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان ابو طالب حياً .

اقول : ان مقالة الجاحظ هذه في تقييم موقف عم الرسول العظيم النبي الكريم ، وانه لو لا موقفه وانحيازه اليه لما استطاع البقيا على حياته

والاستمرار في اداء رسالته ، فبه احتفى رسول الله من ثورة الشرك والكفر  
وغليان مشاعر اليهود القذرين ، وبه تمكن الاسلام من الانتشار والظهور  
والتوسع والشيع .

وعلى اي حال ان قوله الجاحظ هي حق وصدق ، والحق لا بد من  
ان ينتصر ، والحق لا بد وأن يعلو ، ولا يمكن أن يعلو عليه اي شيء ،  
كما لا يمكن ان يستر بالراح ويحجب بالبراقع والأستار ، لذا ربما يظهره  
الله حتى على السنة اعدائه وجاحديه ، كما ظهر على لسان الجاحظ فقال  
ما قال في رسالته المشثومة ، الرسالة التي أعلنت بالحق والحمد لعلي بن ابي  
طالب والحظ من قدره وميزته ، والتي حاولت تفضيل مبيت الخليفة ابي  
بكر مع النبي في الغار على مبيت علي على فراش النبي ليلة الهجرة ، المبيت  
الذي باهى الله عز وجل به ملائكة السماء ، المبيت الذي إن دل على شيء  
فإنما يدل على افضل انواع المفاداة واجمل مصاديق التضحية والمواساة . وعلى  
اي حال قال الجاحظ في بعض ما قاله كما مر عليك والفضل ما شهدت به  
الأعداء .

ثم قال الخنيزي : قال الانطاكي في ترجمة ابي طالب وبعد اعطائه ما  
يستحقه من الاكبار والتقدير والاعظام والتوقير - قال : وقد اختلف المؤرخون  
في اسلام ابي طالب وبقائه على الشرك ، ولكل فريق أدلة يركن اليها يستشهد  
بها على دعواه ، وليس لمثلي ان يبت في مثل هذا الأمر الخطير ، وإنما  
الاستدلال من واقع الحال يرجح قول الذين يذهبون الى ايمانه واسلامه ،  
لان الانسان مهما تعالى في صلة رحمه وفي حبه لابنه او ابن اخيه او نسيبه  
لا يسهه ان يغض الطرف عن ذلك الحبيب اذا رآه بتعدى على دينه او يحاول  
ان يدك حصونه ويوهي اركانه ويقيم في موضعه ديناً آخر ان لم يكن هو  
معه في الاعتقاد ، ولما نعلم من تمسك الناس بأديانهم ومبالغتهم بتقديسها

وتفضيلهم لها على اي اعتبار آخر ، حتى ان المؤمن ليقتل ابنه واباه اذا رآه يحقر دينه ويسخر بعبوده .

وإذا صدق هذا على عامة الناس فبالأولى ان يصدق على مثل ابي طالب الذي كانت له المكاة العليا في قريش ، فهو ملزم من جهة نفسه وجهة مركزه عن الدين الذي يدين به هو وقومه ، كي لا تسقط مكانته من عيونهم ، وكي لا يعرض نفسه فيخسر آلهته .

وعلى هذا فابو طالب لا بد وأن يكون قد آمن بالله ، كما وانه لا بد وان يكون قد آمن برسالة ابن اخيه عليه الصلاة والسلام في قلبه ، ولكنه لم يجهر بها لاعتبارات تقتضيها الحكمة وتدعو إليها السياسة ، فانه لو جهر بايمانه في بدء الدعوة وفجر البعثة لانتقلت عليه قريش بجملتها ، واسقطته من حلق مجده ، وعبثت بجرمته ، وحينئذ يعجز عن رد الاذى عن ابن اخيه وهو لا يزال ضعيفاً ، وهذا الذي جعله يكتم ايمانه .

أما ظاهر اعماله وقصائده وخطبه فهي تظهر بأجلى بيان اذ رأيناه يدافع عن المصطفى بنفوذ وجهه ويمدحه بشعره وخطبه حتى آخر لحظة من حياته على ما رأيت من وصيته ، وعلى هذا فيكون ابو طالب من خيرة الصحابة والأنصار بغير جدال ، وحبذا لو وفق الله الاسلام في عصر الناس هذا الى من يحمون ذماره ويعاون كلمته ، كما فعل ابو طالب ووالد سيدنا امير المؤمنين علي يعسوب الدين اسد الله الغالب ابو طالب الذي ربي هذين السيدين النبرين فأضاءا في سماء الدنيا والدين .

ثم قال الخنيزي بعد انتهائه من حديث الانطائي : ولا نرى حاجة للتعليق على هذه القولة الواضحة الحججة الناصعة البرهان .

اقول : أما انا فأجديني بحاجة ملحة الى التعليق على مقالة المؤرخ الانطائي ، فهي وان جاءت حاكية عن الحقيقة وكاشفة عن الواقع ، كما وهي

قد كانت على درجة مثلى من المثانة والرصانة والاعتماد على الأسس المستقيمة ، مدعمة بحكم العقل معتصدة بالوقائع والأحداث القطعية ، مبنية على معرفته وتفهمه لواقع عم الرسول ودراسته غير المشوبة لجهوده وجهاده في الله وحمايته لرسوله العظيم صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي أدى به لأن يحكم عليه بأنه من خيار الصحابة وعظماء الأنصار ، إلا ان الذي يحدوني الى التعليق امران يخيّل لي انها لهما مكانتهما في سماء التعليق ودنيا البحث والتنقيب :

اولهما تأييد نسبة القولين المتنافيين المتعارضين منطوقاً ومفهوماً الى الرسول العظيم ، وذلك من المستحيلات الأولية ، اذ لا بد وان يكون احد القولين صادراً عنه صلى الله عليه وآله والآخر ملفق عليه ، والنافي لايمان ابي طالب يكذبه عمل النبي صلى الله عليه وآله مع عمه حياً وميتاً ، ففي حياته كان موضع اسراره وتقديره ، وفي مماته كان موضع رحمة واستغفاره وكل من الأمرين يعطي ويفيد بأنه رضي الله عنه كان مؤمناً مسلماً قد استكمل الايمان والاسلام ، اذ يستحيل على النبي الحكيم أن يثنى على المشركين او يحترم الكافرين ، ولا سيما مع علمه صلى الله عليه وآله بالنصوص القرآنية الناهية المانعة عن ذلك ، حتى ولو كانوا آباءً للمسلمين وأقرباء للمؤمنين .

هذا بالاضافة الى الروايات الدالة بوضوح على ايمانه وتدينه ، كثير منها يستند الى آل البيت ، وهم الذين نزههم القرآن الكريم فاذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ويستند القسم الآخر الى اجلاء الصحابة وعظماء الاسلام ، مثل ابن عباس والخليفة ابي بكر ونظرائها .

وبمقتضى هذا إن يلتزم الانطاكي هذا الجانب فيؤيد ايمان ابي طالب من هذه الناحية ، ثم يضم ما قد استفاده واستنبطه من الآثار وظواهر الحال الى ذلك .

وأما ثانياً - فالقواعد العلمية والوثائق المعتبرة عند العقلاء تستلزم



الرجوع في مقام تعارض الخبرين وتنافيها الى الرجحان ، عن حيث قوة المتن او قوة السند ، او من حيث موافقة الكتاب والسنة وعدمه ، وإلا فان فقدنا كل ذلك سقطا معاً عن الاعتبار والمقبولية . وما دام بالنسبة الى ما نحن فيه باب التعادل والتراجيح مفتوحاً على مصراعيه فلا بد اذاً من تحكيمه وإعماله ، ثم النظر الى ما يقتضيه ويستأزمه من تقديم وتأخير .

ومما لا شك فيه ان الأحاديث الإيجابية الدالة على ايمان ابي طالب تمتلئ بنوع جليل من الوثوق ، وتتجمل بنوع كبير من الاطمئنان من حيث المتن والسند ، وإليك قارئ الكريم بعضاً مما ذكر محققاً عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : رحم الله عمي ابا طالب لو ولد الناس كلهم لولداهم شجعاناً ، ما نالت مني قریش حتى مات عمي ابو طالب .

فان هذا والكثير من أمثاله يدل بحسب لفظه وحقيقته انه صادر عن مثل رسول الله العظيم ، وهكذا الحال بالنسبة الى ما صدر عن آل بيته البررة . وأما من حيث سلسلة السند فمصدرها آل بيت النبوة ومهبط الملائكة ، اول السند علي امير المؤمنين ، ومنه اخذ اولاده الطاهرون ، ومنهم اخذ علماء امتهم .

ومما لا يعترضه الريب والشك ان علياً واولاده الأطايب هم سادات الثقات وزعماء الرواة ، وليس لقائل فيهم اي مهمز ولا ملمز . وكيف وقد شهد الله العلي القدير بقرآنه المجيد بطهارتهم ونزاهتهم ، وعليه من المستحيل عليهم اذاً أن ينجروا الى خلاف الواقع وينساقوا الى غير الحق ، فلا بد والحالة هذه من ان تكون مدعياتهم ورواياتهم اكثر وثوقاً مما يخالفها او مما يستند الي غيرهم ، لأن الغير مهما كان من القداسة والنزاهة لم يحصل على مثل ما قد حصلوا عليه واختصوا به من توثيق الله العظيم وتزيينه الجميل . هذا اذا ما اضيفنا الى ذلك عطاء الصحابة مثل العباس بن عبد المطاب

وعبد الله بن عباس والخليفة ابي بكر ، وما الى ذلك من الأقران والأمثال . . .  
ولعل الانطاكي نفسه لا يعزب عنه الأمر ، كما لا يكاد يخفى عليه  
الحال ، لذا أشار اليه من طرف خفي بقوله : وليس لمثلي ان يبت في هذا  
الأمر الخطير في حال انه كان يستأزمه ان يبت فيه ويحكم مما تقتضيه طريقة  
العلماء العقلاء وما تفرضه القواعد العلمية من ترجيح ما هو أقوى سنداً واثق  
طريقاً وواسطة .

هذا مضافاً الى ما لا بد من ان يكون قد وقف عليه الانطاكي وتحققه  
من الكثرة في جانب الأخبار الإيجابية ، فهي اذا ما قست نسبتها الى غيرها  
من السلبية لتضائلت الثانية الى حد بعيد ، ومتى ما تم له ذلك لزمه أن يؤيد  
جبهة الايجاب من هذه الناحية ، ثم يعزز ذلك بظاهر الحال وقرائن المقال ،  
لكان ذلك اقبل وافضل .

ولكننا بعد التأمل الدقيق والنظر العميق في مقالة الشيخ الانطاكي وجدناه  
وهو يحوم حول النتيجة التي حققناها والثمرة التي رما من طريقها الوصول  
الى اثبات ايمان عم النبي الزعيم ابي طالب تأخر عن الابانة الواضحة ،  
لما كان يخالجه من ان التقديم والتأخير والتأييد والترجيح من شئون المسلمين  
أنفسهم واختصاصاتهم ، وبما انه مسيحي المبدأ فيعتبر نفسه متطفاً على  
الموضوع ، لذا قد انتحى ناحية المصير الى الآثار وظواهر الحال والمقال ،  
فهي بعيدة عن كل ايراد وقيل وقال : ولكننا ومع هذا كله نجد أن الحق  
لا بد وأن يكون رائد كل انسان يتمتع بمكانة علمية ونمو عقلي وتفكير  
سديد ، بغض النظر عن الاديان والمعتقدات ، فالحق أحق ان يتبع ، ولا  
سيما اذا كان واضحاً وضوح الشمس ، بيناً بيان الكوكب الدرّي في الظلام  
الحالك .

وأما ما ذهب اليه من تأييد مقالة القائلين بايمان ابي طالب الخفي حسب

مقتضيات السياسة ومتطلبات الحكمة والفراسة فهو لا يلتم كما لا يمكن ان يجتمع مع ما قد استظهره واستنتجه من ما جريان الأحوال وقرائن المقال الشعري او الخطابي ، ومقتضى ذلك التصميم على الاعلان بالتدين والايان . ولا اراني بحاجة الى التوسع في الموضوع لانه قد مر البحث فيه والكلام عليه ، ولكن شيئاً واحداً وجدني راغباً الى بيانه ، وهو بيان شعري لم يكن يذكر فيما سبق قد قاله بمناسبة استسقاء أبيه عبد المطاب حين استنجده الناس واستغاثوا به ، ففرح ابو طالب واستبشر حين استجاب الله دعاء والده الكريم فأمطر الناس واغاثهم ، وبالمناسبة أنشأ الأبيات هذه :

ابونا شفيع الناس حين سقوا به	من الغيث رجاس العشير بكور
ونحن سنين المحل قام شفيعنا	بمكة يدعو والمياه تغور
فلم تبرح الأقدام حتى رأوا بها	سحابات مزن صوبهن درور
وقيس اتنا بعد لأي وشدة	وقد عضها دهر اكب عثور
فما برحوا حتى سقى الله ارضهم	بشبية غيثاً فالنبات نضير

أقول : افهل يستفاد من منظوميات الأبيات محتوياتها معاني الشرك ، وهو يستشف من ظواهرها وألفاظها عين الكفر واثر الانتفاء الى الأصنام ، ام هل يعرف منها التكم في الايمان ؟ !

ما اظنك انك قارئ الكريم إلا ان تقول معي : لا ، لا يستفاد من هذه الأبيات إلا الوثوق بالله والركون اليه ، مصرحاً بهما لا يعرف التخفي والتستر ابداً .

وقال الخنيزي : قال عبد العزيز المعروف بسيد الأهل في ترجمة ابي طالب : وليس من المحمود للناس في سبيل رجل رعى النبوة وحماها اكثر من اربعين عاماً ان تقتضب أخباره كما اقتضبت ، وان نثر وتبعثر كما انتثرت وتبعثرت ، وان يقل رواتها ويضطربوا كما قلوا واضطربوا ، ثم ينسى فضله كله ويقف

التاريخ أمامه في ساعة الموت موقفاً واهناً عجيباً . يتحدث عن الرجل الذي  
حمى النبوة نافع عنها بقوة وتضحية وإيمان وكأنما يتحدث بلسان خلق من الهوى  
عن رجل دخيل او عن وافد غريب

أنفذ ابو طالب حياته كلها في نصرة النبي وألزم اهله واتباعه وانفق  
جهده وحببه وماله ، وخاصم اعداءه وضربهم وقهرهم ، وأعد من نفسه عزمة  
صادقة تحف الى المستغيث في طريق الهموم ، وكان وجود ابي طالب  
لنصرة النبي ضرورة من ضرورات الخائفة وسنداً لا بد منه لظهور البعثة  
وانتشار الدعوة كما يقول ابن خلدون في كتابه ابو طالب شيخ بني هاشم  
في ٦ / ٥٥ وتلك مشيئة الله ، فليس ينصر رجل يدعو الى اي مبدأ ودين  
مالم يستند الى ما يشد أزره وينصره من العصية المهيبة ، كما ينتصر بالاتباع  
والاعوان ، وابو طالب لم يفته ان يعرض الواجب الذي انيط به ، ولم  
يثقله العبء الذي ألقى عليه ، فنصر النبي وخاصم الناس جميعاً فيه ، ولم  
تأخذه العزة بالاثم كما اخذت غيره من الكبراء الذين أضلوا الناس السبيل  
وقد كان ابو طالب غير مدافع عن سيادة قريش جمعاء الى ان يقول ابن  
خلدون كما بكى رسول الله لنعي عمه ، ومن الذي يبكي رقة ورحمة ووفاء  
اذا لم يبك مجد وقد أحسن ربه تأديبه ، بكى عمّاً كفله ورباه ونصره وتقصى  
عذره في التحمل ، وكان له اباً رحيماً حين فقد الأب ، وكان له عضداً  
حين احتاج الى النصير ، وكان له حزباً حين احتاج الى حق قوي يقهر  
الباطل ويمحق الطغيان راجع مؤمن قريش طبعه ٢ / ٢٧٧ .

ويحدثنا مسلم في صحيحه ١ / ٤٨ بطريقه الى الشريد انه قال : ردت  
رسول الله ذات يوم اذ يلتفت الي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هل  
تحفظ يا شريد من شعرة امية بن الصلت شيئاً ؟ فأنشدته فقال : استمر ،  
فبقيت انشده حتى كملت عليه قراءة مائة بيت . فقال صلى الله عليه وآله

وسلم : انه كاه يسلم في شعره هذا .

وتحدث صاحب السيرة النبوية ١ / ٩٦ ان زيد بن عمر بن نفييل خرج مهاجراً الى الشام يطلب الخنيفة دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولكنه لم يقدر له أن ينجح في مهمته ولم يكتب ان يفلح في سفرته ، ففاجأه الأجل في اثناء الطريق ، فصح الحديث عن ام الحديث عن ام المؤمنين عائشة انها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة جرى فيها ذكر زيد بن عمر وقال : دخلت الجنة فوجدت لزيد درجتين في الجنة .

وفي السيرة ايضاً ١ / ٧٣ ان سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب ابن عم سعيد قالوا : قال للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو وترحم عليه . قال : نعم سأستغفر له وترحم عليه ، وانه يبعث يوم القيامة امة وحده .

وقال في السيرة ايضاً ص ٧٣ و ٧٦ قال رسول الله في مجلس ذكر قس بن ساعدة فيه : رحم الله قساً يحشر يوم القيامة امة وحده .

الى كثير من هذا اللون مما نسب اليه صلى الله عليه وآله وسلم .  
اقول بناءً على مقتضيات هذه الأحاديث وتمشياً على ضوء معطيات هذه الأخبار فالجنة هي المأوى لأبي طالب بصورة اولى وأحق ، لأنه رضي الله عنه ادرك الاسلام واستنار بأنواره ، كما حياه وجاهد دونه .

وأما الشريد وزيد بن عمرو وقس بن ساعدة فانهم ماتوا في الزمن الجاهلي ، وما ادركوا الفرض الذي شع فيه نور الاسلام ورفرت فيه أعلام الدين ، وقد حكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من أهل الجنة ومن البديهي ان الجنة محرمة على غير المؤمنين وغير المتدينين .

ثم اذا كان الشريد انما حكم عليه النبي بأنه من أهل الجنة المستلزم لأن يكون من أهل الايمان كل ذلك لمناسبة هجرته لطلب الدين الحنيفي

دين ابراهيم ولم يوفق له فمات قبل ان يصل الى شيء مما يبتغيه فاستحق بالهجرة وبها فقط. كان من اهل الجنة والايمان بالملازمة ، فما الظن بانسان كان على ملة ابراهيم ودينه الخفيف طوال حياته ومدة عمره ثم ادرك الزمن الاسلامي ، فانحاز الى نبي الاسلام ولازمه ودافع عنه دفاع المستميت ، ثم صدق النبي في كل أقواله واحاديثه ودلل على تمسكه بآلاف من المستمسكات والوثائق من شعر ونثر ، كما كان ذلك من ابي طالب رضوان الله عليه ، فلماذا إذاً ذلك التشكيك في ايمانه ؟ ! ولماذا إذاً ذلك التردد في تدينه ؟ ! مضافاً الى استغفار الرسول له وترحمه عليه وذكره بخير طوال حياته .

ويحدثنا المؤرخ جورج جرداق في مؤلفه الامام صوت العدالة الانسانية ١ / ١٥٤ عن بعض ما لعم النبي العظيم ابي طالب من المقامات الخالدة والمواقف الحميدة والخدمات الجليلة وما اختص به من مؤازرة الرسول والمحاماة عن الاسلام الى ان يقول : وقد كفل ابو طالب مجدداً ، فصار يحيا في جو الحنان والدعة وحسن التربية الذي خلفه الأب الراحل للابن المقيم ، وما ذلك منه الا استيناساً بما يعرفه من أمره وما يدركه من نفسه المتطبعة على حب محمد والتفاني في سبيله ، وان كان ذلك لا يفقده اكثر ابنائيه ، إلا ان الذي يحملها ابو طالب ناشيء عن تفهم وتعقل لحقيقة محمد وتصور لواقعه المرتقب ، لذا كان اسناد الكفالة اليه خاصة دون غيره من الأبناء الكرام .

والى ان يقول : وشخصية ابي طالب شخصية جميلة ، تطالعنا بحكمة الشيخ المحرب الذي يضع كل ما أوتي من طيبة وامانة وتجربة موضع العمل والتنفيذ ، حتى لكأن الله عز وجل لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتنشئته هذا العم الكريم ، وكان قوة الوجود الشاملة هيأت لأبي طالب ان يعلم من أمر ابن اخيه ما لا يعلمه غيره . فاذا ما في ابي طالب يشف

في نفس محمد ، فاذا هي جزء من ذاته يتكون وينمو تحت نظيرة العم  
الحب ، وكان ابو طالب اول من قال الشعر في الاسلام يفيض بالحب  
لمحمد ويدعو لنصرته .

والى ان يقول : ولم ينس ابو طالب دقيقة واحدة في حياته ، وانما  
هو عبقرية الخلق التي تميز بها بصورة عفوية واخوه عبد الله وابوهما عبد  
المطلب الذي شعر رسول الله بنقله انه فقد أعظم ركن يستند اليه ويدفع  
عنه اذى قريش ، وما كان الشعور والاحساس الا تدليلاً ، الا على تجاذب  
اسباب الخير بين محمد وعمه رب البيت الذي نشأ فيه وسما فيه خلقه . . .  
واذا كان من اسباب هذا الشعور بخسارة ابي طالب ان محمداً فقد  
به نصيراً يفديه بدمه ويدفع عنه الأذى ، وملجأً ضد قريش والمستبدن من  
الغلاة ، حتى انه قال « ما نالني من قومي سوء حتى مات عمي ابو طالب »  
فما لتعليل هذا الحزن العميق الذي غزى قلب محمد بموت عمه ، وما علمة  
هذه الكتابة ، وما كان محمد الا صبوراً حازماً وانثاقاً بنصر رسالته مهما كثر  
العدد وقل الصديق ، ومهما كان من شأن الأخيار والاشرار ؟

اجل ما علمة هذه الكتابة ان لم تكن الكارثة التي حلت بمحمد هي  
كارثة الانسان بأعز من يعطف عليه ويحميه ، وما تكون هذه الدموع الغزار  
إن لم تكن شاهداً على ان النبي كرجل أحس بأنه فقد من ذاته من حاضره  
وماضيه .

والى ان يقول جورج : وتستمر صلة المودة والإخاء بين محمد وعلي  
ويستمر بينها تعاطي الخير على انجاح الرسالة ، هذا التعاطي الذي يتماسك  
في اعماقه ويتحد منذ أن عرف محمداً ، ومنذ ان اجتمع الثلاثة في بيت  
واحد قام على مزايا الشهامة ، وما كانت خصائص البيت الطالبي إلا حافزاً  
لأبي طالب وابنه على فهم عبقرية محمد ، فهماً يتمثل لدى الأول شعوراً

وتضحية. ولدى الثاني فكراً جباراً وشعوراً عميقاً شاملاً أشبه بصنع المعجزات  
وذكر ابن الصبان الشافعي في مؤلفه المطبوع على هامش نور الأبصار  
للشبلنجي ص ٩ : لقد كان عبد المطلب قد كفل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بعد انتهاء مدة رضاعه ، ولقد اجاد الكفالة واحسن التربية ،  
وقدمه على اولاده واحبائه ، وعندما حضرته الوفاة اوصى به وعهد بأمره  
الى عمه ابي طالب لخصامته ومكانته في النفوس ، ولكونه شقيق عبد الله  
والد رسول الله ، وكان ابو طالب يفتخر بشرف كفالته وتربيته ، وكان  
يرى منه الخير والبركة. كشيخ عائلته فيما اذا أكل معهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . الى ان يقول ابن الصبان : وقد زوج ابو طالب النبي  
من خديجة بنت خويلد على صداق يتكون من اثني عشر اوقية من الذهب  
الأحمر ، قام به وجده من دون سائر اخوته .

وقال الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤٠ بمناسبة تعرضه الى تعداد  
زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزوجات اللاتي دخل بهن فقال :  
اولهن خديجة بنت خويلد ، وكان تزويجه بها بنظرية عمه ابي طالب وترجيحه ،  
وكان صداقها اثني عشر أوقية ونصف الأوقية من الذهب ، قام به وحده  
من خالص امواله .

وقال ايضاً : لقد توفي عبد المطلب عن اثني عشر ولداً ، وكان عبد  
الله والد رسول الله هو الأخير ، كما كان ابو طالب هو كبيرهم ، لذا قد  
جعل وصياً له وعهد اليه امر الكعبة وامر النبوة والوصاية بالمحافظة على رسول  
الله واحاطته ، وكل اولاد عبد المطلب أدركوا الاسلام. ولكن ابا لهب بقي  
مصرأ على نكران النبوة. ورفض البعثة والرسالة. ومقاومة رسول الله حتى  
مات .



ويحدث اليعقوبي في تاريخه ١٠ / ٢٦ بعد ان يصل الى ترجمة عم الرسول العظيم ابي طالب ويذكر مقداراً من خدماته وتضحياته في سبيل الدين والإسلام ومساندته لرسول الله ومؤازرته له على اداء رسالته ثم ايمانه به وامر ولده واسرته باتباعه واقتفاء اثره ، ثم قال : توفي ابو طالب عن عمر يناهز التسعين عاماً ، قضاها بخدمة بيت الله الحرام وسدانة الكعبة وخدمة رسول الله ، ولما اخبره علي بن ابي طالب بوفاة عمه بكى كثيراً وتوجع عليه قلبه واشتد لفقده حزنه ، ثم نهض صلى الله عليه وآله وسلم مسرعاً ، فجاء الى دار عمه فوجده مسجى ، فمسح جبينه بيده الشريفة ثم قال : رحمتك الله يا عم ، فقد ربيت صغيراً وكفأت كبيراً ، فجزاك الله عني خيراً . وبعد ان رفعت الجنازة مشى خلفها رسول الله وهو يردد : وصلتك رحم يا عم ، وجزيت خيراً يا عم . اعلّموا أيها الناس ان الله سبحانه وعدني في اربعة ان لا تمسهم النار : ابي عبد الله ، وامي آمنسة بنت وهب ، وعمي ابي طالب ، واخ كان لي في الجاهلية .

إلى ان يقول اليعقوبي : وقد اجترأت قريش وعملائها على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت عمه ابي طالب ، كما طمعوا فيه وهموا أن يقتلوه المرة تاو الاخرى ، لذا قد اضطر الى ان يعرض نفسه على القبائل العربية ، فلم ير منهم الا ما يؤذيه ويسوءه ، وقد تأمرت عليه وكانت هي خاتمة المطاف ان تقتله في فراشه ليلاً لتستريح منه ومن دينه ، ولكن الله عز وجل انقذ نبيه منها وامره بالهجرة من مكة بعد أن ينمى علي بن ابي طالب في مكانه وفي فراشه ، وهكذا تم خلاص رسول الله وتحقق نجاته من مكائد الكفر ودسائس اليهود المجرمة ، فخرج صلى الله عليه وآله من مكة مرغماً مكرهاً ، وقد خاطبها عند الخروج بقوله : يعز علي والله فراقك يا مكة ، يعز علي ان اغادرك وما عن قلاً كان فراقك لك .

ثم تصور عمه ابا طالب وقال : ما اسرع ما فقدتلك يا عم ، ولو لا  
فقدي اياك ما بلغ الحال بي الى ما هو الآن ، لامستعان الا بالله ولا ملجأ  
الا اليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ونقل اليعقوبي ٢ / ١١ بطريقه الى رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم انه قال ذات يوم لعمه ابي طالب : يا عم اني ارى في منامي رجلاً  
يأتيني ومعه رجلان آخران فيقولان عني هذا صاحبنا هو هو والله فاذا بلغ  
فشأنك به ، والرجل الساكت لا يتكلم . فسكت ابو طالب ملياً واطرق  
هنيهة ثم رفع رأسه الى النبي وقال : يا بن اخي هذه الروح الطيبة ، وانت  
يا محمد نبي هذه الامة ثم التفت الى ابنه علي وقال : يا بني اكرم فعلاً هذا  
الامر على ابن عمك كي لا تفتك به قريش ، واعلم يا بني اني على تحقق من  
ذلك من جدك عبد المطلب ، فانه قال لي يوماً : يا ابا طالب ان ابن اخيك  
محمداً هو النبي المبعوث في هذا الزمان .

وحدث ابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد ٣ / ٥٩ في باب  
ترجمة النبي صلى الله عليه وآله فقال : هو محمد بن عبد الله ، ولم يكن  
لعبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كفله جده عبد المطلب  
بعد أن ولد ، وكان قد مات عبد الله ومحمد حمل في بطن امه ، ثم كفله  
بعد عبد المطلب ولده ابو طالب ، وهو شقيق عبد الله والد رسول الله ،  
ومن ذلك كان اشفق عليه من جميع اعمامه واكثرهم خدمة له ، فلقد حياه  
ودفع عنه المكاره وامتدحه بالشعر وصدقه فيما يقول وعاضده على دعواه .  
وذكر ابو الفرج الاصفهاني في الاغانى بسنده الى النبي صلى الله عليه  
وآله انه قال : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب  
واخ كان لي في الجاهلية .

ونقل ابن ابي الحديد ٣ / ٣١١ بطريقه الى الرسول الاعظم صلى الله

عليه وآله وسلم انه قال : هبط علي جبرئيل فأخبرني عن ربي انه يقول : يا محمد اني مشفعك في بطن حملك آمنة بنت وهب ، وصاب انزلك عبد الله بن عبد المطلب ، وبيت آواك جدك عبد المطلب ، وحجر كفلك عمك ابي طالب ، وثدي ارضعك حليلة السعدية : واخ كان في الجاهلية .  
 وقال ابن ابي الحديد في نفس الصفحة والجزء قلت لأستاذي النقيب ابي جعفر الاسكافي : اهل صح عندك هذا الحديث ؟ قال : نعم اخرجته الصحاح والمسانيد . قلت : أهمل كان للنبي اخ في الجاهلية ، وهل هو من ابيه او من امه ؟ قال : لا ولكنه اخاً في المودة والصحة . قلت : أتعرف له اسماً ؟ قال : است ادري .

وحدث الشيخ المجلسي في البحار ٩ / ٢٩ فقال : قد اجمعت الشيعة على اسلام عم النبي العظيم ابي طالب رضوان الله عليه ، وانه آمن بالنبي وصدقه في دعوته ووازره على اداء دينه وشريعته ، واما قصة الايمان بالله في الزمن الجاهلي فهي لا تخص ابا طالب وحده ، بل هي تسري الى كافة آباء النبي واسرته الكريمة ، فانها ما سجدت لصنم قط وما عبدت لوثن ابداً ، بل كانوا من الأزل على عبادة الله وملة ابراهيم ، ولا نغالي فيما اذا قلنا ان على ذلك اكثر المؤرخين ، وقد ألفوا في ذلك مؤلفات خاصة مستدلين بأوثق المصادر ومعتمدين على أهم المستندات .

وقال ابن كثير في جامع الأصول : ولم يسلم على يدي النبي من اعمامه الا ثلاثة نفر ابو طالب والعباس والحزمة بن عبد المطلب ، ونقل المجلسي في بحاره عن تاريخ الطبري انه قال : وشعر ابي طالب يدل على ايمانه وتدينه ، وهو اكثر من ان يذكر .

وقال يحيى بن بطريق في المستدرک في ترجمة ابي طالب وبعده كلام طويل قال : وقد أيد ابو طالب النبي في بعثته ورسالته ، كما صدقه في جميع

اقواله وحديثه .

وقال ابن اسحاق في المغازي بعد ان ذكر كثيراً من شعر ابي طالب ونثره الاسلاميين : ان هناك مواقف لأبي طالب تدل بوضوح على ايمانه ودينه ، مضافاً الى شعره وخطبه ، فمن تلك المواقف تبين السرور والفرح على ملاحمته عند كل بشارة تصله او يسمعا من الرهبان والأخبار والعرفاء والكهان عن مولد محمد ونبوته ، وقد انشأ على اثر نصيحة الراهب بحيرا بعد إخباره بتنبؤ رسول الله لأبي طالب فقال :

ان ابن آمنه النبي محمداً	عندي بمثل منازل الأولاد
فأمرته بالسير نحو عمومة	بيض الوجوه مصالت الانجاد
ساروا لابعد طية معاومة	لاقوا على شرك من الرصاد
خبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً	عنه ورد مكاييد الحساد

وذكر الحجة الطبسي في كتابه ذرايع البيان ص ١٠٨ : وروى صاحب المناقب ١ / ٤٢٥ ، وصاحب روضة الواعظين قالوا جميعاً بطريقهم الى فاطمة بنت اسد أنها قد حدثت زوجها ابا طالب بما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله حين ولادته من البراهين والآيات وسماع حفيف اجنحة الملائكة الى رؤيا قصور كسرى وقبصر ، فقال لها ابو طالب : ولا من عجب يا فاطمة ، ان محمداً نبي هذه الامة ، فانتظري سبتاً ستلدين وزيره ووصيه ، فحسبوا ثلاثين سنة فولدت فاطمة علياً .

وتحدث الطبسي اخذاً عن كتاب مولد علي للبكري عن ابن بابويه القمي أنه قال : رقد ابو طالب ذات يوم عند الحجر الأسعد ، فرأى فيما يرى النائم كأن باباً قد افتتح عليه من السماء فنزل منه نور فغمره ، فانتبه فزعاً مزعوباً للحادث ، فقصد كاهن الجحفة فقص عليه ما رآه ، فأنشأه الراهب عند سماعه ذلك منه :

ابشر أبا طالب عن قليل  
بالولد الخلا حل النبيل  
بالقريش اسمعوا تأويلي  
هذان نوران على سبيل  
كمثل موسى واخيه السؤل

قال ابو طالب : وما تأويل ذلك ايها الراهب ؟ فقال : يولد لك مولود يا ابا طالب عظيم أمره جليل خطره ، يكون لمحمد كما كنت له .  
ففرح ابو طالب للخبر وابتهج ابما ابتهاج ، وتوجه الى الكعبة متوسلاً الى الله - عز وجل ان يحقق الخبر وينجز الأمر ، ثم صار يطوف بالبيت الحرام وهو يردد :

اطوف لله حول البيت      ادعوك بالرغبة محبي الميت  
بأن تريني السبط قبل الموت      اغر نور يا عظيم الصوت  
منصلاً يقتل اهل الجب      وكل من دان بيوم السبت  
وهكذا ظل يطوف ويقرأ الى ان شعر بالتعب والاعياء ، فعاد الى الحجر فالتف بعباءته ونام ، فأغنى فرأى في منامه وكأنه قد البس اكليلاً من ياقوت ودر ، وسمع كأن قائلاً يقول : قرت عينك يا ابا طالب ، وظفرت يدك ، وحسنت رؤياك ، فأعطيت الولد ، مالك البلد ، عظيم الحمد ، على رغم من حسد فانتبه هذه المرة فرحاً مستبشراً شاكرآ لله تعالى على نعمائه وتحقيق مبتغاه ومراده ، فعاود الطواف وهو يردد :

ادعوك رب البيت والطواف      والولد المحبوب بالعفاف  
تعيني بالمن اللطاف      دعاء عبد بالذنوب واف  
ياسيد السادات والأشراف

ولما ان صدقت رؤياه وتحقق حلمه وظهرت الى الوجود غايته وولد له سيد الأولين والآخريين بعد النبي الأمين صلى الله عليه وآله ذاك هو علي بن ابي طالب امام المتقين وأمير المؤمنين ، فبادر ابو طالب فلازم

الطواف حامداً لله وشاكراً فضله وانعامه ، وهو ينشيء :

قد صدقت رؤياي بالتعبير      ولست بالمرتاب في الأمور  
ادعوك رب البيت والنذور      دعاء عبـد مخلص فقير  
فاعطني ياخالتي سروري      بالولد الحلا حل الذكور  
يكون للمبعوث كالوزير      يالها يالها من نور  
فيطحن الأرض على الكرور      طحن الرحي للحب بالتدوير  
ان قريشاً تبيت بالتكبير      منهوكة بالويل والثبور  
فألهـا من حائط مجير      من سيفة المنتقم المبير  
وصفوة الناموس في السفير      حسامه الخاطف للكفور

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣١٥ : ان شعر ابي طالب قد أصبح متواتراً حتى ولو كانت آحاده غير متواترة الا ان مجموعه كان متواتراً ، يدل بواسطته على امر مشترك واحد ، هو تأييد رسول الله وتصديقه ، نظير قتلات علي بن ابي طالب ، فانها وان نقلت آحاداً ولكن المجموع من حيث المجموع يفيدنا العلم بشبوت شجاعته عليه السلام ، وكذلك القول فيما يروي من سخاء حاتم الخ .

\* \* \*

اقول لا مجال الى تردد ابن ابي الحديد هذا وتشكيكه ابدأ وبأبي حال من الأحوال ، بل ان شعر ابي طالب آحاده متواترة كتواتر مجموعه ، اذ لا نعي بالتواتر وكما هو معروف لدى اهل العلم والفقهاء من اخبار جماعة من المحدثين بخر متحد لفظاً او مضموناً يمتنع منه عادة التواطؤ على الافتراء والاختلاق والكذب والافتعال ، وهو متحقق ذاتاً وروحاً بالنسبة الى ما ذكره المؤرخون من شعر ابي طالب رضوان الله عليه ، وهكذا الحال بالنسبة الى ضربات امير المؤمنين علي ، فان آحادهما اشهر من ان

تذكر واجل من ان توصف ، وقد سجلها المخالف والمؤلف ، اللهم إلا ان يكون للمتواتر عند ابن ابي الحديد معنى خاصاً ومصطلحاً متميزاً لا نعرفه ولا نتميزه .

ونقل الطبرسي في الذرايع ص ١٠٤ بطريقه الى مقاتل انه قال : لما رأَت قريش النبي وقد علا امره وانتشر صيته وظهرت دعوته ، تداولوا امرهم فيما بينهم وقالوا : لا نرى محمداً الا ازداد تكبراً وتجبراً ومعنوية ، وما هو الا ساحر كذاب ، فلنعقد النية من الآن على قتله اذا مات ابو طالب ، في حال ان اباطالب كان مريضاً وعلموا ببندو امارات الموت عليه . فهم ابو طالب بما نووه وبيتوه للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ يجلس وكأتما قد نشط من عقل ، ثم ارسل على جميع بني هاشم ، فحضروا كافة فعرفهم على مؤامرة الشرك والكفر وأوقفهم على جلية تصميمهم من قتل محمد رسول الله ، الأمر الذي يحدهم الى التعاضد والتكاتف ومساندة محمد وصيانتهم من عبث العابثين ودسائس المجرمين اليهود : يا قومي واسرتي يا اولادي واحبتي ان ابن اخي محمداً نبي هذه الامة ورسول هذا الزمن ، وانه نبي صادق وامين ناطق ، وان له شأنأ عظيماً . وان مكانه من الله اعلا مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وقاوموا عدوه وسيروا وراء حوزته ، فانه الشرف لكم ما بقي الدهر .

ونقل الطبرسي في الذرايع ص ٩٠ نقلا عن السيرة الهاشمية ١ / ١١٣ عن ابن اسحاق انه قال : كان ابو طالب لا يفارق النبي ابداً في حله وترحاله ، حتى انه حماه معه في سفرة تجارية الى الشام ، فحطت المقافلة انقالها في اثناء الطريق ، فالتحى ابو طالب برسول الله ناحية ففرش له واجلسه ، واذا براهب يستطرق ، فرأى غمامة تفضل النبي عن حرارة الشمس ،

فاستغفره الحادث فصار يتأمل في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله مدة ثم أقبل إليه مسرعاً فجثى بين يديه خاضعاً خاشعاً ، ثم أهوى على يديه ورجليه يقبلهما وقال أأنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ قال النبي : نعم انا محمد بن عبد الله .

قال : يا محمد عندي عدة أسئلة اود ان تجيبني عليها .

قال : نعم سل عما بدى لك .

فصار يسأل والنبي يجيب وهو يقول : صدقت يا محمد هكذا كان في التوراة ، لكن ببي عندي شيء واحد ارغب ان تطلعني عليه .

قال : وما ذاك ايها الراهب ؟

قال : ان تكشف لي عما بين كتفيك ، فسكت النبي وتأمل ، فقال

الراهب : يا ابا طالب ان ابن اخيك حاذر مني قم انت تول ما طلبته .

فقام ابو طالب فرفع الثوب عن كتفي رسول الله ، واذا بنجاة النبوة مطبوع بين كتفيه ، فأهوى عليه يقبله ويتبرك به وهو يقول : يا ابا طالب قدم الحفاظ على حياة محمد على كل عزيز عندك وغال عليك ، اني ارى لك ان ترجع عن سفرتك بائن اخيك هذا الى وطنه ، فاني احذر عليه واحاف عليه من اليهود ، فانهم ان وقفوا منه على ما وقفنا انا عليه منه لا يستدبرونه حتى يقتلوه . فسمع ابو طالب نصيحته وعاف ثروته وتجارته وكر راجعاً الى مكة .

قال ابن هشام : وكان خاتم النبوة المنطوع بين كتفي النبي مثل اثر

الحجامة .

وقال ابو سعيد الواعظ في مؤلفه شرف المصطفى والقاضي في المواهب :

لما دنت الوفاة من عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله ادنى

اليه ولده الأكبر ابا طالب ، وكان يعتمده في مهامه وقضاياه ، فقال له



بابني يوشك عما قريب ان افارق هذه الدنيا واكون في جوار ربي وزمته ،  
وفي نفسي شيء يهمني ويعنيني كثيراً هو المحافظة على محمد وصهائنه والحرص  
على سلامته وراحته .

فقال ابو طالب : يا ابتاه جعلت فداك ومن كل مكروه وقاك ، الله  
يعلم ويشهد لم يكن عندي شيء في هذا الوجود اعز علي او اهم عندي  
من محمد ، فهو روعي التي بين جنبي ونور عيني ، ففهرهنا يا ابتاه وطب  
نفساً ، فاني سأقوم بكل ما يسرك من خدمتي الى محمد ومحافظة علي  
ومفاداتي اياه بدمي وحياتي وكل عزيز علي .

وحدث صاحب البحار وجاء في المناقب كما حدث ابن وكيع في تفسيره  
عن سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم عن ابيه عن ابي ذر الغفاري  
انه قال : كان ابو طالب مجموعة معارف واضمات من الفضائل والمآثر ،  
له احاطة واسعة بشتى اللغات ، ولا سيما اللغة الحبشية ، والله الذي لا اله  
إلا هو مامات ابو طالب الا مسلماً مؤمناً ، وقد استظهر الحبشون منه  
اسلامه وایمانه بلغتهم .

وقال صاحب الكافي بطريقه الى اسماعيل بن زياد عن الامام الصادق  
عليه السلام ان ابا طالب لشدة تمسكه بالدين وحرصه عليه ورغبة منه بالابانة  
عنه بكل صورة ووسيلة تحتتمها المناسبات وتفرضها الظروف الخاصة ، قد  
دلل على ذلك امام جماعة لهم إمام بعلم العقود ومعطياتها ، فوجدوا قد عقد  
بيده ثلاث وستين عقداً ، فقالوا : انه قال اشهد ان لا اله الا الله محمد  
رسول الله ، فعقد الخنصر والبنصر وعقد الابهام على الوسطى يكون ثلاثة  
وستين عقداً يرمز بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم  
بالرسالة .

ومما يؤيد ذلك مارواه شعبة عن قتادة كما نقله القاضي في المواهب

والطبيسي في الذرايع في حديث طويل نقتطف منه ما يخص الموضوع قالوا جميعاً : قال الحسن البصري : لما حضرت ابا طالب الوفاة ادنى اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يشمه ورائحه وهو يبكي ويقول : سوف اخرج من الدنيا الى رحمة ربي ولا غم يلم بي الا غمك ولا هم يهمني الا همك . فقال له رسول الله : يا عم لا تكن في ضيق من اجلي ، الله يا عم ارحم الراحمين ، فجزاك الله عني يا عم خير جزاء المحسنين ، لقد كفلت وأدبت وناصرت وحاميت ، وفي نفسي شي اريد ان تجلد به العهد وليكون ذلك سنة باقية وليكون آخر نطق تخرج به من عالم الدنيا ، هو ان تشهد الا إله الا الله وان محمداً رسول الله .

قال العباس بن عبد المطاب للنبي : يا بن أخي لقد قال عمك الكلمتين اللتين امرته بهما . ثم عقد ابو طالب بيده ثلاثة وستين عقدة ، فقال علي عليه السلام حين رأى عماية العقود تلك وكأنه قد فهم مراد ابيه : الله اكبر ، فوالذي بعثك بالحق يا رسول الله نبياً لقد شفعتك الله في عمك ، ثم التفت الى ابيه وقال : شاء الله لك يا ابتاه ان تسودنا في الجنة كما سدتنا في الدنيا .

ونقل النقدي في المواعب والطبيسي في الذرايع عن جملة من المفسرين انهم قالوا : نزل على اثر وفاة ابي طالب على رسول الله قول الله تعالى : « يا عبادي الذين آمنوا إن ارضي واسعة فإياي فاعبدون » فاستفاد رسول الله منها انها ترجيح له بالهجرة عن مكة ، لغاية ان يتخلص من اذى الشرك ومؤامرات اليهود الكافرة ، وبالتالي صمم صلى الله عليه وآله على مغادرة مكة وواصل السير الى المدينة .

وذكر صاحب اكمال الدين والعال بسنده الى محمد بن احمد الداوردي عن ابيه انه قال : كنت قد حضرت مجلساً عند ابي القاسم الحسين بن روح

اذ سأله رجل فقال : ياسيدي ما معنى قول العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله في مناسبة جرى فيها ذكر ابي طالب : يا بن اخي كنت انا واخي ابو طالب في مجلس يحتوي على جماعة يزعمون انهم على اطلاع بعلم العقود وحساب الجمل ، اذ يعقد ابو طالب بيده ثلاثة وستين عقداً ، فقال الحاضرون ان معنى ذلك إله أحد جواد . فقال الحسين : نعم الأمر كذلك وانا شارح كيف ان عمل عم الرسول يشير الى ذلك بالتفصيل : فالألف واحد ، واللام ثلاثون ، والهاء خمسة ، والألف واحد ، والحاء ثمانية ، والدال اربعة ، والجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والألف واحد ، والدال اربعة ، فذلك ثلاث وستون .

اقول : ان هذه الفكرة من عم الرسول العظيم إن دلت على شيء فهي انما تدل على انه رضي الله عنه كان يتفنن باظهار ما يدل على ايمانه وتدبيره ، ويتكيف حسب الظروف والمناسبات ، وهذه القضية لم تكن ممتصورة على ذكر صاحب اكمال الدين فقط ، بل ذكرها جملة من المحدثين والمؤرخين ، مثل ابن الجوزي في التذكرة وابن ابي الحديد في شرح النهج والمجاسي في البحار والصدوق والسيد علي خان في درجاته والسيد ابن فخر الموسوي في الحجّة والقاضي في المواهب .

\* \* \*

ورأينا ان نصير الى ما قبل في حق ابي طالب وفضله من الشعر الراقي والنظم الكريم ، وقد اخترنا من ذلك ما يلي بعد هذا البيان القصير . فنقول :  
لقد مجد الكثير من عباقرة الشعر والأدباء العباقرة شخصية عم الرسول الهاشمي ابي طالب ، وعددوا قسماً من فضائله وجملة من محامده ومحاسنه ، واخباره مما يتمتع به من مزايا وتوضيحات في سبيل اعلاء كلمة الله والحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .

نعم نظموا الشيء الكثير . جمعه يتوقف على تحضير مجلد كبير ، ولكن  
 تشبهاً مع سيرتنا في مؤلفنا هذا من الاختصار تقتطف بعض ما قيل قديماً  
 وحديثاً ، ولعلنا نوفق الى مجموع ما نلت به شفقتا الشعراء الأماجد ، فنخصص  
 له مؤلفاً منفرداً انشاء الله .

اول مقطوعة تظالنا فهفت لها نفوسنا ومشاعرنا هي مقطوعة لسيدنا  
 ومولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، قالها راثياً اياه العظيم  
 بعد وفاته :

أرقت لنوح آخر الليل غردا	يذكرني شجواً عظيماً مجددا
ابا طالب مأوى المساكين والندی	وذو الحلم لا خلقاً ولم يك قعددا
أخا الملك خلى ثلثة سيسدها	بنو هاشم او يستباح يهمدا
فأمست قريش يفرحون بموته	ولست ارى حياً يكون مخلدا
ارادت اموراً زينتها حلومهم	سنورد لهم يوماً من الغي موردا
يرومون تكذيب النبي وقتله	وان يفترى قدماً عليه ويحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم	صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبدو منظراً ذو كربة	اذا ما تسربلنا الحديد المهندا
فاما تبيدونا وإما نبئدكم	وإما تروا سلم العشيرة ارشدا
وإلا فان الحى دون محمد	بنو هاشم خير البرية محتدا

وله ايضاً الأبيات التالية يشرك فيها بالثرء بن ابيه الزعيم وزوجة  
 رسول الله ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، من حيث انها قد انتقلا الى  
 رحمة الله ورضوانه في عام واحد :

أعيني جودا بارك الله فيكما	على هالكين ما نرى لها مثلا
على سيد البطحاء وابن رئيسها	وخيرة النسوان أول من صلى
فبينها اوصي الى الحق والهدى	فبت أقاسي فيهما الهم والنكلى
هما نصرا في الله دين محمد	على من بنى في الدين رام به الا

وقال السيد زيني رحلان في اسنى الطالب : وقد قيل في فضل عم  
الرسول ابي طالب هذه الأبيات ، والله در قائلها ، واكثر الظن انه هو  
قائلها :

قفنا بمطلع سعد عزنا وبه  
واستقبلا مطلع الانوار في افق  
مغنى به وابل الرضوان منهمر  
قفنا فذا بلبل الافراح من طرب  
واستمليا الأحاديث العجائب عن  
حامي الذمار مجبر الجار من كرم  
عم النبي الذي لم يشنه حسد  
هو الذي لم يزل حصنا لحضرته  
فكل خير ترجاه النبي له  
قد خصك الله بالختار تكاؤه  
عنيت الحب في طه ففزت به  
كأشمت آيات صدق يستضاء بها  
من الذي فاز في الماضين اجمعهم  
كفلت خير الورى في يتمه شغفاً  
عضدته حين عادته عشيرته  
نصرت من لم يشم الكون رائحة  
إن قت في تأييد شرعته  
ان الذي قد احببت طلعتة  
لله درك من قناص فرصته  
يهنيك فوزك ان قدمت منك يداً

واما شرح شوقي في مغانيه  
الحجون واحترسا ان تبهرا فيه  
ونائرات الهدى دلت مناديه  
يروى بديع المعاني في اماليه  
بحر هناك بديع في معانيه  
منه السجايا فلم يفلح مباريه  
عن نصره فتعالى في مرضيه  
مرفقاً لرسول الله يحميه  
وهو الذي قط ما خابت مساعيه  
وتعتز به فخراً وتطريه  
ومن نيل حب طه فهو يكفيه  
فتملاً القلب ايماناً وتحبيه  
بمثل ما فزت من طه وباريه  
وصرت بالروح والابنا تقديه  
وكنت صائته من بغي شانيه  
الوجود لو لم يقدر كونه فيه  
هو الذي لم يكن ابدأ شيء يساويه  
حبيب وكل شيء في اباديه  
حين شمت بروق امان من نواحيه  
الى وفي صفى عظيم في نواحيه

من يسد أحسن معروف لأحسن مخلوق

ينسل فوق ما تبغي إمانيه

فيا سعيد المساعي في متاجره قد صبت ربك استهمي غواده

مستمطراً منك مزن الخير معترفاً بان غرس المنى يعنى بصافيه

وحدث اهل السير والتراجم - منهم الحلبي وابن هشام في سيرتيهما -

ان جماعة من الأعراب المجاورين الى مكة المكرمة قد منسوا بقحط شديد

وازمة اقتصادية حادة ، وذلك على اثر انجباس المطر عنهم ، فأوقف سير

حركتهم المعاشية ، فقصدوا رسول الله ليستسقي لهم حتى ينكشف ما بهم من

ضر مسهم وكانوا قد صوروا حاجتهم تلك بأبيات كان مطلعها :

اتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغات ام الصبي عن الطفل

فاستصحر رسول الله صلى الله عليه وآله يسأل الله عز وجل لهم

الفرج والغوث ، وما ان استتم دعاءه حتى امر الله السماء أن تلقي عزاليها ،

فنزل المطر كأفواه القرب ، فاستبشر الناس وفرحوا فرحاً عظيماً ، فتبسم

رسول الله عند ذلك وقال : رحم الله عمي ابا طالب ، لو كان حياً لقرت

عينه . فقام الشاعر عند سماعه هذه الكأمة من النبي في حق عمه العظيم ابي

طالب ، فانشأ بين يديه وقد شرك في المدح بينه صلى الله عليه وآله وبين

عمه ابي طالب فقال :

سقيننا بوجه النبي المطر

واشخص منه اليه البصر

واسرع حتى رأينا المطر

وابيض تسطع منه الغرر

وهذا العيان لذلك الخبر

ومن يكفر الله بلقى الغير

لك الحمد والحمد ممن شكر

دعا الله خالقه دعوة

فلم يك الا كالقاء الرداء

فكان كما قاله عمه ابو طالب

به الله يستقي صوب الغمام

فن يشكر الله يلقي المزيد

هذا والنبي صلى الله عليه وآله صاغ فرح بما يقوله ، وبعد ان فرغ  
قرضه رسول الله فقال له : يا كناني ان بك شاعراً يحسن الشعر فقد احسنت  
واجدت .

اقول : وقد علق السيد البرزنجي الشافعي في مختصره على قولة النبي  
صلى الله عليه وآله وسلم « رحم الله عمي ابا طالب لو كان حياً لقسرت  
عينه » فقال : وتلك شهادة خير من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله  
وسلم في حق عمه الزعيم ابي طالب ، كما انها بيان عن واقع ابي طالب من  
انه كان يفرح بتكثُر كرامات رسول الله وفضائله وبما يفتح الله على يديه  
من الخيرات والبركات ، وذلك من أفضل علامات الايمان .  
وقال عبد الحميد بن ابي الحديد يمتدح ابا طالب وابنه علياً عليهما  
السلام :

لما مثل الدين شخصاً فقاما	ولولا ابو طالب وابنه
وهذا بيثرب خاض الحماما	فذاك بمكة آوى وحامى
واودى فكان يملئ ختاماً	تكفل عبد مناف بأمر
قضى ما قضاه وابقى شماما	فقل في ثبير مضى بعدمـا
ولله ذا المعالي ختاماً	فله ذا فاتحاً للهدى
جهول لغني او بصير تعاما	وما ضر محمد ابي طالب
من ظن ضوء النهار الظلاما	كما لا يضر آيات الصباح

وذكر السيد علي خان في درجاته الرفيعة : ابياتاً للسيد الشريف عبد الله  
ابن حمزة الحسيني رئيس الطائفة الزيدية يمتدح بها جده الأعلى ابا طالب ،  
نقتطف منها هذين البيتين لأنها بيتا القصيد :

حماه ابونا ابو طالب	واسلم والناس بعد لم تسلم
وقيل كان يكرم ايمانه	وأما الولاء فلا يكرم

وذكر السيد زيني دحلان هذه الابيات للشعراني :

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما  
فان يكن نسب الاصحاب ان له  
اما اذا اختلفوا فالرأي أن ردوا  
تتابعاً. لمتبتي الايمان من زمر  
هم عدول ثقات في مطالبهم  
لا تزدرهم اندري من هم فهم  
هما السيوطي والسبكي مع نفر  
واهل كشف وشعرانهم وكذا

أبدى ابو طالب في حق من عظماء  
ناراً فله كل الكون يفعل ما  
موردأ يرتضيه عقل من سلما  
في معظم الدين تابعناهم فكما  
فلا تقل انهم لم يبلغوا عظماء  
هم عرى الدين قد اضحوا الزرعما  
كعدة النقا حفاظ اهل حما  
القرطي والسحيمي الجميع كما

اقول : الذي يستشف من ذوق قائل الأبيات انه اشعري الطريقة والمبدأ ، فانه اظهر في البيت الأول تألمه وتوجهه كلما اطلع او قرأ عن مواقف ابي طالب وخدماته واستماتته في سبيل الله ، وازاء المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن الطبيعي لا بد وان يكون لبكائه وتأثره دافع وسبب ، وما ذاك الا استجابة مظلومية ابي طالب وسكوت بعض المحدثين والمؤرخين عن واجب حقوقه ، وتفحص البعض الآخر الى الخط من قدره والنيل من سمعته وكرامته ، في حال انه يجب ان لا يذكر الا بخير وان لا يشار اليه الا بكفالة الرسول ونصرتة لدينه وتأييده لشريعته ، وذلك لما يفرضه الواجب الانساني والأدبي ، والواقع الذي سجله التاريخ لعن الرسول العظيم .

اما الشطر الأول من البيت الثاني فيفيد الاستنكار وعدم الرضا بما نسبه بعض المؤرخين من رواة ومحدثين من نسب تنافى ومقام عم النبي العظيم وقداسته .

وأما الشطر الثاني فنه تظهر عقيدته الاشعرية الهادفة الى ان نسبة المائة



على غير الايمان الى ابي طالب وان قال بها بعض الإهامل من علماء وثقة - الا ان الحكم لله وحده يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا يعارض في حكمه ولا ينازع في أمره ، يدخل الجنة من يشاء ويدخل النار من يشاء ، وعليه فن الممكن اذا ان يصدر الأمر منه تعالى باذنه الى ابي طالب الى الجنة ، واذا كان كذلك يبطل استدلال الجماعة القائلين بأنه في ضحضاح من نار ، لأنه متى ما قام الاحتمال بطل الاستدلال .

ثم اظهر معتقده وأبان عن تأييده للجماعة الذين ذهبوا الى ايمان ابي طالب ، لأنهم ممن لا يناقش في ورعهم وتقاهم ، ولا يتخذه في وثاقتهم ورواياتهم ، اذا قولهم الحق والصدق ، والحق احق ان يتبع .

وللسيد علي خان صاحب الدرجات الرفيعة هذه الأبيات :

ابو طالب عم النبي محمد	به قام أزر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر كلها	مؤازره دون الانام وكافلته
لئن جهات قوم عظيم مقامه	فما ضر ضوء الشمس من هو جاهله
أقر بدين الله جهراً وشرعه	فقال عدو الحق ما هو قائله
وماذا عليه وهو في الدين هضبة	اذا عصفت من ذي العناد أباطله
وكيف يحل الذم ساحة ماجد	واخره محمود واوائله
عليه سلام الله ماذر شارق	وما تليت أخباره وفضائله

وللحجة الشيخ محمد الحسين الاصفهاني قدس سره هذه الارجوزة :

نور الهدى في حق عم المصطفى	في غاية الظهور في عين الخفا
في سره حقيقة الايمان	سر تعالى شأنه عن شان
ايمانه يمثل الواجب في	مقام غيب الذات والكنز الخفي
عند أولي الأبصار	اجلى من الشمس ضحى النهار
وهو كفيل خاتم النبوة	وعنه قد حامى بكل قوة

وركنه الشديد في أوامره  
وكهفه الحصين عند شدته  
وحرزه. الحريز في ضرائه  
من حرز ياسين وكهف طه  
حتى استوت قواعد الإسلام  
حتى علا امر النبي الهادي  
بصولة ذلت لها الجبابره  
وكافل لسيد الانعام  
لصاحب الدعوة والرساله  
أمضى من السيف على اعدائه  
ما جعل العالم زاهي النور  
وأنه على هدى من ربه  
وكل نور هو من نور طوره  
ومطلع الشمس والاقمار  
وكيف وهو مشرق كل شارق  
ملك عرش ابا عن جد  
فهو تراثه عن الأكابر  
فيا له من شرف اصيل  
ملاذها من نوب الزمان  
ذرى الضراح والسموات العلى  
وهو لعمرى منتهى الفخار  
بل وبه اضاءت السماء  
لأهله نور العلي الأعلى  
ابو الميامين الهداة الخلفيا

ناصره الوخيد في زمانه  
عميد أهله زعيم أسرته  
حجابه العزيز عن اعدائه  
فما أجل شرفاً وجاهلاً  
قام بنصرة النبي السامي  
جاهد عنه اعظم الجهاد  
حماه عن قريش الكفره  
اكرم به من ناصر وحامي  
كفاه فخراً شرف الكفاله  
لسانه البليغ في ثنائيه  
له من المنظوم والمنثور  
ينبي عن ايمانه بقلبه  
وأشرقت ام القرى بنوره  
وكيف لا وهو ابو الأنوار  
مبدأ كل نير وشارق  
بل هو بيضاء كل مجد  
له السمو كبراً عن كابر  
ازكى فروع دوحه الجليل  
بل شرف الأشراف من عدنان  
له السمو ما يسمو على  
ووالد الوصي والطيار  
بنوره اضاءت البطحاء  
كيف ومن غرته تجلى  
وكيف لا وهو كفيل المصطفى

فحاز بالسؤدد كل مكرمه  
بل شرف المشاعر العظام  
بل مستجار كعبة الايمان  
تم لداعي الحق امر دعوته  
لولاه فهو اصل دين الباري  
في ظله دعى الى الاسلام  
مكرمة مانالها سواه  
كفاه هذا في علو همته  
مآثر تحلوا بها الآثار  
من قصرت عن شأنه النعوت  
لكنه يجاوب القابوب ذكره

ساد الورى بمكة المكرمه  
بل هو فخر البلد الحرام  
وقبله الآمال والأمانى  
وفي حى سؤدده وهيبته  
ما تمت الدعوة للمختار  
كيف وظل الله في الانام  
وانتشر الاسلام في حماه  
رايته علت بعالي همته  
مفاخر يعلو بها الفخار  
ذاك ابو طالب المنعوت  
يجل من اي مديح قدره

والشيخ محمد الحسين قائل هذه الارجوزة العظيمة التي تتناسب ومقام  
عم النبي الكريم هو من اعظم العلماء والعلماء الأعظم ، له في كل فن يد  
طولى وإمام لا يضاهى ، لقد برع في الفقه والأصول والفلسفة ، واوشك  
ان ترجع اليه الزعامة الدينية والتقليد العام في النجف الأشرف وغيرها . من  
البلدان الاسلامية ، لولا ان تفاجئه المنية فتحول دونه ودون الزعامة العامة  
وللسيد المحجة العلم السيد ميرزا عبد الهادي الحسيني الشيرازي هذه  
الاييات :

والدلائمة اعدال الكتاب اولي الامر  
ويزهو في مآثره شمعي  
تران به البطحاء في البر والبحر  
له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر  
تضوع به الأحساب عن طيب النجر

ولي مدحة في مدحة الندب  
هو العلم الهادي ازين بمدحه شعوري  
ابو طالب حامي الحقيقة سيد  
ابو طالب والحيل والليل واللوا  
ابو الأوصياء الغر عم محمد

لقد عرفت منه الخطوب محنكاً  
كما عرفت منه الخطوب أحنا ندى  
فلنا واحد الدنيا وثان له الحيا  
وأنا يحيط الوصف غر خصاله  
حمى المصطفى في بأس ندب مدجج  
فلولا نداء لم تنجح لظه دعاية  
وأمن بالله المهيمن والسورى  
وجابه اسراب الضلال مصدقاً  
كفى مفخرأ شيخ الأباطح انه  
وصلى عليه الله ما هبت الصبا

تدرع يوم البأس بالبأس والحجر  
روين سداه الغمر ملتطم البحر  
وقل في سناه ثالث الشمس والبدر  
وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر  
تدل له الأبطال في موقف الكر  
ولا كان للاسلام مستوسق الأمر  
لهم وثبات من يعوق ومن نسر  
نبي الهدى اذ جاء يصدع بالأمر  
ابو حيدر المندوب في شدة الضر  
برياتنا شيخ الأباطح في الدهر

والسيد الشيرازي قدس سره علم من اعلام الدين وبطل من ابطال  
العلم ، نبيغ في شتى أنواع العلوم ، واشتهر بالتقى والصلاح والعدل ، وشاع  
ذكره في الآفاق الاسلامية ، فقلده المسامون في امور دينهم ، الى ان انتقل  
الى رحمة ربه في سنة الف وثلثمائة واثنين وثمانين هجرية ، ودفن في مقبرة  
آل الشيرازي في جنب الصحن العلوي الشريف ، يزار قبره الآن من قبل  
رجال العلم واهل الدين ، طيب الله ثراه وحشره في زمرة اجداده الطاهرين .  
وللعلامة الكبير الشيخ محمد تقى صادق العاملي قدس سره هذه الأبيات :

كما بأبيه قام قدماً بنـاؤه  
ومبدأ عنوان الهدى وانتهائه  
وضم جميع المكرمات رداؤه  
ويلج في عرف الخزاي ثناؤه  
وكعبة قصد المرتجي اللاجي وغناؤه  
ويسمو به للنيرين رداؤه

بسياف علي قد اشيدت صروحه  
ابو طالب اصل المعالي ورمزها  
توحد في جمع الفضائل والنهى  
وتنحط عنه رفعة هامة السهى  
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه  
تخلق في جمع المكارم نفسه

اصاخ الى الدين الحنيف ملياً  
 وباع لإعزاز الشريعة نفسه  
 وللعلامة الكبير الشيخ محمد علي الأردبادي طاب ثراه هذه الايات :  
 وفي انواره زهت البطاخ  
 يلين به من الشرك الجماح  
 حمى الاسلام نهياً يستباح  
 عنت لمضائه البيض الصفاح  
 تحطم دونه السم الصفاح  
 عليه الحق يطفح والصلاح  
 قزم لنبله الابل الصلاح  
 حدها لملك الشرف الصراح  
 غرائر ما برحن به سجاح  
 وفيه الغوث ان عن الصباح  
 وتنفذ دونها الكلم الفصاح  
 له الدين الأصيل ولا يراح  
 وما عن حيدر فضل بزاح  
 لكل محاول قصداً تباح  
 وإن يك حوله كثر النجاج  
 فهل يخفى لذي عينين الصباح  
 بمرتبك الهوى لهم التباح  
 تصافقه الأمانة والنجاج  
 ججاجيح امامجة وضاح  
 لأهل الفضل فائره قساح

ومن لكانهور الهند هذه الأبيات ، فهي للعالم السيد علي نقى الكنهوي :

زهت أم القرى بأبي الوصي  
وقام بتصرة الاسلام فرداً  
وأبصر رشده من دين طه  
وآمن بالإله الحق صدقاً  
بنى للسؤدد العربي صرحاً  
تلقى الرشيد عن آباء صدق  
كأن الامهات لهم ائبن الا  
فكان على الهدى كأبيه قدماً  
وكان به رواء الشرع بدءاً

غداة غدا يذب عن النبي  
يرغم كل مختال غسوي  
فجاهد فيه في السر الخفي  
بقلب موحد بر تقوي  
مخاطاً بالفخار الهاشمي  
توارثه صفيماً عن صفي  
يلدن سوى نبي اووصي  
ولم يبرح على النهج السوي  
وتم بنجلاه الزاكي علي

وللعامة الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي هذه الأبيات مقتطفة

من قصيدة طويلة :

لولا ما شد أزر المسلمين ولا  
أوى وحاماً وسأوى قيد طاقته  
ما كان ذلك الحفاظ المرأطة  
بل للآله كما فاهت روايعه  
ضائق بما رحبت ام القرى  
فانصاع يدعو له بالخير مبتهلاً  
لولم تكن نفس عم المصطفى ظهرت  
عام به قضى عمه فيه وزوجته  
أعظم بمبكي المصطفى سنة  
من صلبه انبت الأبوار قاطبة

عين الخنيفة سالت في مجاربها  
عن خير حاضرها طراً وبادبها  
ارحام وضرب عروق فازعاليها  
العصاء في كل شطر من قوافيها  
برسول الله من بعده واسود صاحبها  
يدعو الى الحق لا ينفك داعيها  
ما فاه فوه بما فيه ينجيها  
قضاها بالحزن بيكيه ويبكيها  
أيامها البيض ادجي من لياليها  
فالمرتضى بدوها والذخر تاليها

وللقاضي الشيخ مجد السماوي هذه الأبيات :

غدا كسرة في يدي لاعب	فؤادي بالغادة الكعاب
فن طالع لي ومن غالب	كأنني بدائرة من هوى
بمنقطع النظر الصائب	بليت بمن ضربت خدرها
فمن مشرفي الى راغب	بحيث الصفاح وحيث الرماح
كأن ابانها ابو طالب	لها منعة في ذرى قومها
شيخ الاباطح من غالب	فخار الأبى وعم النبي
الى ذروة منه او غارب	وأمنع لا يرتقي اجل
يعود يتحية الناصب	اذا الرافع الطرف يرنو له
كما جرد الغمد عن قاضب	تهلل طلعتة للعيون
بأربعة كالسنا الشاقب	أقام عماد العلى سامكاً
ومثل عقيل الى طالب	بمثل علي الى جعفر
من قالص الذيل الى ساحب	اولئك لازمعات الرجال
على راجل ثم او راكب	ومن ذا كعبد مناف يطول
بمكة ممنوع الجانب	حمى الدين في سيفه فانبرى
لأمر جلي على الطالب	وآمن بالله في جهره
وآخر مبد له كاذب	وصدق احمد في وحيه
ومتجع الوافد والراغب	لنعم ملاذ الهدى والتقى
إذ الدين منفرد الصاحب	ومعتصم للدين في مكة
مدى العمر من وثبة الواثب	ومانع حوزة اهل الهدى
ينادي على المنهج اللاحب	فلولاه ما طفق المصطفى

ولفضيلة السيد مجد جواد فضل الله البناني هذه الأبيات :

وغاض الندى وتوارى النغم	عصاني البيان وجف القلم
على افقه همسات السقم	وأحسست ان الشعور الطليق

وغارت عيون الخيال الرقيق  
وقبشارة الوحي من وقعها  
وصباحة الشعر همس الخطوب  
أما ت بها النغبات الحسان  
هي الحادثات اذا ما انت  
الى ان يقول :

ابا طالب ياسليل الأباة  
تساقمت عرشاً بأفق الحياة  
مدى الدهر ذكر الكفي الخافقين  
حياتك سفر به قد لمسنا الثبات  
أبت لنا فيه سر الحياة  
وكيف تذب بهذى النفوس  
ابا طالب هل يوفي القريض  
محمد هذا اليتيم الذي  
تكفاته وهو غصن طري  
حنوت عليه وباريته  
فكنت له خير ام رؤوم  
وارشفته من كؤوس الحياة  
والمسته فيك عطف الأبوة  
وان الأمومة تحنو عليه  
الى ان تعدى للدور الشباب  
ونارت بأفكاره قبة  
وأبصر ان حياة الهدى

وكانت الى الشعر خير الأرم  
توارى الغناء بطي العدم  
على اقتها لاح منه السأم  
محل السكون بها وادهم  
تحيم فوق الشعور الظلم

وشيخ الاباطح وأصل الكرم  
فكنت به خالداً في الامم  
ترق فتبعث منها الهمم  
تفيض منه عاينا الحكم  
وكيف به عن الحق تجلى الغمم  
عن الحق حتى تذوق الحمم  
خصبالا بها بلغت القمم  
بنهضته هدأ عرش الأمم  
وغذيته بابان الشمم  
جنو الامومة بل أهم  
تباريه عند انسداد الظلم  
كؤوساً تبارك فيه الهمم  
دينأ تفيض منه عليه النعم  
وترشفه قبلات النهم  
وودع دور الصبا وانصرم  
من القدس تكشف عنها الظلم  
على معزل من حياة الصمم



وان الضلال تغشى الأمم  
عن الناس يعبد رب الحزم  
ان اقرأ عن اللوح ثم القلم  
فأنت رسول الاله العلم  
وانقذته من عظيم الغم  
طبعت لروحك ذكراً اشم  
وللعدل كافحت حتى احتكم  
بسه يحتمى عند ما يقتحم  
شناناً وهدماً مرير السقم  
تبشر بدينك دين الامم  
ففيك غدا جهراً يرض الصمم  
فلف بأفق الجهاد العلم  
فحلت محل الضياء الظلم  
يضيء عليها وبدرأ اتم  
نشيداً يرق عليه النغم  
وخلدت للمجد طوداً اشم  
يرف لواء فيمحو الامم  
فكان مثال العلي والشم  
وتحقق في جانبيها الشيم  
وتبعث من فوهته الهمم  
نسيم البطولة اذ يستشم  
فلف لواء الندى والكرم  
مناراً به تتوارى الظلم

وان الحقيقة قد ابهمت  
تفرد في غاره وانزوى  
فجأه الوجي باسم الإله  
وبلغ رسالتك العالمين  
فناصرته واتبعت الهدى  
اباطالب كنت في جبين الحياة  
عن الحق ناضلت حتى قضيت  
وكنت خير حصن حصين  
أذقت الذي بسه يبتغون  
وقلت لأحمد سر في الحياة  
ولا ترتعب من ضواري الخطوب  
أبا طالب قد طواك الردى  
وغامت دنا المجد آفاقها  
وكنت بها كالسراج المنير  
ترجع فيها بلحن الإباء  
فخلدت رمزاً لدنيا الكفاح  
أبا طالب من بأفق الجهاد  
ثبات وعزم به استوقدا  
وروح يرف عليه الأباء  
وقلب به تفيض العاطفات  
رحلت وانت بأفق الحياة  
أبا طالب اذ داهمتك المنون  
نعتك البطاح ومن في البطاح

ونكس عرش الهدى بعدما  
فخطبك خطب ولا كالخطوب  
وللقاضي الشيخ جعفر نقدي هذه القصيدة :  
برق ابتسامك قد أضاء الوادي  
وحيا خدودك فيه ري الصادي

والى ان يقول :

مهما تراكمت الخطوب فإنها  
عبد المناف الظهر عم مجد  
غيث المكارم ليث كل كربهة  
شيخ الأباطح من بصارم عزمه  
دانت لديه المكرمات رقابها  
جد الائمة شيخ امة أحمد  
سيف له المجد الأثيل حائل  
داعي الورى للرشد في عصره  
وله قريش كم رأت من معجزه  
كرضاعه خير البرية احمد  
وبشارة الاسد الهصور بنجله  
وكلامه بالوحي قبل صدوره  
ويوم مولد احمد لإخباره  
وله على الاسلام من من غدت  
كفل النبي المصطفى خير الورى  
رباه طفلاً واقتفاه يانعاً  
ولأجله عادى قريشاً بعدما  
ورآهم متعاضدين ليقتلوا

تجلى منى بأبي الوصي انادي  
الظاهر الآباء والأجداد  
غوث المنادي بدر أفق النادي  
بلغ الانام لخطبة الارشاد  
واليه ألقى الدهر فضل قيام  
ربع الاماني مربع الوفاد  
وله الفخار غدا حلي نجاد  
لا يعرف الناس به نهج رشاد  
عرفوه فيه واحد الآحاد  
وقبول دعوته لسقي الوادي  
وشفاؤه بدعا النبي الهادي  
وله انفجار الأرض لإذ هو صادي  
عن حيدر الكرار بالميلاد  
للمسلمين قلائد الأجياد  
ورعى الحقوق له بصدق وداد  
وحماه كهلا من اذى الاضداد  
سلكوا سبيل الغي والافساد  
خير البرية سيد الامجاد

شم الانوف مصالت الانجاد  
 والجاه والاموال والاولاد  
 تزهو شريعته بكل بلاد  
 رب العلى وعميد كل عماد  
 يحمي لأفصح ناطق بالضاد  
 فيه حديثاً واضح الاسناد  
 إذ قال فيه بمطرب الانشاد  
 عندي يقوق منازل الأولاد  
 وحفظت فيه منازل الاجداد  
 طهار ابناء النبي الهادي  
 باهلت فيه معاشر الحساد  
 ونزول اطار ونطق جهاد  
 فقتت به ابصار اهل عناد  
 عين رأتك الروح للأجساد  
 فرحت بها املاك سبع شداد  
 من خوف باسك شامخ الاطواد  
 اعداء مجدك عصبة الاحاد  
 احييت في الاصدار والابراد

وللخطيب الشيخ جعفر الهلالي هذه الايات :

فيك ان تزدهي علا وافتخارا  
 يبعث العزم في النفوس الغيارى  
 عسونا وصارماً بتاراً  
 لك لما حاز في الوجود انتصاراً

فسطا بعزم ناله من معشر  
 وانصاع بفتدي احمداً في نفسه  
 واقام ينصره الى ان اصبحت  
 قد كان يعلم انه المختار من  
 أفديه من فادٍ لواءً للهدى  
 ولقد روى عن انبياء جدوده  
 وعلى به على كل الورى  
 ان ابن آمنه النبي محمد  
 راعيت فيه قرابة موصولة  
 ياوالد الكرار والطيار والأ  
 كم معجز ابصرته من احمد  
 من لصق احجار وخرق صحيفة  
 لا فخر إلا فخرك السامي الذي  
 ان المكارم لو رأت اجسادها  
 شكر الاله فعالك الغر التي  
 لله همتك التي خضعت لها  
 لله هيبتك التي رجفت لها  
 لله كفك كم بها من معدم

ياابا طالب وحسب القوافي  
 ذكرك الحلو حافل بالتفاني  
 فلقد كنت للنبي على الكفار  
 وبك الدين تم نشرأ ولو لا

وسيف ابنك الوصي ابي  
انما في الوجود رمز التفاسي  
ايه شيخ البطحاء يابن الذين  
قد قرأنا الايمان منك اعتقادا  
وقرأنا فيك البطولة درساً  
كنت فرداً تصد عادية الشرك  
لم تطأطء هاماً وسرت مجتهداً  
ولقد تقطع الليل سهراً  
ذاك في الله لا في صلة الرحم  
كم صغت الايمان نفحة شعر  
ايه عم النبي والدهر لا زال  
ضيعت تاكّم الجهود رجال  
حسناً لابنك الوصي وبغضاً  
واذا ما اثنتوا الذكر ابن صخر  
كيف وهو الذي على الكفر  
ذاك من قد سر بأحد وبالأحزاب  
شنّ حرباً على النبي عسوانا  
ومذ المصطفى دعاه الى الا  
بل حذار من الحسام وما اقر حقاً  
ابا طالب وماذا عساني أن  
غير ان الفؤاد قد ماج و  
انا في حبك المتيم لا اخشى

السبطين من بعدك ازدهى واستنارا  
في سبيل الحق الصراح جهارا  
اتخذوا المجد في الحياة شعارا  
مد ازحنا عن النفوس الستارا  
مد سبرنا التاريخ والاختبارا  
وسيفاً يحطم الكفسارا  
تبعث العزم في السنين انتصارا  
لتحمي المؤيد المختارا  
كذب المدعي عليك وجارا  
لذوي الشرك ترسل الانذارا  
يرينا العجاب يبدو جهارا  
واشاعت برميك الاخبارا  
لم يقيموا الا على علاك اعتبارا  
ألبسوه برد الهدى اكبارا  
ضلالا يستحطب الأوزارا  
اذ قاد جحفلا جرارا  
ليبيد الاسلام والانصارا  
سلام في الفتح لم يجبه اختيارا  
بل لم يزل كفسارا  
اوفي من حقك المعشارا  
جداً فغداً يبعث الولا اشعارا  
ملالا ولا اخاف العثارا

وللسيد طالب بن السيد عباس الطباطبائي هذه الايات :  
 تأتق اقسامك الملهب      فوجد في افقنا كوكب  
 فتحت لنا صفحة في الحياة      منورة للهدى تكتب  
 وخلدت في عالم الخالدين      سراجا بدنيا الهدى يلهب  
 عشقت البطولة والمكرمات      فرحت على لحنها تطرب  
 وهزت اناشيدك الخافقين      فرددها المشرق والمغرب  
 ألت الذي ادهش العالمين      واذلهم مجدك المعرب  
 وفجرته منبعاً للجلال      سيبقى مدى الدهر لا ينضب  
 جلالك وهو الجلال الرفيع      رياض بها حيدر يخضب  
 ومجدك وهو سماء الفخار      به المرتضى كوكب ملهب  
 وروحك نبع يفيض الكمال      عليه يرويه إذ يسكب  
 علي بنى المجد والمكرمات      وأنت لتلك السجايا اب  
 بجحرك شب اليتيم      وكنت له والداً يجذب  
 نشرت عايه ضلال الحنسان      ليسلو بها قلبه المتعب  
 وكنت اذا آلمته الحياة      وراحت به نارها تنشب  
 تذب رقة وانعطافاً عليه      ويغمره حبك الملهب  
 وتسكب في قلبه العاطفات      فيزكو ومن ريعها يعشب  
 ابا طالب انت اشراقه      تكنفها للعلی موكب  
 يشع بأفقها كوكبان      بمجديهما ينجلي الغيب  
 محمد وهو بدنيا الاباء      لحون الكرامة إذ تطرب  
 وحيدر وهو الابي المصور      اذا ما التضى موقف مرعب  
 سأصمت إمامهاتي الكلال      عسى الصمت عن خاطري يعرب  
 واخشع ان رأيت الجلال      بدنياك كالشمس لا يحجب  
 واسمو بأفقتك افق الخلود      فروحي باسلاكه تجذب

واصفوا لأنغامك الملهيات  
وأهتف في نشوة واندهال  
وللشيخ عبد الكريم طاهر الساعدي هذه الأبيات :

تغنى بك العالم الأرفع  
ودوى صدك بأفق الخلود  
وخلد ذكراك عمر السنين  
تساميت رغم الحسود الذي  
فبك الفضيلة اسرارها  
ورح النضال على العالمين  
وذكراك هبت كلطف الربيع  
ورقت تحدهما العاطفات  
اشيخ الاباطح ماذا يقول  
فقدسك احرص بنت القريض  
فعاد الشعور به ذاهلاً  
فيا طالماً في ساء الخلود  
وانت كنت للمصطفى  
وحصناً يضم النبي اليتيم  
وبنداً يرف على المسلمين  
فكم وقفة دون خير الورى  
نصرت النبي مذ قاومته  
وقفت وأقسمت في ربعا  
ابا طالب سر بأفق الخلود  
فتان يحك الفذ يوحى لنا

قلبي من وقمها يحاب  
تساما بناء بها الكوكب  
بأفق البطولة إذ تطلع  
نشيداً وأفكارنا مسمع  
فكانت على هامها ترفع  
بروم لقدسك ما يقرع  
يفيض ومنهاها يتزع  
تعبدك نجماً بها يلمع  
تعطر من نشرها الأربع  
جلالا تسمى به الجمع  
اديب وماذا يصف المصقع  
وكانت لغيرك لا تخضع  
وقدساً لغيرك لا يهلع  
أهل وإيمانه المطلع  
حمياً يراع به الأروع  
وسيفاً بكف الهدى يلمع  
وكهفاً منيعاً لهم يجمع  
جنان الكمي بها يقلع  
رجال قريش بما يفزع  
لتنصره رغم من زعزعا  
فأنت على صرحها تسطع  
خلودك في سفره يطبع

انسار لطلعتها المجمع  
 عقود على جيدها ترصع  
 ولحن الخلود له مقطع  
 له الشهب في برجها تخشع  
 تألق من قدسها الموضع  
 وأقحل من بعدك المربع  
 متى يقبر البطل المقرع  
 ونور النبوة لا يقشع  
 وليس لها في العلى مطلع  
 بكف علي لهم مودع  
 اتك شكايقتنا تفجع  
 شقاء تشيب له الرضع  
 وفي سيفه للهنا يصرع  
 وطوراً يطالب ما يشع  
 رمته الخصوم بما يقرع  
 لغيري ازاهير تقطع  
 سواي بسلسلة يتسرع  
 ليكشف عن صبحنا البرقع

عقود حياتك مذ لألات  
 وودت نجوم السما أنها  
 فدوى صدك بأوتاره  
 سمو سمو أبا المرتضى  
 لئن انت وسدت في بقعة  
 وذاب لوزتك قلب النبي  
 وباتت قریش تعد النجوم  
 لتخمد بعدك نور النبي  
 فقبحاً لها من عقول هفت  
 ألم يعلموا أن سيف الرسول  
 ابا المكرمات الغر عذراً  
 فان حياة الى جنبها  
 ودهراً يجور بأحكامه  
 وشعباً يئن بالأمسه  
 فان راح ما يطلب من حقه  
 فاذا الحياة على روضة  
 وماذا البقاء على منهل  
 حنانيك مدّ الينا بدأ

\* \* \*  
 وللشيخ صاحب المواهب هذه القصيدة :

سلمت سلم على سلمى بذى سلم  
 يشق نور سناه بردة الظلم  
 رهن الرزايا قرين الوجد والسقم

بالله يا قاصد الأطلال في العلم  
 وحيي حياً حوى منها هلال دجى  
 وقل لقد بقي المشتاق بعدكمو

فقد اذرت الحب جماً منه لو خطرت  
 أجمعوا دمه الحرام فهل  
 الله يا اهل ودي بعد بعدكم  
 كيف الوصول الى سلمى وقد نصبت

منها الخيام بأطراف ضبا الخدم  
 ريم حمتها اسود من عشرينتها  
 تخشاهم الاسدي الغابات والأجم  
 لم يكفهم ماجت اسياف مقلتها  
 حتى اعدوا مواضيمهم لسفك دمي  
 يا عاذلي اكفنا عني ملامكما  
 فان سمعي عن العذال في صم  
 هو اي في ذلك الوجه للمليح حكا  
 عم البرية في فضل وفي كرم  
 افديه من خير عم لابن اخ  
 في نصره بعد ما رياه في اليتم  
 حمى النبي عن الأعداء مجتهداً  
 يفديه في نفسه من كل مصطم  
 ويقام يدفع عنه كل نازلة  
 الى اهدائه فأسمى خير مغتم  
 وكان اول من لباه حين دعا  
 والذاس من سفه تدعو الى الصنم  
 أصبحت لدين رسول الله دعوته  
 فصار للمصطفى الهادي من الخدم  
 وكان شيخ بني البطحا وسيدهم  
 مضافاً الى الايصال للرحم  
 سر له في صميم القلب مكتم  
 رعى وصايا النبيين الأولى سلفوا  
 فضل به صار ممدوحاً بكل فم  
 كم مدحة مدح المختار تنبيء عن  
 نسلهم خير خلق الله كلهم  
 من ذا يماثله في مجده وله  
 البسيطة منجى كل منعدم  
 يخثال فخرأ بثغر منه مبتم  
 كل البرية من عرب ومن عجم  
 يا ماجداً اصبح المجد الأثيل به  
 للمصطفى احمد في كل مزدهم  
 وبأخا كرم عمت فواضله  
 لله سعبك إذ أصبحت منتصراً



حفظته حين نحته عشرته  
حميته من اذى حساده وله  
وبعت دنياً باخرى لانفاذ لها  
بيع ربحت به اضعاف ما قرعت  
يهنيك سيار ذكرك في الانام غداً  
يهنيك مالك في الآفاق من شرف  
يهنيك ان بنيك الغر قد نصبوا  
كفاك فخرا بان الدين قامته  
كم جمع للعدى اسيفه نثرت  
ذاك الهام الذي في سيفه كشف  
وان في جعفر الطيار من نصر المختار  
ومعجزات لك لا تخفى على احد  
ابا الوصي استمع اشعار ذي وله  
قد غادرته الرزايا رهن اسهمها  
نفسى فداك خاصني على كبد  
فان وصلت فدحي غير منقطع  
صلى عليك اله العرش ما كتبت  
وله ايضاً هذه الابيات :

أما هو قلبي فراسخ  
ولهب احشائي جوى  
ومحاجري تهمني الدموع  
يامنزلا صحب الهوى  
ألقيت فرعك أسودا

وفي معاليه لم ترتب ولم تهتم  
قد كنت خير اب فد وخير حمي  
فطاب ربحك في بيع وفي سلم  
عليه أعدائك الاستنان من ندم  
يسير لا في متون الايتق الرسم  
للناس اظهر من نار على علم  
ائمة للورى من باريء النسب  
بغير نجلك لم ينهض على قدم  
حمماً فعادوا بشمل غير منتظم  
الكروب عن احمد في كل مصطلم  
فخرك لا يخفى على الامم  
الا البصير الذي منه القواد عمي  
البك من جور هذا الدهر منهزم  
فجاء يرجو شفاء منك حين رمي  
حرى فجسمي لا يقوى على السثم  
وان قطعت فؤادى غير منصرم  
علوم ولدك في الالواح بالقلم

فلتدن او تبعد فراسخ  
ما كان طول العمر الا بائخ  
فناضح في اثر ناضخ  
اتراك للهجران فاسخ  
فلقيت اسود منه سالخ

ولربما انطوت الأفاعي  
وبل الحفيظة كم تنافح  
ضاعت مصادرها و  
فكأنها تبغي لعبد مناف  
شيخ الاباطح من قریش  
وسحابها الفياض بالجدو  
من هاشم في ذروة  
فتراه فيهم قاعداً  
أسد أبر على اسود  
منع النبي بمنعة  
وحمي الهدى في مكة  
فلو اعتدت اعداؤه  
ابا علي والعلی لك  
تستدفع البلوی به  
ونوافخ كأنها  
حماتها طيب الثنا  
فسرت الى ابن مفيض مكة  
وجدى بها الوجد المبر  
فتنسوخت وستجتدى  
وللفضل عالم هجر وبطلها المالحن الشيخ باقر أبي خمسين هذا  
التقريض الكريم :

قلوب آمنت بالواقع ، واطمأنت بالحدادی ، واوكلت امرها الى الدليل  
الذي اراد لها الخير كما اراد لها ان تسير في شواطئ السلامة بسفين العزة

والكرامة تحت قيادة الريان القدير ، بعد ان ملت تلکم الامواج الزاخرة .  
وسمت ذلك الزبد الذي لا ينفع ، وعرفت عن هذا الرهج الذي لا ينجلي  
الا عن غبار يعمي العين ويرين القلب .

نفوس آمنت بالمصير الذي بشر به الزمن ، واسفر عنه الدليل ، فتهلل  
له الافق فراح ينشره على الأودية ، وفرحت به البطاح فراحت تزفه الى  
السهول في ثنايا البوديان ، وحنث له الصحراء فطفقت ترسل النواة لتحقق  
منها نخيلا يثمر الرطب الجني وينتج الثم الداسق ، بعد ان ملت السير وراء  
ذلك الطريق الشائك والجادة المتعبة .

بصائر نظرت بمنظار الفكر والمجهر الذهني الى واقع الأشياء وحقائق  
الغيب ، فأدركت بها ما حجب من أسرار ، وما حوته الحقب بين طياتها  
من اشاعات وأنوار ، وما سينشره الكون من معارف وجليل الآثار ،  
فقرأت عن كتب تلکم الأسرار ، واطلعت على كل ما هنالك من وقايح  
وأحداث ، فوقفت على كل ما كان مرتقباً من كنوز ، واستشعرت من النوافذ  
كل ما كان من حكم ومآثر ، كما تحققت ما سيندك به من معاقل الجهل ،  
وما يتحطم على صخرته من حصون الشرك وقلاع الوثنية الكافرة .

قلوب آمنت بالخير من اجل الخير ، فتعشقت كبداً يجب تحمله والسير  
على ما يوحيه من نظم وما يحتمه من قوانين ، رسم الطريق السهل لبني  
الانسان لتسير المجموعة البشرية على تلك النظم العادلة والدروس القيمة ،  
لتحظى بالأمان وضفاف السلامة وانتحاء سبيل الخير وطرق السعادة لتكون  
المجموعة الانسانية مجمعاً للمجد والعزة ، وموثلاً للمنة والشرف .

نفوس آمنت أن لهذا الكون المترامي الأطراف المائي بالعجائب  
والغرائب رباً غير هذه الارباب ، وخالقاً عظيماً غير هذه الهياكل الجوفاء  
كما قد قرأت ان لعالم الارض مصيراً غير المصير السائد آنذاك ، وان للانسان

شأن غير الشأن الذي هو فيه يروح ، فمن الخير إذاً ان يطلع ذلك الرب  
القدير في اوامره وزواجره ، ومن الهدى ايضاً أن تصبو الى ما يريد لها من  
المستقبل الكريم والفجر الصادق المقبل ، وان تستعد لاستعراض دنيا الحق  
والصدق ، فتبتعد عن كل رواسب الجاهلية ومخالفات الوثنية الأئيمة ، وعن  
كل ما هلك من ظلم وجور وطغيان وابطال .

بصائر استوح من واقع عقولها السليمة وفطرتها المستقيمة ، فوجدت  
انها الأئمة على تلکم الاسرار الخفية والأنوار الالهية البهية ، كما استشعرت  
انها ستكون مستودعاً لما تضره السماء وما تمخض عنه الأرض من المحتويات  
والمنطويات ومكنون العلم ومخزون المعارف ، إذاً المسؤولية عليها وحدها ،  
فيجب ان تستعد تماماً الى تلقي كل ما هو خير وكل ما هو مرتقب من بوادر  
الرشاد والفلاح ، حتى اذا ظهر أمر الله وبدر الى العيان مجد رسول الله  
صلى الله عليه وآله بادرت تلکم النفوس المظمئة وأسرعت الى اقتفاء اثر  
القائد الكريم ، فألقت اليه الزمام وسلمت لحضرتة القيادة وآمنت به إيماناً  
منقطع النظير ، ما رضيت بعد ذلك الا ان تكون مناصرة مؤازرة على اداء  
المهمة التي هي كل الغاية من البعثة والغرض كل الغرض من النبوة والرسالة ،  
ليتمكن القائد من تسير القافلة وتحريك العجلة الى شواطئ الاسلام النضرة ،  
مختربة تلك الأمواج الصاخبة والزواجع المخرجة ، فاذا هي تصرخ متحدية  
كل العترات والحواجز .

ولقد علمت بأن دين مجد من خير أديان البرية ديننا  
ودعوتني وعلمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا  
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا  
نعم هذه هي البصائر الطيبة ، والنفوس الكريمة الخيرة ، التي قد آمنت  
بالواقع ، واسلمت امرها الى القائد البصير .

انها منسللة شيبة الحمد ومخض هاشم عمرو العلي ، الأسرة العنبرية العريقة التي ما عرفت غير مائة جدها ابراهيم الخليل ملة ودينياً في الزمن الذي قد راجت فيه عبادة الأوثان وطغت فيه الهتافات للأصنام ، فيها هو ابو طالب سيد الآل والأسرة وعميدها الوحيد يمشي وراء محمد ويسير خلفه بكل حزم وثبات ، ويهتف بكل نشاط وقوة مؤيداً دين ابن اخيه ومادحاً له بما انه نبي مبعوث .

ألا ان خير الناس أماً ووالداً اذا عدت سادات البرية احمد نبي إلهي والكريم باصــــــــــــــــــــه  
واخلاقه وهو الرسول المؤيد  
نعم وایم الله إنها الغرسة التي غرسها لوي ، فعلمها كيف تقول للدهر قف ، وللتاريخ سجل ، وللكرامة والمجد أخداً . كما عرفها كيف يجب ان تحارب الدهر في رذيلته ، وتقاومه في طغيانه وجبروتيته ، صيانة للامانة وحفاظاً على الأسرار ، وقياماً مع الدليل الذي كانوا يرقبونه ويحسبون له ألف حساب وحساب .

فها هو ابو طالب يبعث في آل عبد المطلب روح النخوة والحجاس ، ويشير في بني هاشم وشائج الرحم ، واواصر التقرب من دين السماء ، وملازمة مجد رسول الله ، ونبذ كل ما هنالك من سفاسف وخرافات تتعارض ودينه القيم ورسالته الوثيقة ، فها هو يكرر عليهم : يا قوم ان ابن اخي مجدأ هو الأمين في قريش والصدیق في العرب ، اطيعوا مجدأ واتبعوه تفلحوا وتفلحوا إذا أبدا .

ثم يخص ولده علياً بالخطاب : يا علي ألزم مجدأ فانه لا يدلك الا على خير ، ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

فرحمك الله يا عم رسول الله واعطاك من جنانه ورضوانه ما تقر به عينك ، وسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

وتحدثت مجلة العربي بعددها الحادي عشر الصادر في شهر شوال المكرم من سنة ١٣٨٧ هـجوية الموافق يناير كانون الثاني سنة ١٩٦٧ ميلادية عن موضوع اسلام عم النبي الزعيم ابي طالب على لسان احد كتابها الأشاوس الاستاذ حسن الامين بيروت ، وها هو المقال نصوره حرفياً وكما نقلته المجلة آتفة الذكر : لا ادري لم هذا الاصرار على تكفير ابي طالب كاقبل النبي وحاميهِ والمتفاني في سبيله ، واذا كان لبعض الماضين غاية في الاساءة الى علي بن ابي طالب وبنيه البررة فزوجوا لهذه الفكرة فلا احسب اليوم انه يوجه من يبغى الاساءة الى علي واستغلال هذا الامر ، فاننا نعجب من هذا الاصرار في هذه العصور ، ان الآية التي استشهد بها السيد محمود حواس في العدد مائة وثمانية من مجلة العربي في تعليقه على ما كتبناه لم تنزل في هذا الموضوع ، والذين كان من مصاحبتهم الطعن في علي بشتى وسائل الطعن هم الذين باخترعوا لتزولها هذا السبب ، كما انهم هم انفسهم الذين ارادوا حمل بعض رواة الحديث على الادعاء بأن آية « واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث » انما نزلت في علي بن ابي طالب ، وبدلوا لذلك الأموال الطائلة .

ونحن لا نجعل ان القرآن الكريم وأن الحديث الشريف قد استغلا اسوأ استغلال لتأييد الاغراض السياسية والمنافع الدنيوية ، وان ذلك جرى في عهد الرسول لما جعله يخطب على المنبر : « لقد كثرت علي الكذابة » ، واذا كانت الكذابة قد كثرت عليه في حياته فكيف يكون الأمر بعد وفاته ، وبعد تحول الاحوال واستفحال المطامع .

... إن ابا طالب الذي تحمل ما تحمل في تأييد الدعوة الاسلامية لا يمكن ان يكون غير مسلم ابدأ ، ولو لم يتحمل الا الحصار في الشعب الذي فوضته قريش عليه ثلاث سنين فلا في فيه مالاتي مما لا يمكن ان يصبر عليه الا

المؤمنون الصابرون ، ولقد استثنى هذا الحصار ابا لهب اخا ابي طالب لأنه لم يسلم ، وقد كان يكفي ابا طالب بقاؤه على الشرك لينجو من فضاحة الحصار وأهواله ، ولا اعتقد ان ابا طالب يستحق ان يجازى على ما قدمه للإسلام والمسلمين ان يشهر به بالباطل .

وقال السيد دحلان في اسنى الطالب في صفحة ٥٩ : اخرج ابن عساکر عن علي رضي الله عنه ان رسول الله قال : من آذى شعرة مني فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى .

وروى الطبراني والامام احمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله انه قال : لا تؤذوا الأحياء بسب الاموات :

ولا شك ان النطق بقبيح القول في حق ابي طالب والتشدد به في المجالس الخاصة او العامة وسفهاء الناس يؤذي اولاد علي رضي الله عنه الموجودين الآن ، بل يؤذي امواتهم في قبورهم ، ويؤذي النبي كذلك ، وقد قال الله تعالى : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » وقال تعالى : « ان الذين يؤذون رسول الله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً » .

وهذا هو الذي كان يلحظه القائل بكفر مبعوض ابي طالب ، لأنه ايداء للنبي وايدأوه صلى الله عليه وسلم نفاق وكفر يقتل فاعله ان لم يتب ، وعند المالكية يقتل وان تاب .

وقال دحلان في نفس الصفحة : ان قول الله تعالى : « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » يشمل عمه ابا طالب .

وقال ايضا في صفحة ١٧ في حديث طويل : ان ابا طالب اطلمه الله على كثير مما خص الله نبيه من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدأ أمره وهو صغير الى منتهاه ، وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات .

صار قلبه مشحوناً ممتلئاً وبالإيمان والتصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم إيماناً قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ، أم كيف وهو القائل :

يا شاهد الله علي فاشهد      أبي علي دين النبي احمد

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣١٥ والسيد ابن فخر الموسوي في الحجة وابن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابه القرآن في ضمن تفسير قول الله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » فقد أقسم الله تعالى وأكد قسمه بلام التوكيد ان ينصر من نصر النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يكن له ناصر سوى أبي طالب ، والله تعالى اعلم ينصر المؤمنين .



## ابو طالب والمؤلفون :

لقد كثر التأليف في ابي طالب رضي الله عنه وكثر الى حد كبير ،  
وها نحن نذكر قسماً من ذلك خدمة للتأليف والتصنيف ، ورعاية لحقوق  
المؤلفين الامثال ، واطهاراً لما أثر عم الرسول الكريم الزعيم ابي طالب العظيم ،  
وبياناً لما عليه هو من جليل المكانة وعلو المقام وكبير المنزلة في جميع  
نواحيه وكافة جهاته .

وليك قارئ الكريم بعض ماتسنى لنا ذكره من التأليف :

١ - « منى الطالب في ايمان ابي طالب » لأبي سعيد محمد بن احمد بن  
الحسين الخزازي النيسابوري .

٢ - « ايمان أبي طالب » لأحمد بن القاسم ، ذكره النجاشي والحسين  
ابن عبد الله .

٣ - « البيان من خيرة الرحمان » لأبي الحسن علي بن بلال بن معاوية  
المهلبلي الأزدي .

٤ - « ايمان ابي طالب » لأبي علي الكوفي احمد بن محمد بن عمار .

٥ - « ايمان ابي طالب » لأبي الحسين احمد بن محمد بن طرخان  
الكندي الجرجاني .

٦ - « ايمان ابي طالب » للشيخ ابي عبد الله المفيد محمد بن محمد بن  
النعمان البكري البغدادي المتوفى سنة اربعمائة وثلاثة عشر هجرية .

٧ - « ايمان ابي طالب » لأبي محمد سهل بن احمد بن عبد الله بن احمد  
ابن سهل الديباجي .

- ٨ - « مثنى الطالب في إيمان أبي طالب » للسيد الحسين الطباطبائي  
اليزدي الشهير بالواعظ المتوفى سنة الف وثلاثمائة وسبعة هجرية .
- ٩ - « إيمان أبي طالب » للسيد أبي الفضائل أحمد بن طاووس الحسين  
المتوفى سنة ستمائة وسبعة وسبعون هجرية .
- ١٠ - « مقصد الطالب في إيمان آباء النبي وعمه أبي طالب » للميرزا  
محمد حسين الكركاني مطبوع في بمبيء في سنة ١٣١١ هـ .
- ١١ - « بغية الطالب في اسلام أبي طالب » للسيد القاضي محمد عباس  
التستري الهندي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ .
- ١٢ - « القول الواجب في إيمان أبي طالب » للشيخ محمد علي بن الميرزا  
جعفر الملقب بالفصيح نزيل مكة المكرمة .
- ١٣ - « إيمان أبي طالب » لأبي نعيم علي بن حمزة البصري التميمي  
اللغوي المتوفى سنة ثلثمائة وخمسة وسبعين هجرية ، ذكره الحافظ ابن حجر  
العسقلاني ونقل بعضاً من فصوله في أصابته في ترجمة أبي طالب .
- ١٤ - « أسنى الطالب في نبجة أبي طالب » للسيد مفتي الشافعية بمكة  
السيد أحمد بن السيد زيني ابن أحمد بن دحلان الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ .
- ١٥ - « شيخ الأبطح أو أبو طالب » للسيد محمد علي آل شريف  
الدين الموسوي العاملي والذي قد طبع في بغداد العراق سنة ١٣٤٩ هـ .
- ١٦ - « الشهاب الثاقب لرحم مكفر أبي طالب » للشيخ ميرزا نجم  
الدين العسكري .
- ١٧ - « مواهب الواهب في فضائل أبي طالب » للقاضي الشيخ جعفر  
نقدي طبع في النجف الأشرف في سنة ١٣٤١ هـ طبع مكرراً .
- ١٨ - « الحجّة على الذهاب الى تكفير أبي طالب » للسيد شمس  
الدين بن معد الموسوي طبع مراراً .

١٩ - « ابو طالب مؤمن قريش » للاستاذ عبد الله الحنيزي ، طبع عدة مرات وترجم الى لغات اجنبية .

٢٠ - « واقع ابي طالب المؤمن » للسيد عبد الكريم آل السيد علي خان ، بعد لم يطبع لحد الآن وهؤلاء الاعلام من اجلة العلماء والعباقرة من المفكرين والمؤلفين .

٢١ - مؤلف السيد محمد علي آل السيد علي خان ، وهو هذا المؤلف الذي بين يدي القاريء الكريم والذي اسميته ( ابو طالب ونوه ) .

\* \* \*

اما الفصول التي عقدت لعم الرسول العظيم في طبقات الكتب فهي كثيرة وكثيرة جداً ، ولعلها تتجاوز حد الاحصاء وتفوق حدود الاستقصاء ، وما هذا الاهتمام من هؤلاء الاعاظم الا تكريماً لعم النبي وكافله ، وتقديراً لخدماته ومواقفه ، واعترافاً بجميله ووفير حقوقه على المسلمين كافة ، وحفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في مربيته ومؤازره وناصره ومؤيده .

فسلام الله عليه ما ذر شارق ، وسلام الله عليه ما دامت السماوات والأرض وما بقي الليل والنهار ، ورحمة الله وبركاته .

## مصادر الكتاب



لأبن أبي الحديد	شرح النهج
	صحيح البخاري
	مسند مسلم
لأبن حجر العسقلاني	الاصابة
لسبط ابن الجوزي	تذكرة الخواص
للشبلنجي	نور الابصار
للسيد علي خان	الدرجات الرفيعة
للسيد ابن فخار الموسوي	الحجة على الذاهب
لابن عبد ربه الاندلسي	العقد الفريد
	تاريخ اليعقوبي
للقاضي النقدي	مواهب المواهب
للخيزي	ابو طالب مؤمن قریش
للسيد زبني دحلان الشافعي	اسنى المطالب
للقمي	سفينة البحار
للمجاسي	البحار
للأميني	الغدیر
للطبسي	ذرايع البيان
للشيخ عبد الواحد المظفر	بطل العالمی

للمسعودي	مروج الذهب
للبناني	دائرة المعارف
للطبرسي	مجمع البيان
للطبري	ذخائر العقبى
للقيمي	الكنى والالقباب
للزنجشيري	الكشاف
للسيوطي	الدر المنثور
اسعاف الراغبين المطبوع على هامش نور الابصار للشيخ محمد الصبان	الحنفي .
للشيخ سليمان القندوزي الحنفي	ينابيع المودة

## فهرست الموضوعات





٧	مقدمة المؤلف
٩	المؤمن الاول
١٧	ابو طالب يتمتع بكل صفات الخير
٢٠	ابو طالب يكفل النبي ويؤازره
٢٧	ابو طالب وتجارة النبي
٣٠	ابو طالب يزوج النبي
٣٢	ابو طالب وبدء الدعوة الاسلامية
٤٢	ابو طالب والشعب
٤٨	ابو طالب يفك الحصار
٦٠	ابو طالب يدعو الحمزة الى الاسلام
٦٩	ابو طالب يستسقي للناس
٧٩	ابو طالب يدعو ملك الحبشة الى الاسلام
٨٤	ابو طالب يطاب من النبي المعجزة
٨٨	ابو طالب ينشئ وصيته
١٠٩	ابو طالب والدليل على ايمانه
١٢٢	ابو طالب في نظر النبي وعلي
١٣١	ابو طالب في نظر آل البيت عليهم السلام
١٣٩	ابو طالب في نظر الامام الكاظم

١٤١	ابو طالب في نظر الامام الرضا
١٤٤	ابو طالب في نظر ابن عباس
١٤٩	ابو طالب في نظر المأمون
١٥٢	ابو طالب في نظر ابي لهب
١٥٤	ابو طالب واجماع آل البيت على ايمانه
١٥٦	ابو طالب في نظر ائمة الزيدية
١٦١	ابو طالب في نظر علماء المغرب العربي
١٦٤	ابو طالب في نظر العامة
١٦٦	ابو طالب في نظر الشيعة الامامية
١٧١	ابو طالب في نظر ابن حجر
١٨٧	ابو طالب في نظر الاسكافي
١٩١	ابو طالب في نظر ابن ابي الحديد
٢٢٨	ابو طالب في بطون الكتب
٤١٢	ابو طالب والمؤلفون
٤١٥	مصادر الكتاب
٤١٧	فهرست الموضوعات





أَبُو طَالِبٍ  
وَبَنُوهُ



السيد محمد علي آل السيد علي خان

# أَبُو طَالِبٍ وَبَنُوهُ

تقديم

الحجتين السيد نصر الله المستنبط  
والشيخ باقر شريف القرشي

الجزء الثاني





## بسم الله الرحمن الرحيم

### تقديم

(١)

لم تشاهد الإنسانية في جميع فترات تاريخها دعوة خلاقة تفيض بالخير والعطاء كدعوة الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - التي كانت من أهم الأحداث العالمية، فقد غيرت مجرى التاريخ، واستهدفت تحرير الإنسان، وإعلان حقوقه، ورفع مستواه فكرياً وسياسياً واقتصادياً، وإقامة مجتمع متكامل تسوده الرفاهية والرخاء، وتعمه الالفة والمحبة، يجمعهم الإسلام وتضمهم راية التوحيد. وكان هذا هو السمُّ البارز للمسلمين في الصدر الأول من حياتهم، فقد كانوا اخوان بررة، يتعاونون في السراء والضراء، قد صقلتهم أخلاق الرسول الأعظم، وهذبتهم آدابه، ونزعت ما في صدورهم من غلٍ، فلم تعد أية ثغرة في صفوفهم، وإنما كانوا جميعاً يداً على من سواهم.

(٢)

واحتضن الضعفاء والمحرومون والبؤساء المبادئ العليا والقيم الأصيلة التي أعلنها نبي الإسلام، فأمنوا بها إيماناً مطلقاً لأنها ضمنت لهم العزة والكرامة ومساوت بينهم وبين عظماء قريش، وسادات العرب، وفي

طليعة من آمن بها من الضعفاء حليف مخزوم عمار بن ياسر وأمه سمية، وأبوه ياسر، وقد تعرضوا لصنوف مرهقة من العذاب والتنكيل صبا عليها الوحوش من سادات الجاهلية كأبي جهل وأبي سفيان، وغيرهما من الحاقدين على الإصلاح الاجتماعي.

(٣)

وكان من الطبيعي أن تتحد القوى الجاهلية الرعناء لمناهضة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ومناجزته، فقد سفّه أحلامهم، وسخر من آلهتهم، وأفسد عليهم إبنائهم وعبيدهم ودمر اقتصادهم القائم على النهب والربا والاستغلال وقام بتغيير شامل لجميع مناهج حياتهم. وقد ورمت انوف زعماء القبائل القرشية وانتفضت أوداجهم، وملئت نفوسهم غيظاً وحقداً على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فهبوا متضامنين لإخماد ذلك النور، واطفاء تلك الشعلة الوهاجة التي اضاءت الطريق، وأرشدت الحائر، وهدت إلى الطريق المستقيم. ولولا عناية الخالق الحكيم بدعوة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لأجهزت عليها تلك القوى الشر وأسكتتها في مهدها.

وكان لا بد للرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - من قوة ضاربة تحميه، وتصون مبادئه وقيمه، وترد عنه كيد المعتدين الذين يتربصون به الدوائر، ويكيدون له في غلس الليل، وفي وضح النهار.

وكانت تلك القوة التي منحها الله تعالى لنبيه الكريم عمّه المعظم سيد العرب وشيخ البطحاء أبو طالب، فقد تفانى هذا العملاق العظيم في نشر كلمة الإسلام ورفع راية التوحيد، وقد وقف إلى جانبه سداً منيعاً يحميه من ذئاب الجاهلية ويدفع عنه غائلتهم، وقد آمن إيماناً مطلقاً برسالة الإسلام المشرقة، وهو القائل:

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ولما مُني النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بفقده، وفقد السيدة أم المؤمنين خديجة سُمى ذلك العام (عام الحزن)، وهاجر من مكة إلى يثرب لأنه لم تكن عنده قوة تحميه ولم يكن يأوي إلى ركن شديد... رحم الله أبا طالب فهو حامي الإسلام، وقائد مسيرته النضالية فما أعظم عائده على الإسلام والمسلمين.

(٥)

ومما يدعو للسخرية والاستهزاء ما يرويه بعض المؤرخين الذين يسرون في الخط الأموي، وما ينقله عنهم بعض المغفلين من الكتاب الذين يؤمنون بكل ما هو مدون في الكتب إن صدقاً، وإن كذباً من دون فحص ولا تمحيص، من أن أبا طالب مات ميتة جاهلية، ومعنى ذلك أنه مات على الجاهلية الرعناء التي جعلت الأصنام أرباباً لها من دون الله تعالى.

فأين جهاد أبي طالب، وتحمله للشدائد والأخطار في سبيل الإسلام، ثم وأين حمايته للرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ودفاعه عنه، كل هذا ذهب سدى.

(٦)

وتصدى بعض العلماء قديماً وحديثاً للدفاع عن أبي طالب، وإثبات إيمانه وإسلامه وزيف القائلين بخلاف ذلك، وممن ألف وأجاد وأبدع في ذلك صديقنا السيد الشريف الحجة السيد محمد علي آل السيد علي خان - رحمه الله - فقد بحث بحثاً موضوعياً وشاملاً عن شخصية أبي طالب، ودوره المشرق في حماية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من بدء الدعوة الإسلامية، وفرض الحصار عليه مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من بدء الدعوة الإسلامية، وفرض الحصار عليه مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من بدء الدعوة الإسلامية، وقيامه بفك الحصار، ودعوته ملك الحبشة إلى اعتناق الإسلام، كما عرض إلى الأدلة الحاسمة التي لا مجال

للك فيها على إيمانه العميق بالإسلام، وتفانيه بالولاء للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وفيما أحسب أن هذا الكتاب في طليعة الكتب التي ألفت في هذا الموضوع فأجزل الله له المزيد من الأجر في دفاعه عن جده أبي طالب وجعله من ذخائر حسناته التي يرفعها إلى الله تعالى.

(٧)

وأتحفني السيد المفضل علاء الدين نجل حجة الإسلام المغفور له السيد محمد علي آل السيد علي خان الجزء الثاني من كتاب «أبو طالب وبنوه» المخطوط وهو من تأليفه، وجعله من متممات بحث أبيه، وقد تصفحته فرأيت مجهوداً رائعاً حافلاً بصفحات مشرقة من تراجم السادة العظام من أبناء أبي طالب وهم السادة: طالب وجعفر، وعقيل، وقد أجهد السيد المؤلف نفسه في تتبع جمهرة كبيرة من المصادر التي عرضت لتراجم هؤلاء السادة الذين ساهموا مساهمة إيجابية في خدمة الإسلام، ومن المؤكد أن هذا الكتاب الكريم قد سد فراغاً في المكتبة الإسلامية، وسيجد فيه القراء المتعة في بحوثه الشيقة، شكر الله مساعي المؤلف السيد علاء الدين وبلغه أمانيه، ووفقه لكل مسعى نبيل.

(٨)

وقبل أن أقفل هذا التقديم الموجز أرى من الحق عليّ أن أشيد بالأسرة الكريمة التي تفرع منها السيد المؤلف نصر الله مثواه، إنها من أجلّ الأسر العلوية فقد وهبها الله من صفاء النفس وطهارة الضمير مثل ما وهبه لآبائها العظام.

لقد تميزت هذه الأسرة الكريمة بأصولها وفروعها بسمو الأخلاق ومحاسن الصفات، وهذا هو السميت البارز الذي عرفت به من بين الأسر العريقة في المجد... سلمت هذه الأسرة رائدة خير إلى الناس.

باقر شريف القرشي

النجف الأشرف

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف

لبنى أبي طالب من المجد القديم ما لا يُسَانِي ويُسَاجِلُ، والحسب السَنِيّ ما لا يَسَامِي وَيَطَاوِلُ فهم مقاديم القوم وُصْدَرَةُ النَّاسِ بِلِ «أشرف الخلق»<sup>(١)</sup> أَحْلَمُ النَّاسِ صَغَاراً وَأَعْلَمُهُمْ كِبَاراً وَأَمْسَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ رَحِمَاءً، لَمَّا يَزِلُّ آخِرُهَا مُتَصِلاً بِأَوَّلِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وعلى الرغم مما خُصَّوْا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَأَوْثَرُوا بِهِ مِنَ الشَّرْفِ فَإِنَّ أَيَّاماً مِنْ أَبْنَاءِ أَبِي طَالِبِ الْأَرْبَعَةِ لَمْ يَنْلِ سَهْمَتَهُ مِنْ أَقْلَامِ الْمُؤَرِّخِينَ وَأَهْلِ السِّيَرَةِ وَبِخَاصَّةِ طَالِبِ وَعَقِيلِ وَجَعْفَرِ فَوَجَدْتُ الْبَعْضَ يَضْرِبُ عَنْهُمْ صَفْحاً وَيَطْوِي كَشْحاً وَيَقْحِمُ الْآخِرَ أَقْلَامَهُ فِي سَيْرِهِمْ فِي غَيْرِ طَائِلٍ أَوْ يَسُدُّ بِحَدِيثٍ غَيْرِ مُتَجَاوِبٍ وَرَبْمَا صَدَرَ عَنْ رَأْيٍ غَيْرِ شَيْءٍ.

فمَجْمَلُ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا عَنْهُمْ لَمْ يَعُدُّ كَوْنَهُ صَوْرًا مُتَجَزِّئَةً الْأَجْزَاءُ يَتَعَسَّرُ جَمْعُهَا وَضَمُّهَا إِلَى بَعْضِهَا حَتَّى بَدَتْ شَخْصِيَّاتِهِمْ فِي نَظَرِ الْكَثِيرِ غَيْرِ وَاضِحَةٍ الْمَعَالِمِ وَلَثْنٍ وَضَحٍ بَعْضٍ مِنْ مَلَاحِحِهَا فَإِنَّمَا هُوَ يَسِيرٌ وَمُتَبَاعِدٌ . . .

ولقد أزمعتُ الأمرَ — أَخْذًا بِمَيْسُورِهِ تَارِكًا مَعْسُورَهُ — فَأَفْرَعْتُ الْوَسْعَ وَأَعْمَلْتُ الْفِكْرَ مَجْتَهِدًا فِي التَّقْصِي وَالْتَتْبِعِ فَوَجَدْتَنِي وَبَعْدَ لَا أَعْثَرُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا تَجَزَّعَ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ فَوَصَلْتُ بَيْنَهَا بِالْقِرَائِنِ الْحَالِيَّةِ وَالْمَقَالِيَّةِ الَّتِي

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ راجع ١ - ٢ / ص ٢٠٩.

أملتها طبيعة الكتابة بروح موضوعية بعيدة عن تنازع العواطف، متجردة عن دنيء الغايات نشداناً للحقيقة التاريخية التي ران عليها صدى السنين وغباب الأزل وصولاً إلى خدمة تراثنا العربي والإسلامي والإشارة بأعلامه الخافقة. وقد كسرتُ الكتابة على أربعة فصول.

● الفصل الأول ويتناول: بني أبي طالب (في دائرة الضوء) — أول الأبناء (طالب بن أبي طالب) — بين اللّتيا واللّتي (في بدر).

● الفصل الثاني: عقيل بن أبي طالب — بين عقيل وعليّ — وجهاً لوجه (مع معاوية) — بني عقيل (العقيليون).

● الفصل الثالث: جعفر بن أبي طالب — في الحبشة (بخير دار مع خير جار) — في مؤته (أما ظهور واما شهادة) — بني جعفر (الجعفريون).

● الفصل الرابع: مبحث ميسّر في أصول الدين وفروعه — كلام في صفات الله (تعالى) — كلام في أفعال العباد. والهدف من هذا الفصل التعريف بأصل من أصول المسلمين الاعتقاديّة وهو (الإمامة) وصولاً إلى إمامة عليّ (ع) وإن استغناه من الكلّ واحتياج الكلّ إليه دليل على أنه إمام الكلّ وقد خصّصتُ الجزء الثالث لذلك إن شاء الله.

ومن جماع هذه الفصول يكون الجزء الثاني من كتاب «أبو طالب وبنوه» وقد خرج إلى النور بعد أن صدر الجزء الأول منه عام تسعة وستين وتسعمائة وألف عليّ عهد المغفور له الوالد ولقد اخترمته المنية ولما تتكّمّل اجزاء الكتاب كما كان أزمع في حينه فوجدت أن من برّ البنوة بالأبوة القيام على استكمال الكتاب سائلاً العليّ القدير السداد والسدد مستوزعاً شكر نعمته، اللهم فثبت، وإنل والحمد لله وحده.

علاء السيد محمد علي خان

النجف الأشرف

# الفصل الأول





## بنو أبي طالب (في دائرة الضوء)

يطبق المؤرخون على أن أبا طالب أعقب من الأبناء الذكور أربعة: طالباً فعقياً فجعفرأ فعلياً وفي ذلك يقول الشاعر:

أقام عماد العلاسامكأ بأربعة كالسنا الثاقب  
بمثل (علي) إلى (جعفر) ومثل (عقيل) إلى (طالب)  
اولئك لازمعات الرجا ل علي راجل ثم أراكب

كما يشير غير واحد منهم إلى أن بين كل واحد من الأخوة وبين أخيه عشر سنين وإزاء ذلك لم يخف الجاحظ تعجبه فيقول: «إن أربعة أخوة كان بين كل واحد منهم وبين أخيه في الميلاد عشر سنين سواء وهذا عجب»<sup>(١)</sup> وخالف الشتريني عن هذا الرأي فقال: إن عقيلاً ولد مع أخيه علي (ع) توأماً وأورد في سياق حديثه عن عقيل قوله: زوحمت حتى في الرحم<sup>(٢)</sup>.

وجميع أبناء أبي طالب لأب وأم هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له وأول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة الزهراء<sup>(٣)</sup>.

(١) رسائل الجاحظ/ راجع ٣ - ٤ / ص ١٢٢ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول/ ص ٢٢٥ .

(٣) انظر: المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢ / ص ٢ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٠ ، ١٦٤ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ج ١ / ص ٥ وما بعدها وابن حزم/ جمهورية انساب العرب/ ص ١٤ .

ولقد خصَّ آل أبي طالب بغرائب وعجائب وفضائل لم توجد في أحد سواهم<sup>(١)</sup> منها: «أنه لم يوجد قط في أطفالهم طفلٌ يحبر، بل يزحف زحفاً لثلاً ينكشف منه عن شيءٍ يسوءه، ليكون أوفر لبهائه. وأدلَّ على ما خصَّوا به»<sup>(٢)</sup> ومنها: «تهياً في آل أبي طالب من الإذكار ما لم نعرفه في قديم الدهر وحديثه، ولا فيما قرب من البلدان ولا فيما بعد»<sup>(٣)</sup> وإنك لتتحدَّر مع أعقاب الذرية في الطالبين مائة سنة وأربعمائة سنة فيخيلُ إليك أن هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع وأصله في الخصال والعادات كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين ولا تلبث أن تهتف عجباً «إن هذه الصفات علوية لا شك فيها، طبع صريح، ولسان فصيح، ومثانة في الأسر يستوي فيها الخلق والخُلُق. ونخوة، لا تبالي ما يفوتها من النفع إذا هي استقامت على سنَّة المروءة والاباء...»<sup>(٤)</sup>.

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤ / ص ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر/ ص ١٢٤ .

(٣) نفس المصدر/ ص ١٢٣ .

(٤) العقاد/ أبو الشهداء/ ص ٤٦ .

## أول الأبناء طالب بن أبي طالب

أول مولود يولد بين هاشميين، وكريم بين طرفين، جمعَ المجد من أطرافه والشرف من حذافيره، حتى تمت أوصاله واستوفى خلاله، قال الجاحظ: «أول هاشميّ هاشميّ الأبوين كان في الدنيا ولد لأبي طالب»<sup>(١)</sup>.

وكان طالب بن أبي طالب شاعراً<sup>(٢)</sup> وقد ذكر له ابن هشام عن ابن اسحاق شعراً في وقعة الفيل منه قوله:

ألم تعلموا ما كان في حربٍ داحسٍ      وجيش أبي يكسوم<sup>(٣)</sup> إذ ملثوا الشعبا  
فلولا دفاع الله لا شيءَ غيره      لأصبحتموا لا تمنعون لكم سرباً<sup>(٤)</sup>

وقد أورد بعض من تعرض لذكره شعراً غير ذينك البيتين، سأعرض له في غير هذا المقام إن شاء الله ومع إننا لا نمتلك الكثير عن الرجل في أوليات حياته لندرة المصادر التي تناولته وتحاشي الكثير من المؤرخين والمعنيين بالسير الخوض في سيرته بخلاف بقية اخوته، الا اننا لو عدنا بالذاكرة إلى ما سماه العرب بعام الممحل لاتضح بعض ملامح تلك

(١) رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤ / ص ١٢٢.

(٢) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ١ / ص ٤٣٩ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ٢ / ص ١٨٧.

(٣) كنية ابرهة الحبشي.

(٤) السيرة النبوية/ ج ١ / ص ٢٦٣.

الحياة. لقد تعرقت قريشاً بعامه وأبا طالب بخاصة المجاعة في ذلك العام الممحل المجدب وكان أبو طالب كثير العيال فيستشعرُ الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - ضائقة عمه فلم يرَ متدحأً عن اسداء يد العون نحوه فينبري مشيراً على عمه العباس - وكان موسراً - بأن يخفف عنه عن ثقل عياله وحمل بعض أثقاله وما أجدره - صلى الله عليه وآله وسلم - بالخير وهو «الاحق بالرفد والأولى بحمل الكل في ساعة الجهد»<sup>(١)</sup> فيستجيب أبو طالب متحفظاً فيقول: اترك لي عقيلاً واصنعنا ماشئتما»<sup>(٢)</sup> وقيل «عقيلاً وطالباً»<sup>(٣)</sup> فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - علياً وأخذ العباس جعفرًا<sup>(٤)</sup> ثم ذكر أنه كان أحد المحصورين في شعب أبي طالب<sup>(٥)</sup>.

وكان طالب ذا أثره عند أبيه وحظوة ولو لم يك كذلك ما كان ليعهد إليه بوصيته - وهي آخر ما نددت به شفتا أبي طالب - في أن يشدد طالب يديه بغرز محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وينخع له بالطاعة ويستمر في نصرته ولو كلفه ذلك حياته وكان مما أوصى به يومئذ<sup>(٦)</sup>:

ابني طالب إن شيخك ناصحٌ	فيما يقول مسدّد لك راتقٌ
فاضر بسيفك من أراد مساته	ابدأ وانك للمنيّة ذائقٌ
هذا رجائي فيك بعد منيتي	وأنا عليك بكل رشد واثق
فاعضد قواه يا بني وكن له	انني بجذك لا محالة لاحق
أهأ اردد حسرة لفراقه	اذ لم اجده وهو عالٍ باسق
اترى أراه واللواء أمامه	وعلي ابني للواء معانق

(١) الموسوي/ فخار بن معد/ الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب/ ص ٣٤.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٦٣.

(٣) نفس المصدر/ ص ٢٦٣.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢٦٣.

(٥) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٦٥.

(٦) الموسوي/ فخار بن معد/ الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب/

ص ٩٨، وعلي خان/ محمد علي/ أبي طالب وبنوه/ ج ١/ ص ٩٩.

وقد ذكر هذه الأبيات الإمام الحافظ ابن شهر اشوب<sup>(١)</sup> بزيادة بيت  
سابع وهو:

اتراه يشفع لي ويرحمُ عبرتي هيهات اني لا محالة زاهق<sup>(٢)</sup>

لقد كان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - من أبي طالب مهجته  
ونوط قلبه وكان بعمه ممتنعاً وعزيزاً وحماء به لا يُقرب وكان أبو طالب به  
لهجاً ما افتأ يذكره:

بني أخي ونوط القلب مني وأبيضُ ماؤه غدق كثير<sup>(٣)</sup>

ولم تكن تلك الحياطة من أبي طالب حياطة رحم فحسب وإنما هي  
حياطة «المقرّ بنبوته والمعترف برسالته»<sup>(٤)</sup> وهو إذ يستوصي به خيراً فإنما  
يقصدُ إلى نصرة القيم الحقّة والمبادئ السامية والمثل العليا التي جاء بها  
محمدٌ العظيم وليس أدلّ على ذلك من قوله: «والله لا يسلك أحد سبيله إلا  
رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسي مدّة، وفي أجلي  
تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي»<sup>(٥)</sup>.

إن أبا طالب حين عهد إلى ابنه بما عهد لا بد وأنه كان يضع في اعتباره  
أمرين:

الأول: أهلية الموصى لامضاء بنود تلك الوصية وإلا لكان مثله كمثل

(١) مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) البيت يمثل غاية التواضع منه فقد ذكر الإمام الطبرسي في الاحتجاج/ ج ١/  
ص ٣٤١ بسنده عن علي (ع) قوله: «والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي  
في كل مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم...».

(٣) الزمخشري/ أساس البلاغة/ ص ٧، ١٠.

(٤) الحنفي/ ينابيع المودّة/ ص ١٥١ في إيراده رسالة الجاحظ التي يقول فيها:  
«حامي النبيّ ومعينه ومجبه أشد حباً وكفيله ومربيه والمقر بنبوته والمعترف  
برسالته والمنشد في مناقبه أبياتاً كثيرة وشيخ قريش أبو طالب».

(٥) الأميني/ الغدير/ ج ٧/ ص ٣٦٦ والبيلاوي/ تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام/  
ص ٦٣.

من يضع الشيء في غير موضعه والأمر في غير نصابه وذلك ما لا يجوز بحال على أبي طالب الرجل الذي حلب الدهر اشطره .

الثاني: لو لم يكن على بيّنة من إيمان ابنه فكيف ترى يطلب إليه نصرة من يخالفه في العقيدة بل مفارقتة ففاقد الشيء لا يعطيه كما يقال . أما طالب من جانبه فإنه لم يضق بذلك ذرعاً ولم يتبرم بل وجد في ثقة أبيه المطلقة هذه ما يحفزه لتجسيدها . استمع إلى صدق أحاسيسه ونبل مشاعره وهو يمتدح النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - معترفاً بفضله مشيداً برسالته مقراً بما جاء به من الحق فيقول<sup>(١)</sup>:

إذا قيل من خير هذا الورى	قبيلاً واکرم مهم أسرهِ
أناق لعبد منافٍ أبّ	وفضّله هاشم العزهِ
لقد حلّ مجد بني هاشم	مكان النعائم والنشرهِ
وخير بني هاشم أحمدٌ	رسول الاله على فترهِ

وقد ذكر جدنا<sup>(٢)</sup> - قدس سره - البيتين الأخيرين من الأبيات المتقدمة هكذا:

وقد حلّ مجد بني هاشم	مكان النعائم والزهوه
ومحض بني هاشم أحمدٌ	رسول المليك على فترهِ

وقال: «إن تلك الأبيات هي مما استدل بها أرباب السير على إسلامه»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤ / ص ٧٨ والنقدي/ محمد جعفر/ مواهب الوهاب في فضائل أبي طالب/ ص ١١٤ .

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٣ .

(٣) نفس المصدر/ ص ٦٣ .

## بين اللتيا والتي (في بدر)

تبرز لنا حين نستعيد إلى الذاكرة أحداث السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة معركة بدر الكبرى كواحدة من أهم تلك الأحداث وهي: المعركة «التي قتل فيها صنديد قريش وأشرفها وأسر من أسر من زعمائهم»<sup>(١)</sup> ولقد ألجأت قريش عدداً من بني هاشم على الخروج معها إلى خطوط المواجهة الساخنة في بدر مكرهين وأن رسول الله قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله»<sup>(٢)</sup>.

وذكر أيضاً أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - دعا يوماً أن ينجي الله المستضعفين من المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

وكان في القوم يومئذ: طالب بن أبي طالب فقد جاهدته قريش على الخروج معها وأجالت سهمه مع سهامها كارها غير باغ ولا عاد. وقد عالن طالب قريشاً موقفه من هذه الحرب كما أنه لم يتحفظ في اظهار ميله الوجداني نحو المعسكر الإسلامي وقيادة الرسول الأعظم - صلى الله عليه

(١) المسعودي/مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٤٠٣.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٩٨، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٩، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٨٣، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٥٠.

(٣) انظر ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٨٣.



وآله وسلم - وما تبع ذلك من مراجعة ومجاوبة بينه وبين القوم وهذا ما أشار إليه غير واحد من المؤرخين فيقول: «وكان بين طالب بن أبي طالب وبين بعض قریش محاوره»<sup>(١)</sup> يقال حاورته: راجعته الكلام<sup>(٢)</sup> والمحاوره: مراجعة الكلام في المخاطبة<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن الموقف المبدئي لبني هاشم عامة وطالب بن أبي طالب على وجه الخصوص من هذه الحرب الظالمة بخافٍ على قریش وهذا ما يتضح جلياً من خلال مخاطبتهم لبني هاشم بالقول: «والله لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمد»<sup>(٤)</sup>.

فماذا يعني أن يكون هوئى بني هاشم مع محمد؟

أوليس يعني بالضرورة إقراراً بمصادقية النبوة ومشروعية الرسالة وإيقاناً بأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على بينة من ربه وبصيرة من أمره ولعلك تلمس معي أنّ حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»<sup>(٥)</sup> لا يعدون هذا المعنى.

ولقد كان طالب يعلم أن قریشاً ستجرّ على أنفسها الشر وإنّ هذه الحرب التي افتعلتها ستحملها على مركب وعر وان الدائرة ستكون فيها عليها وتكون نهايتها إلى قتل وأسر وتنكيل، وما الأبيات التي أثرت عنه

(١) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٥، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٢) الشرتوني/ سعيد/ أقرب الموارد/ ج ١/ ص ٢٤٣.

(٣) الزمخشري/ أساس البلاغة/ ص ٢٠٥.

(٤) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٥) محمد بن عبد الوهاب/ كتاب التوحيد/ ص ١٦٥ - ١٦٦ مطبعة الزمان/ بغداد ١٩٨٩.

يومئذ إن هي إلا نذر الهزيمة المتوقعة للمشركين وارهاسات بالفشل الذريع الذي سيلاقونه ففي ساعة العسرة تلك يشخص بصره إلى الله لاثناً، ملتجئاً، عائداً، فيرتجز<sup>(١)</sup>:

يارب اما خرجوا بطالب في مقنب<sup>(٢)</sup> من تلكم المقانِب  
فاجعلهم المغلوب غير الغالب والرجل المسلوب غير السالب  
والذي في الأغاني والطبري<sup>(٣)</sup>:  
يارب أما يغزون طالب في مقنب من هذه المقانِب  
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب  
والذي في السيرة النبوية<sup>(٤)</sup>:  
لاهَمَّ أما يغزون طالب في عصبه مخالف محارب  
في مقنب من هذه المقانِب فليكن المسلوب غير السالب  
وليكن المغلوب غير الغالب

وعلى أية حال فإن هذه الأبيات تنحو منحىً واحداً في الدلالة على المعنى المقصود برغم اختلاف رواياتها.

ولقد تطير القرشيون بأبيات طالب تلك وتوجسوا الشر واستشعروا الإحباط فقالوا: «إن هذا ليغلبنا فردوه»<sup>(٥)</sup>.

بعد الانتصار الساحق الذي تحققت للمسلمين في هذه الحرب بقيادة

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٣٢.

(٢) المقنب بالكسر: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل.

(٣) الأصفهاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، محمد بن جرير/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٤) ابن هشام/ ج ١/ ص ١٧١.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٣.

وتوجيه الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - والهزيمة المرة التي مني بها المشركون وما وقع فيهم من القتل والأسر «أمر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بالقتلى أن يطرحوا في القليب»<sup>(١)</sup> وأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - جمع الأسارى فكانوا أربعة وأربعين أسيراً ومن القتلى مثل ذلك<sup>(٢)</sup>. ولم يكن طالب بن أبي طالب بين القتلى أو الأسرى حينئذٍ. لكنني وجدت له شعراً في مدح النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبكاء أصحاب القليب من قريش. ولست أدري ما إذا كان طالب قد قال بعد معايشة ميدانية لأحداث تلك المعركة وما أسفرت عنه من النتائج أم بعد منصرفه منها قال طالب<sup>(٣)</sup>:

ألا ان عيني أنفدتُ دمعها سكباً      نبكي على كعبٍ وما أن ترى كعباً  
ألا ان كعباً في الحروب تخاذلوا      وارداهمُ ذا الدهرُ واجترحوا ذنباً<sup>(٤)</sup>  
وعامر تبكي للمسلمات غدوة      فياليت شعري هل أرى لهما قرباً  
هما أخوأي لن يعدّاً لغيّته      تُعدّ ولن يُستام جارهما غضباً  
فيا اخوينا عبد شمسٍ ونوفلاً      فداً لكما لا تبعثوا بيننا حرباً<sup>(٥)</sup>

(١) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٩٨ - ٢٠١.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٣/ ص ٢٨.

(٤) في ابن الأباري/ ج ١/ ص ٣٧٠، روي البيت هكذا:

ألا ان كعباً في الحروب تخاذلوا      فاردتهم الأيام واجترجوا دنياً

(٥) البيت أحد شواهد ابن هشام الأنصاري في قطر الندى وبل الصدى/ ص ٣٠٠ إلى أنه

يورده على النحو التالي:

أيا أخوينا عبد شمسٍ ونوفلاً      أعيد كما بالله أن تحدثنا حرباً

ولا تصبحوا من بعدِ وُدِّ والفةٍ  
فما أن جنينا في قريشٍ عظيمةً  
أخا ثقةً في النائباتِ مُرَرّاً  
يطيف به العافون يغشون بابَهُ  
فواللهِ لا تنفك نفسي حزينَةً  
أحاديث فيها كلکم يشتكي النكبا  
سوى أن حمينا خيرَ من وطىء التربا  
كريماً نناه لا بخيالوا لا زربا  
يؤمنون بحرراً لا نزورا ولا صربا  
تململُ حتى تصدقوا الخزرج الضربا

ولعل القارىء يستغرب إن لم يكن يستنكر توجع الرجل وتفجعه على ما حلَّ بالقوم من فناء في بدر والجانب الإنساني له انعكاسه النفسي في مثل هذه المواقف يستوي في ذلك طالب بن أبي طالب وغيره من عامة الناس ولنا من الشواهد على مصداقية ما ذهبنا إليه: ردُّ رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على مسلمة بن سلامة بن رقش الأنصاري حين قال لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: إن لقينا العجائز صلعا كالبدن المعلقة فنحرناها... وقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - له: يا بن أخي اولئك الملائم من قريش<sup>(١)</sup>. أو قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «هذه مكة قد ألتقت إليكم أفلاذ كبدها»<sup>(٢)</sup> وما وقفة علي (ع) على طلحة يوم الحمل وقوله: «أعزز عليّ أبا محمد أن أراك مُعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية»<sup>(٣)</sup> ببعيدة عن ذاكرة الوعاء.

إن المتتبع لسيرة طالب بن أبي طالب يرى اضطراباً كثيراً فيما يروى حول مصيره بعد معركة بدر ضمن الروايات ما يؤكد رجوعه إلى مكة مع

وقال: «هذا الشاهد عن كلام طالب بن أبي طالب أخي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من كلمة يمدح بها النبي صلوات الله وسلامه عليه ويكي فيها على من قتل بيد من قريش».

- (١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٩١.
- (٢) المبرّد/ الكامل/ ج ١/ ص ٢٤٢/ الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٧.
- (٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ١٤٦.

مَنْ رجع<sup>(١)</sup> ومنها ما يشير إلى أنه لم يرجع إلى أهله أو فقد ولم يعرف له خبر<sup>(٢)</sup> ثالثة تقول باختطاف الجن اياه<sup>(٣)</sup> ورابعة نقول بانتحاره غرقاً<sup>(٤)</sup> ولعل الأولى اقربها إلى العقل وأوقفها إلى المنطق وأميلها إلى طبائع الأشياء لأن ما سواها لا يمتلك مقومات الحجية ازاء ما يمكن أن يوجه إليها من نقود طعون فهي إلى مرجحات الطعون أقرب «إن الظن لا يغني من الحق شيئاً»<sup>(٥)</sup>.

وكما اضطربت تلك الروايات في مصيره تضطرب هي الأخرى في إسلامه ولدى تبني لسيرة الرجل فيما تيسر بين يدي من المصادر وجدت أن الكثير منها ينسب طالباً إلى الكفر وإن منشأ تلك النسبة هو الجهل بإسلامه ولنا على ذلك ملاحظتان:

الأولى: ان عدم العلم بإسلام امرئ لا يمكن أن يقوم دليلاً على القطع بكفره.

الثانية: إن عدم علم امرئ لا يكون بحالٍ مانعاً عِلْمَ غيره... فتأمل.

فمن كل ما تقدم مع ملاحظة قرائن الحال والمقال التي سأعرض لها باقتضاب نستطيع أن نتبين حقيقة هذا الرجل فنحكم له أو عليه وإذا ما عدنا الحكم العدل فليحكم في وجداننا...

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٥، وابن شهر آشوب/ مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ١٦٢، والطبري/ تاريخ الرسول الملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩ نقلًا عن ابن الكلبي.

(٣) الجاحظ/ الحيوان/ مج ٢ - ٧/ ص ٤٥٩، والجاحظ/ رسائل الجاحظ/ ج ٢/ ص ٣٧٣.

(٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٠.

(٥) النجم الآية: ٢٧.

- ١ - النزعة الإيمانية الحنيفية التي لمسناها في شعره في وقعة الفيل .
- ٢ - معالته قريشاً البراءة من المشركين وما كان بينه وبين القوم من مرادده ثم صرفه عن ساحة الصراع في بدر .
- ٣ - مدح رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنه : أشرف الورى ، وخير بني هاشم ، ورسول الاله على فترة من الرسل .
- ٤ - هجرته إلى الشعب وحصره فيمن أُحصِر .
- ٥ - ضمانه أبي طالب بعدم خذلاله وأولاده له - صلى الله عليه وآله وسلم - في أبيات منها<sup>(١)</sup> :  
والله لا أخذل النبي ولا  
يخذله من بني ذوحسب
- ٦ - ما ذهبنا إليه في وصية أبي طالب لابنه من لزوم النصرة والمؤازرة والمفاداة .
- ٧ - ما روي عن أبي عبد الله (ع) من أن طالباً : كان أسلم<sup>(٢)</sup> .
- ٨ - ما ذكره العلامة ابن خلدون في كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» قال : «فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وحمزة كذلك ثم من بعده العباس والكثير من بني عبد المطلب وسائر بني هاشم»<sup>(٣)</sup> .
- ٩ - نهيه - صلى الله عليه وآله وسلم - عن الحاق الأذى ببني هاشم في بدر ودعاؤه بنجاة المستضعفين من المؤمنين .

(١) ابن الحديد / شرح نهج البلاغة / ج ١٤ / ص ٧٦ .

(٢) الكليني / الروضة من الكافي / ج ٨ / ص ٣٧٥ .

(٣) المغربي / ج ٣ / ص ٣ .

١٠ - ما رواه جابر بن عبد الله، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عنه فيما شاهده - صلى الله عليه وآله وسلم - في الليلة التي أسري به فيها إلى السماء من الأنوار الأربعة وسؤاله - صلى الله عليه وآله وسلم - رب العزة تقدست أسماؤه عنها وجوابه جلّ وعزّ هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب . . . من كلام طويل ذكره المهزومي العبدي<sup>(١)</sup> في كتابه «ديوان شيخ الأباطح أبي طالب» .

ولم يشر أحد من المؤرخين - فيما أعلم - إلى وفاته زماناً أو مكاناً كمالم أعثر فيما أتيج لي من المصادر عن وجود عقب له وبذلك قطع السويدي<sup>(٢)</sup> وابن عنه<sup>(٣)</sup> والنويري<sup>(٤)</sup> واسقطه من عداد بطون أبي طالب .

- 
- (١) ابو هفان/ ص ١ وهو من الشعراء المشهورين المذكورين وشعره موجود بكل مكان ذكر ذلك ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٠٤ .
- (٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب/ ص ٧١ .
- (٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٠ .
- (٤) نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠ .

## الفصل الثاني





## عقيل بن أبي طالب

أبو يزيد<sup>(١)</sup>، عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي شريف المئزر، كريم العرق مخول معمم، كان أبو طالب يحبه أكثر من سائر بنيه<sup>(٢)</sup> ولعل السيدة الفاضلة أمه كانت تتوسم في عرينه الشهم، فكانت تهدده وتناغيه صغيراً:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهبّ شمأل بليل<sup>(٣)</sup>

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٣) البيت من شواهد النحو في ألفية ابن مالك/ ج ١/ ص ٢٩٢، ويورد ابن عقيل في شرحه بهامشها البيت السابق مع ما قبله هكذا:

إن عقيلاً كاسمه عقيل ويبيي الملفف المحمول

أنت تكون السيد النبيل إذا تهبّ شمأل بليل

يعطي رجال الحي أو ينيل

وكما أفاد الشارح فالبيت لام عقيل بن أبي طالب تقوله وهي ترقص ابنها عقيلاً. والذي صادفته في الزركلي/ ج ٥/ ص ٩ من الأعلام أن: بهاء الدين بن عقيل، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبي طالب (وهو شارح الألفية).

ولقد كان كذلك ماجداً ونبيلاً، وشجاعاً فارساً ذا مقول صارم ولسان  
عضب كم انكى به عدوه، عالماً بانساب قريش مثالبها ومآثرها والأمهات  
وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة وكان سريع الجواب  
المسكت<sup>(١)</sup>.

ويحسن أن أذكر أن في قريش أربعة يتحاكم الناس اليهم في  
المنافرات وهم: عقيل بن أبي طالب ومخرمة وحويطب وأبو جهم<sup>(٢)</sup> ويعتبر  
عقيل من أشدهم عارضة واحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك<sup>(٣)</sup>  
وكان يعد المساوىء<sup>(٤)</sup> وله طنفسه كانت تطرح في مسجد النبي - صلى الله  
عليه وآله وسلم - فيصلي عليها ويجتمع إليه الناس<sup>(٥)</sup> حتى أن أخاه  
علياً (ع) لم يتردد في استشارته باختيار زيجة له قائلاً: «انظر إلى امرأة قد  
ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً»<sup>(٦)</sup> فأشار عليه بأن  
يتزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آباؤها<sup>(٧)</sup>.

وكان عقيل بن أبي طالب هو الآخر فيمن أخرجته  
قريش إلى بدر كرهاً وقد أسره يومئذ: عبيد<sup>(٨)</sup> بن

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥، وابن الأثير/ أسد الغابة/  
ج ٤/ ص ٦٤. والجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ١٧٠.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن أبي الحديد/ شرح نهج  
البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٥، والزركلي/ الأعلام/  
ج ٥/ ص ٣٩.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٥.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن الأثير/ أسد الغابة/  
ج ٤/ ص ٦٤.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥٧.

(٧) نفس المصدر/ ص ٣٥٧.

(٨) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ٣٤٣.

وقيل: إن علياً (ع) مرَّ به وهو أسير فأشاح بوجهه عنه، فقال له عقيل: «والله لقد رأيتني ولكن عمدا تصد عني»<sup>(٣)</sup> فجاء علي (ع) إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال: «يا رسول الله هل لك في أبي يزيد مشدودة يده إلى عنقه بنسعه»<sup>(٤)</sup> فانطلق معه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى وقف عليه فلما رآه عقيل قال: «يا رسول الله إن كنتم قتلتم أبا جهل فقد ظفرتم وإلا فادركوا القوم ما داموا بحدثان فرحتهم»<sup>(٥)</sup> وقيل: إن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة: «يا عباس ادف نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب»<sup>(٦)</sup> قال ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن إسحاق قوله: «وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة فقال: يا رسول الله أطعني فيما أشير به عليك، فإني لا ألوك نصحاً، قدم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك، وقدم عقيل إلى علي أخيه يضرب عنقه وقدم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله قال: فكره النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك ولم يعجبه»<sup>(٧)</sup> وذكر أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٣٤٣، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٩٩.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٩٩.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

(٤) نفس المصدر/ ص ١٥٤.

(٥) المصدر السابق نفسه/ ص ١٥٤.

(٦) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ٢١٠، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٦٥ باختلاف يسير.

(٧) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٢/ ص ١٨٣، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٧٤ - ٤٧٥.

وسلم - مال إلى رأي أبي بكر في الفدا والاستبقاء<sup>(١)</sup>.

في سياق تفسيره للآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾<sup>(٢)</sup> قال السيد عبد الله شبر: «إنها نزلت في العباس وعقيل ونوفل»<sup>(٣)</sup>. وروى الإمام الحافظ بن شهر اشوب عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِنَصْرِهِ أَيُّ بِقَوْمِكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَفَرٍ وَحَمْزَةَ وَعَقِيلَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وزوجة عقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، بن عبد شمس العبشمية، أخت هند أم معاوية<sup>(٥)</sup>. قال ابن حجر<sup>(٦)</sup> في الإصابة بسند صحيح: «تزوج عقيل بن أبي طالب فاطمة بنت عتبة بن ربيعة» وذكر<sup>(٧)</sup> أيضاً عن علي (ع) قوله: «أهدي إلى رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - حُلَّةً استبرق فقال: اجعلها خمراً بين الفواطم، فشققتها أربعة أخمرة: خمراً لفاطمة بنت رسول الله وخمراً لفاطمة بنت أسد وخمراً لفاطمة بنت حمزة ولم يذكر الرابعة [قال ابن حجر] قلت: ولعلها امرأة عقيل».

وعلى الرغم من واشجة الزوجية التي تشجُّ الزوجين إلا أنها ربّما وجدت على عقيل حين يطوف بها طائف ذكرى مصارع أهلها في الجاهلية فكانت تجبهه بقولها: «يا بني هاشم لا يحبكم قلبي ابداً، أين أبي، أين عمي. أين أخي كأن أعناقهم أباريق فضة ترد أنافهم الماء قبل

(١) ابن حزم/ الفصل في الملل والأهواء والنحل، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٧٥،

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٣) تفسير شبر/ ص ١٩٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب/ ج / ص ٣٤١.

(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤، ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٦) نفس المصدر/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤.

(٧) نفس المصدر السابق/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤.

شفاهم»<sup>(١)</sup> ويحسبك ما لم تستطع كتمانها فجرى على لسانها من إرادة العام في حين أن المقام يقتضي الخاص. وكان عقيل يرد عليها بما لم تحر معه جواباً: «إذا دخلت جهنم فخذني عن شمالك»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن زوجته - موضوع الحديث - أتت عثمان بن عفان يوماً فشكته عقيلاً، فبعث عبد الله بن عباس ومعاوية حكيمين، فقال ابن عباس: لا فرق بينهما وقال معاوية: ما كنت لا فرق بين سِمحتي من قريش، فلما أتياهما وجداهما قد أغلقا بابهما واصطلحا<sup>(٣)</sup>.

ومن الملاحظ أن عقيل بن أبي طالب كان له عدة زوجات بما فيهن من تسراهن من الجواري. فيما سنعرض له ضمناً عند حديثنا عن بني عقيل وعن تسريه إحداهن يقول عقيل نفسه: ذكروا الجواري فالتفت إليّ يزيد وقال: إيه يا عقيل فقلت:

أفاض القوم في ذكرك الجواري فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال يزيد: إنك لم تبق عزباً فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفر من بيت وبدرة عشرة آلاف درهم<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: «تزوج عقيل بن أبي طالب فخرج علينا فقلنا له: «بالرفاء والبنين». فقال: مه لا تقولوا ذلك؛ فإن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - نهى عن ذلك، وقال: قولوا: «بارك

(١) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٥، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢، علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٤، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٧/ ص ٢٠١ باختلاف يسير.

(٢) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٥، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠١، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٤.

(٤) الأبيشيبي/ المستطرف في كل من مستطرف/ ج ١ - ٢/ ص ١٦١.

الله لك وبارك عليك وبارك لك فيها»<sup>(١)</sup>.

ولعقيل دار بالمدينة معروفة<sup>(٢)</sup>. وأخرى في مكة أورد ذكرها القطبي<sup>(٣)</sup> في مورد حديثه عن دار خديجة (رض) قال: «يستجاب الدعاء في دار خديجة أم المؤمنين (رض) وهو معروف الآن في مكة ويعرف بمولد السيدة فاطمة (رض) لأنها ولدت فيها وهي وجميع أولاد خديجة من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتوفيت بها ولم يزل - صلى الله عليه وآله وسلم - ساكناً بها إلى أن هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب».

قال جدنا<sup>(٤)</sup>: «وكان عقيل بن أبي طالب قد باع دور بني هاشم المسلمين بمكة وكانت قریش تعطي من لم يسلم مال من أسلم فباع دور قومه حتى دار رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مكة يوم الفتح قيل له: ألا تنزل دارك يا رسول الله فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار» وفي النبوي وابن الأثير<sup>(٥)</sup> أن مولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف وأن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وهبها عقيل بن أبي طالب فلم تنزل في يده حتى توفي فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج. كما ذكر السيد<sup>(٦)</sup> في درجاته الرفيعة: أن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، ابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وأخاه من الرضاعة دفن عند موته في دار عقيل.

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٦.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٣) إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام/ ص ١٥٤.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

(٥) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ١٥٦. الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٢٧٠.

(٦) علي خان/ ص ١٦٦.

إن شرف بنبوته عقيل الشامخ وعز أرومته الباذخ من جهة ومماسته اليومية والتفصيلية وطبقات مجتمعه وملابسته الناس على قدر أخلاقهم واستعداده النفسي الخاص - كما تقدم - جعل من عقيل بن أبي طالب رجلاً أصيل الرأي والعقل حتى بذَّ بهما أصحابه فكان الموثل والمفزع حينما استغلق على الناس فهمه واعصوب أمره، من ذلك ما روي عن انتداب الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عقيلاً وآخرين معه لتدوين الدواوين بعد أن أشار الوليد بن هشام بن المغيرة على عمر بأن يفيد من تجربة ملوك الشام في هذا المجال. وفي ذلك يقول الوليد: «جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من لسان قريش فقال: اكتبوا الناس على قدر منازلهم. فبدأوا ببني هاشم»<sup>(١)</sup> وروي أن عمر بن الخطاب لما وضع الديوان استشار بمن يبدأ فقالوا: «ابدأ بنفسك، قال: لا، ولكني ابدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال: إنَّ رسول الله إمامنا فبرهطه نبداً. فوالله ما أدركنا العقل في الدين وما نرجو الثواب على عملنا إلا بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم - فهو شرفنا وقومه أشرف العرب»<sup>(٢)</sup>.

وفي إسلام عقيل بن أبي طالب أقوال: فقد قيل: إن إسلامه كان تأخر إلى عام الفتح وقيل: بعد الحديبية وإنَّ هجرته كانت في أول سنة ثمان<sup>(٣)</sup> وقيل: إنَّه شهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر في الفتح وحينئذ وكانه كان مريضاً<sup>(٤)</sup> وأورد جدنا<sup>(٥)</sup> - قدس سره - في إسلامه قولين:

(١) البلاذري/ فتوح البلدان/ ص ٤٣٦.

(٢) نفس المصدر/ ص ٤٧٦.

(٣) ابن حجر الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢٥٥.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.



الأول: إن عقيلاً لما فدي. عاد إلى مكة ثم أقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية وشهد غزاة مؤته مع أخيه جعفر (ع).

والثاني: إنه لم يعد إلى مكة بل أقام مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وشهد معه المشاهد كلها، ثم يستدرك ليقول: «والأول أصح».

وروي: أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أعطاه من خيبر مائة وأربعين وسقاً كل سنة<sup>(١)</sup>. وفي حب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لعقيل ما روى غير واحد قوله صلوات الله عليه: «يا عقيل احبك حبين حباً لقربتك وحباً لعمي أبي طالب إياك»<sup>(٢)</sup>.

كما وقع ذكره في الصحيح في مواضع<sup>(٣)</sup> وأخرج النسائي وابن ماجه له حديثاً<sup>(٤)</sup> وذكره الشيخ الطوسي<sup>(٥)</sup> في رجاله في أسماء الرواة عن عليّ (ع)، وروى له هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح<sup>(٦)</sup> وذكره أبو عبد الرحمن السلمي<sup>(٧)</sup> في سؤالاته للدارقطني في الجرح والتعديل.

وحدّث عنه سعيد بن أبي هند عن أبي مرّة مولى عقيل وذكر ذلك ابن هشام<sup>(٨)</sup> عن ابن إسحاق. وكذلك النجاري<sup>(٩)</sup> بطريق آخر عن أبي مرّة أيضاً

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ١٤.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٦٤ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠ والقندوزي الحنفي/ يتابع المؤدّة/ ص ١٥٤.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢٥٥.

(٥) ص ٤٨.

(٦) الألوّسي/ بلوغ الأرب/ ج ٣/ ص ٤٧٥.

(٧) ص ٢٤٢.

(٨) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٥٣.

(٩) صحيح البخاري/ ج ١/ ص ٩٤.

عن عقيل، وعرض لذكره البلاذري<sup>(١)</sup> لدى حديثه عن حفائر مكة بما نصه: «وكان عقيل بن أبي طالب حفر في الجاهلية بئراً وهي في دار ابن يوسف» وورد اسمه في عداد المحصورين في شعب أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

وفي تاريخ وفاة عقيل قولان:

أحدهما: أنه توفي في خلافة يزيد قبل وقعة الحرّة وثانيهما أنه توفي في خلافة معاوية<sup>(٣)</sup> وإلى الثاني يميل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة<sup>(٤)</sup> والسيد علي خان المدني في الدرجات الرفيعة<sup>(٥)</sup> وأحال رجحان الثاني أيضاً لما ذكره ابن أبي الحديد فإن استُصْحِحَ هذا القول فإن عقيلاً يكون قد توفّي حينئذٍ بعد أن بلغ من السن ستاً وتسعين سنة<sup>(٦)</sup> أو ربما يكون قد أناف على مئة سنة<sup>(٧)</sup>.

ووجدت في التحقيق بهامش السيرة النبوية لابن هشام كلاماً مفاده أن عقيل بن أبي طالب سكن البصرة ومات بالشام<sup>(٨)</sup> وهذا أمر لم يعنّ لي فيما بين يدي من المراجع إلا ما أورده الأبشيهي في مُستطَرَفِهِ من قدومه واسط بعد أن استقدمه الأمير يزيد بن المهلب ولم يطل لبائه في واسط غير عشر ليالٍ<sup>(٩)</sup> وابن أبي الحديد الذي ذكر أن عقيلاً خرج إلى العراق ثم إلى الشام

(١) فتوح البلدان/ ص ٤٣٦.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٦٥.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥ والزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٤) ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٥) ص ١٦٥.

(٦) نفس المصدر/ ص ٢٥٠.

(٧) الزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٨) ج ٣/ ص ٣.

(٩) المستطرف في كل فن مستظرف/ مج ١ - ٢/ ص ١٦١.

ثم عاد إلى المدينة<sup>(١)</sup> وفي (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) للقطبي صورة كتاب وقف قصر الواقف فيه موردٌ وقفه على اكساء قبر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - بالأسطار تكريماً وتشريف مراقده الاتباع وستر مراصد الأشياع أيضاً بالأزار ومحراب قبة العباس وقبره وقبر عقيل بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٢) القسم الأول/ تواريخ مكة/ ص ١٧٤.

## بين عقيل وعلي

كان عقيل بن أبي طالب ربيثةً لعلي ودريئةً ولساناً حليفاً وعينا، وغير مراغم لعتاب ولا مفارق لِقلى، لم يؤثر عاجل الدنيا على آجل والآخرة ولم يعدلُ بعلي سواه من الخلق فكم من موقف شدَّ فيه ظهر أخيه بصحيح بادرتِه، وكم من موطن نافخ عنه فيه بجيد نادرته وهو في هذا وذلك لم يتكعكع ولم يهن.

استمع إليه في مجلس الخليفة عثمان بن عفان كيف أفلج الوليد<sup>(١)</sup> بن عقبة بن أبي معيط بلسان الصدق غضبا لله وللحق بعد نيل الأخير من أخيه علي (ع) قال عقيل: «إنك لتتكلم يا بن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت عليجٌ من أهل صفورية»<sup>(٢)</sup>.

واستشرف مجلسه عند معاوية بن أبي سفيان كيف يوترُ قوسه ويرمي غرضه فلم يخطيء قصدهُ ثاراً لأخيه (ع) بعد تعريض معاوية به وعندها لم يسع معاوية إلا الاذعان بالحق والتسليم للحقيقة والاعتراف: بأن محلَّ المجد من بني هاشم منوط في أبي يزيد ما تغيره الأيام والليالي<sup>(٣)</sup> وهو أربة عقدِ الأخاء ورؤية صدع الصفاء فما أن يبلغه ائتمار بعض القوم بأخيه

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أخو عثمان لأمه وكان والياً على الكوفة.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ١/ ص ٤٣٦.

(٣) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٧٥.

وخذلان أهل الكوفة له وتقاعسهم عن نصرته عقب غارة الضحاك الفهري على بعض أعماله (ع) حتى يسارع في انفاذ كتاب إليه يمحصه فيه نصحه ويمنحه مشورته وينابذ فيه عدوه ويذمر نفسه على فوت الحرب، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج/ ج ١١/ ص ٢٥٠: «وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه ولم يكلفه حضور الحرب». وكان مما كتبه يومئذ: «فإن كنت الموت تريد تحملت إليك بنني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ومنتنا معك إذا مت فوالله ما أحبُّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً»<sup>(١)</sup>.

وكان مما أجاب به عليّ (ع) عقيلاً: «وأما ما عرضت من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي أن هلكت ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً انه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فلإنني صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب»<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من تصوير البعض لعقيل بن أبي طالب بصورة الرجل المحكِّ لكثرة ترداده على أخيه (ع) والإيغال في استرفاده واستزادته من العطاء ثم الانكفاء إلى معاوية بن أبي سفيان فإن عقيلاً لم يترك نصح أخيه والتعصب له<sup>(٣)</sup> في حله به وظعنه عنه ففي الحِلِّ كان يجده خيراً

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٥ الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٦/ ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١١/ ص ٢٠٣ - ٢٠٤، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٧ وقال: وقد أورد الشريف الرضي بعض هذا الكتاب الذي كتبه أمير المؤمنين (ع) جواباً لأخيه في نهج البلاغة إلا أن بين ما أورده - والقول لما ينزل للسيد علي خان - وبين ما نقلناه اختلافاً يسيراً في العبارة.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٧.

لدينه<sup>(١)</sup> وفي ظعنه عنه كان يتركه على ما يحب الله ورسوله<sup>(٢)</sup> وهو بين هذين: «قد جعل دنياه دون دينه وخشي الله على نفسه ولم تأخذه في الله لومة لائم» كما يقول عقيل<sup>(٣)</sup> فمما لا جدال فيه أن علياً (ع) «كان شديد السياسة خشناً في ذات الله، لم يراقب أخاه عقيلاً في كلام جبهه به»<sup>(٤)</sup>.

ان علياً (ع) كان يعطي فرضه، فإذا ما كان عطاؤه قليلاً فإنما هو لقلّة ما في يده وكثرته في يده عدوّه، ثم ان تلك الأموال التي كانت بين يديه إنما هي أموال الله لكل مسلم فيها حق ولكل ذي حاجة فيها نصيب. يستوي عند علي في ذلك القريب والبعيد والقاصي والداني وليست ملكاً لابن أبي طالب طليقاً يحتجونه فيما يحتجّن، فما قيمة المال عنده إذن إن لم يُقَم به حقاً ويدفع باطلاً ويرأب صدعاً. أوليس (ع) هو الذي يقول: «ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يجيئه أخوه<sup>(٥)</sup> في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فانها تدلّ على سبيل النجاة»<sup>(٦)</sup> لذلك فقد كان يصل أخاه بما اتسعت له كفاه واحتملّه ماله<sup>(٧)</sup>، أفيحسبُ ذلك منه تقصيراً أم قصوراً؟

ومما روي عن عقيل بن أبي طالب: إنه قدم على عليّ (ع) الكوفة، فأنزله وأمر ابنه الحسن (ع) فكساه، فلما أمسى دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلّا ما أرى؟ قال: لا. قال: فتقضي ديني؟ قال:

(١) نفس المصدر/ ص ١٥٥.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٤.

(٥) ان «الأخ» عند أمير المؤمنين علي (ع) اثنان، اما أخ في (الدين) أو نظير في (الخلق).

(٦) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٧/ ص ٢٧٩.

(٧) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ من كلام لعقيل (ع): «فوصلني بما اتسعت له كفاه واحتمله ماله».

وكم دينك؟ قال: أربعون ألفاً. قال: ما هي عندي. ولكن اصبر حتى يخرج عطائي، فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك. فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك! فقال: أتأمر في أن أدفع إليك أموال المسلمين، وقد ائتموني عليها قال: فإني آت معاوية. فأذن له<sup>(١)</sup>.

وعنه أيضاً، قال: «اقويت وأصابتنى مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعتُ صبيانى وجنته بهم، والبؤس والضر ظاهران عليهما، فقال: ائتنى عشيةً لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتحنى، ثم قال: ألا فدونك، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنها صرة - فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلما قبضتها نبذتها، وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال لي: ثكلتك أمك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبى غدا أن سلكننا في سلاسل جهنم! ثم قرأ: ﴿إذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون﴾. ثم قال: ليس لك عندي فوق حقلك الذي فرضه الله لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وروي نحو ذلك مما هو كثير في مظانه من كتب التاريخ والسيرة، وليس في ذلك ما يعاب به على عليّ وهو الذي وترّ قربانه بعدائه في الله أو يعير به عقيل وقد أعوزَ وتحوّجَ وإنما هو عظة بالغّة لكل ذي لب ودرس خليق بأن يؤتسى به في كل زمان ومكان. قال الاستاذ العلامة القرشي: لقد مثل الإمام عليّ في عهده الفضيلة والمساواة والحق والعدالة حتّى ساوى بين أخيه عقيل وبين غيره من طبقات الشعب، وقد ملأ (ع) التاريخ عظمة وافتخاراً بمآثره الطيبة التي هي عنوان لسلطان الحق والمساواة<sup>(٣)</sup>.

لقد كان عليّ (ع) يقيس الأمور بمقياس الحق ويزنها بالقسطاس المستقيم لم يصانع ولم يلاين أحداً قرّبَ إليه أو بعد منه والجميع على

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٥.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) القرشي/ حياة الحسين بن علي/ ج ١/ ص ١٩٢.

سوية من الأمر عنده فلقد عتف (ع) ولده الحسين ربحانة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأوشك أن يحذفه بالدره لأنه (ع) أخذ مقسمه من زق غسل جاءهم من اليمن قبل غيره لضيف نزل به لولا أن يقسم على أبيه يحق عمه جعفر وكان (ع) إذا سئل بحق جعفر سكن وقال له: ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة فقال (ع) إن لنا فيه حقاً قال فذاك أبوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم أما لولا إنني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقبل ثنيتك لأوجعتك ضرباً ثم دفع إلى قبر درهما كان مصرورا في ردايه وقال: اشتر به خير غسل تقدر عليه وجعل يبكي ويقول: اللهم اغفر للحسين فإنه لم يعلم<sup>(١)</sup>.

واستعارت بنت أمير المؤمنين علي (ع) عقد لؤلؤ تتجمل به في يوم الأضحى من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين (ع) فلما رآه عليها عرفه وأمرها ببرده ثم قال: ويل لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة، لكانت اذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة وبخ ابن أبي رافع وتوعده بالعقوبة ان هو عاد إلى مثله<sup>(٢)</sup>. قال صاحب الدرجات الرفيعة: «فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله ولا راقبها في حدود الله»<sup>(٣)</sup>.

وفي اختلاف عقيل إلى معاوية قولان:

الأول: باختلافه إليه في حياة أخيه واستدل القائلون بذلك بقول معاوية - وعقيل عنده يومئذ - هذا أبو يزيد، لولا علمه أنني خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ومجاوبة عقيل له<sup>(٤)</sup>.

الثاني: بعدم عودته إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين علي (ع)

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٩ وما بعدها.

(٢) البهائي/ الكشكول/ ج ٢/ ص ٢٦٧.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ والجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.



واحتجّ بالكتاب الذي أنفذه عقيل إلى أخيه (ع) في آخر خلافته وجواب علي عليه<sup>(١)</sup>.

وأظهر القولين عند ابن أبي الحديد الثاني وبه أخذ<sup>(٢)</sup> كما نسب السيد الأمين<sup>(٣)</sup> - قدس سره - إليه قوله: «إن معاوية وبَّخ سعيد بن العاص على تأخره عنه في صفين فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً ولكن جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم ولو أربعناك لاربعوا» وعنه<sup>(٤)</sup> أيضاً: «إن عقيلاً كان بقي بأولاده في المدينة كما يدلّ قول سعيد بن العاص... وكتاب عقيل إلى أخيه الدالّ على أن عقيلاً كان بالحجاز مع أولاده عند غارة الضحاك التي كانت بعد الحكمين وأن أمير المؤمنين أمره بالإقامة بأولاده بالحجاز وعدم المجيء إلى العراق... وأن عقيلاً لم يذهب إلى معاوية في حياة أمير المؤمنين وإنما ذهب بعد موته ويدلّ على ذلك الكتاب والجواب كلام سعيد بن العاص».

أياً كان الأمر فسواء اختلف عقيل إلى معاوية في حياة عليّ (ع) أو بعدها، فإنه ليس الرجل الوحيد الذي كان يطرق باب معاوية فتفتح له على مصراعيها فهناك الكثير من خيار الصحابة وصلحاء المسلمين ممن زحرت باسمائهم صفحات التاريخ فيمن وفد عليه أذكر منهم على سبيل المثال الحصر: صعصة بن صوحان وشريك بن الأعور وعبد الله بن عباس والأحنف بن قيس وغيرهم، وكان لأولئك الرجال مواقف مع معاوية لما يزل الناس يتمثلونها.

ولعل الدافع الاقتصادي - وإن لم يكن الدافع الوحيد - هو أقوى الدواع التي كانت تستحثهم نحو معاوية. فقلة الموارد الاقتصادية في

(١) أيضاً: ابن أبي الحديد/ ج ١١/ ص ٢٥١.

(٢) نفس المصدر/ ج ١١/ ص ٢٥١.

(٣) محسن/ أعيان الشيعة/ ج ٣/ ص ٤٩٠.

(٤) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٤٩٠.

الجزيرة العربية لا سيما الحجاز ووفرتها في بلاد الشام وكثرة الأموال بها واحتواء بني أمية لها و «ذهاب تلك الأموال في جيوب عدد قليل من الناس بينما لا يحصل غيرهم على شيء»<sup>(١)</sup> كل ذلك كان يدفعهم لاستنقاذ أقاتهم من بين برائن سبع رحب المسرط ورغيب والاجتهاد في تحصيل حقوقهم، التي قد استوثق منها بنو أمية «بالأبواب والأقفال»<sup>(٢)</sup> ومن ذلك قول الأحنف لمعاوية: «إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه»<sup>(٣)</sup> وكان البعض يحاول معاوية مجاوزاً الحدّ في الكذب في كثير من الأحيان وصولاً إلى مراده.

أفيكون بعد ذلك كله من الانصاف في شيء قول القائل:

فمن بسواك باعك فاغن عنه كما استغنى عليّ عن عقيل<sup>(٤)</sup>

وهل يستصاب ما نسب إلى علي (ع) من القول إذ قولوه ما لم يقل: «ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً، إن عقيلاً ليرمدُ فيقول: لا تذرني حتى تذرنا علياً، فاضطجع واذرى وما بي رمد»<sup>(٥)</sup> أفنسي أولئك الذين ذهبوا طولاً وعدموا معقولاً أن علياً (ع) يوم ولد كان لعقيل من العمر عشرون سنة فهل يتصور ذو مسكة أن إنساناً بلغ من العمر عشرين سنة يتأبى على طبابِ علته حتى يرغم أخاه الذي يصغره بكثير على دواءٍ له عنه غنّيه؟

وأياً كان الأمر فالذين كسحوا لعقيل بالعداوة لا بد وأنهم وضعوا هذا القول ونسبوه إلى عليّ كي يحطّوا من قدر عقيل ويتنقصوه كما ادعوا على أبيه وأخيه من قبل.

ومع كل ما تقدّم، فإننا لو افترضنا أنّ عقيل بن أبي طالب قد كان جاء

(١) ولهاوزن/ يوليو/ الدول العربية وسقوطها/ ص ٥٣.

(٢) المبرّد/ الكامل/ ج ١/ ص ٣٨.

(٣) العامل/ الكشكول/ ج ١/ ص ٣٦٢.

(٤) انظر الشربيني/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول/ ص ٢٢٥.

(٥) انظر تفصيل ذلك في «الشهيد مسلم بن عقيل» للمقرّم/ ص ٣٤.

بذنب واحد فإن محاسنه جاءت بألف شفيع، ولعلّ تلك المحاسن –  
لا كما توهم الجاحظ – هي التي كانت أطلقاً للسان الباغي  
والحساد فيه<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

## وجها لوجه (مع معاوية)

ربما كنت تجنيت على عقيل فتوهمته على غير حقيقته ولو أمعنت في أمره لربما كنت التمسيت له العذر في انتجاعه معاوية فرب ملوم لا ذنب له أو: لعلّ له عذراً وأنت تلوم فمن أجذبَ جنبأه انتجع ومن أقحط استرفد لكنّ عقيلًا في انتجاعه ينقذُ حقه ويُصحِرُ بما في قلبه وينكي في خصمه نكايات غليظة .

وهو وإن كان معاوية خيراً له في دنياه<sup>(١)</sup> فإنما كان يعطيه – كما يقول عقيل<sup>(٢)</sup> –: مما لم يعرق فيه جبينه ولم تكدح فيه يمينه رزقاً أجراه الله على يديه وهو المحاسب عليه لا محمودٌ ولا مشكور فيه ولم ينسَ أن يسأل الله خاتمة خير<sup>(٣)</sup>.

إن الذين كان يغشون مجلس معاوية لا يبعد أن يكونوا على أنماطٍ ثلاثة ولكل نمطٍ خصوصياته النفسية واستعداداته الذاتية فمنهم: الهمج الرعاع الذين ينعقون بنعيق معاوية يأترون بأمره ويتتهون بنهيه ويقولون بمقولته لا يفرقون بين الحق والباطل والمفضول والفاضل والفضل

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١ / ص ٢٥١ .

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ .

(٣) نفس المصدر/ ص ١٦٣ ، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١ /

ص ٢٥١ .

والتقصان والجمرة والتمرة. هو مع السلطان أطوع إليه من ظله ما دام يكفل لهم بحبوحة العيش، رغيماً ساخناً ودرهم وكسوة ودعة وحظوة ولو يكن طموحهم ليصل لأبعد من ذلك ولعلّ أمثل شاهد على هذا النمط هو في ذلك الرجل الذي جاء مغداً يُهَنِّئُ معاوية بتوليته ابنه يزيداً ولياً للعهد قائلاً يا أمير المؤمنين: «إنك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها»<sup>(١)</sup>.

ومنهم: من كان على قدر من المعرفة ووفرة من القدرة على التمييز بين الأحماس والأسداس والمضّرّ والتافع والغث والسمين ولكنه يعيش حالة من التذبذب والتأرجح بين واقع الحقيقة وحقيقة الواقع فالأصفر الرنّان ملك عليه إحساسه وشعوره ورنينه صخّ أذنيه وهيمن على مسامعه فهو في ظاهر الحال مع معاوية يتمسح بأعبائه ويمخضه وده لكنك ترى إليه حين يخلو إلى من يثق به، يركن إلى سلامة طويته سيفاً مصلتاً ولساناً ناقماً وهو بين ذلك مغلوب على أمره. أصغ إليه وهو يسر في أذن صاحبه على عجالة - بعد أن نال بغيته من معاوية - هامساً: «إني لأعلم أنّ شرّاً من خلق الله هذا وابنه ولكنه قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلنسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت»<sup>(٢)</sup> فيرد عليه صاحبه دهشاً: «يا هذا أمسك فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً»<sup>(٣)</sup>.

أما النمط الثالث: فهم العناصر الذين يمثلون مراكز قوى بحسب بنياتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الطبقية مع توافرهم على قدر لا يستهان به من المكر والدهاء. مكنهم من مساومة معاوية وصولاً إلى مطامحهم وغاياتهم، رائدهم في ذلك ولاية يولونها أو إمارة تناط بهم إدارة دفتها أو مسؤولية يرمى إليهم بمقلدها ولسان حال الجميع يقول: يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة...

(١) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٣٨.

(٢) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٣٨.

(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٣٨.

وها هو واحد من اولئك يستعتب معاوية في أمور فيقول له: «ولولا مصرَ وولايتها لركبْتُ النجاة منها فإنني أعلمُ أن علي بن أبي طالب على الحق وأنا على ضده»<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على ما سبق كان حضور نمط رابع أمراً لا ممتدح عنه ولا مصرف تمليقة طبيعة الواقع وتستلزمه مسئولية التكليف فلتن كان قِيَصَ لبني أمية في غفلة من الزمن وغفوه من المسلمين وغياب الوعي وغيوبة الضمير أن «يفلحوا في أن يحولوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدين»<sup>(٢)</sup> فيملكوا الناس قهراً ويدلوهم كبراً ويستولوا بالباطل كذباً ومكرراً تحت شعار الخلافة وأمرة المؤمنين المهتضمتين وهما أمران ليس لبني أمية فيهما إيراد ولا إصدار... وكان لا بد والحالة هذه لصوت الحق في ظل الواقع المحموم أن يصدح ليعلو ضجيج والباطل ولا بد لألسنة الحقيقة أن تنطلق حليفةً بما يؤدي إلى فلاح الطغاة حتى يتفري الليل عن صبحه ويسفر الحق عن محضه.

لم يعهد معاوية هذا النمط من الرجال فيمن عرف من قبل وخبر، أيداً ومروءة وعزة ونخوة وأنفة ونجدة... رجالاً لم يدالسوا ولم يجبنوا ولم يؤثروا سحق العاجل على الحلال من الآجل ولا العسل في جانب الباطل على العلقم في جانب الحق. وإن علياً مع الحال المضيرة خير من معاوية مع المغيرة ولم يألوا جهداً في أمر بعرفٍ ونهي عن نكرٍ ودفاع عن فضيلة واستنقاذ حق مضيع لا يقلل من عزائمهم في سبيل ذلك ارجاف مرجف ووعيد متوعد حتى أن معاوية كان لا يملك نفسه أمام هذا النمط إلا أن يقول: «هكذا فلتكن الرجال»<sup>(٣)</sup> وأمام انموذج آخر من اولئك الأفذاذ يودُّ معاوية لو أنه كان من صلبه<sup>(٤)</sup>.

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٦٥.

(٢) ولهاوزن/ الدولة العربية وسقوطها/ ص ٥٣.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٧.

(٤) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٧٧.

ولم يكن عقيل إلا واحداً من اولئك الأماثل فلقد سدَّ بباته وجلده وشدة عارضته على معاوية المخارج وأخذ عليه السبل بمقول الصدق الذي هو من السيف أقطع والحجة التي من السنان أنفذ، فكم من حقٍّ رصد له حتى أصاب منه مفصله ومن حقيقة قصد إليها بسهم حجته فلم يخطيء كبدها. استمع إليه يخاطب معاوية غير هيّاب ولا وجل فيقول: «وايم الله يا معاوية لئن كانت الدنيا مهدتك مهادهَا وأظلتك بحذافير أهلها، ومدت عليك أطناب سلطانها، ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة ولا تخشعاً لرهبة»<sup>(١)</sup>.

وذكر أن معاوية قال لعقيل يوماً: إنَّ علياً حَافِضٌ لك قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك، فيجيب عقيل مدافعاً بقوارص الكلام عن أخيه فيقول: والله لقد أجزل علي العطيّة وأعظمها ووصلَ القرابة وحفظها، وحسن ظنه بالله إذ ساءَ به ظنك وحفظ أمانته وأصلحَ رعيته، إذ ختمت وأفسدتم وجرتم فاكفف لا أبالك فإنه عما تقول بمعزل<sup>(٢)</sup>.

ومن تمذّر نفس معاوية أن يطلب من عقيل في بعض الأيام أن يرقى المنبر ليلعن علياً (ع) فيترقى عقيل المنبر ليقول بعد حمدِ الله والثناء عليه: «أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(٣)</sup> فلما نزل قال له معاوية: إنك لم تبين يا أبا يزيد من لعنت، قال عقيل: والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر والكلام إلى نية المتكلم<sup>(٤)</sup>. عندها يتغيظ معاوية ويغضب لكنه غضب الخيل على

(١) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠١.

(٢) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٢٠٠، ومحمد أحمد جار المولى وأخرون/ قصص العرب/ ج ١/ ص ٢١٣.

(٣) أيضاً الأندلسي/ ج ٣/ ص ٢١٦.

(٤) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٢١٦، والأبشهي/ المستطرف/ مج ١ - ٢/ ص ٤٣، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦١.

كثيراً ما حاول معاوية أن يخطب ودَّ عقيل وأن يستميله فيغريه بالمال العظيم والمنزل الرفاه والحفاوة البالغة ليستعديه بكلِّ ذلك على أخيه فلم يظفر بطائل وكانت جميع محاولاته تبوء بذرير الفشل، روي: أنَّ معاوية قال لعقيل هل من حاجة فأقضيها لك، قال عقيل: نعم جارية عرضت عليَّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفاً، فأحبَّ معاوية أن يمازحه فقال: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً، وأنت أعمى تجتزىء بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال عقيل: إني لأرجو أن اطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبتة يضرب عنقك بالسيف، عند ذلك لم يسع معاوية إلا أن يضحك ويقول: مازحناك يا أبا يزيد<sup>(١)</sup>. وروي أن عقيل بن أبي طالب غدا يوماً عند معاوية وذلك بعد وفاة عليّ (ع) وصلاح الحسن (ع) وكان يحيط بمعاوية جلساؤه فقال: يا أبا يزيد أخبرني عن عكسري وعسكر أخيك فقد كنت وردت عليهما قال: أخبرك مررتُ والله بعسكر أخي فإذا ليلهُ كليلُ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ونهاره كنهار رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلا أن رسول الله ليس في القوم ما رأيتُ إلا مصلياً ولا سمعتُ إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفرَ برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ليلة العقبة ناقته ثم أخذ يسأل معاوية عن من معه فقال: هذا عمرو بن العاس وهذا الضحاك بن قيس الفهري وهذا أبو موسى الأشعري فطفق عقيل يثلبهم واحداً واحداً ويذكر مناقصهم فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء فيذهب بذلك غضب جلسائه قال: يا أبا يزيد ما تقول فيّ؟ قال: دعني من هذا قال: لتقولن قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١ / ص ٢٥١.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ج ١٦٠ - ١٦١.



يحاوية معاوية جاهداً أن ينتزع من عقيل أية كلمة يستشف منها النيل من علي (ع) ويستشعر منها التعريض به وحين يشعر بالإحباط والخيبة وأن بينه وبين ما يأملُ خרט القتاد... يلجأ إلى وسيلة أخرى وهي أن يستفز عقيلاً ولم تكن هذه بأوفر حظاً من سابقتها، من ذلك ما ذكر عن عقيل من أنه دخل على معاوية وقد كان كف بصر الأول فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال عقيل: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائرکم<sup>(١)</sup>.

ودخل عقيل بن أبي طالب على معاوية فقال الأخير لأصحابه: «هذا عقيل عمه أبو لهب قال له عقيل: وهذا معاوية عمته حمالة الحطب. ثم قال: يا معاوية إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عمتك حمالة الحطب فانظر أيهما خير الفاعل أو المفعول به»<sup>(٢)</sup> إلى كثير من هذا اللون.

ومن أمثلة استفزاز معاوية عقيلاً أنه قال له يوماً: «والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم؟ قال: وما هي؟ قال: لين فيكم، قال: لين ماذا؟ قال: هو ذاك قال: إيانا تعبر يا معاوية أجل والله أن فينا لليناً من غير ضعف وعزاً من غير جبروت وأما أنتم يا بني أمية فإن لينكم غدر وعزكم كفر قال معاوية: ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد. قال عقيل:

لذي اللب قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما»<sup>(٣)</sup>

(١) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠، والزبيدي/ تاج العروس/ ج ٣/ ص ٤٨ إلا أنه ينسب الحوار إلى ابن عباس ومعاوية طبقاً لحديث لابن عباس بهذا الخصوص كما يوافقه البهائي في الكشكول/ ج ١/ ص ١٩٣ الرأي.

(٢) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢، باختلاف يسير وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٢.

(٣) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠ - ٢٠١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦١ - ١٦٢.

ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وعنده عقيل فوسع معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما فقال عقيل: من هذا الذي أجلست بيني وبينك؟ قال معاوية: أخوك وابن عمك عتبة قال: أما إنَّه إن كان أقرب إليك مني إنني لأقرب لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منك، ومنه، وأنتما مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أرض ونحن سماء. قال عتبة: يا أبا يزيد أنت كما وصفت ورسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فوق ما ذكرت وأمير المؤمنين عالم بحقك ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره<sup>(١)</sup>. ولما لم يفلح معاوية في وسيلته هذه أيضاً يلجأ إلى اغراء جلسائه بعقيل كي يعييه ويفحمه، من ذلك مقالة الوليد بن عقبة لعقيل في مجلس معاوية: «غلبك أخوك يا أبا يزيد على الثروة قال: نعم واستبقني وإياك إلى الجنة قال: أما والله أن شديك لمضمونان من دم عثمان فقال وما أنت وقريش والله ما أنت فينا إلا كنفح التيس فغضب الوليد وقال والله لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لأرهبوا صعوداً وأن أخاك لأشد هذه الأمة عذاباً فقال: صه والله إننا لنرغب بعبد من عبيده عن صحبة أبيك عقبة بن أبي معيط»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان عقيل يفوت مرة بعد أخرى على معاوية وفرصه وكثيراً ما اعياه حتى أنه كان يلجأ أحياناً إلى أن يقطع على عقيل كلامه «مخافة أن يأتي بشيء يخفضه»<sup>(٣)</sup> أو يعزم عليه لما يمسك فإنه لم يجلس لهذا<sup>(٤)</sup>.

وربما لجأ إلى التهديد والوعيد أحياناً آخر من ذلك قوله لعقيل بعد أن أمعن فيه تبكيت معاوية وافحامه: «أما والله يا ابن أبي طالب لولا أن يقال عجل معاوية لخرق ونكل عن جواب لترك هامتك أخفت على أيدي

(١) أيضاً/ الأندلسي/ ج ٣/ ص ٢٠٠.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٢.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٤) نفس المصدر/ ص ٧٥.

الرجال من حولي الحنظل فأجابه عقيل :

عذيرك منهم من يلوم عليهم      ومن هو منهم في المقالة أظلمُ  
لعمرك ما أعطيهم منك رافة      ولكن لأسباب وحلوك علقمُ  
أبى لهم أن ينزل الذلّ دارهم      بنو حرّة زهر وعقل ومسلمُ  
وإنهم لم يقبلوا الضيم عنوة      إذا ما طغى الجبار كانوا همُ همُ  
فدونك ما أسديت فأشدد به يداً      وخيركمُ المبسوط والشر فالزموا»<sup>(١)</sup>

وكان معاوية قد أمر له بمائة ألف درهم فرمى بها عقيل بن أبي طالب ورفض ثوبه وقام ومضى فلم يلتفت إلى معاوية<sup>(٢)</sup>.

وروي أيضاً أن معاوية قال لعقيل: يا أبا يزيد كيف تركت علياً فقال: «تركته على ما يحبّ الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله»<sup>(٣)</sup> فقال معاوية: «لولا أنك زائر متجعّج جنابنا لرددت عليك يا أبا يزيد جواباً تألم منه»<sup>(٤)</sup>.

وللأسباب التي أشار إليها عقيل بن أبي طالب والتي لا تخفى على معاوية أيضاً نجد: أن معاوية استعطفه بعد ذلك ولم يُبد له إلا المحبة وكان يحتمل له ما يجبهه به يدل على ذلك ما رواه الزمخشري في ربيع الأبرار أن معاوية كتب إلى عقيل يعتذر إليه من شيء جرى بينهما: أما بعد يا بني عبد المطّلب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أحلامكم الراسية وعقولكم الكاسية وحفظكم الأواصر وحبكم العشائر ولكم

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ .

(٢) نفس المصدر/ ص ١٦٣ .

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥ .

(٤) نفس المصدر/ ص ٧٥ .

الصفح الجميل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساءني ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن أغيب في الثرى، فكتب إليه عقيل (رض): صدقت وقلت حقاً غير إني:

أرى أن لا أراك ولا تراني ولست أقول سوءاً في صديقي  
ولكني أصد إذا جفاني

فركب إليه معاوية وناشده الصفح وأجازه مائة ألف درهم حتى رجع<sup>(١)</sup>.

قال الأستاذ العقاد: وقد اجتمع من سجال بني هاشم وخصومهم في مجلس معاوية ما ينعقد به سجلٌ خاص في مآثورات الحوار في كلِّ مقام . . . أناس من ذوي السلطان المحدث يعلمون هو أن أقدارهم مع بني هاشم وآل النبي وصفوة قريش، ويلذ لهم أن ينعموا بالسلطان وأن «يجتروا» تلك النعمة حيثما وسعهم اجترارها في حضرة وليهم وعلى مسمع من السادة الأعلى الذين غلبوا على ذلك السلطان، وأن وليَّ الأمر نفسه ليحب ذلك ولكنه يعلم أنه مركب غير مأمون، وأن الموتورين إذا سمعوا ما يكرهون فردوه بمثله فما في وسعه أن يواجه العالم الإسلامي كلَّ يوم بشهيد من آل البيت . فسبيله أن يصطنع المخالفة لجلسائه وأن يحذرهم مغبة اللهو بهذه الملهاة ولا أمان فيها من لسن القوم وأنفتهم التي لم تخذلهم قط في مقام المناظرة والتحدي من زمن قديم . فإن أصيب جلساؤه فعليهم وزر عملهم وليس لهم أن يطالبوه بالاقتصاص لهم من أمر قد اختاروه على خلاف رأيه، وإن سلم أولئك الجلساء فقد شفوا صدره من أولئك الموتورين .

وتكاد القصص مع بني هاشم في مجلس معاوية تجري كلها على وتيرة واحدة: رجل من آل البيت يدعى إلى المجلس أو يأتي إليه في أمر

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ وما بعدها.

من أموره فيغرى به جليس من الحاشية يتحرش به ويستثيره فيجاب بما هو أهله، ويتغاضب معاوية على الجليس فيلومه إذا بلغ الجدال والمحال فصل المقال، وما نرى أن الملهاة كلها كانت مدبرة لكي تنتهي إلى خاتمة أخطر من هذه الخاتمة. وماذا عليهم إذا استطال الموتورون بالمقال وهم يستطيعون بالسلطان؟<sup>(١)</sup>.

فلماذا يكون عقيل - وعقيل وحده - مظنة شبهة وموضع ريبة ومحل همزٍ ولمزٍ.

قد علمت أن بين زوج عقيل بن أبي طالب وأم معاوية بن أبي سفيان رحماً ماسه وذلك هو السبب الذي يعزوه ابن الأثير في سيره إلى معاوية<sup>(٢)</sup> هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن عقيلاً هو من ذؤابة هاشم فنسبه من الشمس أسطع، وشرفه من هام الثريا أرفع، وفي ذلك يقول الجاحظ: «وله بعدُ لسانه ونسبه واربه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول»<sup>(٣)</sup>.

فالذي يكون بهذه المنزلة الرفيعة مع رصانة الرأي وأصالة العقل ليس من المنطق في شيء أن تحول بينه وبين اداء رسالته حدود الجغرافيا كما لا ينبغي أن ينتظر لاجتيازها تصريحاً بذلك، من هنا كان وجوده في مجلس معاوية بمنبر للتوعية والتوجيه أشبه فلم يدع نهزة إلا واختلسها في أمر بمعروف ونهي عن منكر ودحض لشبهة وكشف لزيف ولا فرصة إلا افترصها في تأكيده للشرعية بقاطع الدليل ودماغ الحجة بعد أن اشتبهت على الناس الأمور واضطربت المقاييس وألبس الحق لبوس الباطل ومسخت الحقائق أمام الأعين ولقد كان يرهص بما كان يخشى منه معاوية ويحاذر ولعل من مصاديق ذلك الارهاص قوله لمعاوية:

(١) العقاد/ معاوية/ ص ٩٠ وما بعدها.

(٢) أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٣) البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

اصبر لحرب أنت جانيها لا بد أن تصلى بحاميها<sup>(١)</sup>

وكان عقيل بن أبي طالب في كل ذلك يستنير ويسترشد بمقولة أخيه أمير المؤمنين (ع): «فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أرغم أنف المناق ومن صدق في المواطن فقد قضى الذي عليه، ومن شنىء الفاسقين، فقد غضب لله ومن غضب لله غضب الله له»<sup>(٢)</sup>. ولعل الإمام الشافعي (رض) لم يبعد عن هذا المعنى حيث يقول: «من صدق في أخوة أخيه قبل عمله وغفر زلله»<sup>(٣)</sup>. والذي كان يقدقه معاوية عليه من الأموال إنما هو بعض حقه والذي فضل عليه أكثر مما خرج منه<sup>(٤)</sup>.

من جميع ما تقدم تخلص إلى أن عقيل بن أبي طالب شخصية واسعة الأبعاد، متعددة المواهب، فسيحة الأوصاف المتغايرة، مما لو اجتمعت في واحد من الناس لكونت مجالاً لاجتماع الضدين وهما كاجتماع النقيضين من حيث الاستحالة وعدم المعقولية وهو في كل ذلك «لا يقوم له أحد»<sup>(٥)</sup> فعادوه وقالوا فيه بالباطل ونسبوه فيه إلى الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة<sup>(٦)</sup> «وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول: قد سمعت الرجل يحمقه حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث. فمنها قولهم: ثلاثة حمقاء كانوا أخوة ثلاثة عقلاء والأُمُّ واحدة: علي وعقيل، وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم، وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص»<sup>(٧)</sup> فكيف يوائم ذلك ما يؤكد عن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب حيث يقول مفتخراً بخاليه علي

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٢) القالي/ الأمالي/ ج ٢/ ص ١٧١.

(٣) الصبان/ إسعاف الراغبين/ ص ٢٤٠.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ١٥٢.

(٥) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ١٧٠.

(٦) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤، الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٣.

(٧) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٣.

وعقيل:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً  
ومن هاشم أمي لخير قبيل  
فمن ذا الذي يبأى عليّ بخاله  
وخالي عليّ ذو الندى وعقيل<sup>(١)</sup>

وما أبين قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون القائل:

وخالي بغاة الخير تعلم أنه  
جدير بقول الحق لا يتوعر  
وجدي عليّ ذو التقى وابن امه  
عقيل وخالي ذو الجناحين جعفر  
فنحن ولاة الخير في كل موطن  
إذا ما ونى عنه رجال وقصروا<sup>(٢)</sup>

وما أمتن قول أبي الحسن التهامي في ممدوحه:

يدعو النبي من الجدود وحيدراً  
ومن العمومة جعفرأ وعقيلأ  
نسب ترى عنوانه في وجهه  
لا شبهة فيه ولا تأويلأ<sup>(٣)</sup>

أجل فلقد كان عقيل للخير موثقاً وللشمم رمزاً وللملهوف غوثاً  
وللندى كفاً حتى أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يقول: «إذا لم يكن الهاشمي  
جواداً لم يشبه قومه»<sup>(٤)</sup>.

قال المدائني: «أراد أن تجودَ بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما في  
يديه»<sup>(٥)</sup>.

(١) نفس المصدر/ ص ٣٧٤ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٧٤.

(٣) الشريبي/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الثاني/  
ص ٥٤٠ وما بعدها.

(٤) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٥٨٧.

(٥) نفس المصدر/ ص ٥٨٧.

## بنو عقيل (العقيليون)

بنو عقيل<sup>(١)</sup> ويقال لهم العقيليون<sup>(٢)</sup> من اشراف آل أبي طالب، قال الجاحظ: «وآل أبي طالب أشرف الخلق»<sup>(٣)</sup> واسم الشريف كان يُطلق على كل من كان من أهل البيت (ع) سواءً كان حسنياً أم حسينياً أم جعفرياً أم عقيلياً، وذكر ذلك الشيخ الصبان<sup>(٤)</sup> في كتابه المطبوع بهامش كتاب نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجي. وآل عقيل بن أبي طالب: ممن تحرم عليهم الصدقة<sup>(٥)</sup> وعلى الرغم مما عمله السيف فيهم فإنهم أنمى عدداً وأطيب ولداً شأنهم شأن آل أبي طالب فهم بقية السيف كما قال أمير المؤمنين علي (ع)<sup>(٦)</sup> «ومما يستدل به على صدق قوله: ما عمل السيف في آل الزبير وآل أبي طالب وما أكثر من عددهم»<sup>(٧)</sup> فلقد قتل يوم الطف من آل أبي طالب سوى ما يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً<sup>(٨)</sup> أما من استشهد من

(١) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦، الزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٢) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٣٦، الصبان/ إسعاف الراغبين/ ص ١٢٠.

(٣) رسائل الجاحظ/ ج ١/ ص ٢٠٩.

(٤) إسعاف الراغبين/ ص ١٢٠.

(٥) الشبلنجي/ نور الأبصار/ ص ١١٠، والنوي/ رياض الصالحين/ ص ١٦٦.

(٦) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ٦٦.

(٧) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٦٦.

(٨) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.



آل عقيل فقد ذكر المؤرخون وأهل السير منهم<sup>(١)</sup>:

جعفر بن عقيل بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> — عبد الله بن عقيل بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>  
(الأكبر)<sup>(٤)</sup> — عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب<sup>(٥)</sup> — محمد بن أبي  
سعيد بن عقيل بن أبي طالب<sup>(٦)</sup> — محمد بن مسلم بن عقيل بن أبي  
طالب<sup>(٧)</sup> — عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب<sup>(٨)</sup> .

فأما جعفر بن عقيل فأمه: أم الثغر<sup>(٩)</sup> بنت عامر بنت الهضاب العامري  
من بني كلاب<sup>(١٠)</sup> ويقا: أمه (الخصوصاء) بنت الثغرية<sup>(١١)</sup> وهي أم

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٤ — ٣٠٣، والأندلسي/ العقد  
الفريد/ ج ٤/ ص ١٧١، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١، وعلي خان/  
الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥ .

(٢) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٠٠، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/  
ص ٦١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢، والكوفي، ابن  
اعثم، الفتوح، مج ٥ — ٦، ص ١٢٦ .

(٣) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/  
ص ٦١ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣ .  
(٤) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١ .

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/  
ص ٦١، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، وابن الأثير/ الكامل  
في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣، والكوفي، ابن اعثم، الفتوح، مج ٥ — ٦،  
ص ١٢٦ .

(٦) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٢، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/  
ص ٢٢٤، ابن الأثير/ ج ٣/ ص ٣٠٣ .

(٧) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١ .

(٨) نفس المصدر/ ص ٦١، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤،  
والمسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/  
ج ٣/ ص ٣٠٣، والكوفي، ابن اعثم، الفتوح، مج ٥ — ٦، ص ١٢٦ .

(٩) في ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢ «ابنة الشقر بن الهضاب» .

(١٠) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١ .

(١١) نفس المصدر/ ص ٦١ .

البنين<sup>(١)</sup> وأما عبد الله بن عقيل وعبد الرحمن بن عقيل ومحمد بن أبي سيعد بن عقيل ومحمد بن مسلم بن عقيل فأمهاتهم أمهات أولاد<sup>(٢)</sup> أما عبد الله بن مسلم بن عقيل فأمه رقية ابنة علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>.

وعلى من ذكر أن جعفر بن محمد بن عقيل كان قد قتل مع عبد الله بن مسلم بن عقيل أو يوم الحرّة يعقّب أبو الفرج<sup>(٤)</sup> فيقول: «وما رأيت في كتب الأنساب لمحمد بن عقيل ابناً يسمى جعفرًا».

وقال<sup>(٥)</sup> أيضاً: «وذكر محمد بن حمزة عن عقيل بن عبد الله بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: أن علي بن عقيل، وأمّه أم ولد قتل يومئذ».

وقد ذكر العلامة المحقق الشيخ محمد حرز الدين في كتابة الجليل الموسوم بـ (مراقد المعارف) ولدين لمسلم بن عقيل أحدهما محمد والثاني ابراهيم الشهيدان وقال: وغير خفي أن هذه الشهرة قد مضى عليها قرون وقرون حتى وصلت إلينا ولم يتنكر لها أحد من مشاهير علماء الإمامية ومن يعتمد عليه في التاريخ والآثار من علمائنا المحققين، ومرقدهما بالضواحي الغربية لمدينة المسيب الواقعة على ضفة الفرات هذا على المشهور المعروف كما نقل عن الشيخ الصدوق في أماليه قصة مثل الغلامين بعد أسرهما<sup>(٦)</sup>. ووجدت في كتاب الفتوح للكوفي ما يؤكد استشهاد ثلاثة من آل عقيل مع الحسين (ع) بالطف وهم عبد الله بن مسلم بن عقيل<sup>(٧)</sup>

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢.

(٢) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٣٠٢ - ٣٠٣، الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣.

(٤) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ مقاتل الطالبين/ ص ٦١.

(٦) ج ١/ ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٧) قال الكوفي في الفتوح، مج ٥ - ٦، ص ١٢٦: كان أول من خرج إلى القتال من

أخوان الحسين وبني عمه وهو يقول:

وجعفر بن عقيل بن أبي طالب<sup>(١)</sup> وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>.

وفي عدد من استشهد من آل عقيل بن أبي طالب اضطراب .  
فعند ابن عبد ربه الأندلسي<sup>(٣)</sup> أنهم خمسة ويعزز رأيه بيتين ينسبهما  
لبنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين (ع) ومن أصيب معه :  
عين أبكُ بعبرة وعويلٍ      واندبني إن ندبت آل الرسول  
سنة كلهم لصلبٍ عليٍّ      قد أيدوا وخمسة لعقيلِ

كما يشاركه السيد علي خان الرأي في درجاته الرفيعة<sup>(٤)</sup>.  
وفي البلاذري<sup>(٥)</sup> ستة وسبعة على روايتين، فستة على ما نسبه  
البلاذري للمغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو يرثي قتلى  
الطف :

اضحكني الدهر وأبكاني      والدهر ذوو صرف وألوان

---

اليوم القى مسلماً وهو أبي      وفتيه ماتوا على دين النبي  
ليسوا كقوم عرفوا بالكذب      لكن خيار وكرام النسب  
من هاشم السادات أهل الحسب

(١) في المصدر نفسه، ص ١٢٦ ، يذكر الكوفي خروجه من بعد عبد الله إلى القتال وهو يقول :  
أنا الغلام الأبطحي الطالب      من معشر في هاشم وغالب  
ونحن حقاً سادة الذوائب      هذا حسين سيد الاطائب

(٢) وفي المصدر السابق نفسه، ص ١٢٦ يذكر الكوفي أيضاً خروجه من بعد أخيه وهو يرتجز :  
أبي عقيل فاعرفوا مكاني      من هاشم وهاشم أخواني  
كهول صدق سادة القران      هذا حسين شامخ البنيان

(٣) العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧١ .

(٤) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/ ص ١٦٥ .

(٥) أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

يا لهف نفسي وهي النفس لا      تنفك من همّ وأحزان  
على أناس قتلوا تسعة      بالطف أمسوارهن أكنان  
وستة ما أن أرى مثلهم      بني عقيل خير فرسان

وسبعة على ما نسبة البلاذري من بيتي بنت عقيل بن أبي طالب  
المتقدمين إلى سراقة البارقي الشاعر بشيء من الاختلاف .

عين ابكي بعبرة وعويل      وانديبي إن ندبت آل الرسول  
خمسة منهم لصلب علي      قد أيدوا وسبعة لعقيل<sup>(١)</sup>

ولعل الشاعر ضمّ مسلم بن عقيل إلى قافلة شهداء الطف رغم  
استشهاده (ع) بالكوفة فتم عنده العدد على النحو المذكور .

لقد بذل بنو عقيل النصرة لابن عمّهم الحسين (ع) وأغنوا عنه الغناء  
الحسن في الطف واستبسّلوا للموت دونه وجعلوا من أجسادهم متاريس في  
سبيله حتى ما زجت دماؤهم دمه وعانقت أشواقهم أديم الطف الطهور  
فألهمت كلّ ذرة منه الحياة ومنحتها الخلود فكانوا بحق معاني المجد الأثير  
الحفيد بكل معاني السمو والعظمة والاباء وعلى الرغم من أذن الحسين (ع)  
لبنّي عقيل بالانصراف عن ساحة المعركة بقوله: «يا بني عقيل حسبكم من  
القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله فما يقول  
الناس، يقولون: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام ولم نرم  
معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندرى ما

(١) يتفق الأستاذ عباس محمود العقاد والبلاذري في نسبة البيتين إلى الشاعر سراقة البارقي لكنه  
يورد البيتين هكذا:

عين جودي بعبرة وعويل      وأنديبي ما ندبت آل الرسول  
سبعة منهم لصلب علي      قد أيدوا وسبعة لعقيل

انظر في ذلك: «أبو الشهداء الحسين بن علي» ص ١٥٩ .

صنعوا، لا والله ما نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبَّح الله العيش بعدك»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن هؤلاء الفتية الأطييون الأكارم هم كلُّ ما لعقيل من الأبناء، فكتب الأنساب مزدانه بلوامح الأسماء من ابناء عقيل لصلبه غير الذين ذكرت ففي ابن حزم<sup>(٢)</sup> منهم: مسلم بن عقيل - عليّ - حمزة - سعيد - أبو سعيد<sup>(٣)</sup> - عيسى - عثمان - يزيد: به كان يكنى - محمد - وفي البلاذري<sup>(٤)</sup>: عون في الأبناء أيضاً: ولم يختلف المعنيون بالأنساب في أن العقب لعقيل بن أبي طالب إنما هو من ولده محمد<sup>(٥)</sup> فلمحمد هذا من العقب:

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٢٨٥، والشيخ المفيد/ الارشاد/ ص ٢١٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩.

(٣) لأبي سعيد هذا حكاية طريفة أوردها ابن عبد ربه في العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٥، وما بعدها قال: دخل الحسن (ع) على معاوية وعنده ابن الزبير فلما جلس الحسن قال معاوية: يا أبا محمد أيهما كان أكبر عليّ أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، علي كان أسن من الزبير رحم الله علياً فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتبسم الحسن، فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك علياً والزبير، إن علياً دعا إلى أمر فاتبع وكان فيه رأساً ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة، فلما تراءت الفتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهما منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه من مثل بعض اعضائه فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه. ومضى عليّ قدماً كعادته مع ابن عمه ونبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - فرحم الله عليّاً ولا رحم الزبير، فقال ابن الزبير: أما والله لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلّم، قال: إن الذي تعرض به يرغّب عنك وأخبرت عائشة (رض) بمقالتهما فمرّ أبو سعيد بفنائها فنادته: يا أحول يا خبيث. أنت القائل لابن اختي كذا وكذا. فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً فقال: الشيطان ليراك من حيث لا تراه فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك ما أحببت لسانك.

(٤) أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، وابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢، علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥.

## أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب:

الفقيه، المحدث، الجليل، الثقة، وأمه: زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)<sup>(١)</sup> وعبد الله هذا «جزم الترمذي في جامعه بصدقه ووثاقته لذا خرّج حديثه كما احتج به أحمد بن حنبل وإسحاق والحميدي والبخاري وأبو داود وابن ماجه القزويني كما عن (تهذيب التهذيب) ج ٦ / ص ١٥ وعده الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق (ع) وأصحابه، وكفاه فضلاً وتقدماً؛ توفي بعد سنة ١٤٠ هـ»<sup>(٢)</sup>.

وأعقب عبد الله من رجلين محمداً. ومن ولد عبد الله بن محمد بن عقيل أيضاً: النسابة المشهور الحسين بن قمن بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، كان أعلم الناس بالنسب»<sup>(٣)</sup>.

## عبد الرحمن بن محمد بن عقيل بن أبي طالب:

الرجل الصالح، كان يشبه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في صورته أمه زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)<sup>(٤)</sup> الصغرى كما في عمدة الطالب / ص ٣٢ تمييزاً عن زينب الكبرى بنت علي (ع) التي كانت تحت عبد الله بن جعفر.

(١) ابن حزم / جمهرة أنساب العرب / ص ٦٩، وابن عنبه / عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / ص ٣٢.

(٢) محقق العمدة / ص ٧٢.

(٣) ابن حزم / جمهرة أنساب العرب / ص ٦٩.

(٤) نفس المصدر / ص ٦٩.

## القاسم:

في العمدة<sup>(١)</sup>: بن عبد الله بن محمد بن عقيل وفي الجمهرة<sup>(٢)</sup>: ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الفقيه المذكور، كان يشبه أيضاً في صورته بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم -<sup>(٣)</sup> وكان أعقب ثم انقرض<sup>(٤)</sup>.

وبالحرى فلأن العقيليين من الكثرة والعدد ما ملأ. بطون الكتب وهم أينما قرؤا وأنى استقروا صدره الناس فما تجد في شرقي المعمورة وغربها مكاناً إلا ولهم فيه حسن حضور وشرف مرتبة مقرونين بكريم النسب وفي المضان من كتب الأنساب متفتح لمن أراد المزيد من الاطلاع.

---

(١) ابن عنبه/ ص ٣٢ .

(٢) ابن حزم/ ص ٦٩ .

(٣) نفس المصدر/ ص ٦٩ .

(٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢ .

## الفصل الثالث





## جعفر بن أبي طالب

أبو عبد الله<sup>(١)</sup>، أبو المساكين<sup>(٢)</sup>، ذو الجناحين الطيار<sup>(٣)</sup> في الجنة، الرفيق النجيب<sup>(٤)</sup> الأنصح لله في طاعة الله ورسوله والأنصح لرسول الله في طاعة الله والأصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف<sup>(٥)</sup> ممن هُدوا إلى

- 
- (١) ابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وحرز الدين/ محمد/ مرقد المعارف/ ج ١/ ص ٢٢٤ ط ١، الآداب/ النجف/ ١٩٦٩.
- (٢) الأصفهاني/ أبو الفرج/ مقاتل الطالبين/ ص ٣، وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢، وابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥.
- (٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ١٥١، والجاحظ/ الحيوان/ مج ٤ - ٧/ ص ٤٦٤ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.
- (٤) في المسند من حديث علي رفته: أعطيت رفقاء نجباء فذكره منهم، ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.
- (٥) في مكاتبة بين علي (ع) ومعاوية قال علي: «وأيام الله ما رأيتُ ولا سمعت بأحد كان أنصح لله في طاعة الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله في طاعة الله ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الحقوق من هؤلاء نفر من أهل بيته الذين قتلوا في طاعة الله: عبيدة بن الحارث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وجعفر وزيد يوم مؤته» ذكر ذلك الأندلسي/ ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٣٨.

الطيب من القول<sup>(١)</sup> يسعى نورهم بين أيديهم يضيء على الصراط<sup>(٢)</sup>. شبيه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خلقاً وخلقاً<sup>(٣)</sup> وله مثل عقل أخيه علي (ع) ومثل عقل عمه حمزة مع المساواة بالبيان والخلق<sup>(٤)</sup>.

وكان خير الناس للمساكين<sup>(٥)</sup>. وكان يقول لأبيه أبي طالب: يا أبتِ إني لأستحي أن أطمع طعاماً وجيراني لا يقدرّون عليّ مثله، فكان أبوه يقول: إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب<sup>(٦)</sup>.

قال أبو هريرة: ما وددت أحداً ولدتني أمّه إلا أم جعفر بن أبي طالب تبعته ذات يوم وأنا جائع فلما بلغ باب داره التفت فراني، فقال لي أدخل فدخلت ففكر حيناً فما وجد في بيته إلا نحياً كان فيه سمن فأنزله من الرف فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن وهو يقول:

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجودُ يدُ إلا بما تجدُ<sup>(٧)</sup>

وعنه أيضاً أنه قال: «إن كنت لألصقُ بطني بالحصباء من الجوع، وإن

(١) أبو عبد الله (ع) في قوله الله تعالى: ﴿وهذوا إلى الطيب من القول﴾ قال: ذلك حمزة وجعفر وعبيدة وأبو ذر والمقداد وعماد، ذكر ذلك ابن شهر آشوب، الإمام الحافظ في مناقب آل أبي طالب/ ج ٢/ ص ٢٩٢.

(٢) تفسير مقاتل عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾: لا يعذب علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر نورهم يسعى على السراط. ذكر ذلك: ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب/ ج ٢/ ص ٩، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤١.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٢/ ص ١٢٨ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٣.

(٤) الجاحظ/ الحيوان/ مج ٤ - ٧/ ص ٤٦٤.

(٥) انظر: ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٦) الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، مج ١ - ٢/ ص ١٣٦، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩.

(٧) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ١٢٨.

كنت 'الاستقراء الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي، فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها، نلحق ما فيها»<sup>(١)</sup> وقد ذكر له من الافتخار وبالسخاء قوله (ع)<sup>(٢)</sup>:

يا ليت للناس رسماً في وجوههم      تبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا  
وليت رزقَ أناسٍ مثلُ نائلهم      قوتاً بقوتٍ وتوسيعاً إذا اتسعوا  
وليت ذا الفحش لاقى فاحشاً أبداً      وذا التحكم أهلَ الحلم فارتدعوا  
وليت من يمنع المعروف يحرمه      حتى يذوقَ أناسٌ مثل ما صنعوا

فلا غربة والحالُ هذه أن يسميه رسول الله أبا المساكين<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان جعفر بن أبي طالب (ع) في طليعة المبارزين ومقدمة المسارعين المصدقين برسالة ابن عمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والذائدين عنها فقد كان أسلم «بعد إسلام أخيه عليّ بقليل»<sup>(٤)</sup> فكان ذا القبلتين والهجرتين والبيعتين.

روي عن صادق آل البيت<sup>(٥)</sup> (ع) أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، كان يصلي وعليّ معه إذا مرّ أبو طالب وجعفر معه، فقال أبو طالب لجعفر: صلّ جناح ابن عمك فلما أحسّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٢) الأصبهاني/ محمد بن داود، الزهرة/ ج ٢/ ص ٦٥٣.

(٣) انظر: ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٤) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠.

(٥) انظر: علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩ وابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٢٠١ بزيادة بيت قبل الأخير وهو:

اجعلهما عرضة العدوّ وإذا      اترك ميتاً نما إلى حسبي

وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠ دون ذكر الأبيات.

وآله وسلم - تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:  
 إن علياً وجعفرأثقتني      عند مُلمِّ الزمانِ والكربِ  
 والله لا أخذل النبي ولا      يخذله من بني ذو حسبٍ  
 لا تخذلا وانصرا ابن عمكما      أخي لأمي من بينهم وأبي

وتلك أول صلاة جماعة كانت ذلك اليوم في الإسلام<sup>(١)</sup>.

روي عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: «أوحى الله تعالى إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إنني أشكر لجعفر بن أبي طالب (ع) أربع خصال فدعاه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأخبره فقال: لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك. ما شربت خمراً قط لأنني لو شربتها زال عقلي، وما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروة، وما زينت قط لأنني خفت إنني إذا عملت عملي بي وما عبدت صنماً قط لأنني علمت أنه لا يضر ولا ينفع فضرب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على عاتقه وقال: حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة»<sup>(٢)</sup>. وروي عن علي بن يونس المدني قال: «كنت مع مالك فإذا سفيان بن عيينة بالباب يستأذن قال مالك: رجل صاحب شيبة أدخلوه فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردوا عليه السلام ثم قال: «السلام سلامان خاصّ وعام ثم قال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته قال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته، فصافحه مالك، ثم قال يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك فقال سفيان بن عيينة: عانق خير منك ومنا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقال مالك: جعفرأ! قال نعم قال: ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس

(١) انظر: ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧١، وابن شهر آشوب/  
 مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٣٠١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩.  
 (٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٠.

بعام قال سفيان: ما يعم جعفرأ يعمنا إذا كنا صالحين وما يخصه يخصنا...»<sup>(١)</sup>.

حين رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اشتداد البلاء على أصحابه وتصعيد قريش عدوانها على المستضعفين من المسلمين بالأذى النفسي والجسدي كي يفتنهم عن دينهم ولما لم يستطع صلوات الله عليه أن يمنعهم مما هم فيه. أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد<sup>(٢)</sup> وكان الملك عصرئذ النجاشي وكان ذا دين في النصرانية<sup>(٣)</sup>. ولعل معرفة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وإطلاعه على أحوال الأحباش وخصوصيات ملكهم تأتي في سياق العلاقات العامة لقريش التي اشتهرت بالتجارة وعرفت بها وذاع صيتها بين القبائل وتمكنت رجالها بفضل ذكائهم وحذقهم بأسلوب التعامل مع الدول الكبرى في ذلك الوقت لا سيما الحبشة وتكوين علاقات طيبة معها<sup>(٤)</sup> وكانت أرض الحبشة متجراً ووجهاً لقريش<sup>(٥)</sup>.

خرج المسلمون امتثالاً لما أشار عليهم به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مهاجرين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم وتتابعوا حتى اجتمعوا بها وكانت تلك أول هجرة كانت في الإسلام.

لكن المغفور له الوالد<sup>(٦)</sup> يرى غير هذا الرأي وفي نفسه منه وقفة، فالهجرة في نظره ليست هجرة انهزامية وإنما هي ذات طابع تبشيري بحث

(١) نفس المصدر/ ص ٧٠ وما بعدها.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٤٣.

(٤) انظر: علي جواد الدكتور/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ ج ٤/ ص ١٩ بيروت ١٩٧٠.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ٩/ ص ٥٥.

(٦) في مخطوطة عن جعفر بن أبي طالب (ع).

ليكون المهاجرون رسلاً وسفراء للدعوة الإسلامية في الحبشة لتوسم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيها وفي عاقلها الخير وأنها - الحبشة أرض خصبة تصلح لهذه الغريسة التي أئبعت فكان من ثمرها أن اعتنق النجاشي الإسلام وهو أمرٌ كانت قريش تستفدحه ولو لم يكن كذلك ما سارعت إلى إرسال بعثة مضادة جئدت لها اثنين من رجالها داهيين جليدين وحملتهما الهدايا للنجاشي وبطارقته كي يرده المهاجرين عليهم، ثم إذا كان ذلك يصح للمستضعفين من المسلمين فهل يصح لجعفر بن أبي طالب بعد أن تعرف أن محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - لم تتسق دعوته ولم يستقم أمره في مكة إلا «بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب»<sup>(١)</sup>. أفلا تطرد حياة أبي طالب لتشمل ولده وفلذة كبده ثم أين عليّ الكرار (ع) المعتصم واللياذ في الملمات والمؤمل المرجى عند نزول المهمات، افتراه يقصر عن توفير الحماية لأخيه ومما يجدر بنا ذكره أن اولئك المهاجرين كان منهم من هاجر بنفسه حسب ومنهم من كان اصطحب أهله معه. وكان جعفر بن أبي طالب (ع) ممن اصطحب امرأته معه في هجرته وهي أسماء بنت عميس بن النعمان<sup>(٢)</sup> بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم<sup>(٣)</sup> الخثعمية<sup>(٤)</sup> الجرشيّة أكرم الناس أحماء<sup>(٥)</sup> وقد ولدت له جميع أولاده قال ابن هشام: «كان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين سوى ابنائها الذين خرجوا بها معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه»<sup>(٦)</sup> وفي ابن الأثير أنهم تمام اثنين وثمانين فقط<sup>(٧)</sup>.

- 
- (١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.
  - (٢) الذي في الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ١١ «أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة».
  - (٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.
  - (٤) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٣.
  - (٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ١١ وقال: «جرش من اليمن».
  - (٦) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٣.
  - (٧) ابن الأثير/ الكامل في تاريخ / ج ٢/ ص ٥٣.

## في الحبشة

بعد الظلم والقهر والتضييق في مكة بلغ المهاجرون مأمنهم في أرض الحبشة فحطّوا عصا الترحال فيها وأنزلوا حاجتهم على كريم لا يضام جاره، ولا ينتهك ذمّاره يحسن الصُحبة، ويحفظ الجوار ويكرم المثوى فأصابوا في كنفه داراً وقراراً آمين على دينهم وادعين لا ينالهم أذى ولا يسمعون شيئاً يكرهونه... لا يشغلهم شاغل إلا مفارقة الديار والأحبة...

لكن الحال لم يدم على صفوه دونما مكدر فلقد هال قريشاً أن يستجّم المسلمون أنفُسَهُم ويلتقطوا أنفاسَهُم وعظّم على اعداء الله أن ينال المسلمون ما نالوا من الدعة والحظوة فاتمروا بينهم أن يبعثوا من قريش رجلين جلدين إلى النجاشي وبطارقته وحملتهما من الهدايا مما خفّ وغلا عساهما يستزلان النجاشي عن موقفه ليردهم عليهم ويخرجهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.

فانتدبت قريش لهذه المهمة، عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل<sup>(١)</sup>.

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٧، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٤ الذي يورد اسم الأول منهم هكذا: عبد الله بن أبي أمية. وتقول إدارة التحقيق بهامش الكامل: الذي في سيرة ابن هشام وهو الصواب أنه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.



حين يطرق سمع سيد مكة وشيخ قريش خبر إيفاد الرجلين إلى النجاشي يبيت متوفراً يغالبُ همومه، فصدور القوم تنفت بالعداوة، لقد خشى رضي الله عنه أن ينفخوا عند النجاشي في البوق بما يوغر صدره على المسلمين فيسارع إلى إنفاذ أبيات من الشعر يحضه فيها على حسن جوارهم والدفع عنهم. نظم أبو طالب:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ وعمرو واعداء العدو والأقاربُ  
 وهل نال أفعال النجاشي جعفرأً وأصحابه أو عاق ذلك شاغبُ  
 تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يشقى لديك المجانبُ  
 تعلم بأن الله زادك بسطةً وأسباب خير كلها بك لازبُ  
 وأنت فيضٌ ذو سجالٍ غزيرةً ينال الأعادي نفعها والأقارب<sup>(١)</sup>

وصل مبعوثا قريش إلى الحبشة محمّلين هدايا مما يستطرف من متاع مكة واجتمعا فور وصولهما ببطارقة النجاشي أولاً فأخبرا كل بطريق بالسبب الذي بعثتهما قريش من أجله ولم يتركا بطريقاً إلا وأهديا إليه هدية ثم استأذنا على الملك فأذن لهما واستجلسهما ثم قدما بين يديه الهدايا الخاصة به فتقبلها منهما وبعد أن قرّ منهما القرار عالناه بما عالنا البطارقة من قبل قائلين: «أيها الملك، إنّه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت»<sup>(٢)</sup> من كلام طويل غيلهُ على مظانة.

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٧.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٨، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٤.

كان الملك يلقي إلى الرجلين سمعه وما أن انتهيا حتى استشاط النجاشي غضباً وقال: «لا ها الله، إذن لا أسلّمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فاسألهم عما يقول هذان في أمرهم»<sup>(١)</sup>. ولم يكن أبغض إلى الرجلين من أن يسمع النجاشي كلام المهاجرين<sup>(٢)</sup>.

دعا النجاشي بالمهاجرين فاحضروا ليقف على حقيقة أمرهم و**بِالاساقفة** فنشروا مصاحفهم حوله، فطفق يلقي اسئلته على المهاجرين.

النجاشي: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

جعفر بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات،

(١) نفس المصدر/ ص ٣٥٨ وأيضاً ابن الأثير/ ص ٥٤.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٥٩، وابن الأثير/ ص ٥٤ مع اختلاف يسير. وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧١ وما بعدها.

(٣) قالت الإدارة بهامش ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٣ ما نصّه: «وكان هو قائد المهاجرين في هذه الهجرة ومنه تعلم اهتمام الدين الإسلامي بالقيادة والإمارة لتوحيد الكلمة» وقال صاحب الدرجات الرفيعة/ ص ٧١: «وكانت هجرته (رض) إلى الحبشة في السنة الرابعة من النبوة وكان هو المتكلم عند النجاشي من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة لما جمع بينهم وبين عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمر بن العاص».

أمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه وآمنّا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قوماً، فعذبونا ومنعونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك، واخترتك على من سواك؛ ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

جعفر بن أبي طالب: يقرأ صدرأً من «كهيعص».

يبكي النجاشي حتى اخضلت لحيته، والأساقفة يبكون حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم جعفر بن أبي طالب، يكفكف النجاشي دموعه ويقول: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم يلتفت محدقاً إلى الرجلين قائلاً: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون.

قال فيليب حتي في تاريخ العرب «مطوّل»: ويبدو الاختلاف واضحاً بين العهدين الجاهلي والإسلامي في تلك الكلمات التي نسبها الرواة إلى جعفر بن أبي طالب مع النجاشي<sup>(١)</sup>.

لمّا خرج الرجلان مهينين من مجلس الملك داخل عمرو بن العاص الغضب فأسرّ في نفسه أمراً ولم يده لصاحبه وتوعد أن يأتي النجاشي في اليوم التالي عنهم بما يستأصل به خضراءهم ثم غدا على النجاشي فقال له ابن العاص: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فسلمهم عما يقولون فيه، فأحضر المهاجرون ثانية لیسألوا في شأن ما نسبته ابن العاص إليهم من القول في ابن البتول بما لا يجوز.

النجاشي: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

(١) فيليب حتي/ ج ١/ ص ١٦٧.

جعفر بن أبي طالب: نقول في عيسى ما جاءنا به نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

يضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فيأخذ منها عوداً، ثم يلتفت إلى جعفر ويقول: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

ولم يرق الأمر لبطارقة النجاشي فأنشأوا يتنافرون<sup>(١)</sup> حوله فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم<sup>(٢)</sup> بأرضي من سبكم غرم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) النخرة: الأنف والنخير: صوت بالأنف تقول منه: نخرَ ينخر (بالكسر) نخبيراً وينخر (بالضم) لغة.

(٢) وردت في بعض المصادر (سيوم) والسيوم الآمنون كذا في الدرجات الرفيعة/ ص ٧٤.

(٣) انظر: ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٩، وما بعدها ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ١/ ص ٥٤ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٤ وما بعدها.

## بخير دار مع خير جار

ثمَّ أمرَ النجاشي برد هدايا قريش على الرّجلين وقال: ما أخذ الله الرشوة مني حتى أخذتها منكم ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيكم... فخرجا من عنده ملكّزين يجرّانِ خطاهما...

ومن المفارقات التي حصلت لجعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة ما ذكره جدنا السيد علي خان<sup>(١)</sup> مروياً عن الصادق جعفر بن محمد (ع) قوله: لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفر بأرض الحبشة عند النجاشي وعند كثير من رعيته بأنواع من الكيد ردها الله تعالى بلطفه فلما نبا معوله عن صفاته هياً له سماً قدمه إليه في الطعام. فأرسل تعالى هراً كفا تلك الصحيفة، وقد مدّ نحوه ثم مات لوقته وقد أكل منها فتبين لجعفر (ع) كيده وغائله فلم يعدها عنده وما زال ابن الجزار عدواً لنا أهل البيت.

وذكر أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - سأل جعفرأ عن أغرب ما شاهده في الحبشة فقال: يا رسول الله بينا أنا أمشي في أزقتها إذا سوداء على رأسها مكتل فيه بر فصدها رجل على دابته فوق مكتلها وأقبلت تجمعه من التراب وهو تقول: ويل للظالم من الديان يوم الدين ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة ويل للظالم إذا وضع الكرسي للفصل يوم القيامة

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥.

فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يقْدَسُ اللهُ أُمَّةٌ لا يؤخذ لضعيفها من قوتها حقه غير متع (١).

بقي المسلمون بالحبشة بخير دارٍ مع خير جارٍ عزيزي الجانب موفوري الكرامة مجللين بنعم الله التي كان إسلام النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب احداها وقيل إنَّ النجاشي أرسل ابنه في ستين من الحبشة إلى النبي فغرقوا في البحر (٢). بينما يؤكد السيد محمود علي البلاوي سلامة وصولهم واکرام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لهم وقال: وفد وفدُ النجاشي فقام النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك قال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن اكاfterهم ثم استطرد السيد البلاوي فقال: إن الوفد الحبشي النصراني سمع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقرأ سورة «يس» فدخل الإيمان في قلوبهم وبكوا من خشية الله وأسلموا لله رب العالمين (٣). وإكراماً من جانب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقد أرسل إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة مات زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة فخطبها إليه فأجابت وزوجها وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقْدَعُ أنفه (٤).

ويعود حليف الندى جعفر بن أبي طالب إلى المدينة يقدم رفاق هجرته عودة الظافر المنتصر يتحفى به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ويتلقاه بالترحيب والتسليم وافق مقدمه (ع) يوم فتح خيبر فالتزمه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وطلق يقبل بين عينيه ويقول: «ما

(١) نفس المصدر/ ص ٧١.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٤٥.

(٣) تاريخ الهجرة النبوية/ ص ٨٩ دار القلم/ بيروت ١٩٨٥.

(٤) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٤٥ والجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج

٢ - ص ٢٠٢.

أدري ما بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»<sup>(١)</sup>.

روى جدنا عن جابر قال: «لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلما نظر جعفر إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - خجل قال: مشى على رجل واحدة أعظماً منه لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقبل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بين عينيه واعطاه وامرأته اسماء من غنائم خيبر»<sup>(٢)</sup>.

ثم يلتفت جعفر بن أبي طالب ليجد أخا يرقبه بشوق ويتطلع إليه بلهفة ليس هو من أخوة النسب، وإنما هو من أخوة الولاء... ذلكم معاذ بن جبل فلقد اعتقد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أخا بني سلمة أخا في الله لجعفر بن أبي طالب - يوم كان جعفر غائباً بأرض الحبشة - فيمن آخى صلوات عليهم بينهم من المهاجرين والأنصار.

---

(١) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩ وما بعدها.

## في مؤتة

في شهر جمادى الأولى لسنة ثمانٍ من الهجرة النبوية الشريفة نهدَ القوم عدوهم... حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء دون دمشق، انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى عندها الجيشان جيش المسلمين الذي كان تعداد أفراده لا يتجاوز ثلاثة آلاف وجيش الروم الذي بلغ المائتي ألف بما انظم إليهم من العرب<sup>(١)</sup>. ومع أن العدد والعدة والمدد كان في جانب جيش الروم بقيادة هرقل فإن جيش المسلمين قد أدخل الرعب في صفوف العدو الكافر حتى قبل الشروع بالقتال.

وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مقبلاً قد قالت لقومها تنذرهم: أنذركم قوماً خزراً ينظرون شزراً ويقودون الخيل تترى، ويهرقون دماً عكراً. فأخذوا بقولها واعتزلوا<sup>(٢)</sup>.

وكان عبد الله بن رواحة يقول: «ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا

(١) انظر: الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٧، ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ١٦ وما بعدها وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٩، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٤، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤١ - ٤٢.



كثرة، ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به»<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله قد استعمل على جيش المسلمين زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحه على الناس<sup>(٢)</sup>.

فقال جعفر بن أبي طالب: ما كنت أهرب يا رسول الله أن تستعمل عليّ زيد فقال: امض فإنك لا تدري أيّ ذلك خير فبكى الناس<sup>(٣)</sup>.

قال ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان الأمير الأول. وانكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب الأمير الأول، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة وقد وجدت في الأشعار - والقول لما يزل لابن أبي الحديد - التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم<sup>(٤)</sup>. وعلى أي حال فإن ترتيب الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - للأمة في قيادة وإدارة العمليات الحربية على النحو المتقدم لا يعتبر قدحاً في كفاءة جعفر بن أبي طالب فليس فيهم من يماثله أو يفاضله ويساميه أو يساجله لقول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - «خير الناس حمزة وجعفر وعلي»<sup>(٥)</sup> وقوله: «الناس من شجر شتى وأنا وجعفر من شجرة واحدة»<sup>(٦)</sup>

(١) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ١٧ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٢٥٩ باختلاف يسير.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ١/ ص ١٥٨، وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ١٥ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٣٦.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٨، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤١ الذي أورد كلمة (أذهب) بدلاً من (أهرب) في عبارة ابن الأثير.

(٤) شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٢.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢.

(٦) نفس المصدر/ ص ١٠ وأيضاً: ابن أبي الحديد/ ج ٧٢ باختلاف يسير.

ويشهد لسموه وتفرده أبو هريرة فيقول: «ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطىء التراب بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أفضل من جعفر بن أبي طالب»<sup>(١)</sup> ونوّه به معاوية بن أبي سفيان في مقام المفاضلة بين الأكرم من الناس يوم سأل معاوية جلساءه: من أكرم الناس أباً وأماً، وجدًا وجدّة، وعمّاً وعمّة، وخالاً وخالة؟ فقالوا: أنت أعلم. فأخذ بيد الحسن بن عليّ وقال: هذا أبوه عليّ بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله، وجدّه رسول الله، وجدته خديجة زوجة رسول الله، وعمّه جعفر، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله وخالته زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٣ باختلاف يسير.  
(٢) ابن عبدربه/ العقد الفريد/ ج ٥/ ص ٣١٣.

## إحدى الحسينيين أما ظهور وإما شهادة

إستعرت أوار الحرب والتحم الفريقان في قتالٍ ضارٍ واستمر القتل في صفوف العدو وتناشد المسلمون بإحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة فاقترح زيد بن حارثة الصفوف رابط الجأش قوي العزيمة فقاتل قتالاً شديداً ولواء رسول الله بيده حتى شاط في رماح القوم شهيداً ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل بها ثابت القدم ثبت الجنان وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردٌ شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها  
عليّ إذ لا قيتها ضرابها<sup>(١)</sup>

حتى إذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها كي لا يفيد العدو منها فكان جعفر (ع) أول رجل من المسلمين عقرَ في الإسلام<sup>(٢)</sup>.  
وتحت مشبك الرماح وبين سنابك الخيل ووسط مثار النقع أجلب القوم

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٩.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠، وابن الأثير أيضاً/ ج ٢/ ص ١٦٠ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٧.

على جعفر فأثخنوه بالجراح .

قال ابن هشام: إن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل (ع) فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء<sup>(١)</sup>. وذكر ابن أبي الحديد عن الواقدي قوله: إنَّه وجد في بدن جعفر (ع) اثنتان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرماح<sup>(٢)</sup> ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين<sup>(٣)</sup> وعن ابن عمر قال: كنت في تلك الغزوة فالتسمنا جعفرأ فوجدناه في القتلى فعددنا بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة سيف<sup>(٤)</sup>.

فلما رأى عبد الله بن رواحة استشهاد رفيقه أخذ الراية وتقدم بها على فرسه وهو يرتجز:

يا نفس إلا تقتلي تموتي      هذا حمام الموت قد ضُلبت  
وما تمنيتِ فقد أعطيت      أن تفعلني فعلهما هديت<sup>(٥)</sup>

تقاتل ببطولة وبسالة فائقتين حتى استشهد(ره).

ذكر أبو الفرج في مقاتله<sup>(٦)</sup> عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يوم مؤته فلما

(١) نفس المصدر/ ج ٤ / ص ٢٠ .

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥ / ص ٦٧ .

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤ / ص ٢٠ ، والسيد علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥ وأضاف: ان أحد نصفيه وقع في كرم هناك فوجد فيه بضع وثلاثون جرحاً.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨ باختلاف يسير.

(٥) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤ / ص ٢١ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥ / ص ١٩ - ٢٠ .

(٦) مقاتل الطالبين/ ص ٧ وما بعدها.

دخلت المسجد فجنني رسول الله قائلاً: على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد فقتل، فرحم الله زيدا، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل جعفر فقتل، فرحم الله جعفراً. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل عبد الله بن رواحة فقتل فرحم الله عبد الله قال: فبكى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهم حوله - فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكي وقد ذهب خيارنا، وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال: لا تبكوا فإنما مثل أمي كمثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح رواكيتها وهيا مساكبها وحلق سعتها فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً. والذي بعثني بالحق ليجد ابن مريم في أمي خلفاً من حواريه.

جدير أن أذكر أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يحاط علماء بتفاصيل المعركة وتتابع أحداثها أولاً بأول عن طريق السماء فلما أن جاءه نعي جعفر (ع) من السماء في ساعته صعد المنبر وأمر فنودي بالناس الصلاة جامعة فأخبر المسلمين بمجريات الأحداث وما انتهت إليه المعركة من النتائج<sup>(١)</sup> وتلك واحدة من معجزاته صلوات الله عليه.

استهلت شؤون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - «حتى قطرت لحيته»<sup>(٢)</sup> وعرف الناس الحزن في وجهه فلقد عز عليه مصرع ابن عمه وحبيه جعفر ورفيقه زيد فقال وهو يغالب معه: «اخوأي ومؤنساي ومحدثاي»<sup>(٣)</sup> حدث ابن إسحاق عن أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد دبغت أربعين منا، وعجنت عجيني، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم قالت قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: اثيني ببني جعفر؟

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢ / ص ١٦٠.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦.

(٣) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥ / ص ٢٠.

قالت: فأتيتهم بهم، فتشممهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقممت أصيبح، واجتمعت إلي النساء، وخرج رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أهله، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم شغلوا بأمر صاحبهم<sup>(١)</sup>. وهو أول ما عمل في دين الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى قالت أسماء بنت عميس: فقممت أصيبح واجتمع إلي النساء فجعل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: يا أسماء لا تقولِي هجراً، ولا تضربي صدرأ ثم خرج عني حتى رحل على فاطمة (ع) وهي تقول: ابن عماء فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - على مثل جعفر فلتبك الباكية<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الأثير: فلما رجع الجيش من مؤته ودنا من المدينة لقيهم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه<sup>(٤)</sup>.

وعن يحيى بن أبي يعلى قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على أمي فنعى إليها أبي ناظر فدنا يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان بالدمع ثم قال - صلى الله عليه وآله وسلم -: يا أسماء أبشرك قالت: بلى بأبي وأمي قال - صلى الله عليه وآله وسلم - فإن الله تعالى جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة،

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ٢٢ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦.

(٤) الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤٢.

قالت بأبي وأمي فاعلم الناس بذلك فقام رسول الله وأخذ بيدي يمسح رأسي حتى رقى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى وان الحزن لي عرف عليه فتكلم. فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه إلا ان جعفرأ قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ثم نزل ودخل بيته وأدخلني وأمر بطعام فصنع له وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداءً طيباً وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور في بيوت نساءه ثم رجعنا إلى بيتنا<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: أرى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - جعفرأ ملكأ ذا جناحين مخرجين بالدماء<sup>(٢)</sup>. وروى عن ابن عباس (رض) قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جالس واسماء بنت عميس قريبة منه إذ قال يا اسماء هذا جعفر بن أبي طالب قد مرّ مع جبرئيل وميكائيل فردّي عليه السلام وفيه وقد عوضه الله من يديه جناحين يطير بهما حيث يشاء<sup>(٣)</sup>. قال الجاحظ: «ولم يخرج ذلك من أن نراه في الجنة»<sup>(٤)</sup> وفي سنّه عند استشهاده خلاف ففي ابن هشام أنه ابن ثلاث وثلاثين سنة<sup>(٥)</sup>. وفي الإصابة أنه استوفى أربعين سنة وزاد عليها على الصحيح<sup>(٦)</sup>. وذكر الأصفهاني عن عبد الله بن جعفر أنه استشهد وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين ومضى يقول: وهذا عندي شبيه بالوهم. لأنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إحدى وعشرون سنة. وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين وكان لعلي حين أسلم سنون مختلف في عددها فالكثير يقول كانت خمس عشرة والمقل سبع سنين وكان إسلامه في السنة التي

(١) السيد علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.

(٣) نفس المصدر/ ص ٢٤٩.

(٤) الجاحظ/ الحيوان/ ج ٤ - ٧/ ص ٤٦٤.

(٥) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠.

(٦) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨.

بعث فيها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لا خلاف في ذلك .  
وعلى أيّ الروايات قيس أمره علم أنه عند مقتله كان قد تجاوز هذا المقدار  
من السنين<sup>(١)</sup>.

وكان جعفر بن أبي طالب أحد خمسة كانوا يشبهون بالنبي - صلى  
الله عليه وآله وسلم - وهم: الحسن بن علي بن أبي طالب وقثم بن  
العباس، وأبو سفيان بن الحرث، والسائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن  
هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان ابن سيد الناس جمعهم في  
بيتين من الشعر فقال:

لخمسة شبه المختار من مضر يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن  
لجعفر وابن عم المصطفى قثم وسائب وأبي سفيان والحسن<sup>(٢)</sup>

وروى السيد مؤلف الدرجات الرفيعة عن الزمخشري في ربيع الأبرار  
قال: «وكان الرجل يرى جعفرأ يقول: السلام عليك يا رسول الله يظنه إياه  
فيقول: لست برسول الله أنا جعفر»<sup>(٣)</sup>.

وكان لاستشهاده (ع) من الوقع ما انقضت له جوانح المسلمين وترك  
في قلوبهم جروحاً ليس من اليسير اندمالها وفاضت عواطف بعضهم على  
لسانه شعراً.

قال كعب بن مالك<sup>(٤)</sup>:

وكانما بين الجوانح والحشا مما تأوبني شهاب مدخل  
وجدأ على النفر الذين تتابعوا يوماً بمؤته اسندوا لم يُنقلوا  
صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

(١) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٨.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٦.

(٣) نفس المصدر/ ص ٧٠.

(٤) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٣٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٩

وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٣.



عند الحمام حفيظة أن ينكلوا  
قدام أو لهم ونعم الأول  
حيث التقى وعت الصفوف مجدل  
والشمس قد كسفت وكادت تأفل

صبروا بمؤته للاله نفوسهم  
إذ يهتدون بجعفر ولوائه  
حتى تفرقت الصفوف وجعفر  
فتغير القمر المنير لفقده

وقال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup>:

بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ  
أبي إذا سيم الظلامه محسُرُ  
بمعترك فيه القنا متكسر  
جنان وملتف الحدائق أخضر  
وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر  
دعائم عز لا يزلن ومفخرُ  
رضام إلى طور يروق ويقهر  
علي ومنهم أحمد المتخير  
عقيل وماء الحور من حيث يُعصر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا  
أغر كضوء البدر من آل هاشم  
فظاعن حتى مال غير موسد  
فصار مع المستشهدين ثوابه  
وكتنا نرى في جعفر من محمد  
فما زال في الإسلام من آل هاشم  
هم جبل الإسلام والناس حولهم  
بهاليل منهم جعفر وابن: أمه  
وحمزة والعباس منهم ومنهم

وقال حسان أيضاً<sup>(٢)</sup>:

حبّ النبي على البرية كلّها  
من للجلا لذي العقاب وظلّها  
خير البرية كلّها وأجلّها  
وأعزّها متظلماً وأزلّها  
حيّ من أحياء البرية كلّها

ولقد بكيْتُ وعزّمُهلك جعفر  
ولقد جزعتُ وقلت حين نعت لي  
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر  
رزاءً وأكرمها جميعاً محتداً  
بالعرف غير محمد لا مثله

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٦ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/

ج ١٥/ ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٨.

ولابنِ عبدون من قصيدة ضمّنها ذكر من اباده الحدّثان قوله<sup>(١)</sup>:

الدهر يفجع بعد العين بالأثرِ      فما البكاءُ على الأشباح والصور  
ما لليالي أقالَ الله عثرتنا      من الليالي وخانتها يدُ الغيرِ

إلى أن يقول:

ومزقت جعفرأ بالبيض واختلست      من غيله حمزة الظلام للجزر  
وليتها أذ فدت عمراً بخارجة      فدت علياً بمن شاءت من البشر

«لا يزال قبر جعفر الطيار قائماً عند مؤتة، ويقال إنّ النصارى أيضاً يبجلون قبره كما يبجله المسلمون. وابتنى المسجد القائم هناك الملك المعظم عيسى الأيوبي»<sup>(٢)</sup>.

وعن قبر جعفر (ع) ذكر الشيخ المحقق محمد حرز الدين: أنه مشيد وعليه قبة قديمة وله حرم وإلى جنبه مسجد نقلاً عن بعض الزائرين العراقيين لمرقده في الأردن في امارة الشريف عبد الله بن الشريف حسين بن الشريف علي الحسيني، شرفاء مكة وأضاف فضيلة المؤلف فقال: حدثني المتتبع السيد عبد الرزاق المقرم - رحمه الله - عن قبر الطيار وبقاء جسده الطاهر. قال السيد المقرم: حدثني الشريف الجليل الأديب السيد عبد الجبار الوردى الكاظمي في يوم السبت ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ وهو في دمشق الشام، أن الشريف عبد الله من أهل عمّان والمحامي بالمحكمة الشرعية، حدثه في قرية (أريحا) سنة ١٣٨٣ هـ أنه في سنة ١٩٤٢ ذهب الشريف عبد الله ابن الشريف الملك حسين جد الملك

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثاني من مج ٢/ ص ٧٢٠.

(٢) الشتاوي وآخرون/ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)/ ج ٦/ ص ٤٧٢.

الحسين بن طلال وكان الشريف عبد الله أميراً في (عمان) لتعمير قبر جعفر الطيار في (مؤته) فلما وصلوا إلى القبر وجدوه مهدوماً فنزل الشريف عبد الله المحامي في المحكمة الشرعية إلى القبر وحده بأمر الشريف الأمير عبد الله فرأى بدن «جعفر الطيار» بهيئته وبشابه وعليه الدم طرياً والسيف في عنقه إذ لم يتغير من بدنه شيء، فكأنه ميت من يومه وكان الشريف المحامي يحلف بالإيمان المغلظة مراراً أنه وجده كذلك. فعمر الأمير عبد الله بن الملك حسين القبر وبنى المسجد الذي عليه الآن وبهذه المناسبة نظم السيد عبد الجبار الوردى بيتين في حق جعفر ذي الجناحين:

وشهيد بأرض مؤته حي جعفر والشهيد ليس يموت  
هو باقٍ قد ضمّه كل قلبٍ حيث ما ضمَّ جعفرًا تابوت<sup>(١)</sup>

وإذا ما استصبنا ما ذكر في دائرة المعارف ومراقد المعارف فإن ابن عنبه يرى أن جعفرًا وزيداً وعبد الله كانوا دفنوا في قبر واحد وعُمي القبر<sup>(٢)</sup>.

رحم الله جعفرًا وأجزل له الثواب فلقد كان (ع) لسان ابن عمه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وسفيره الصادق الحجة، الواضح المحجة، ويده القوية الضاربة التي جلت الكرب عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والمسلمين في مواطن كثيرة نكل فيها الأبطال وولى فيها الفرسان الأدبار وكان محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - به كثيراً وكانت أبصار المسلمين تشخص إليه في مدلهمات الخطوب وأعناقهم تشرئب نحوه في ساعات المحن والأرزاء فحري بالتاريخ أن يدخله من أوسع أبوابه ويخلده في أنصع صحائفه.

بنو جعفر بن أبي طالب، ويقال لهم الجعفريون<sup>(٣)</sup> بطن من بطون آل أبي طالب وهم ثلاث أفخاذ: بنو علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب،

(١) مراقد المعارف/ ج ١/ ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٣) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠.

وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنو إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب<sup>(١)</sup> والعقب من جعفر بن أبي طالب (ع) إنما هو في ولده عبد الله الأكبر الجواد وليس له عقب الا منه قاله صاحب العمدة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) نفس المصدر/ ص ٣٦٠.  
(٢) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩.

## عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

قطب السخاء<sup>(١)</sup>، أبو جعفر<sup>(٢)</sup>، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ابن ذي الجناحين أحد أجواد الحجاز الثلاثة<sup>(٣)</sup> ورابع أجواد بني هاشم<sup>(٤)</sup> وهو أول مولود ولد للمسلمين المهاجرين في الحبشة وتيمناً باسمه الكريم فقد سمي النجاشي (عاهل الحبشة) ولد له عبد الله فأرضعته أسماء حتى فطمته<sup>(٥)</sup> وقد أدرك عبد الله بن جعفر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وروى عنه<sup>(٦)</sup> قال جعفر بن محمد (ع): بايع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبائع قط صغير الآهم<sup>(٧)</sup>.

وعند منصرف الناس من مؤته وقفلهم إلى المدينة لقيهم الصبيان يشتدون والرسول مقبل على القوم على دابة، فقال - صلى الله عليه وآله وسلم - خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله فأخذه

- (١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء ص ٤٨ .
- (٢) نفس المصدر/ ص ٤٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٨ .
- (٣) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧٠ .
- (٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨ .
- (٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨ .
- (٦) نفس المصدر/ ص ٤٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٤ .
- (٧) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧٠ .

وحمله بين يديه<sup>(١)</sup>.

روى عبد الله بن جعفر فقال: مسح رسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على رأسي وقال: اللهم اخلف جعفرأ في ولدهِ وعنه أيضاً قال: كنا نلعب فمرّ بنا - صلى الله عليه وآله وسلم - على دابةِ فحملني أمامه<sup>(٢)</sup> وقد ذكر غير واحد من الرواة: أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مرّ بعبد الله بن جعفر وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال: ما تصنع بهذا؟ قال: أبيعه، قال: ما تصنع بثمانه؟ قال: أشتري به رطباً فأكله. فقال النبي: اللهم بارك له في صفقة يمينه. فكان يقال: ما اشتري شيئاً إلا ربح فيه<sup>(٣)</sup>.

لقد تهيأ لعبد الله من الحسب السنّي والمجد القديم ما حق له أن يتبذخ به ومن الأدب والأرب ما كان به قميّنا ولله دَرّ واصفه حيث يقول: «ريحانة طيبٌ ريحها، لَيْنٌ مسُها، قليل على المسلمين ضرها»<sup>(٤)</sup> ولا غرو في ذلك فإن من شابةِ محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - في خلقه وخُلُقِه كان أجدر بأن يجمع اللهُ فيه الحسنى وأن يعلى في المكارم ولا بدع فيمن كان - صلى الله عليه وآله وسلم - وليّه في الدنيا والآخرة أن تثني به الخاصِرُ وأن تكون له معاظِم واجبة المراجعة<sup>(٥)</sup> وكان عمر بن

(١) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤٢ وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٤.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.

(٣) نفس المصدر/ ص ٤٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٤ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩ مع اختلاف يسير.

(٤) الألويسي/ بلوغ الأرب/ ج ٣/ ص ١٦٧ من كلام لربيع بن ضبيح الفزاري الذي ذكر أنه عاش مائتي سنة في فترة عيسى (ع) وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الإسلام.

(٥) إشارة إلى حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «وأما عبد الله فيشبهه خلقي وخلقي وفيه: أنا وليهم في الدنيا والآخرة» يراجع: ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل

الخطاب (رض) إذا رأى عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين<sup>(١)</sup>. ومما أثر عن عبد الله بن جعفر قوله: «كنت إذا سألت علياً شيئاً فمنعني، وقلت له: بحق جعفر الا اعطاني»<sup>(٢)</sup>.

كان عبد الله بن جعفر من اولئك الأقطاب الذين لا يقايض بهم أحد... عزة قعاء وهمة علماء وفروسيّة ثابتة ومقول فصيح ولعمري تلك في بني الطيار صفات لازمة «وهي صفات علوية لا شك فيها»<sup>(٣)</sup> ولنا من الدلائل المتناصرة على أن ابن جعفر من تلك الصفات على أحسن موفر فقد كان أحد امراء عليّ (ع) يوم صفين<sup>(٤)</sup> والناطق بلسانه اثر محنة التحكيم مخيراً عن جليلة الأمر مبيناً حقيقة الحال وملزماً الخصوم الحجة وكان مما قال: «أيها الناس. هذا أمر كان النظر فيه لعليّ. والرضا فيه إلى غيره، جتتم بأبي موسى فقلتُم قد رضينا هذا فارض به، وإيم الله ما أصلحاً بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق، ولا أماتا حقّ علي، ولا أحييا باطل معاوية، ولا يذهب العقل قلة رأي، ولا نفخة شيطان، وإنا لعليّ اليوم كما كنا أمس عليه»<sup>(٥)</sup> وكان له شرف منازلة الباطل وهو يناضل عن أمير المؤمنين (ع) وينافح عن حقه المضيّع في «معركة الجمل»<sup>(٦)</sup> بل يرى السيد المحقق بهامش العمدة أن علياً (ع) عقد له يوم الجمل على عشرة آلاف، ولازم عمّه علياً فأفاد منه علماً وتبصراً في دقائق الأمور، وحظي بعده بإمامية الحسن والحسين وكم مرّة استماله معاوية فما وجد الا رجلاً صلب الإيمان عارفاً

أبي طالب/ ص ٣٧.

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٤٤.

(٣) العقاد/ أبو الشهداء/ ص ٤٦.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثلاثة أجزاء/ ص ٤٩، الجاحظ/ البخلاء/

تعليقات وشروح/ ص ٣٥٧.

(٥) القرشي/ حياة الحسن بن علي/ ج ١/ ص ٣٦٧.

(٦) انظر المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٨.

بالحق ماثلاً عن سفاسف الملحدين فكثرت فيه القالة وتوسع اتباع الهوى في الحط من قدره بأحاديث لا نصيب لها من الحقيقة<sup>(١)</sup>.

لقد كان عبد الله بن جعفر حريصاً على حياة عليّ (ع) حرصه على الإسلام ومثله وأن افتقاده يعني نقضه وتقويضها من هنا تدرك مدى التبايع قلبه وانقضااض جوانحه وتتكّد عيشه يوم قام النعيّ بمصرعه (ع) بسيف خلاصة الاثم ابن ملجم، قال عبد الله بن جعفر مخاطباً الحسن بن علي (ع): «يا أبا محمد ارفعه اليّ أشف نفسي منه»<sup>(٢)</sup> ولا أخالك تصاب بالدھش ازاء موقفه ذاك إذا ما استعدت إلى ذاكرتك مقولة علي (ع) في صفين بعد التحكيم: «ولقد هممتُ بالاقدام على القوم فنظرتُ إلى هذين قد ابتدراني - يعني الحسن والحسين - ونظرت إلى هذين قد استقدماني - يعني - عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي - فعلمتُ أن هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من هذه الأمة وكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا»<sup>(٣)</sup>.

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ع) مع سمو منزلته وأصالة عقله وشرفه لا يقطع في أمر دون استشارة الحسين (ع) والاستئناس برأيه والتزام جانبه. فقد ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ(المبرد): «أن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة: أما بعد: فإن أمير المؤمنين أحب أن يرُدّ الالفه ويسلّ السخيمة فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق، فتوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في ردّ الالفه من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة، فقال عبد الله: إن خالها الحسين بينع وليس ممن يفتات عليه بأمر فانظرني

(١) هامش عمدة الطالب/ ص ٣٧ بقلم السيد المحقق.

(٢) المبرد/ الكامل/ ج ٣/ ص ١٠٩.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ١٥٧.



إلى أن يقدم، وكانت أمُّها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل على [أم كلثوم] فقال: يا بنيه ان ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب احق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلكتك البغيغات<sup>(١)</sup> وأضاف المبرد: إن هذه الضيعة لما نزل في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية ام كلثوم يتوارثونها<sup>(٢)</sup>.

وروي: أن عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تنازعا إلى معاوية بن أبي سفيان في أرض فقال عمرو لأسامة: كأنك تنكرني فقال له أسامة: ما يسرني نسبك بولائي فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جانب مروان فقام الحسين فجلس إلى جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جانب الحسين وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس إلى جانب ابن عامر فقام عبد الله بن العباس فجلس إلى جانب ابن جعفر فلما رأى ذلك معاوية قال: لا تعجلوا إن كنت شاهداً إذ قطعها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الأمويون عليه فقالوا: الا كنت اصلحت بيننا قال: دعوني، فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر يوم صِفِّين الا لبس على عقلي<sup>(٣)</sup>.

إن من دلائل أدب عبد الله وسَمُو خلقه أنه كان إذا ما خاطب الحسين عليهما السلام فذاهما بأبويه - وهما من هما - فيقول: بأبي أنتما

(١) الكامل/ ج ٣/ ص ١١٥.

(٢) نفس المصدر/ ص ١١٥.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٥٥.

وأُمِّي<sup>(١)</sup>. وبعمرِكَ هل كان ذلك على نحو المحاباة والمصانعة؟ أم ترى هي حقيقة العارف بقدرهما والمذعن بحقهما؟

إن عند عبد الله بن جعفر مصداق ذلك فحين بلغه مصرعُ ابنه مع الحسين في واقعة الطف دخل عليه بعض مواليه يُعزونه فقال مولى له: «هذا ما لقيناه من الحسين فحدِّفه ابن جعفر بنعلهِ وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدت لاحتبَّت أن لا افارقه حتى أقتل معه والله انه لمما يسخي بنفسه عنهما ويهون عليَّ المصاب بهما انهما اصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال: إن لم تكن آست الحسين يدي فقد آساه ولدي»<sup>(٢)</sup> فضارَ هذا وفاءً لذلك.

أما ما ذكر من أمره مع يزيد بعد وفاة معاوية ومضاعفة يزيد العطاء لابن جعفر إثر كلام جرى بينهما والاعتراض عليه فهو عند ابن أبي الحديد: «ساقط، لأن ذلك إن صحَّ لم يُعدَّ جوداً ولا جائزة ولا صلة رحم، هؤلاء قوم كان يخافهم عليُّ ملكه، ويعرف حقهم فيه، وموقعهم من قلوب الأمة، فكان يدبّر في ذلك تدبيراً، ويريع أموراً، ويصانع عن دولته وملكه»<sup>(٣)</sup>.

ولم يبعد ابن أبي الحديد — فيما أظن — عن الحقيقة فيما ذكر فبين يزيد وعبد الله بن جعفر مضاعفة عظيمة ومؤاحنة قديمة يروي جانباً منها صاحب الدرجات الرفيعة فيقول: دخل عبد الله بن جعفر على معاوية بن أبي سفيان وعنده ابنه يزيد فجعل يزيد يعرض بعبد الله وينسبه إلى الاسراف فقال عبد الله: إني لأرفع نفسي عن جوابك ولو صاحب السرير يكلمني لأجبهه فقال له معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه قال: اي والله ومنك ومن أهلك ومن جدك فقال معاوية: ما كنت أظنّ إن في عصر حرب بن أمية أشرف منه، فقال عبد الله: بلى إن أشرف من حرب من أكفاً عليه اناءه وأجاره

(١) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٩٦.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٧٠٠ وما بعدها.

(٣) شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٢٥١ وما بعدها.

بردائه فقال معاوية: صدقت يا أبا جعفر<sup>(١)</sup>.

وتنقص عمرو بن العاص عبد الله بن جعفر عند معاوية وكان جماعة من بني هاشم حاضري المجلس فقال: أتاكم رجل خذول للسلف متعارف بالسرف... فغضب عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب وقال: كذبت يا عمرو ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه لله ذكور، ولبلائه شكور، وعن الخنا نفور، مهذب، ماجد، كريم، حلیم، ان ابتدا أصاب وإن سئل أجاب غير حصر ولا هيب كالهبزبر الضرغام والسیف الصمصام<sup>(٢)</sup>.

ولقد جاء الجاحظ بمراهم الكلام في مقام الدفاع عن ابن ذي الجناحين قال: وهل كان انفاق عبد الله المال إلا في طلب الذكر والتماس الشكر؟ وهل قال أحد ان انفاقه كان في الخمر والقمار وفي الفسولة والفجور؟ وهل كان إلا فيما تسمونه جوداً وتعدونه كرمًا<sup>(٣)</sup> وبعمرك هل كان حديث الأربعاء<sup>(٤)</sup> عن ابن جعفر حديث وعاية ورعاية أم حديث سماع ورواية.

لقد عیبَ البعض عبد الله بن جعفر فقالوا: رجل بذرٌ سرف... ونسوا أن أملاً الناس بالعيوب العیاب. وقال عبد الله بن جعفر: ان الله قد عودني أن يتفضل عليّ وعودته ان اتفضل عليّ عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني<sup>(٥)</sup>. وتخوف البعض الفقر عليه فكان جوابه:

لست أخشى قلة العدم ما اتقيتُ الله في كرمي  
كلما انفقْتُ يخلفه لِي رب واسِعُ النِعَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) علي خان/ الدرجات الرفیعة/ ص ١٧٣.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٧٢.

(٣) البخلاء/ ص ١٧٦.

(٤) د. حسين/ طه/ حديث الأربعاء/ ج ١/ ص ٢٣٥ وما بعدها.

(٥) ابن عبد ربّه/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ١٢٣ والمبرد الكامل/ ج ١/ ص ٩٦

وعلي خان/ الدرجات الرفیعة/ ص ١٦٩.

(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٧٧ وما بعدها وعلي

لقد كان ابن جعفر فياضاً بالعطاء لو ملك الدنيا لَفَيَّحَهَا في يوم واحد وهو في ذلك لا يخافُ فقراً أو خصاصة ولا يخشى غائلتهما. فمما يروى: أن يزيد بن معاوية وَجَّهَ إلى عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هديةً ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئاً وفي ذلك يقول عبد الله بن قيس بن الرقيات:

وما كنت الا كالأغر ابن جعفرِ رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكراً<sup>(١)</sup>

وكقول الشماخ بن ضرار الثعلبي:

انك يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتى  
وجار ضيف طرق الحي سرى صادف ناراً وحديثاً يُشتهي  
ان الحديث طرف من القرى<sup>(٢)</sup>

وكان كثير النوال جزيل العطية كريماً نفاعاً... قال الأصفهاني: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله فقال: يا أعرابي، ما عندنا ما نصلك؛ ولكن عليك بابن جعفر، فأتى الأعرابي باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة، وراحته بالباب عليها متاعه وسيف معلق، فخرج عبد الله من داره وانشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهم للمسلمين طهور  
أبا جعفر إن الحجاج ترحلوا وليس لرحلي فاعلمن بعير  
أبا جعفر ضمن الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير  
وأنت امرؤ من هاشم في صميمها إليك يصير المجد حيث تصير

فقال عبد الله بن جعفر: يا أعرابي، سار الثقل فدونك الراحلة بما

خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ .

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٩ .

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٧ .

عليها، وإياك أن تخدع عن السيف فاني اخذته بألف دينار. فانشأ الأعرابي يقول:

حباني عبد الله، نفسي فداؤه  
وابيض من ماء الحديد كأنه  
وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر  
فيا خير خلق الله نفساً والدا  
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفر  
وما شاكر عرفاً كمن هو كافره<sup>(١)</sup>

ومدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة بُرا وتمرا فقبل لعبد الله: أتفعلُ هذا بمثل هذا العبد الأسود فقال عبد الله: أما لأن كان عبدٌ إنني لحر وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض وإنما أخذ مالا يفنى وثياباً تبلى ورواحل تُنضى وأعطى مديحاً يروى وثناءً يبقى<sup>(٢)</sup>.

ووفد شاعر على عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام  
شكوت إلى صاحبي أمرها  
سيكسوها الماجد الجعفري  
ومن قال للجود لا تعدني  
كساني من الخزّ ذرّاعة  
فقال ستؤتى بها الساعة  
ومن كفه الدهر نفاعه  
فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه دراعتي الخزّ ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلاثمائة دينار! فقال له الشاعر: بأبي دعني اغفى اغفاء أخرى فلعلني أرى هذه الجبة في المنام، فضحك عبد الله منه وقال: يا غلام ادفع إليه جُبّي الوشي<sup>(٣)</sup>. وكان أهل المدينة يذّانون

(١) الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٥ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨١.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩.

(٣) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٦ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨١.

بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء ابن جعفر<sup>(١)</sup>. وروى المدائني عن أبي زكريا العجلاني قال: قال مخرمة بن نوفل: بنو هاشم أكمل سخاءً من بني أمية. وقال جبير بن مطعم: بنو أمية اسخى فقال مخرمة: امتحن ذلك ومنتحنه. فأتى جبير سعيد بن العاصي وابن عامر ومروان فسألهم فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف، وأتى مخرمة الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فأعطاه كل واحد منهم مائة ألف درهم فردّها مخرمة وقال: إنما أردت امتحانكم<sup>(٢)</sup> وقصد رجل عبد الله بن جعفر بسكرٍ قدم به من المدينة فكسد عليه فاشتره منه وانهبه الناس فلما رأى الرجل ذلك قال لعبد الله: أتأذن لي أن انهب معهم جعلت فداك قال: بلى فانهب ف جعل ينهب مع الناس وعبد الله يضحك<sup>(٣)</sup>.

وقيل إن أعرابياً باع راحلة من عبد الله بن جعفر، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها، فأمر له به، ثم عاوده ثلاثاً، وهو في كل مرة يقتضي ثمنها فقال فيه:

لا خير في المجتدي في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدع  
تخال فيه اذا حاورته بلهأ من جوده وهو وافي العقل والورع<sup>(٤)</sup>

ومن غريب ما يحكى من جوده أن عبد الرحمن بن أبي عمارة وهو من نساك الحجاز دخل على نخاس يعرض قياناً له، فتعلّق بواحدة منهن فشهر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاوس ومجاهد يعدلونه فكان جوابه أن قال:

يلومني فيك أقوام بمالههم فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

(١) نفس المصدر/ ص ٢١٧.

(٢) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٥.

(٣) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧٠.

(٤) نفس المصدر/ ص ٢١٨ وما بعدها.

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر فلم يكن له همّ غيره فحج فبعث إلى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيّمة جواريه أن تزنيها وتطيبها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال: مالي لا أرى ابن أبي عمارة فاخبر الشيخ فأثاه مسلماً فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال: ما فعل حبُّ فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمخ والعصب، قال: أتعرفها لو رأيته قال: لو أدخلت الجنة ما أنكرها فأمر بها عبد الله أن تخرج إليه وقال: انما اشتريتها لك والله ما دنوت منها فشأنك بها مباركاً لك فيها فلما ولّى قال: يا غلام احمل معه مائة ألف درهم ينعم معها فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال: يا أهل البيت لقد خصّكم الله بشرف ما خصّ به أحداً قبلكم من صلب آدم (ع) فلتهنكم هذه النعمة وبورك لكم فيها<sup>(١)</sup>.

وخرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فيه غلام أسود يقوم عليها فأتى الغلام بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى إليه بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم. قال: ما رأيت، قال: فلم آثرت هذا الكلب قال: ما هي بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أردّه قال: فما أنت اليوم صانع قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء، إن هذا لأسخى مني فاشترى الغلام والنخيل فاعتق الغلام ووهب له النخيل ثم ارتحل.

وأشده عبد الله بن جعفر قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً  
حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال: هذا رجلٌ يريد أن يبخل الناس بل أمطر المعروف مطراً فإن صادف موضعاً كان الذي قصبت وإلا كنت أحق به<sup>(٢)</sup>.

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٧٠.

لقد شرف الله تعالى عبد الله بن جعفر بالكرامة وجللته بالحرمة وحباه  
الوجاهة فكان الملجأ واللياذ للمتحوّج والخائف قال المبرد. إن عبد الله بن  
قيس الرقيات كان منقطعاً إلى مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان  
يقاتل معه وله فيه أشعار كثيرة، فلما قتل مصعب كان عبد الملك عازماً  
على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفع فيه إلى عبد  
الملك فشفعه في أن ترك دمه فقال: ويدخل إليك فتسمع منه فأبى فلم يزل  
به حتى أجابه ففي ذلك يقول لعبد الله بن جعفر:

أتيناك نثني بالذي أنت أهله      عليك كما أثنى على الأرض جاراها  
تقدتُ بي الشهباء نحو ابن جعفر      سواء عليها ليلها ونهارها  
تزور فتى قد يعلم الناس أنه      تجودُ له كف قليلٍ غرارها  
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر      لكان قليلاً في دمشق قرارها<sup>(١)</sup>

إلى كثير من ذلك مما يجاوز حدود الحصر كَمَا تركناه خشية الاطالة،  
ولعل خير ما نختم به هذا الموضوع ما أنشده الخليفة هارون الرشيد  
لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال الرشيد: لله دَرُّ عبد الله بن جعفر  
فلقد نطق بالحكمة حيث يقول:

يا أيها الزاجري عن شيمتي سفها      عمدا عصيت فقال الزاجرُ الناهي  
اقصرْ فانك من قوم ارومتهم      في اللؤم فافخر بهم إن شئت أو باهي  
يزين الشعر افواهاً إذا نطقت      بالشعر يوماً وقد يزري بأفواه  
قد يرزق المرء لا من فضل حيلته      ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الداهي  
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم      أثروا وليسَ وإن أثروا بأشباه  
ما نالني من غنى يوماً ولا عدم      الا وقولي عليه الحمد لله<sup>(٢)</sup>

قال يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قلت: «ومن الذي

(١) الكامل/ ج ٢/ ص ١٩٤.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.



بلغت به المقدرة أن يسامى بتلك أو يدانيه قال: لعلهُ من بني أبيك وأمك»<sup>(١)</sup>.

وفي مرض عبد الله بن جعفر الذي توفي فيه توارد عليه الزائرون عارفو فضله ومقدرو قدره وصنائع احسانه وكان منهم أعرابي أتاه وهو محموم فأنشأ يقول:

كم لوعة لندى وكم قلق للجود والمكرمات من قلقك؟  
البسك الله منه عافية في نومك المعترى وفي أرقك  
أخرج من جسمك السقام كما أخرج ذم الفعال من عنقك

فأمر له بألف دينار<sup>(٢)</sup>. وهذا أسير معروفه وعتيق كرمه عبد الله بن قيس الرقيات ينعى إليه خبر توعدك عبد الله فيقول<sup>(٣)</sup>:

قد أتانا بما كرهنا أبو اللسلاس كانت بنفسه الأوجاع  
قال: يشكو الصداغ وهو ثقیل بك لا بالذي ذكرت الصداغ

قال أبو الفرج: «فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللهم انك عودتني عادةً جريئاً عليها، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبضني إليك، فتوفي في الجمعة الأخرى»<sup>(٤)</sup> وقيل إنّه لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فأوصى إليه - وفي ولده من هو أسن منه - وقال له: إني لم أزل أوملك لها. فلما توفي احتال معاوية بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه، وقسم أموال أبيه بين ولده، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما<sup>(٥)</sup>.

(١) نفس المصدر/ ص ١٨٤.

(٢) الخطيب البغدادي/ أحمد بن علي/ تاريخ بغداد/ ج ٦/ ص ٣٨١ - ٣٨٢ دار الكتاب العربي/ بيروت. لبنان.

(٣) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢١.

(٤) نفس المصدر/ ج ١٢/ ص ٢١٩.

(٥) نفس المصدر السابق/ ج ١٢/ ص ٢١٩ وابن عنه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩ باختلاف سير.

واختلف في سنة وفاته وعمره، فقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة في خلافة عبد الملك بن مروان وهو الذي صلى عليه<sup>(١)</sup>. وفي الإصابة عن الواقدي أنه توفي سنة سبع وثمانين وله تسعون سنة<sup>(٢)</sup>، وقيل مات بالابواء سنة تسعين وصلى عليه سليمان بن عبد الملك بن مروان وله تسعون سنة<sup>(٣)</sup>. وقيل غير ذلك.

ولما توفي عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلهم، فما تنظر إلى ذي حجا إلا رأته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع<sup>(٤)</sup>. فلما فرغوا من دفنه وقف عمرو بن عثمان على شفير قبره فقال: «رحمك الله يا ابن جعفر! إن كنت لرحمك لواصلاً، ولأهل الشر لمبغضاً ولأهل الريبة لقالياً، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رَعَيْتَ الَّذِي قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ      مِنْ السُّودِ حَتَّى غَيَّبْتَكَ الْمَقَابِرُ

فرحمك الله! يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعت حياً! والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد غم قريشاً كلها هلكك، فما أظن أن يرى بعدك مثلك».

ووقف عمرو بن سعيد عند قبره ورثاه فقال: لا إله إلا الله الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر! وما أسمع ما أصبح بعدها! والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوب بكذب، وودك غير ممزوج بكدر<sup>(٥)</sup>.

(١) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٩.

(٢) ابن حجر/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

(٤) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٣١٩ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢٠ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

بات قلبي تشمُّه الأوجاعُ  
من حديث سمعته منع النو  
إذ أنا بما كرهنا أبو  
ابن اسماء لا ابالك تنعئ  
هاشميةً بكفه من سجال المجد  
نشر الناس كل ذلك منه  
لم أجد بعدك الا خلاء الا  
بيته من بيوت عبد منافٍ  
منتهى الحمد والنبوّة والمجد  
فستأتيك مدحة من كريم

من هموم تجنّها الأضلاعُ  
مَ فقلبي مما سمعت يُراع  
السلاس، كانت بنفسه الأوجاع  
إنه غير هالك نفاع  
سجلُّ يهون فيه القُبَاع  
شيمة المجد ليس فيه خِداع  
كثما دبه قذئى أو نِقَاع  
مدَّ أظنابه المكان اليفاع  
إذا قصّر اللثام الوضاع  
نال من ندى سجالك باع<sup>(١)</sup>

وأما عقب جعفر بن أبي طالب (ع) ففي ولده عبد الله الأكبر الجواد وحده وليس له عقب إلا منه، قاله صاحب العمدة<sup>(٢)</sup> فولد عبد الله عشرين من الأبناء الذكور وقيل أربعة وعشرين<sup>(٣)</sup> نذكر منهم:

علي بن عبد الله بن جعفر الزينبي<sup>(٤)</sup> وفيه الكثرة والعدد<sup>(٥)</sup> أمه زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ويقال لبني عليّ الزينبيون<sup>(٦)</sup> وعلي بن عبد الله هذا سيد فقيه

(١) نفس المصدر/ ج ١٢ / ص ٢٢١ .

(٢) ابن عنيه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩ .

(٣) نفس المصدر/ ص ٣٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣ .

(٤) نفس المصدر/ ص ٣٨ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ .

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ .

(٦) نفس المصدر/ ص ٦٨ وابن عنيه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨ .

(٧) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢ / ص ٣٦٠ .

عالم يصلح للرياسة والإمامة<sup>(١)</sup>.

ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وصي أبيه والأثير لديه وإنما سمي بمعاوية لأن أباه يوم بشر بولادته كان في مجلس معاوية بن أبي سفيان فطلب معاوية منه ذلك وبذل له مئة ألف درهم<sup>(٢)</sup> وقيل ألف ألف<sup>(٣)</sup> وبعد أن قبض عبد الله المال أعطاه لمن بشره بالوليد<sup>(٤)</sup> وإسحاق العرضي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب<sup>(٥)</sup>.

وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر الزاهد<sup>(٦)</sup> كان من ثقات التابعين<sup>(٧)</sup> من أصحاب الإمام جعفر الصادق (ع)<sup>(٨)</sup> قال السيد المحقق بهامش العمدة/ ص ٧٩ قتل إسماعيل سنة ١٤٥ هـ وقد قارب التسعين وأضاف أن ابن حجر ذكره في التقريب.

وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب<sup>(٩)</sup> وبدا لي أن لعبد الله ولدين بهذا الاسم أحدهما (الأكبر) والثاني (الأصغر).

وأما الأكبر فقد قيل: انه مات في حياة

---

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤ / ص ١٢١.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢ / ص ٢٢٢ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.

(٣) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.

(٤) نفس المصدر/ ص ٣٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢ / ص ٢٢٢.

(٥) نفس المصدر/ ص ٣٨ قال: العريضي، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ والنويري/ نهاية الأرب/ ج ٢ / ص ٣٦٠ قال: «العرض: موضع بالمدينة».

(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.

(٧) هامش العمدة/ ص ٣٩ السيد المحقق.

(٨) الطوسي/ رجال الطوسي/ ص ١٤٧.

(٩) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢ / ص ٩١، والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣ / ص ٢٢٣، وابن أئثم/ الفتوح/ مج ٥ - ٦ / ص ١٢٧.

أبيه<sup>(١)</sup>. وقيل إنه استشهد مع الحسين (ع) بالطف<sup>(٢)</sup>. وقيل إن الذي استشهد مع الحسين بن علي (ع) إنما هو عون الأصغر<sup>(٣)</sup>. وإلى الأخير يذهب ابن أعثم الكوفي في فتوحه كما نسب إليه عند خروجه (ع) إلى ساحة المعركة البيتين من الرجز:

ان تنكروني فأنابنا ابنُ جعفرِ شهيد صدقٍ في الجنان الزهر  
يطير فيها بجناح أخضرٍ كفا بهذا شرفاً من مشعر<sup>(٤)</sup>

وإياه عنى سليمان بن قته بمرثيته:

واندبني إن بكيت عوناً أخاهُ ليس فيما ينوبهم بخذول  
فلعمري لقد أصيب، ذوي القر بي فبكي على المصاب الطويل<sup>(٥)</sup>

لكن أبا الفرج الأصفهاني يؤكد في مقاتله استشهد عون الأصغر يوم (الحرّة) كما لم يغفل ذكر قاتله<sup>(٦)</sup>. وأم عون هي زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -<sup>(٧)</sup>.

ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب<sup>(٨)</sup>. واستشهد مع

(١) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٢) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٨.

(٣) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٤) الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧.

(٥) مقاتل الطالبين/ ص ٦٠.

(٦) نفس المصدر/ ص ٨٣.

(٧) نفس المصدر/ ص ٦٠.

(٨) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ج ٢/ ص ٩١ والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/

ص ٢٢٣. وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، والكوفي/ ابن أعثم/

الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ طبعة أخرى/

ص ٦٠.

الحسين (ع) بالطف أيضاً<sup>(١)</sup>. وأورد له ابن أعثم الكوفي في فتوحه أرجوزة عند خروجه إلى المعركة:

نشكو إلى الله من العدوانِ      فعال قوم في الردى عميان  
قد بدلوا معالم الفرقان      ومحكم التنزيل والتبيان  
وأظهروا الكفر مع الطغيان<sup>(٢)</sup>

وكان (ع) معنياً هو الآخر بمرثية الشاعر سليمان بن قته بقوله:

وسمي النبي غودرَ فيهم      قد علوه بصارمِ مصقول  
فإذا ما بكيت عيني فجودي      بدموع تسيل كل مسيل<sup>(٣)</sup>

نوه الجاحظ به في رسائله فقال: «سيد فقيه عابد يصلح للرياسة والإمامة»<sup>(٤)</sup>. وأم محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب هي الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة بن عثمان بن ربيعة<sup>(٥)</sup>. وعبيد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الخوصاء بنت حفصة، استشهد هو الآخر مع الحسين (ع) بالطف وذكر ذلك الأصفهاني في مقاتله عن يحيى بن الحسن العلوي فيما حدثه به أحمد بن سعيد عنه<sup>(٦)</sup>. وحسين بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب استشهد مع الحسين (ع) بالطف ذكر ذلك ابن حزم في

(١) الكوفي/ ابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠ والمسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١ والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٢) الفتوح/ مج ٥ - ٦/ ص ١٢٧.

(٣) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠.

(٤) رسائل الجاحظ/ مج ٣ - ٤/ ص ١٢١.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦٠.

(٦) المصدر نفسه/ ص ٦١ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ لكن دون أن يتعرض لذكر استشهاده.

وذكر ابن حزم ابناء آخرين لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب هم:

جعفر - عياض - أبو بكر<sup>(٢)</sup> - يحيى - صالح - موسى - هارون - يزيد - ولا عقب لواحد منهم<sup>(٣)</sup>. قال أبو نصر البخاري في (سر السلسلة العلوية): «كل جعفري في الدنيا فمن ولد عبد الله بن جعفر إذ لم يصح لجعفر: عقب إلا من عبد الله بن جعفر، والذين ينتسبون إلى عون ومحمد ابني جعفر لا يصح نسبهم أصلاً، والذين ينتسبون إلى عبد الله الجواد بن جعفر من غير أولاد معاوية بن عبد الله وعلي بن عبد الله وإسحاق بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الله هؤلاء الأربعة فلا يصح لهم نسب ولا أعرف منتسباً إلى غيرهم»<sup>(٤)</sup>.

وسأقصر التنويه بأحد أحفاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من ولده معاوية وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من شجعان الطالبين ورؤسائهم وشعرائهم يكنى أبا معاوية وأمه أسماء وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وزوجته فاطمة بنت الحسن بن الحسن أنجبت له الحسن وصالحاً ويزيد. وكان عبد الله قد ظهر بالكوفة سنة خمس أوسبع وعشرين ومائة ودعا الناس إلى بيعته على الرضا من آل محمد فاجتمع عليه نفرٌ من أهل الكوفة فبايعوه وعظم أمره واتسعت مقدرته وملك الجبل بأسره، وكان أبو جعفر المنصور الدوانيقي عامله على (ابذج) واستعمل اخاه الحسن بن معاوية على (اصطخر)، وأخاه يزيد على (شيراز) وأخاه علياً على (كرمان) وأقام هو بأصبهان فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد (الحمار)

(١) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٢) ذكر في الجمهرة/ ج ٦٨ والمقاتل/ ص ٨٢ أن أبا بكر قتل بالحرّة.

(٣) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٤) هامش عمدة الطالب/ ص ٥٧ بقلم السيد المحقق.

فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف فخرج إلى أبي مسلم المروزي طامعاً في نصرته فأوقع عليه الحيل حتى أخذه وحبسه بهرة ولم يزل محبوساً حتى قتل سنة تسع وعشرين ومائة، وقبره بهرة وفيه يقول أبو مالك الخزاعي:

تفكرت الدنيا خلاف ابن جعفر عليّ وولئ طيئها ونعيمها  
وعليّ الرغم مما ذكر عنه من الفظاظة والغلاظة فإنه كان من ظرفاء  
بني هاشم وأدبائهم المجيدين في منظوم القول ومنثوره وكان خطيباً لسناً  
وكان الناس يقولون: ابن الطيار اخطبُ الناس.

ومن ظريف القول ما رواه الأصفهاني في أغانيه عن طفولة معاوية بن عبد الله بن جعفر، إن كثير عزة الشاعر كان يمرُّ بمعاوية وهو في المكتب فيكبُّ عليه ويقبله ويقول: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة.

ولمعاوية من الشعر ما سار في الآفاق منه قوله:

لسنا وإن كرمت اوائلنا يوماً عليّ الأحساب تنكل  
نبنني كما كانت اوائلنا تبنني ونفعلُ مثل ما فعلوا  
وله أيضاً:

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت ايقنتُ أن لا اخاليا  
فلا زال ما بيني وبينك بعدما بلوتك في الحاجات الاتماديا  
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا  
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا  
وله:

الانزع القلب عن جهله وعماتؤنب من أجله  
فيبدل بعد الصبا حكمة ويقصر ذو العذل عن عدله  
فلا تركبن الصنيع الذي تلموم أخاك على مثله  
ولا يعجبنيك قول امرئ يخالف ما قال في فعله  
ولا تتبغ الطرف ما لا ينال ولكن سل الله من فضله



وكم من مقلّ ينال الغنى' ويحمد في رزقه كلّه

وله في الاعتذار والاستعطاف نثراً:

«أما بعد فاتاك الله حفظ الوصية، ومنحك نصيحة الرعية، والهمك عدل القضية، فإنك مستودع ودائع، ومولى صنائع، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك، فالودائع عارية، والصنائع مرعية. وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها. ولا بمبلوغ مداها. فنبه للتفكير قلبك، واتق الله ربك...»<sup>(١)</sup>.

محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي أخو عبد الله وعون<sup>(٢)</sup> في الأصفهاني لا تعرف له كنية<sup>(٣)</sup> وفي ابن حجر عن الواقدي انه كان يكنى أبا القاسم<sup>(٤)</sup> وقيل أنه أول من سمي محمداً في الإسلام من المهاجرين<sup>(٥)</sup> وكانت ولادته بأرض الحبشة<sup>(٦)</sup> وأمه اسماء بنت عميس الخثعمية — كما مر —.

وقد روي أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال لما

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة المراجع الآتية:

المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ١١٠، الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٢/ ص ٣٩،

ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، ص ٤٢، الأصفهاني/ مقاتل

الطالبين/ ص ١١١ وما بعدها، وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي

طالب/ ص ٣٨، الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٥٧، الجاحظ/ الحيوان/ مع

١ - ٢/ ص ٥٨٦، قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ ص ١٤٧، البهائي/ الكشكول/

ج ٢/ ص ١٥. الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٩/ ص ١٨.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

(٣) مقاتل الطالبين/ ج ١١.

(٤) الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب

آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٦) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ عند الدارقطني.

استشهد جعفر بن أبي طالب: ادعو لي بني أخي فجيء بنا كأننا أفراخ فقال: ادعوا لي الحلاق فأمر فحلق رؤسنا ثم قال: أما محمد فشيبه عمنا أبي طالب وأما عون فشيبه خلقي وخلقي.. إلى آخر الحديث<sup>(١)</sup> وقد مرَّ نظير هذا في ثنايا الحديث عند ذكرنا لذي الجناحين وابنه أبي جعفر وفي الطبري أن علياً (ع) ندبه ومحمد بن أبي بكر رسولين إلى الكوفة وعليها أبو موسى الأشعري يستصرخ أصحابها ويستنصرهم<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الشيباني قال: لما نزل محمد بن أبي بكر مصر، وصير إليه معاوية: ابن خليج الكندي تفرق عن محمد من كان معه فتغيب فدَلَّ عليه فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه إلى معاوية. فكان أول رأس طيف به في الإسلام وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه فاستجار بأخواله من خثعم فغيبوه وكان سيد خثعم يومئذ رجلاً في ظهره بزخ من كسر اصابه فكان إذا مشى ظنَّ الجاهل أنه يتبختر في مشيته فذكر لمعاوية أنه عنده. فقال له: أسلمُ إلينا هذا الرجل. فقال: ابن اختنا لجأ إلينا لحقن دمه. فدعه عنك قال: والله لا آتيك به.

قال: كذبت والله لتأتيني به إنك ما علمت لأوره قال: أجل. إني لأوره حين أقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه. وأقدم ابن عمي دونه تسفك دمه. فسكت عنه معاوية وخلّى بينه وبينه<sup>(٣)</sup> وأورد ابن حجر عن المزرباني في معجم الشعراء قوله نحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

وقيل إن محمد بن جعفر (ع) كان تشرفَ بمصاهرة عليّ أمير

(١) نفس المصدر/ ص ٤٤ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٢) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٣٩٣.

(٣) الأندلسي/ ابن عبد ربه/ المقد الفريد/ ج ١/ ص ٨٣.

(٤) الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

المؤمنين (ع) على ابنته ام كلثوم<sup>(١)</sup> وفي مكان استشهاده كما في ولادته خلاف. فقيل انه استشهد بتستر<sup>(٢)</sup> وقيل بالطف<sup>(٣)</sup> وقيل بصفين<sup>(٤)</sup>. وذكر أبو الفرج بطرقه عن الضحاك بن عثمان قال: خرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب في كتيبة يقال لها الخضراء. وكان بازائه محمد بن جعفر بن أبي طالب معه راية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) التي تسمى الجموح. وكانا في عشرة آلاف. فاقتلوا قتالاً شديداً.

قال: فلقد ألقى الله عز وجل عليهم الصبر، ورفع عنهم النصر. فصاح عبيد الله متى متى هذا الحذر؟ أبرز حتى اناجرك. فبرز له محمد فتطاعنا حتى انكسرت رماحهما. ثم تضاربا حتى انكسر سيف محمد. ونشب سيف عبيد الله بن عمر في الدرقة فتعانقا وعض كل واحد منهما أنف صاحبه فوقعا عن فرسيهما. وحمل اصحابهما عليهما فقتل بعضهم بعضاً حتى صار عليهما مثل التل العظيم من القتلى وغلب علي (ع) على المعركة فأزال أهل الشام عنهما. ووقف عليهما فقال: اكشفوا هؤلاء القتلى عن ابن أخي فجعلوا يجرون القتلى عنهما حتى كشفوهما فإذا هما متعانقان. فقال علي (ع) أما والله لعن غير حب تعانقتما<sup>(٥)</sup>. قال أبو الفرج: هذه رواية الضحاك بن عثمان. وما أعلم أحداً من أهل السيرة ذكر أن محمد بن جعفر قتل عبيد الله بن عمر. ولا سمعت لمحمد في كتاب أحد منهم ذكر

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢: فضلاً عن الواقدي والمرزباني، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ نقلاً عن ابن عبد البر في الاستيعاب والقاضي نور الله في المجالس.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ نقلاً عن الواقدي والمرزباني، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ نقلاً عن ابن عبد البر في الاستيعاب والقاضي نور الله في المجالس.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ نقلاً عن الدارقطني في كتاب الأخوة والمرزباني في معجم الشعراء.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ١١ - ١٢.

مقتله<sup>(١)</sup>. وازاء التضارب في الأقوال والاضطراب في الروايات وما نتج عنها من لبس ابهام، يقول السيد صاحب الدرجات: كان لجعفر بن أبي طالب ابنان يسمى كل منهما محمداً أحدهما الأكبر ولا خلاف أنه قتل مع عمه أمير المؤمنين (ع) بصفين وهو الذي كان زوج أم كلثوم والثاني محمد الأصغر وهو الذي قيل إنّه قتل بالطف أو بشتر قال صاحب العمدة يقال إنه ما أدرك الحلم فقر أن صاحب الترجمة إنما هو محمد الأكبر وخفي على القاضي نور الله ذلك فظنّ إنما هو محمد واحد فاستصوب أنه قتل بشوستر قال: إنه تشرف بمصاهرة أمير المؤمنين (ع) وقد علمت أن أحدهما غير الآخر. بقي أن صاحب العمدة قال: خلفَ على أم كلثوم عون بن جعفر بن أبي طالب ثم بعده أخوه محمد فإن أراد بمحمدٍ هذا محمد الأكبر فهو قد قتل بصفين قبل عون كما ذكره هو بنفسه في العمدة فكيف خلفه عليها بعده وإن أراد محمد الأصغر فقد قتل هو وعون معاً بالطف أو بغيره على الخلاف في ذلك أن يكون عون طلقها فتزوجها بعده أحد المحمدين لكن عبارته لا تعطي ذلك والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وكان السيد صاحب الدرجات الرفيعة وصاحب العمدة قد أشارا في معرض حديثهما عن سيرة جعفر بن أبي طالب (ع) إلى أنه كان أعقب من الولد ثمانية ذكور. وقد ذكراهم بالاسماء وهم: عبد الله – وعون – ومحمد الأكبر – ومحمد الأصغر – وحמיד – وحسين – وعبد الله الأصغر – وعبد الله الأكبر<sup>(٣)</sup> وهذا يعني رجحان رأي السيد على ما هواه.

(١) نفس المصدر/ ص ١٣.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ – ١٨٦.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٩ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

وعن عقب محمد الأكبر - موضوع بحثنا - يقول صاحب  
العمدة إنه انقرض، ودرج الخمسة الأخر أعني أولاد جعفر ما عدا عبد الله  
الأكبر<sup>(١)</sup>.

---

(١) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٧.

## عون

عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي ابن عم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ولد بأرض الحبشة وقدم به أبوه في غزوة خيبر<sup>(١)</sup> وقد مرّ ذكر حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه وفي أخوته فيما تقدم. وكان يشبه أباه جعفرأ خلقاً وخلقاً وأمه أم أخوته جميعاً وهي اسماء بنت عميس الخثعمية. وكان قد تزوّج من أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي (ع) ثم من بعده اخوه محمد قاله صاحب العمدة<sup>(٢)</sup>. واختلف في أي ولدي جعفر محمد وعون كان اسن فأما عبد الله فكان أسن منهما<sup>(٣)</sup>. قال صاحب العمدة والدرجات أن عوناً استشهد مع ابن عمه الحسين (ع) يوم الطف<sup>(٤)</sup>. وقيل إنّه استشهد بتستر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب<sup>(٥)</sup> وولد عون بن جعفر بن أبي طالب شهيد الطف ابنا اسمه مساور له ذيل لم يطل وانقرض

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٤ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٤ - ٤٥.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ وابن عنه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٥ نقلاً عن (أبو عمر) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ١٤.

عقبه<sup>(١)</sup>. أما ابن حزم فيقول: إن لعون عقباً غير مشهور؛ وقد قيل إن موسى بن معاوية الصمادحي، راوية وكيع بن الجراح، من ولده، وأنه موسى بن معاوية بن أحمد بن عون بن معاوية بن عون بن جعفر، وقيل: عون بن عبد الله بن جعفر<sup>(٢)</sup>. بينما يرى ابن الأثير إن عوناً لم يعقب<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ج ٣٧ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٥ قال: «وماله عقب».
- (٢) الأندلسي/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
- (٣) أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٣١٤.

# فهرست المصادر المعتمدة في تأليف الكتاب

القرآن الكريم .

١ - ابن أبي الحديد/ عز الدين/ عبد الحميد/ شرح نهج البلاغة/  
الطبعة الأولى دار احياء الكتب العربية/ القاهرة ١٩٥٩ .

٢ - ابن الأثير/ عز الدين/ أسد الغابة/ دار الشعب/ القاهرة  
١٩٧٠ .

٣ - ابن الأثير/ عز الدين/ الكامل في التاريخ/ الطبعة الثانية/ دار  
الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٧ .

٤ - ابن حجر/ شهاب الدين/ أبو الفضل/ أحمد بن علي بن  
محمد/ الإصابة/ المطبعة الشرقية/ القاهرة ١٩٠٧ .

٥ - ابن خلدون/ عبد الرحمن المغربي/ كتاب السير وديوان المبتدأ  
والخير .

٦ - ابن شهر آشوب/ رشيد الدين/ أبو عبد الله/ محمد بن علي/  
مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٥٦ .

٧ - ابن عقيل/ بهاء الدين/ عبد الله بن عقيل/ شرح ألفية بن مالك/



- الطبعة الرابعة عشرة/ القاهرة ١٩٦٥ .
- ٨ - ابن عنبه/ جمال الدين أحمد/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ دار الأندلس/ النجف ١٩٨٨ .
- ٩ - ابن المعتز/ عبد الله/ طبقات الشعراء/ الطبعة الرابعة/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٨١ .
- ١٠ - ابن هشام/ السيرة النبوية/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة ١٩٣٦ .
- ١١ - ابن هشام/ قطر الندى وبل الصدى .
- ١٢ - الأبشهي/ شهاب الدين/ محمد بن أحمد/ المستطرف في كل فن مستظرف/ دار الفكر .
- ١٣ - الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ الأغاني/ دار الفكر/ بيروت .
- ١٤ - الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ مقاتل الطالبين/ دار احياء علوم الدين/ بيروت .
- ١٥ - الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ مقاتل الطالبين/ الطبعة الثانية/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٦٥ .
- ١٦ - الأصفهاني/ محمد بن داود/ الزهرة/ تحقيق د. إبراهيم السامرائي/ د. نوري حمودي القيسي/ الأردن .
- ١٧ - الألوسي/ محمود شكري/ بلوغ الأرب/ المكتبة الأهلية، مصر .
- ١٨ - الأمين العاملي/ محسن/ أعيان الشيعة/ الطبعة الثانية/ مطبعة الاتقان/ دمشق ١٩٤٧ .
- ١٩ - الأميني/ عبد الحسين/ الغدير/ الطبعة الثالثة/ دار الكتاب

العربي/ بيروت ١٩٦٧ .

٢٠ – الأنباري/ أبو بكر محمد بن القاسم/ الزاهر في معاني كلمات الناس/ الطبعة الثانية/ دار الشؤون الثقافية/ العامة/ بغداد ١٩٦١ .

٢١ – الأندلسي/ ابن حزم/ علي بن أحمد/ جمهرة أنساب العرب/ الطبعة الخامسة/ دار المعارف القاهرة/ ١٩٦٢ .

٢٢ – الأندلسي/ ابن عبد ربه/ شهاب الدين/ العقد الفريد/ القاهرة/ ١٩٥٣ .

٢٣ – الأندلسي/ ابن عبد ربه/ شهاب الدين أحمد/ العقد الفريد/ الطبعة الأولى/ مكتبة هلال/ بيروت ١٩٨٦ .

٢٤ – البخاري/ أبو عبد الله/ محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ دار الفكر/ بغداد ١٩٨٦ .

٢٥ – البيلاوي/ محمود علي/ تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام/ الطبعة الأولى/ دار القلم/ بيروت ١٩٨٥ .

٢٦ – البلاذري/ أبو الحسن/ أحمد بن يحيى/ أنساب الاشراف/ الطبعة الأولى/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت ١٩٧٧ .

٢٧ – البلاذري/ أبو الحسن/ أحمد بن يحيى/ فتوح البلدان/ مطبعة السعادة/ القاهرة ١٩٥٩ .

٢٨ – الخطيب البغدادي/ أبو بكر/ أحمد بن علي/ تاريخ بغداد/ دار الكتاب العربي/ بيروت .

٢٩ – الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ الحيوان/ شركة الكتاب اللبناني/ بيروت ١٩٦٨ .

٣٠ – الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ البخلاء/ الطبعة

- الأولى/ دار الكتاب المصري/ القاهرة ١٩٤٨ .
- ٣١ – الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ البيان والتبيين/ شركة  
الكتاب اللبناني/ بيروت ١٩٦٨ .
- ٣٢ – الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ رسائل الجاحظ/ الطبعة  
الأولى/ القاهرة ١٩٧٩ .
- ٣٣ – الديلمي/ أبو محمد/ الحسن بن أبي الحسن بن محمد/ إرشاد  
القلوب/ دار القلم/ بيروت ١٣٨١ هـ .
- ٣٤ – الزبيدي/ محمد مرتضى/ تاج العروس/ دار صادر/ بيروت  
١٩٦٦ .
- ٣٥ – الزركلي/ خير الدين/ الأعلام/ الطبعة الثالثة/ بيروت ١٩٦٩ .
- ٣٦ – الزركلي/ خير الدين/ الأعلام/ الطبعة السادسة/ دار العلم  
للملايين ١٩٨٤ .
- ٣٧ – الزمخشري/ محمود بن عمر/ أساس البلاغة/ دار مطابع  
الشعب/ القاهرة ١٩٦٥ .
- ٣٨ – الرازي/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر/ مختار الصحاح/  
دار الرسالة/ الكويت ١٩٨٣ .
- ٣٩ – السويدي/ محمد أمين/ سبائك الذهب في معرفة قبائل  
العرب/ المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة .
- ٤٠ – الشرنوبلي الحوري/ سعيد/ أقرب الموارد .
- ٤١ – الشربيني/ أبو الحسن/ علي بن بسام/ الذخيرة في محاسن  
أهل الجزيرة/ الطبعة الأولى/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧٩ .
- ٤٢ – الشناوي/ أحمد/ دائرة المعارف الإسلامية/ الترجمة العربية/  
١٩٣٣ .

- ٤٣ - الصبان/ محمد/ إسعاف الراغبين/ المطبوع على هامش نور الأبصار/ الطبعة السابعة/ القاهرة ١٩٦٥ .
- ٤٤ - الطبرسي/ أبو منصور/ أحمد بن علي بن أبي طالب/ الاحتجاج/ مطبعة النعمان/ النجف ١٩٦٦ .
- ٤٥ - الطبري/ محمد بن جرير/ تاريخ الرسل والملوك/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٦٨ .
- ٤٦ - الطوسي/ أبو جعفر/ محمد بن الحسن/ رجال الطوسي/ الطبعة الأولى/ المطبعة الحيدرية/ النجف/ ١٩٦١ .
- ٤٧ - الظاهري/ ابن حزم/ علي بن أحمد/ الفصل في الملل والأهواء والنحل/ دار الندوة الجديدة/ بيروت .
- ٤٨ - العقاد/ عباس محمود/ أبو الشهداء/ الطبعة الثانية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦ .
- ٤٩ - العقاد/ عباس محمود/ معاوية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦ .
- ٥٠ - القالي البغدادي/ أبو علي/ إسماعيل بن القاسم/ الأمالي/ دار الفكر .
- ٥١ - القرشي/ باقر شريف/ حياة الحسن بن علي/ مطبعة النجف/ ١٩٥٦ .
- ٥٢ - القطبي/ عبد الكريم بن محب الدين/ إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام/ الطبعة الأولى/ دار الرفاعي/ الرياض ١٩٨٣ .
- ٥٣ - القزويني الحنفي/ سليمان بن إبراهيم/ ينابيع المودة/ الطبعة الثانية/ النجف ١٣٨٥ هـ .

- ٥٤ - الكليني/ محمد بن يعقوب/ الروضة من الكافي/ المكتبة  
الحيدرية.
- ٥٥ - الكوفي/ ابن أعثم/ أحمد/ الفتوح/ الطبعة الأولى/ دار  
الكتب العلمية/ بيروت ١٩٨٦.
- ٥٦ - المبرد/ أبو العباس/ محمد بن يزيد/ الكامل/ مطبعة محمد  
علي صبيح/ القاهرة ١٣٤٧ هـ.
- ٥٧ - المسعودي/ أبو الحسن/ تاريخ مروج الذهب/ المطبعة البهية  
المصرية/ القاهرة ١٣٦٦ هـ.
- ٥٨ - المظفر/ محمد حسن/ دلائل الصدق/ المطبعة الحيدرية/  
النجف ١٩٥٣.
- ٥٩ - المفيد/ محمد بن محمد بن النعمان/ الإرشاد/ ١٣٦٤ هـ.
- ٦٠ - المقرم/ عبد الرزاق/ الشهيد مسلم بن عقيل/ النجف  
١٣٦٩ هـ.
- ٦١ - النقدي/ محمد جعفر/ مواهب الوهاب في فضائل آل أبي  
طالب/ المطبعة المرتضوية/ النجف ١٣٤١ هـ.
- ٦٢ - النويري/ شهاب الدين/ أحمد بن عبد الوهاب/ نهاية الأرب/  
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر/  
القاهرة.
- ٦٣ - المهزومي العبدوي/ أبو هفان/ عبد الله بن محمد/ ديوان شيخ  
الاباطح أبي طالب/ المطبعة المرتضوية/ النجف ١٣٥٦ هـ.
- ٦٤ - حرز الدين/ محمد/ مرآة المعارف/ مطبعة الآداب/ النجف  
١٩٧١.
- ٦٥ - جميل إبراهيم حبيب/ القول الجازم/ دار الكتب العلمية/

بغداد/ ١٩٨٧ .

٦٦ – جواد علي الدكتور/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/  
بيروت ١٩٧٠ .

٦٧ – سليمان / سؤلات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني في  
الجرح والتعديل/ دار العلوم/ الرياض ١٩٨٨ .

٦٨ – شبر/ عبد الله/ تفسير شبر/ الطبعة الثانية/ القاهرة ١٩٦٦ .

٦٩ – شمس الدين/ أبو علي/ فخار بن معد/ الحجة على الزاهب  
إلى تكفير أبي طالب/ المطبعة العلوية/ النجف ١٣٥١ هـ .

٧٠ – سيد مؤمن / الشبلخي/ نور الأبصار/ الطبعة السابعة/ القاهرة  
١٩٦٠ .

٧١ – طه حسين/ حديث الأربعاء/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة  
١٩٣٧ .

٧٢ – علي خان/ صدر الدين/ الدرجات الرفيعة/ المطبعة  
الحيدرية/ النجف ١٩٦٢ .

٧٣ – علي خان/ محمد علي/ أبو طالب وبنوه/ الطبعة الأولى/  
مطبعة الآداب/ النجف ١٩٦٩ .

٧٤ – علي خان/ محمد علي/ تقارير على الكفاية (مخطوطة) .

٧٥ – فيليب حتى/ تاريخ العرب «مطول»/ دار الكشاف/ بيروت  
١٩٦٥ .

٧٦ – قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ الطبعة الثالثة/ مكتبة الخانجي/  
القاهرة ١٩٧٩ .

٧٧ – محمد أحمد جاد المولى وآخرون/ قصص العرب/ دار  
الجيل/ بيروت ١٩٨٨ .



## فهرس القسم الثاني

### تاليف

### علاء السيد علي خان

٩	مقدمة المؤلف.....
١١	الفصل الاول.....
١٣	بنو ابي طالب.....
١٥	اول الابناء.....
١٩	بين اللتيا والتي.....
٢٧	الفصل الثاني.....
٢٩	عقيل.....
٣٩	بين عقيل وعلي.....
٤٧	وجها لوجه مع معاوية.....
٥٩	بنو عقيل.....
٦٧	الفصل الثالث.....
٦٩	جعفر بن ابي طالب.....
٧٥	في الحبشة.....
٨٠	بخير دار.....
٨٣	في مؤتة.....



٨٦ ..... احدى الحسنين

٩٦ ..... عبد الله بن جعفر

١٢١ ..... عون بن جعفر